

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدّر أركانها أعلام العلم والأدب في الزيتونة

المجلد الثاني

تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي أكتوبر ١٩٣٧

الجزء الاول

شهرية وسنتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية

والحاكم بالمجلس المختلط

أمين المال :

محمد عبد بن القاضى

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القا

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع

حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

دخول المجلة في عامها الثاني	بقلم الشيخ محمد المختار بن محمود رئيس التحرير
٤ تشين جامع المرسى	قلم التحرير
٥ تفسير سورة الفاتحة	» الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٩ حديث فضل اصلاح ذات البين	» الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة
١٣ التأليف المولدية	» العلامة الحليل الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني
١٦ كشف شبهات	» الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب المجلة
٢٥ آداب الزوجية	» الشيخ محمد الهادي ابن القاضي مؤتمن مال المجلة
٢٧ النياشين التونسية	» العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد بن الحوجة مستشار الحكومة التونسية
٣١ في موكب تشين جامع المرسى (قصيدة)	» الشيخ الطاهر القصار مدير المجلة
٣٤ زيتونة تونس	» القصار
٣٥ صوت من اعماق الماضي	» الشيخ احمد اليحايوي
٣٥ المسلمون في رمينيا - بلغاريا	» الاستاذ عثمان الكعاك
٤١ تقرير من وزير معارف الحكومة السورية في الاوقاف والتعليم الاسلامي	» صاحب السعادة عبد الرحمان الكبالي
٤٥ الوعظ والارشاد - رجب - شعبان	» شيخ الاسلام المالكي الشيخ سيدي محمد الطاهر بن عاشور

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
 « في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
 يخضع الربع للسلامة
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال والمخابرات المالية لا تكون الا معه
 الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها الهيكلة من فلاسفة جليلين مع الزيتونة في المجمع العلمي

الجزء الاول	تونس في شعبان عام ١٣٥٦ وفي اكتوبر ١٩٣٧	المجلد الثاني
-------------	--	---------------

شهرية وستة عشر اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد عبد الوكيل بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القا

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

دخول المجلة الزيتونية في عامها الثاني

نحمدك اللهم حمدا يقيد ما افضته علينا من نعمك . وما غمرتنا به من بحر جودك وكرمك . ونصلي ونسلم على نبيك الاعظم . وصراطك التام الاقوم . منبع الفضائل والكمالات . والشمس التي طلعت على العالم فمزقت حجب الكفر والنفاق والضلالات . وعلى آله الاطهار . واصحابه الابرار . اما بعد فان من اجل ما ينعم الله به على عبده ان يوقفه لعمل نافع يسديه . او لقول صالح بيديه . وغاية ما يتمناه الانسان ان يقوم بواجب النصح والارشاد . وان يوقفه الله الى ان يكون منارا يهتدى به الناس الى طريق السداد . ومما يدل على شرف هاته الرتبة ويعليها مقاما . مدح القرآن للذين قالوا واجعلنا للمتقين اماما . وتأكد شرفها بما اعد لها من الجزاء العظيم على لسان سيد العرب والعجم في قوله : لان يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم .

وان من اهم وسائل الارشاد في عصرنا الحاضر نشر المجلات العلمية بين عموم الطبقات فهي سهلة التداول . كثيرة التداول . يستفيد منها الناس على اختلاف درجاتهم . وتفاوت مداركهم . ويجد منها العالم منبرا يرتقيه ليصده بما امره الله . فيسمع اقواما كانت عن طريق الرشاد نائية ويرشد من تنكب منهم عن طريق الصواب وينقذ من كان منغمسا في مبتدعات الامور ومخدراتها . ويبين للناس الحجة المثلث التي يجب عليهم سلوكها حتى تحصل لهم النجاة في الآخرة والاستقامة في الدنيا . وبذلك يكون قد قام ببعض ما فرض الله عليه . وادى الامانة التي التزم ان يقوم بها . ومن اجل ذلك اسسنا في العام الماضي هذه المجلة . ووضعنا لها منهاجا لتسير على مقتضاها . واجتهدنا في تنفيذها ولكننا عند التطبيق وجدناه متسع النطاق . والمجلة في عامها الاول . فاجتهدنا في تنفيذ ما امكننا ان نقوم به . وتعللنا عن تقصيرنا في القيام بالباقي بان هذه المشاريع العظيمة يحسن فيها الريث . واول القطر غيث .

بذلنا الجهد في القيام بالواجب نحو الرقي بالمجلة من جميع النواحي فنشرنا من المباحث العلمية . والتحقيقات العالية . والمواضيع الشائقة . ما جادت به اقلام العلماء بهذه البلاد . جازاهم الله احسن الجزاء . فتكون من مجموعة العام الاول سفر علي عزير المنال . غزير الفائدة .

وقد تحقق لنا بهذه المجلة غرض آخر من اهم الاغراض التي دفعنا لتاسيسها وهو ربط الصلة

بين علماء البلاد التونسية وغيرهم من بقية العلماء في سائر الاقطار . فحصل التقارب بين الفريقين وقام الدليل على ما للعلماء بهاته البلاد من القيمة الكبرى . والشان العظيم . وتواردت علينا رسائل التأييد والاستحسان من اعيان علماء الاقطار الاسلامية . وكبار المفكرين فيها . وكلهم يحذون مسلك المجلة ويشنون عليها ونحن مع شكرنا لهم على ما ابدوه من حسن التقدير . فاننا نعترف باتنا لم نصل بعد الى الغاية التي نصبوا اليها من الارتقاء بهذه المجلة الى مستوى المجلات العلمية الكبرى بالعالم . وهي الغاية التي نريد ان نصل اليها بحول الله

واذ قد تحدثنا عن التأييد الذي لا قيناه من اعيان العلماء فان مما يجب علينا ان نسجله بافتخار ما لا قيناه من التأييد والاعتبار من لدن صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي . فانه ابقاه الله قد نظر الى هذه المجلة بعين الاكبار واظهر اهتمامه وسروره بها . وصرح برضاه عنها في مناسبات متعددة . ومن شدة اعتناؤه بها انه قد ارسل اليها في منتهى السنة احد اعيان خاصته ليبلغ اليها شكره ودعاءه الصالح . واخبرنا بان بعض الاعداد قد تلاشت له ويريد منا تعويضها لتضم الى مكتبته العلمية بقصره العامر . كما انه منح المجلة عطية سنوية شرفنا بارسالها اليها على طريق تابعه المشار اليه . وبذلك فقد اظهر اعتناؤه بهذه المجلة ادبيا وماديا . ولا غرابة في صدور هذا من اميرنا الجليل . وهو ابو الحيرات . ومصدر الفضائل والكلمات من ازدهرت في دولته الحياة العلمية . وشمل فضله سائر الرعية . الذائد عن حي الدين . والحافظ له من دسائس المشركين والملحدين . ابقاه الله . وادام عزه وعلاؤه . كما يجمّل بنا هنا ان نقدم لقرائنا الكرام ومشتركينا الافاضل خالص شكرنا وعظيم امتناننا على ما ابدوه من العطف والتقدير نحو هذا المشروع والرجاء ان تلاقي المجلة من اعانتهم وتشجيعهم في عامها الثاني نظير ما لاقتهم في عامها الاول او ازيد . وليعذرونا فيما اضطررنا اليه من ترفيع ثمن المجلة الامر الذي دعا اليه كثرة مصاريف الطبع بسبب ارتفاع ثمن الورق وزيادة اجور العملة فقد تحملنا من جراء ذلك في العام الفارط مشاق مادية لا يستهان بها وحرصا على حياة المجلة رفعنا ثمنها في هذا العام فان هذه المشاريع التي لا تقوم الا بالمال يلزم ان يكون لها في دخلها ما يوفر عليها مصاريفها الضرورية والا فبي الى الاضمحلال السريع صائرة . ولا نخال قراءنا الكرام الا عاذرنا في هذا الترفيع لمبين صوت الواجب في الاقبال على اقتنائها والكرع من منهلها فانه مهما زادونا اقبالا وتشجيعا زدناهم اقتانا وتحسينا

وها نحن اليوم ندخل بالمجلة في عامها الثاني . راحين من الله ان يمدنا بتوفيقه وعنايته . ويشملنا بلطفه ورعايته . حتى نسير بها اشواطنا الى الامام . ويكون النجاح في البداية بشيرا بحسن الختام .

الحسنة الملوكية الخالدة

انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

مبرة جديدة وحسنة اخرى خالدة تلك التي وفق لها حضرة ولي النعم صاحب البركات ومصدر الخيرات الامير ابن الامير سيدنا ومولانا احمد باشا باي صاحب المملكة التونسية ايد الله دولته من تعمير بيت من بيوت الله وتسهيل العبادة واقامة الشعيرة الدينية الكبرى الا وهي الصلاة على من وفق لها من عباد الله .

ضاق مسجد الصلاة بالمرسى مصيف الامير الحليل عن ابواء عدد المصلين الكثيرين المقبلين على اداء فريضة الجمعة هناك حتى فقدوا الطمأنينة اللازمة في الصلاة وتعالص اصوات المشتكين من ضيق المكان فبلغت المسامع الشريفة وهناك اذن ابقاه الله في توسيع المسجد المذكور من ماله الخاص فتهللت لهاته البشرية وجوه المصلين وابتهلوا الى الله تعالى ان يطيل عمر اميرنا المحبوب وان يضاعف له عن عمله هذا الاجور فوق الشروع في تنفيذ الارادة السنية من طرف الادارة الخاصة للحضرة الملوكية واول عمل بدى به في هذا السبيل هو اشتراء الحان المجاور للمسجد ليقع ضمنه له وكان ذلك في رجب من العام المنصرم ١٣٥٥ واستمر الصنّاع في عملهم الى ان انتهى العمل في رجب الفارط وقد ظهر المسجد بعد هذا التجديد بهجة للناظرين وروضة من رياض الجنان المعدة لعباد الله الصالحين ووقع فرشه بالفرش الغالية الثمينة وعلقت به الثريات البلورية الجميلة التي تأخذ بالالباب فكان مسجدا من الطراز الاول في اتقان الصنع وجمال التأثيث واتساع المحمل يأوي ما لا يقل عن ألفي مصل

وفي يوم الاحد الثاني والعشرين من شهر رجب المنصرم اقيم احتفال باهر بمناسبة فتحه لاداء الصلاة فيه حضرة مولانا الامير ومعه رجال الحاشية الملوكية من امراء ووزراء وكبراء الدولة وشيوخ الشرع العزيز وشيخ جامع الزيتونة الاعظم ورجال التدريس فيه والسادة الاشراف وايعة الجامع الاعظم وكثير من اعيان الامة وسراها وتليت بمحضر الامير الحليل آيات من الذكر الحكيم ثم تلى امام الجامع العالم الخير الحافظ الشيخ احمد البناني على الاسماع الشريفة القصة المولدية للبرزنجي تيمنا وتبركا بسيرة وشمائل المشرع الاعظم صلى الله عليه وسلم ثم القى خطبة بليغة بين فيها فضائل بناء المساجد في الاسلام وما يصنعه المسلمون في المساجد من الامور العامة ومصالح الدولة في القديم والحكمة في اقامة الصلاة الجامعة في الاسلام .

وبعد ذلك قفل الامير راجعا لقصره العامر فادى اليه الحاضرون مراسم التبريك والتشريف والقي بين يديه العلماء الازكياء المشائخ الحلة محمد البشير النيفر الاستاذ بجامع الزيتونة . الناصر الصدام المدرس من الطبقة الاولى الحنفية . علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى المالكية . الطاهر القصار المدرس من الطبقة الثانية ومدير هاته المجلة (١) قصائد من غرر الشعر وعيون في تهته الامير والاستزادة من فيض خيره فجزى الله جلالة اميرنا المعظم عن هذا العمل المشكور احسن ما يجازى به عبادة العاملين على رفع منار الدين واعلاء كلمته .

(١) نشرنا قصيدة الشيخ الطاهر القصار التي القاها يوم فتح الجامع بين يدي الامير بالقسم

الادبي من هذا الجزء .

القرآن الكريم

سورة فاتحة الكتاب

السورة قطعة معينة من القرآن بمبدأ ونهاية لا يتغيران مسماة باسم مخصوص تشتمل على ثلاث آيات فأكثر وكونها تشتمل على ثلاث آيات مأخوذ من استقرار القرآن مع حديث عمر فيما رواه ابو داود عن الزبير قال جاء الحرث بن خزيمة (هو المسمى في بعض الروايات خزيمة وابا خزيمة) بالآيتين من آخر سورة براءة فقال اشهد اني سمعتها من رسول الله فقال عمر وانا اشهد لقد سمعتها منه ثم قال لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة الخ فدل على ان عمر ما قال ذلك الا عن علم ان ذلك اقل مقدار سورة ثم يحتمل عندي ان يكون اطلاق السورة على القطعة المعينة في الكتاب مستعملا عند العرب قديما بان كانوا يطلقونه على اجزاء التوراة والانجيل اذ كانت مترجمة للعربية عند المتدينين من العرب لثبوت الترجمة في خبر ورقة بن نوفل في صحيح البخاري في بدء الوحي فلما جاء القرآن اطلق هذا الاسم على القطع المعينة منه وقد نستروح لهذا بما جاء في القرآن « ويقول الذين كفروا لولا نزلت سورة » ويحتمل ان يكون اطلاق السورة من اصطلاح القرآن لقب به السور الاول التي نزلت كسورة العلق وسورة المدثر وسورة الفاتحة ثم شاعت تلك التسمية عند العرب حتى المشركين منهم وعلى كلا الاحتمالين فالتحدي للعرب بقوله تعالى فاتوا بعشر سور مثله . فأتوا بسورة من مثله . لا يكون الاتحدي باسم معلوم المسمى والمقدار عندهم وقت التحدي فان آيات التحدي نزلت بعد السور الاول .

وجمع سورة سور بتحريك الواو كخرف ونقل في شرح القاموس عن الكراع (١) انها تجمع على سور بسكون الواو وتسوير القرآن من السنة الماضية من زمن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كان القرآن يومئذ مقسما الى مائة واربع عشرة سورة باسمائها ولم يخالف في ذلك الا عبد الله ابن مسعود فانه لم يثبت المعوذتين في سور القرآن وكان يقول انما هما تعوذ امر الله رسوله بان يقوله وليس هو

(١) هو علي بن حسن الهنائي المعروف بكراع النمل المصري توفي بعد سنة ٣٠٧ الف المنضد

في اللغة ثم اختصرة وسماه المجرد ثم اختصرة وسماه المنجد

من القرآن كما في صحيح البخاري وأثبت القنوت الذي يقال في صلاة الصبح على انه سورة من القرآن سماها سورة الخلع والخنق (١) ولم يحفظ عن الصحابة حين جمعوا القرآن انهم ترددوا ولا اختلفوا في عدد سورة وانها مائة واربع عشرة سورة روى اصحاب السنن واحمد بن حنبل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت الآية يقول ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا ترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم كما نقله ابن عطية عن مكّي بن أبي طالب وجزم به السيوطي في الاتقان وبذلك يكون مجموع السورة من الآيات ايضا توقيفيا ولذلك نجد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ في الصلاة بسورة كذا وسورة كذا من طوال وقصار ، وإما ترتيب السور بعضها اثر بعض فقال ابو بكر الباقلاني يحتمل ان النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي امر بترتيبها كذلك ويحتمل ان يكون ذلك من اجتهاد الصحابة ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بان ترتيب السور بعضها اثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان قال ابن عطية وظاهر الاثران السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وكان من السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف

وذكر في الاتقان ان من الصحابة من رتب مصحفه على ترتيب النزول وكذلك كان مصحف علي رضي الله عنه وكان اوله اقرأ باسم . ثم المذر . ثم المزمّل . ثم التكوير وهكذا الى آخر المكّي ثم المدني ومنهم من رتب على حسب الطول والقصر وكذلك كان مصحف أبي وابن مسعود فكانا ابتداء بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران وعلى هذه الطريقة امر عثمان رضي الله عنه بترتيب المصحف المدعو بالامام وفي باب تأليف القرآن من البخاري عن عبد الله بن مسعود انه ذكر النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها في كل ركعة فسل علقمة عنها فقال عشرون سورة من اول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرها من الحواميم حم الدخان وعم يتساءلون على ان الجمهور جزموا بان كثير من السور كان مرتبا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم اعلم ان ظاهر حديث عائشة رضي الله عنها في صحيح البخاري باب تأليف القرآن انها لا ترى القراءة على ترتيب المصحف امرا لازما فقد سأله رجل من العراق ان تريه مصحفها ليؤلف عليه مصحفه فقالت «وما يضرك أية آية قرأت قبل انما نزل اول ما نزل منه سورة فيها ذكر الجنة والنار حتى اذا تاب الناس الى الاسلام نزل الحلال والحرام » وفي صحيح مسلم عن حذيفة ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى بالبقرة ثم بالنساء ثم بآل عمران في ركعة قال عياض هو دليل لكون ترتيب السور وقع باجتهاد الصحابة حين كتبوا المصحف وهو قول مالك رحمه الله وجهور العلماء وعلى الاحتمالين يجوز ان يقرأ بعض السور قبل البعض المثبت في

(١) بفتح الحاء فيهما لان في لفظ القنوت ونخلع لك ونخضع وتترك من يكفرك

المصحف قبله قال ابن بطال (١) لانعلم احدا قال بوجود القراءة على ترتيب السور في المصحف بل يجوز ان تقرأ الكهف قبل البقرة واما ما جاء عن السلف في النهي عن قراءة القرآن منكسا فالمراد منه ان يقرأ من آخر السورة الى اولها اهـ

وفائدة التوسير قال صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى فاتوا بسورة من مثله « ان الجنس ان انطوت تحته انواع كان احسن وانبل من ان يكون بيانا واحدا (٢) وان القارىء اذا حتم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ في آخر كان انشط له واهز لعطفه كالمسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا واما اسماء السور فقد علمتهم من حديث ابن عباس الذي قدمناه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا نزلت الآية ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا فسورة البقرة مثلا تلقب بالسورة التي يذكر فيها البقرة قلت واصل ذلك من باب التوصيف ثم شاع فحذفوا الموصول وعوضوه بالاضافة فقالوا سورة ذكر البقرة ثم حذفوا المضاف واقاموا المضاف اليه مقامه فقالوا سورة البقرة وسورة الفتح مثلا او انهم لم يقدروا مضافا و اضافوا السورة لما يذكر فيها لادنى ملازمة وقد ثبت في صحيح البخاري ان عائشة رضي الله عنها قالت لما نزلت الآيات من آخر البقرة الحديث وقد روي حديث عن انس مرفوعا لا تقولوا سورة البقرة ولا سورة آل عمران ولا سورة النساء وكذلك القرآن كله ولكن قولوا السورة التي يذكر فيها آل عمران وكذا القرآن كله قال احمد بن حنبل هو حديث منكر وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ويذكر عن ابن عمر انه كان يقول مثل ذلك ولا يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم ذكره البيهقي في شعب الايمان وكان الحجاج يمنع من يقول سورة كذا ويقول قل السورة التي يذكر فيها كذا وهذا كله غلو وشدة ولم يجئ عن السلف ولهذا ترجم البخاري رحمه الله في كتاب فضائل القرآن بقوله باب من لم يرباسا ان يقول سورة البقرة وسورة كذا وسورة كذا واخرج فيه احاديث تدل على انهم قالوا سورة البقرة، سورة الفتح، سورة النساء، سورة الفرقان، سورة براءة وبعضها من لفظ النبي صلى الله عليه وسلم، والظاهر ان الصحابة سموا السور بما حفظوه عن النبي صلى الله عليه وسلم واخذوا لها اشهر الاسماء التي كان الناس يعرفونها بها ولو كانت تلك التسمية غير ماثورة فقد سمى ابن مسعود القنوت سورة الخلع والخنك كما مر فتعين ان تكون التسمية من وضعه، واسماء السور اما ان تكون بأوصافها مثل الفاتحة وسورة الحمد واما ان تكون بالاضافة لشيء اختصت

(١) هو علي بن خلف بن بطال القرطبي ثم البلنسي المالكي المتوفى سنة ٤٤٤هـ كان عالما جليلا نبیلا جيد الفهم له شرح على صحيح البخاري كبير جم الفوائد يتنافس العلماء فيه ومعظمهم عالة عليه

(٢) قوله من ان يكون بيانا واحدا قال السيد اراد بالبيان الشيء وفي حديث ثلث عشت الى قابل لا لحقن آخر الناس باولهم حتى يكونوا بيانا واحدا وكان هذه الكلمة يمانية قلت ويعني صاحب الكشاف ان كثرة الانواع تدل على رفعة الجنس كانواع الحيوان بخلاف الجنس الذي ليس تحته انواع كالرمل

بذكره نحو سورة لقمان ويوسف والبقرة. وأما بالاضافة لما كان ذكره فيها اوفى نحو سورة هود وسورة ابراهيم. وأما بالاضافة لكلمات تقع في السورة نحو سورة براءة وسورة حمّ عشق وسورة حمّ السجدة كذا سماها بعض السلف وسورة فاطر. وان سورة الفاتحة من السور ذات الاسماء الكثيرة والمظنون ان بعض اسمائها ليس توقيفيا. واحسب ان الصحابة لم يثبتوا في المصحف اسماء السور بل اكتفوا بانبات البسملة في مبدأ كل سورة وتسمية هذه السورة فاتحة الكتاب قال السيد الشريف في حواشي الكشف ان فاتحة الشيء اوله قليل الفاتحة في الاصل مصدر بمعنى الفتح كالكتابة بمعنى الكذب (قلت ونظيرة الباقية بمعنى البقاء في قوله تعالى فهل ترى لهم من باقية وكذلك الطاغية في قوله تعالى فامثود فاهلكوا بالطاغية في قول ابن عباس اي بطفياهم بناء على ان الباء سببية) وانما سمي اول الشيء بالفاتحة اما تسمية للمفعول بالمصدر (الاقي على وزن فاعله) لان الفتح يتعلق باول اجزاء الفعل ففيه يظهر مبدأ المصدر (يعني وأول اجزاء فعل الفتح هو المفتتح به الاول فاطلق على المفتتح به لفظ المصدر) قال السيد وقيل الفاتحة صفة في اسم فاعل ثم جعلت اسما لاول الشيء اذ بذلك الاول يتعلق الفتح لا بالمجموع فهو كالباعث على الفتح فالاصل فاتح الكتاب (يشير بهذا الوجه الثاني الذي ارتضاه الى ان مبدأ الشيء قد شبه بالباعث على الفتح لان الفتح كان بسببه وان اسناد صيغة فاعل من فتح حيث ان اسناد مجازي من الاسناد للسبب الادعاء في هو مجاز عقلي. واذ قد كان اطلاق الفتح على الابتداء مجازا لغويا لان حقيقة الفتح هو افراج الباب او نحوه يكون في هذا الوجه مجازا لغويا وعقلي) اما التاء اللاحقة لفاتحة فقال السيد والتفتزاني في حواشي الكشف هي للنقل من الوصفية الى الاسمية كالنطيحة (والمراد من الاسمية في كلامهما ليس هو العلمية بل المراد انهما صارا اسمين لمقدار معين من كتاب ونحوه اي اسمي جنس قال التفتزاني في حواشي الكشف « ولعدم اختصاص الفاتحة بالسورة ونحوها كانت التاء للنقل من الوصفية الى الاسمية دون تأنيث الموصوف في الاصل اه فاشار الى ابطال كون التاء للتأنيث بان الفاتحة والخاتمة تستعملان صادقتين على مذكر كما تستعملان صادقتين على مؤنث كقولهم فلان خاتمة العلماء وكقول الحريري « ادتني خاتمة المطاف وفاتحة اللطاف » فانه اضافهما الى المطاف وهو مذكر والى اللطاف وهي جمع لطف وهو مذكر ثم جعل هذا المركب علما على هاته السورة ولا حاجة للغلبة لانحصار معنى هذا التركيب في هاته السورة ومعنى فاتحة الكتاب انها اوله في القراءة او في التنزيل على القول بانها اول ما انزل. وازافة السورة الى فاتحة الكتاب من اضافة العام الى الخاص ان اعتبرنا فاتحة الكتاب علما على المقدار المخصوص من الحمد لله الى الضالين وازافة العام الى الخاص وردت في كلام العرب مثل قولهم شجر الاراك ويوم الاحد وعلم الفقه. والفرق بين ما ورد من ذلك وبين ان تقول انسان زيد باد لمن له ادنى ذوق في كلام العرب ولم يفصح علماء العربية عن وجهه فكان حقا علينا اظهار وجه حسن ما حسن من هذه الاضافة وقبح ما ليس مستعملا

الحديث الشريف

عن ابي الدرداء رضي الله عنه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلِ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ قَبَالُوا بَنَى قَالَ إِصْلَاحُ ذَاتِ الْبَيْنِ فَإِنَّ فُسَادَ ذَاتِ الْبَيْنِ هِيَ الْحَالِقَةُ

البيان

هذا الحديث رواه ابو داود والترمذي واخرجه البخاري في الادب المفرد وقد وقع في بعض هذه الروايات زيادة : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين

— الفضل الزيادة - الدرجة المراد بها الرتبة - الصلاة والصيام العبادتان - الصدقة الزكاة او مطلق الصدقة - بلى كلمة جواب كنعم - الاصلاح ضد الافساد - ذات البين العداوة والبغضاء واصلاحها اصلاح الفساد بين القوم واسكان الثائرة - الحالقة الخصلة التي من شأنها ان تحلق اي تهلك وتستأصل الدين كما تستأصل الموسيقى الشعر

اعلم أن الشريعة الاسلامية جاءت بمصالح العباد الخاصة والعامة وربط الصلة بين العبد وربيه وبين العباد مع بعضهم ليتيم العمران على الوجه الأكمل وحببت للانسان طاعة الآله بما يترتب عليها من المثوبة الاخرية كما رغبت المسلمين في عقد الخناصر على الاخوة ليكونوا كالبنين المرصوص يشد

منها وذلك ان اضافة العام الى الخاص تحسن اذا كان المضاف والمضاف اليه اسمي جنس اولهما اعم من الثاني فهناك يجوز التوسع بالاضافة لقصد الاختصاص ثم تكسبه غلبة الاستعمال قسولا. نحو شجر الاراك ويوم الاحد عوضا عن ان يقولوا الشجر الذي هو الاراك واليوم الذي هو الاحد وقد يكون جائزا غير مقبول لقلة استعماله او عدم استعماله بالمرّة نحو حيوان الانسان فان كان احد المتضامين غير اسم جنس لم تسغ الاضافة نحو انسان زيد ولذلك جعلوا شهر رمضان منقولا من الاضافة الى العلية واما اضافة فاتحة الى الكتاب فاضافة حقيقية باعتبار ان المراد من الكتاب بقية الكتاب عدا الفاتحة كما تقول دياحة التقليد . . .

(له بقية)

محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

بعضه بعضا ويكونوا من جراء ذلك يدا على من سواهم فاذا تخلق المسلمون بهذا الخلق العظيم امكن لهم توقيف شرور النفس الامارة وابتعدوا عن نتائج الفرقة المهلكة .

وقد اظهر سبحانه عظيم مننه بنعمة الالفه في قوله (لو أنفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم) ودم سبحانه التفرقة وزجر عنها فقال جل من قائل (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) فهذا الامر والنهي ونحوهما كلها تثبت اصلا من اصول الملة الحنيفية يقام عليه هيكل الامة بأسرها .

وقد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم دهرا وهو يشت هذا الخلق في نفوس المسلمين يرغبهم في الاخوة مرة فيقول : ان اقربكم مني محالسا احاسنكم اخلاقا الموطن اكنافا الذين يألفون ويؤلفون . ويقول ان احبكم الى الله الذين يالفون ويؤلفون ويحذرهم من التنافر واسبابه مرة اخرى فيقول وان ابغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان . لعله عليه الصلاة والسلام ان تمكن ذلك الخلق من النفوس ليس بالهين السهل

وعلى قدر اهتمام الرسول بتكوين هذا الخلق في المسلمين كان اهتمامه بتعمده بعد حصوله او أشد . فترى نصوص الشريعة ترى بامر اصلاح ما تدعى للاتقاض والتهديم حفظا على كيان الوحدة الاسلامية الذي اسبها الرسول من التصدد وتحذيرا من لوازمه الفتاكة قال تعالى (واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فقارن بين طاعة الله ورسوله واصلاح ذات البين بل هو داخل في عمومها ومرتبته لا تقل عن غيره من الطاعات ولربما فاق كثيرا منها اعتبارا بما يحصل بسبب هذا الإصلاح من مقومات الدين والرحمة بالمؤمنين وكذلك قوله تعالى (انما المؤمنون اخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون) فالاصلاح بين المسلمين من تقوى الله واعظم انواع الالفه ما كانت الرابطة فيها هي التقوى فكما ان من التقوى الالفه والاخوة كذلك من التقوى اصلاح ذات البين . وكذلك قوله عز وجل (لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما) فبين تعالى ان من يتولى اصلاح بين الناس احتسابا له تعالى وابتغاء مرضاته له درجة ممتازة واجر عظيم وذلك بحسب ما يترتب على هذا الإصلاح من الكمالات . وعلى هذا النحو جاء قوله صلى الله عليه وسلم : الا اخبركم بافضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى : قال : اصلاح ذات البين الحديث فقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم ان درجة اصلاح ذات البين مقامها رفيع حتى انها فضلت درجة اعلى انواع الطاعات . وظاهر الحديث ربما تعارضه بعض النصوص الدالة على ان الصلاة والزكاة والصيام هاته الثلاثة هي من قواعد الاسلام الخمسة التي لا يمانلها شيء من الطاعات فكيف يهونها اصلاح ذات البين ونحن نجيب عن ذلك باحد امور

الاول ان يكون المراد في قوله افضل من درجة الصلاة الخ ليس ذلك في الثواب وانما هو في المصالح المترتبة على هذه الطاعة وتلك الطاعات بل ان تلك الطاعات لا يكون لها اثر في نفوس المسلمين على الوجه الاكمل الا اذا ساد الصلاح بينهم اما وهم حرب على بعضهم لا يهتم المسلم الا بخويصة نفسه تعبت بهم الاهواء وتمزقهم الاحقاد كل ممزق فهذا تقاومه الشريعة بكل الوسائل ولا يرضى الله من عبادة الكفر والفساد .

الثاني ان يكون المراد من الصلاة والصيام والصدقة غير المفروضة بقريضة التعبير بالصدقة الثالث ان نصوص الشريعة كما دلت على عظم درجة الصيام والزكاة وعلى الاخص الصلاة، دلت ايضا على ان الطاعة الواحدة لها درجات وتفاوتها يكون بحسب ما يلبس العبد عند ادائه لها حتى انه في بعض الحالات تكون الطاعة وبالا عليه كما جاء في حديث . رب قارىء القرآن والقرآن يلعنه وكلمراي في عبادته الذي فضل ثواب الناس العاجل بشكرهم له على ثواب الله الآجل الذي وعده به يوم الجزاء الاكبر فيكون المعنى الذي جاء به الحديث هو ان العبد الذي صلى وصام وتصدق وهو مع ذلك منغمس في الشرور بل في اعظم الشرور وهو الافساد بين الناس خطرة عظيم وبلاء لم يكن يقف عنده فقط بل يتسرب الى افراد المجتمع الواحد تلو الآخر فهو حرب على الوحدة الاسلامية التي اقامها صاحب الشريعة فهو في رتبة المحارب او قريب منها كما يرشد الى ذلك آخر الحديث وهو قوله عليه الصلاة والسلام : لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين فهو لا ينتفع بعبادته الا من جهة سقوط الطلب واما بقية المراتب فليس له نصيب منها ومن قام من المسلمين باصلاح ما افسده امثال ذلك الشرير فقد احيا سنة الرسول وربط ما تصده من القلوب على اساس الدين والاخوة الاسلامية ومن احياها فكأنما احيا الناس جميعا فدرجته عظيمة عند الله ورسوله والناس اجمعين ومرتبته لا توصف وحسناته تكاد تبلغ حد الكمال فاين طاعة هذا باصلاحه ذات الدين من صلاة ذلك وصيامه وصدقته ما دام لم تنه صلته عن المنكر فهو ليس له من الصلاة الا الصورة ومن كان كذلك لا غرابة اذا كان يتخبط في الفحشاء وليمت صلاة هذا هي المعنية في قوله تعالى (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى) فهو اتي بالطاعة من حيث الظاهر ولم يفهم منها المعنى الاسمى الذي يجلب له مراقبة المعبود في سائر الاوقات ولو راقبه لما تجرأ على مخالفته بايقاد نار الفتنة بين اخوانه المسلمين .

وهذا الخطر العظيم هو الذي غاب عن انظار كثير من المسلمين وحسبوا ان الله كافهم بعبادته وتركهم وشأنهم فيما يرتضونه لانفسهم من طرق الحياة فسادت بينهم الفوضى في كثير من النواحي ولو ردوا امرهم الى الله والرسول في حياتهم الدنيا لما كانوا على هذا النحو من الانحلال والفساد . وهذا الحديث لم يذكر اسباب الفساد وطرق الاصلاح بل جاء عاما ليتناول ما حدث في تلك العصور وما سيحدث في مختلف الازمان ولنا على بعضها تذكيرا لآخواننا المسلمين لعلهم يصلحون ما

يقدر كل على اصلاحه عساهم يبلغوا تلك الدرجة التي وصفها النبي عليه الصلاة والسلام في حديثه .
وهذا بعضه يرجع الى الاخلاق كالنميمة والحسد والوشاية والنفاق والغش والبغضاء كما جاء في حديث
دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء وهي الخالقة

وبعضه يرجع الى معاملات الناس مع بعضهم كالحياة والنصب والاستئثار على الغير والظلم
والمماطلة في اداء الحقوق والدد في الخصومة

وبعضه يرجع الى الجنايات كقتل النفس والبغي على الطائفة

وبعضه يرجع الى الاسرة في المعاشرة كتعدي احد الزوجين على الآخر وعقوق الوالدين ومعاملة
احد الابناء بما لا يعين على الطاعة ويجلب الضغينة

وبعضه يرجع الى الحياة العامة كالغلو في التشيع الى فكرة او عقيدة وايذاء الاجوار والغلو
في المجادلات وكشف عورات المسلمين

فهذه الاشياء ونحوها مما تعرض اليه في غير هذا المقام اسباب للفساد مباشرة او غير مباشرة
وطرق الاصلاح تكون بعلاجها نفسها وذلك بهذيب النفوس حتى تدرك خطرها فتبتعد عنها وعلى هذا
النحو جاءت نصوص الشريعة لتربية المسلمين تدعوهم الى تجنبها وتسمو بهم عن الوقوع في حبال
تتأججها واقامت من المسلمين من يكون ساهرا على تنفيذ هاته الخطة بالامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ولم تجعله خاصا بطائفة معينة بل كل من وقع تحت نظره شيء من ذلك وجب عليه بحكم
الشريعة ان يغيره باحدى الطرق التي يقدر عليها واقلمها ان يذكر به نفسه ويرشدها حتى لا تؤثر فيها
العدوى الاتيعة وكل ذلك الاصلاح انما هو بدفع الفساد من اصله وقبل وقوعه . قد يكون ارجاع
الالفة مكان الفرقة بعد وقوع الفساد وهذا النوع من العلاج يكون بطرق عديدة منها الوساطة
بكلمة طيبة صادرة من نفس طاهرة وازالة اسباب الفساد ورد المظالم الى اهلها ونصرة الحق
والضرب على ايد المفسدين وعدم التائر بالعصية بل بالرجوع الى الاصل الجامع وهو الاخوة
الاسلامية . واسكان الثائرة بالمعروف والاخلاص في النصيحة . والارشاد الى عواقب الفرقة
ونحو ذلك مما يوصل الى الاصلاح المنشود واطفاء نار الفتنة .

وما دام في الامة رجال يعملون بوصايا الرسول ويقومون باعلاء صوت الحق يدفعون الشر
عن امتهم فابشر لاهان الامة بحياة مطمئة ما دامت الامة تسمع النصيحة وتقدرها حق قدرها .

وعلى عكس ذلك اذا فقدت الناصح الامين واشد من ذلك اذا اعرضت عن النصحاء واستحكم
الشر منها حتى اصبحت تفضل الفساد على الاصلاح اما لعدم ادراكها حسنه او لظنها ان ما عليه افرادها
هو الكمال . فليعتبر الوا ابصار وليهبوا من سباتهم ويحذقوا اصول الشريعة التي اقامت هاته الامة
على الاخوة في الاسلام وليصلح كل ما هو تحت يده وفي متناوله من الفساد والله لا يضيع اجر المحسنين

محمد الشاذلي ابن القاضي

التأليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التأليف

وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ

محمد عبد الحلي الكتاني الشريف

« ٣ »

حرف اللام

« اللفظ الرائق » في مولد خير الحلائق لحافظ الديار الشامية الشمس محمد ابن ناصر الدمشقي المتقدم ذكره في حرف الجيم مولد صغير الحرم لطيف السياق اوله الحمد لله الذي اصطفى من عباده من شاء واختار موجود بالمكتبة الكتانية منه نسخة خط (تم نسخها عام ١٢٧٧) وهو من النوادر .

« اللفظ الجميل » اختصار الدر المنظم الذي هو في مجلدين كلاهما للشيخ محمد ابن عثمان كذا في كشف الظنون .

« اللخمي » في ترجمة الحافظ ابن الربيع من النور السافر عن اخبار القرن العاشر (للسيد محي الدين عبد القادر ابن شيخ العيروسى ص ٢١٧) وجدت بخط شيخنا الشيخ ابي السعادات الفاكهي المكي قال وجدت بخط شيخنا الحافظ وحيد الدين عبد الرحمن بن علي الربيع ما لفظه الحمد لله مصنف كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم المفتح بالحمد لله الذي شرف الانام بصاحب المقام الاعلى هو للشيخ الامام شهاب الدين احمد ابن علي ابن قاسم المالكي التجاري الاندلسي المرسي اللخمي الشهير بالحديدي وهذا المولد هو الفصل ٩ من كتابه الذي صنفه في الوعظ والدقائق وقفت على الجزء الاول منه اشتمل على خمسة وعشرين فصلا بعد طول البحث عن مؤلف هذا المولد وعدم معرفته عند اكثر العلماء وهذه فائدة تساوي رحلة اه ما وجدته قلت وبذلك يعلم عدم صحة نسبة هذا المولد لابن الجوزي فاني سمعت كثيرا من الناس ينسبه له والله اعلم اه كلام صاحب النور السافر قلت وللشيخ محمد مقروقي ابن عمر بن عرب الجاوي المكي فتح الصمد العالم عن مولد الشيخ احمد ابن القاسم قال في اوله هذا شرح نافع على المولد الذي الفه الشيخ احمد ابن القاسم المالكي الشهير بالحديدي على ما ذكره السيد احمد المرزوقي لكن اشتهر على السنة الناس ان هذا المولد لابن الجوزي فيحتمل هذا على ان كلا منهما الف مولدا وكان تأليف احدهما مماثلا لما الفه الآخر كما وقع للسيوطي والقسطلاني ويحتمل ان

احدهما ألف الابيات والآخ الف المنشورات كما افاده بعضهم ولاجل ذلك سميت هذا الشرح باسمين احدهما فتح الصمد العالم وثانيهما البلوغ الفوزي لبيان الفاظ مولد ابن الجوزي الخ وهذا الشرح في ص ٥٣ في القالب الكبير اتمه مؤلفه سنة ١٢٨٦ (طبع بمصر عام ١٣٢٨) بمطبعة دار الكتب العربية الكبرى .

حرف الميم

« المولد الجسماني والمورد الروحاني » لابن الشيخ ءاق شمس الدين حمد الله ذكره في كشف الظنون .

« المولد الجليل » لفتح الله بن محمد المناوي الاحمدي الشاذلي مولد مطبوع بمصر عام ١٣٣٨ ص ٨٨ وطبع ايضا مرارا عام ١٣٠٠ - وعام ١٣٠٢ - وعام ١٣٠٦ - وعام ١٣٠٨ - اوله الحمد لله الذي انار الوجود بطلمعة خير البرية .

« المولد الزاهر » للمولد الطاهر للشيخ يوسف الطاهر ابن احمد ابن ابراهيم طاهر الشبراوي المصري المالكي اكمله عام ١٣٢٨ - وطبع بدمشق في ص ٨٠ - اوله الحمد لله الذي اطلع من سماء الازل شمس الحقيقة المحمدية .

« مولد المدابغي » هو العلامة شيخ الديار المصرية حسن ابن علي المدابغي الازهري الشافعي المتوفى سنة ١١٧٠ - له مولد صغير اشتهر في مصر وغيرها قال في اوله سئل في اختصار المولد الشريف للشيخ الغيطي فاجبه الى ذلك وزدته فوائد جمعة فتح بها القادر المالك فقلت الحمد لله الذي انار الوجود بمولد سيد المرسلين الخ وقد ساق الاسناد اليه الشيخ الشنواني في ثبته قال مولد النبي صلى الله عليه وسلم للشيخ حسن المدابغي ارويه سماعا عن شيخنا الشيخ عطية الاجوري وعن شيخنا الشيخ علي العدوي سماعا عن الشيخ المدكور واما القصة للمدابغي فارويها سماعا من الشيخين المذكورين والشيخ محمد البسلي عن المؤلف اه وقد خدمه المصريون كثيرا فللعلامة المسند الشمس محمد ابن علي الشنواني الازهري الشافعي المتوفى بمصر عام ١٢٣٣ عليه حاشية في عدة كرايس اولها الحمد لله الذي جعل العلماء ورثة الانبياء الى يوم القيامة وخرق لهم العادات الخ فهذه تقييدات جمعناها من تقرير بعض مشائخنا الاعلام ومن متن المواهب وحاشية الطرابلسي ومن بعض كتابات وجدتها بخط بعض الفضلاء ومن الاصل للغيطي وسميتها الجواهر السنية بمولد خير البرية اتمها عام ١١٨٧ - وفي المكتبة الكتانية نسخة اخرى من هذه الجواهر منقولة من خط الشنواني ومن خدمه من المصريين العلامة الشيخ عبد الله ابن علي الدمليحي الشافعي الازهري الشهير بسويدان شرحه في عدة كرايس قصد بشرحه حل الفاظه وتبين مرادة على وجه الاختصار اكمله عام ١١٩٥ - قال في اخره هذا اخر ما

تيسر جمعه على وجه الاختصار في هذا الزمان الذي توالى فيه الأكدار فضع فيه الحق في هذه الديار والامصار وظهر فيه امارات البوار اللهم اقضنا اليك غير مقتونين ولا ضالين ولا مضلين ولا مغيرين ولا مبدلين. وفي المكتبة الكتانية من الشرح المذكور نسخة نقلت من خط المؤلف عام ١٢٢٩ - بخط عبد الرحمن بن محمد الدمشقي الشافعي وممن خدمه علامة الديار المصرية الشيخ محمد الامير الكبير المالكي الازهري المتوفى عام ١٢٣٣ - له عليه تعليق في كرايس بالمكتبة الكتانية منه نسخة وممن كتب عليه ايضا شيخ هؤلاء علامة الازهر الشيخ عطية الاحجوري له عليه حاشية في كرايس بالمكتبة الكتانية منها نسخة فرغ من كتابها عام ١١٩٧ - بخط تليذه محمد عاشور وفي المكتبة الكتانية نسخة من مولد المدابيخي هذا عتيقة بهامشها تحريرات وعلى اولها اعلم ان جميع ما على هذه النسخة نقلته من حواشي نسخة العلامة الشيخ محمد زهران الاحجوري التي كتبها بخطه وكتب على اولها ما نصه الحمد لله قد كنت كتبت على بعض مواضع من هذا الكتاب في نسخة اخرى ما قد يخفى جوابه على ذوي الالباب فعرض ذلك على شيخنا المؤلف فاجاب عن اكثره على ما ستراه غير متكلف ثم كتب على اخر النسخة الحمد لله قد اطلعت على ما كتبه بالهوامش هذا الفاضل الفهامة فاعجبني ذلك ووددت ان يطالع على جميع ما جمعته كثر الله من امثاله له وهذا الانصاف عجيب وممن خدم المولد المذكور من الازهرين العلامة الشيخ احمد الصاوي المالكي الازهري محشى الجلالين المتوفى عام ١٢٦٤ - له عليه تقارير جمعها تليذه السيد محمد الششتي ونسخته التي بخطه في المكتبة الكتانية .

« مولد الميقاتي » هو ابو الحسن نور الدين علي ابن الميقاتي الحلبي المتوفى عام ١٢٢٠ منه نسخة بالمكتبة الاسكندرية على اخرها خط المؤلف بتاريخ ١١٧٣

« مولد العزب » هو العالم الصالح الشيخ محمد العزب الدماطي ثم المدني الشافعي مولد

منظوم اوله :

الحمد لله الذي قد اوجدا من نوره نورا به عم الهدى

وهو مطبوع بمطبعة الفيحاء بالشام في ص ٩

« مولد المارديني » هو الاديب علاء الدين ابن مشرف المارديني اوله الحمد لله الذي حلت سحائب

فضله في ربيع الخ منه نسخة في مجلد في المكتبة السلطانية بمصر تم نسخها عام ١١٠٧

« مورد الصفا » في مولد المصطفى لمقي بيروت الصوفي الاديب البارع صاحبنا الشيخ مصطفى

ابن محي الدين بن مصطفى نجا البيروتي له مولد منظوم اوله :

باسم باري الخلق ذي العرش الرفيع ابتدى في نظم ميلاد الشفيق

وهو نظم بديم لا يوجد في المواليد المنظومة اعذب منه طبع في المطبعة الادبية في بيروت عام ١٣١٨

(يتبع)

في صفحات ١٧

كشف شبهات

ورد على ادارة المجلة رسالة من مدينة ليون من مدن البلاد الفرنسية يطلب صاحبها كشف شبهة قام بها احد الملحدين هناك ليضل الناس ونص الرسالة بعد الديباجة.

ايها السادة ان هنا في مدينة ليون بفرانسا انسان بربري قد قال لنا في احدى محاضراته او دسائسه ان هذا القرآن المعجز الذي جاء به محمد هو من عند نفسه . وان لا آله ولا رسول ولا ملك ولا روح . وانما محمد من فرط ذكائه اخترع الدين الاسلامي وجعله صالحا لكل زمان ومكان واحاطه بسياج القوانين الغير القابلة للإلغاء وجاء بهذا القرآن المعجز وتحدي البشر لكونه يعلم من نفسه انه فوق البشرية . فلماذا تحدى الخلائق تحدي الائق بنفسه انه غالب . قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا « لكون محمد يعلم علم اليقين باناه لو اجتمعت ملايين الفلاسفة . وفكروا على ان يضاهوه في فكرة الخارق لكانوا منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعلى بما لا يتصوره العقل لكون محمد شذت الطبيعة في خلقه من علة اقتران ابويه لكونهما فيهما قابلية فوق (السبرمان) فجاء منهما محمد الخارق في تركيب جسمه الخارق وفي عقله الخارق وفي كل احواله .

فأبواه عبد الله وآمنة هما علة هذا الخرق لناموس الطبيعة حيث جمعت المصادفة بينهما في بلد واحد وعصر واحد مع ان الطبيعة لا تشذ بخلق واحد من امثال عبد الله الا في ملايين السنين بل مرة واحدة في الوجود كله . واما آمنة فالشدوذ بخلقها من غرائب الطبيعة لكون آمنة عقلا يرجح على عقل مليون فيلسوف وهذا محال ان تشذ به الطبيعة مرتين في الوجود . . .

الجواب

تمهيد

الانسان كلف بالبحث عن السعادة واسبابها واستعمل مواهبه لادراكها فمرة وفق وكثيرا لم يوفق او ظن انه وفق وهو في الحقيقة اخطأ الطريق وسار على غير هدى حتى حسب انه بلغ الغاية وما هو ببالها فضل واضل وما علم ان هذا العقل الذي استعمله لبلوغ درجة الكمال قد يقف به في أثناء البحث او يغور فينتج له خلاف الواقع اذا لم يحطه بسياج يتقي به بنيات الطريق .

ولا يختر الانسان بما يبدو له من ظاهر قول الحكماء ان الانسان بعقله يقدر ان يصل الى المثل الاعلى للكمال الانساني فيرخي العنان لعقله فيصبح يخط خط عشواء على غير قاعدة ولا اساس . بل احكام العقل انما يعتد بها اذا كانت مقامة على صحيح البرهان (وليس كل عقل بمتهى بلوغ هذه

المرتبة هذا من جهة ، ولأن مرادهم بذلك الكمالات الداخلة تحت نظام هذا العالم الديني دون الكمالات التي تدرك الروح بها مدارج الارتقاء في العالم الاخروي)

وعلى هذا المنهج نسير في بحثنا عن سعادة البشر المنشودة في معرفة ان هذا العالم له صانع وهذا الصانع هو الآله الواجب الوجود الذي يجب ان يخضع بالعبادة والانقياد وانه الفاعل لما يريد وانه اصطفى من عباده من يكون سفيرا ورسولا منه الى النوع الانساني ليصحح له ما عجز عن ادراكه واوحى الى من اصطفاهم بتعاليم ترجع في جملتها وتفصيلها الى سعادة هذا النوع من الخلق ، وذلك السر المكتوم الذي لم يخض به الا من ارادة الله لتبليغ رسالته هو الذي اطلق عليه اسم الوحي الآلهي فمدار البحث هو الآله والرسول والوحي .

الآله

اعلم ان البشر ليسوا سواء في معرفة الآله وادراك ان هذا العالم لا يد ان يكون له صانع حكيم هو الذي اوجد كافة المخلوقات ولا في معرفة كنه العالم وانه مركب من جواهر فردة وان هاته الجواهر تتكيف باعراض لا تبقى زمانين او ان مادته ازلية وما هو مسمى الازل ولا في معرفة حياة اخرى بعد حياة المشاهدة يعبر عنها بحياة النشور وان تقار الناس كلهم على الخضوع الى قوة اسمائها البعض بما اصطلاح عليه واسماها آخر باسم غير الاسم الاول والكل مدعن الى ذلك التاموس المختلف في تسميته الخاضع الى عظمتة المدرك بالبداهة انه قوة اسمى من جميع القوى الشاعر باحتياجه اليها عند الشدائد وفي ادق الحالات . فهو يتصورها في ساعة الرخاء لا على النحو الذي تتجلى له عند تراكم المحن والشدائد . ومن أجل ذلك يختلف تعبيره وهي لا تتغير وتصدر عنه انفعالات يتبعها انعكاس في الخارج فتراه يقر بما انكره من قبل .

فتعين حيث ان نرجع الى المنطق السليم الموصل الى الاعتراف بالحقيقة التي لا مناص منها ونسلم به من الخطأ في البحث .

وذلك ان انبحث عن آله الكائنات يكون من بحثنا في الكائنات نفسها ضرورة انها متاثرة بغيرها والآخر لا بد له من مؤثر والا لزم الترجيح بدون مرجح وهو محال في نظر المفكرين وتولد المتأثرات عن هذا المؤثر على الوجه التي هي عليه يوجب الاعتراف بوجوده لا على نحو باقي الموجودات المتأثرة بايجاده والا لكان مفتقر المن اوجده وهكذا الى ما لا نهاية له فيتوقف العقل عند ذلك في ادراك حقيقته بعد تسليمه بوجود وجوده من جراء دلالة الصفة على وجود الموصوف والا لزم قيام الصفة التي هي من الاعراض بذاتها وهذا مستحيل عقلا وحسا فلم يبق معنا الا تلك المعرفة المتحصلة من تلك الدلالة فمعرفة الآله الواجب الوجود توصل اليها العقل من ادراكه ان العالم

التركيب من الجواهر والاعراض انما هو اثر له مؤثر وهذا المؤثر هو مصدر سائر الكائنات المركب لوضعها على النمط المحدث المشاهد وهو المرجح لانفعالها لحكم قد تتوصل اليها بعض العقول السليمة وقد تخطىء في فهمها عقول او تحترق في بعض المرات .

وعلى هذا النحو من التفكير اعترف الانسان بواجب الوجود الآله الذي كبر الاعتراف به على من وقف في تفكيره عند حد تسليم بعض الضروريات كدلالة الاثر على المؤثر وعدم تسليم ما سوى ذلك من لوازم تلك البراهين .

ونرى من تفكير بعض الفلاسفة ان العالم بمادته واشكاله مجموع عناصر تتألف من الهولى والصورة بقوة الجاذبية والدافعة تتكون الاشكال وتتسلسل عنها الحوادث ويترجع بعضها الى بعض على حالات متغايرة ونسب مختلفة وهذا التفكير وتناجيه المفروضة لا يعدنا الحجة بالزامهم اللازم الاول في بحثنا الاول من ان المادة المؤلفة منها العناصر سواء سلخوا انها مؤلفة من الجواهر الفردة ام لم يسلخوا هي قابلة للتكيف ويعرض لها الاختلاف بحسب العوارض التي تكون عليها والاستحالات التي انتهت بها الى العناصر وهذه التكيفات ترجع في تقلباتها واختلاف اشكالها الى قوة عظيمة ذات علم واختيار متأثر بها المادة وتكون هي مصدر ذلك التأثير وهي ما نعبّر عنه بالآله الفاعل المختار والقول بتوالد القوى من بعضها بمفعول الجاذبية والدافعة لا يعني فتىلا في زيادة على كونها ترجع في اصلها الى قوة فوق القوى هي مصدر تلك الانفعالات كذلك هي متائرة من ناحية تكيفاتها العرضية كتأثيرها من الناحية المادية وترجيح بعض انواع التولدات والاستحالات على البعض الآخر .

والتعبير عن التأثير بالخالق وعن المؤثر بالخالق كانه هو الذي اخرج بعض النفوس البشرية التي لا ترى الا الاسباب الظاهرة كما اخرجها اطلاق اسم الآله عليه وذلك ضرب من المكابرة بعد التسليم والاعتراف بالقوة العظيمة التي هي مصدر لسائر المؤثرات .

وبما ان التفكير البشري قد يسلم بعض الضروريات ويقف متحيراً في تسليم لوازمها وان ادراك كنه الآله امر ليس في مقدور البشر الوصول اليه وقصاراه ان يتوصل بدلالة الاثر على وجود المؤثر وصفاته وافعاله وان ادراك ما وراء المادة ليست فيه العقول على سواء فلا بدع اذا قلنا ليس في وسع الانسان ان يدرك بسهولة من الله ما يجب ان يدرك وانما تيسر ذلك لمن اختصه الله بنور البصيرة وسرى بشرف الاقتداء ذلك النور الى سائر الاقوام بهدى نبوي اذا بلغه الانسان كان اسرع الناس الى اتباعه ويحصل له العرفان الصحيح على وجه يليق ان يعلم تحت ضوءه الجلال الآلهي الذي تحيرت لافكار فيه . ويتبع بذلك الهدى من آثار الفاعل ما يدل على وجوده ومن اتساق المصنوعات على صفات الصانع الحكيم ومن احوال الحياة ما يتولد منه قوة الايمان .

لذلك كانت الامم في حاجة الى ذلك النور النبوي فاقتدى الناس بالانبياء وادعوا لتعاليمهم لما

تين لهم من الحق وصحة دعواهم ورجحان عقولهم فانقادوا لهم عن طوعية واختيار ولذلك ارسل الله رسله مبشرين ومنذرين لئلا تكون على الله حجة بعد الرسل .
وهنا تنتقل الى القسم الثاني في بحثنا وهو الكلام على النبي والرسول .

النبي والرسول

إذا تقرر ان هذا العالم له آله هو الذي احكم صنعه وله من الصفات ما يناسب كماله وان البشر بلغ ما بلغ من صفات الكمال لا يصل بمواهبه الى ادراك المثل الاعلى وانه بفطرته طموح الى المعالي بيد انه يعجز عن ادراك ما وراء المادة من مجاهل الروح مع كونه مركبا جبا تلتقي فيه المادة بالروح وليس للانسان وجود اذا فقد هاته الروح الجامعة فيه

فكيف له ان يخبر ما وراء عالم المشاهدة اذا لم تكن قوة نافذة توضح له ما هو عاجز عنه بمواهبه لذا كانت بعثة الرسل امرا ضروريا يبلغ بهم النوع الانساني الى اسمى تلك الغايات حيث انهم يبلغون عن الآله ما خفي عن الانام مما ليس في وسع الانسان تبصره مع شدة الحاجة الماسة اليه ضف الى ذلك سائر مشاكل الحياة التي ما فتىء البشر في خلاف عن صالحها من فاسدها فهم الذين يوضحون له طرق السعادة واسبابها ويكشفون الغطاء عن دخائل الامر فينبغي للانسان ما هو جاد في تحصيله .
بقي ان ننظر في مشخصات هذا النوع من البشر وما هي مميزاته والى اي حد يبلغ بهم الكمال ومتى يكون ازاما علينا ان نصدق بهذا الرسول ونكذب ذاك ممن يدعي الرسالة وهو كاذب في دعواه وهذا كله يرجع الى آيات النبوة والرسالة وما يكتنف النبي والرسول في حياته الاولى قبل الجهر بهذه الدعوة وبعدها

اما آيات النبوة والرسالة فعلى قسمين ما يدل على النوع وما يدل على الشخص اما الذي يدل على النوع فهو الامر الذي يتحدى به الرسول او النبي من عانده وانكر بعثته فتقوم عليه الحجة بذلك وهذا مصدره الله تعالى يرسمه كعلامة لصدق الرسول في دعواه الرسالة عن الآله فاذا ظهرت الآية وظهر العجز عن معارضتها كانت ذلك اعظم دليل على اختصاصها بالانبياء وان من ادعى النبوة ولم تكن له هاته الآية ظهر كذبه ولا يلتفت لقوله ومدعاه وعموم البشر ممن لا يدرك الحاجة الماسة الى الارسال اعتمد هذا الاصل وهو آيات النبوة فايقن بوجود الانبياء واذعن لخصائصهم وآمن بهم حتى ان من لم يسبر هذه الخصائص او لم يكن له بها علم كفلاسفة اليونان ومن تخرج من مدرستهم لم يكن له في الانبياء قول . كما لم ينقل لنا عن ان ارسطو وتلامذته فيهم قول . وهذا لعدم العلم بحقائقهم وعدم الاطلاع على خصائصهم وآياتهم لا للعلم بالعدم .
وذهب من عرف النبوة من متأخري الفلاسفة الى انها من قوى النفس وقوى النفوس متفاوتة فمن بلغت منه تلك القوى حد الكمال وصل تلك الرتبة وهذا تخريج منهم امر النبوة على اصول

قوم لم يبلغهم امرها ولم يعرفوا منها كثيرا ولا قليلا وجاء التعبير الحديث فاختار النبي اسم العبقري . لكن لما صدم قسم منهم بحقيقة واقعية يدركها كل من بحث عن علة الارسال نحا فريق منهم في تفسير النبوة منحا غير الذي عليه اهل الاديان فقالوا ان الرسالة امر لازم لحفظ نظام العالم المؤدي الى صلاح النوع الانساني على العموم لكونها سببا للخير العام المستحيل تركه في الحكمة والعناية الالهية الا انهم يفسرونها بما يخالف حقيقتها الواقعية رجوعا منهم الى تلك الاصول التي لا تجامع ما فسر بها اهل الاديان فيقولون ان النبوة او الرسالة امر مكتسب وهذا المذهب الباطل مقام على اصلين . اولهما انهم ينكرون جواز اتصال الملك بالرسول ليتلقى منه الوحي الثاني انهم ينكرون نزول الملك ليتصل بالرسول لاستحالة خرق الافلاك (١)

فانت ترى ان هذا الفريق يقر بحاجة المعالم الى الرسل موقن بوجودهم سوى انهم ينكرون اتصال الملك بالرسول ويتغالون فيقولون ان امر النبوة غير اختياري لله تعالى اعتبارا بان صلاح النوع الانساني موكل اليهم فامرهم لازم حفظا لنظام العالم وما اوجبه الحكمة فهو واجب بدون اختيار . تعالى الله عما يصفون

واما الفريق الآخر فقد ظل ينكر النبوات كما انكر بعضهم وجود الآله . وهؤلاء هم الملاحدة الذين عرفوا بالقول بتفاوت القوى النفسية وتوالد القوى من بعضها من غير ان يرجعوا بها الى مصدرها وهؤلاء نلزمهم بوجود فرق بين الذي بلغ بعقله درجة تقارب الكمال المسمى عندهم بالعبقري وبين الرسول المرسل من قبل الآله وذلك ان العاقل الذي من ذلك النوع قد سمت به مداركه من تاثيرات العلم المكتسب الذي صقل عقله فارتقى به وكشفت له الحقائق فهو قد اجتمع له سمو المدارك وغزارة العلم فيخيل لمساكنيه في العالم انه بما امتاز به عن نوعه الفرد العلم الذي يتمتع من وراء عليه بتلك الانكشافات . يسميها قسم انكشافات ويسميها آخر الهامات ربانية ويسميها غير ذينك القسمين وجي الضمير وفيضان العقل السليم وهي على كل تقدير ليست صفات النبوة

اما النبي فصافته ليست كذلك فان مداركه امتازت عن العقول وصفت حتى علت الى ارقى مدارج التلقي وتعاليمه مصدرها الوحي الالهي لا العلم المكتسب

واما القسم الثاني وهو الذي يعرف به الرسول المعين فأياته الخاصة ومميزاته الواضحة وان هذا بشخصه من ذلك القليل والذي نتعرض له هنا هو بيان نبوة خاتم المرسلين عليه من الله افضل الصلاة والسلام حسبما جاء في السؤال وذلك ينحصر في مسلكين المسلك الاول في بيان آيات نبوته عليه السلام والمسلك الثاني في تقض ما جاء في السؤال من الشبهات

اما الاول فان آيات صدقه صلى الله عليه وسلم كثيرة منها القرآن الذي تحدى به معانديه

فـعـجـزـوا عـن ان يـأتـوا بـسـورـة مـن مـثـلـه حـتى ادا هـم عـجـز هـم الى تصديقـه وبقـيت هـاتـه الـآيـة مـعـجـزة خـالـدة الى ان يـرث الله الارض ومن عليـها . وكـذلك ما اكتـشفـه مـن مـشـخـصـات الرـسـول الـتي جـاءت عـلى النـحو مـما كان عـليه سـلفـه المـرسـلون ومـا لابسـه مـن مـمـيزـات الرـسـالـة ومـا ظـهر في حـيـاتـه وبعـد انـتـقالـه الى الرـفـيق الـاعـلى مـما بـهر العـقـول مـن انـتـشـار الدـعـوة بـين اطـراف الـحـزـبـة في مـدة اقل مـن رـبـع قـرن ومن اقـصى المـشـرق الى اقـصى المـغـرب في اقل مـن قـرن ودخـل النـاس افـواجا في هـذا الـدين الـذي رـفع عـنـهم الـاصـر والـاغـلال الـتي كانـوا مـكـلـين بـها

فامر هـذا الرـسـول ومـا جـاء به ودعـى اليه لـم يـكـن يـدعـا مـن الرسل فـهـذـه مـلوك العـالـم الـذيـن اوفـد اليهـم الرـسـول مـن اصـحابـه مـن يـبـلـغ لـهـم وقـومـهـم رـسـالـته ويـدعـوهم الى الـايـمان بالله وحـده وان مـحمدـا رـسـول يـسـألون الرسل عـن خـصـائـص هـذا الـذي يـدعـى انه نـبي مـرسـل مـن قـبل الله ولـنـذـكـر مـن ذلـك قـصـة هـر قـل

قـد حدث ابو سـفيـان بـن حـرب ان هـر قـل (١) ارسل اليه في ركب مـن قـريش وكانوا تجـارـا بالشـام في المـدة الـتي كان رـسـول الله صلى الله عـليه وسلم مـاد (٢) فيـها ابا سـفيـان وكـفار قـريش فـاتـوه وهـم بـايلـياء (٣) فدعاهـم في مـجـلسـه وحـوله عـظـماء الروم ثم دعاهـم ودعا بـترجـانـه فقـال ايـكـم (٤) اقـرب نـسـبا بـهـذا الرـجـل الـذي يزعم انه نـبي فقـال ابو سـفيـان قـلت انا اقـربهم نـسـبا فقـال ادنوه مـني وقـربوا اصـحابـه فـأجـعلوهم عـند ظـهـره ثم قال لترجـانـه قل لـهـم اني سـائـل هـذا عـن هـذا الرـجـل فان كـذـبـني فـكـذبـوه قال فوالله لولا الـحيـاء مـن ان يـأتـروا عـلي كـذـبا لكـذـبت عـنه (٥) ثم كان اول ما سـألتـي عـنه ان قال كيف نـسـبه فيكـم قـلت هو فينا ذو نـسـب . قال فـهل قال هـذا القـول مـنكـم احـد قط قـبلـه قـلت لا . قال فـهل كان مـن آباءه مـن مـلك قـلت لا . قال فأشـراف النـاس يـتـبعـونه ام ضـعـفـاؤهم قـلت بل ضـعـفـاؤهم . قال ايـزـيدون ام يـنـقـصون قـلت بل يـزـيدون . قال فـهل يـرـتـد احـد مـنـهم سـخـطـه لـدينـه بعـد ان يـدخـل فـيـه قـلت لا . قال فـهل كـنتـم تـهـمـونـه بالكـذب قـبل ان يـقـول ما قال قـلت لا . قال فـهل يـغـدر قـلت لا ونـحن مـنـه في مـدة لا نـدري ما هو فـاعـل فـيـها قال (ابو سـفيـان) ولم تـمـكـنـي كـلمـة ادخـل فـيـها شـيـئا غـير هـذه الـكـلمـة (٦) قال فـهل قـاتـلـتمـوه قـلت نـعم . قال كيف كان قتـالـكـم اياه قـلت الحـرب بـيـننا وبـيـنه سـجـال يـنال مـنا ونـنال مـنـه . قال ما ذا يـامـركـم قـلت يـقـول اعـبـدوا الله وحـده ولا تـشـركوا به شـيـئا واتـركوا ما يـقـول آباؤكـم ويـامـرنا بـالصـلاة والصـدق والعـفـاف والصـلة . فقـال لترجـانـه قل له سـألتـك عـن نـسـبه فـذـكـرت انه فيكـم ذو نـسـب

(١) ملك الروم ويلقب بـقيصر (٢) هي مـدة الصـلح الـذي وقـع في الـحـديـثـية (٣) هي بيت المقدس (٤) الخطاب لابي سـفيـان والرـهـط الـذيـن كانوا مـعـه وكـلـهـم كان غـير مؤمن بالنبي في ذلـك التـاريخ (٥) الكـذب قـبـيـح في مـعـتـقـدهـم . واتـقاء مـن ان يـؤثر عـليه في فـومـه تـجـنبـه وألا لـاخـبر عـن الـاسـئـلة بـخـلاف الـواقـع تـشـفـيا وبـضـا واستـقـاصا وتـضـليـلا . (٦) لـاجـل ان يـسـتـقـصـه .

فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها . وسألتك هل قال احد منكم هذا القول فذكرت ان لا قلت لو كان احد قال هذا قبله لقلت رجل ياتسي (١) بقول قيل قبله . وسألتك هل كان في آباءه من ملك فذكرت ان لا قلت فلو كان من آباءه من ملك قلت رجل يطلب ملك ابيه . وسألتك هل كنتم تتسمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال فذكرت ان لا . فقد اعرف انه لم يكن لينذر الكذب على الناس ويكذب على الله . وسألتك اشرف الناس اتباعوه ام ضعفاؤهم فذكرت ان ضعفاءهم اتباعوه . وهم اتباع الرسل . وسألتك ايزيدون ام ينقصون فذكرت انهم يزيدون . وكذلك امر الايمان حتى يتم وسألتك ايرتد احد سخطة لدينه بعد ان يدخل فيه فذكرت ان لا . وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هل يغدر فذكرت ان لا . وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يامرکم فذكرت انه يامرکم ان تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الاوثان ويامرکم بالصلاة والصدق والعفاف . فان كان ما تقول حقاً فسيملك موضع قدمي هاتين

فانظر الى هرقل كيف يسأل عن علائم النبوة وبعض خواصها حتى ياتيه اليقين . وكيف كان ابوسفيان بن حرب الذي لم يسلم في ذلك التاريخ كيف كان يتحرى الصدق وهو مع ذلك يتحفظ لو تسمح له الفرصة لدس شيء من شأنه ان ينفر ويضل الناس به .

واما المسلك الثاني فالشبهة التي جاء بها هذا الدعي تنحصر في نكران ان يكون القرآن من عند الله بعد تسليمه اولاً انه معجز وانه صلى الله عليه وسلم تحدى به البشر فعجزوا على ان يأتوا بمثله وتسليمه ثانياً انه لو اجتمع فلاسفة العالم في مختلف العصور لما قدروا ان يدركوا ما وصل اليه هذا النبي . وهم منه بمثابة الصبي الرضيع من اكبر فيلسوف بل هم اقل وهو اعل . وتسليمه ثالثاً ان الدين الذي جاء به كان صالحاً لكل زمان ومكان محاطاً بسياج القوانين الغير القابلة للالغاء وان جميع الشرائع الاولى تقضها العلم ما عدى القرآن الذي لا يقدر على نقضه احد . فهذه التسليمات الثلاثة تصاح ان تكون رداً عليه إذا علم ان هذا النبي هو رجل امي لا يقرأ ولا يكتب ولم يتلق المعارف عن استاذ قصارى إمرة انه رعى الغنم في صباه وخرج تاجراً في شبابه لا يعلم من طرق الحياة الا كما يعلم اهله . وما له من الصفات النفسية لا يقدر به وحده ان يحدث في العالم هذا الانقلاب العجيب ويشور على الاديان كلها فينسفها نسفاً ويقضي عليها بعد ان يقيم الحجة على انها ليست تلك التي جاء بها الرسل ويحول تفكير العقل عن مجراه الذي آنسه الى ادراك الحقائق كما هي فيصبح سياسياً لا كالمسياسين ومشرعاً لا كاهل القانون الى غير ذلك مما لا يتحمله المقام الآن فكيف يصح ان نحكم عقولنا فيه على ضوء هذه المعلومات فنستنتج انه سمع به مداركه حتى اتى بما تعجز عنه فطاحل الفلاسفة وان هذا القرآن جاء به من عنده وان هذه الشريعة هو الذي سطر بنودها بمواهبه اجل لو كان هذا القرآن

كلامه ولم يكن موحى به اليه ولا هو بكلام الله فما بالناس نراه غير جاز على الاسلوب الذي جاء به السنة التي هي من كلام الرسول لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى فالفرق الذي بين الكلامين اكبر دليل يدلنا على اختلاف المتكلم وهذه الحقيقة لم تخف على المشركين واهل الكتاب الذين كانوا في حرج عندما بلغتهم الدعوة ولولا تلك الفوارق لقالوا كما قال هذا المعاند انك تنطقي في كل كلامك على نمط واحد فما بالك تدعي هذا الله وهذا النفسك . وما ثقل علينا انهم ادركوا الاعجاز في كلام الرسول وغاية ما هنالك انه تحداهم بالقراءة فحسب فمجزوا عنه لا عن سواه

واما دعوى انه صلى الله عليه وسلم رجل شذت به الطبيعة من علة اقتران ابويه الى ان يقول لكون آمنة عقلها يرجح على عقل مليون فيلسوف الخ فهي دعوى مجردة لم يقم على صحتها اي دليل بل الواقع بخلاف ذلك فان ابوي النبي لم يظهر عليهما من المميزات ما يفوق اشراف قريش وغاية ما جاء في وصفهما انهما شريفاً في قومهما تغلوهما المهابة ونحو ذلك من الصفات .

فاين هذا من دعوى رجحان عقلهما على عقل مليون فيلسوف واين آثارهما اذا كانا على نضو ما ذكر وفي وسع الانسان ان يتخصص بما شاء لكنه لا يقام لكلامه وزن الا اذا اقام عليه الحجة اما مجرد القول ان محمداً شذت به الطبيعة وعلة ذلك اجتماع ابويه الذين افقا بعقليهما عقول سائر الفلاسفة فهو كلام منقوض من اصله حيث ان الواقع يخالفه وكذلك قوله ان تركيب جسميهما ليس لعقل ان يحدد صورة تركيبهما وقوة قابليتهما لولادة انسان لا كالنفس فهي اوهام اداه اليها ما بهررة من صحة الشريعة الاسلامية فكبر عليه ان يقر بالرسالة بعد ما اقر بصحة تعاليمها وما دام هذا المكابر يؤمن بسمو هذا العقل ويؤمن انه لا يتأتى لاي فيلسوف ان ينقض هذا القرآن الذي جاء به هذا الامي صلى الله عليه وسلم فما راعه ان لا يؤمن بما تضمنه القرآن ويقتدي براس الفلاسفة الاوحد عليه الصلاة والسلام ويهجر تقليد اولئك الفلاسفة الذين اقر بانهم دونه بمراحل .

على اننا لسنا في مقام نصحه وانما هي الزامات كلامه . واضيف الى ذلك نوعاً آخر من النقض وهو انه كيف يصح له ان يقول ان القرآن لا ينقض ولو اجتمع لنقضه فلاسفة العالم في مختلف العصور ثم بعد ذلك ينكر الاله والرسول والروح والقرآن لا تكاد تخلو سورة منه عن ذكر احد هذه الثلاثة واقامة الادلة عليها .

فهو ينكر الآله ويقر بصحة القرآن ويؤمن بعدم جواز نقضه والقرآن يقول : ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون . وهو ينكر الرسالة ويسلم صحة القرآن والقرآن يقول : وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل .

وهو ينكر الروح ويؤمن بسلامة القرآن من النقص والقرآن يقول : ويدألونك عن الروح
قل الروح من امر ربي
أبعد هذه المتناقضات الظاهرة في كلامه يقام لكلامه وزن ويضاع الوقت في الاصغاء الى ترهاته ،
ولننتقل بعد ذلك الى القسم الثالث

الوحي

هو التعاليم التي يتلقاها النبي من قبل الله وتحل في نفسه بواسطة الملك او بدون واسطة مع
علمه ان ذلك من قبل الله وهذا كله يفارق به الوحي الالهام حيث ان الالهام حديث النفس تنساق اليه
عن وجدان من غير ان تنبّه الى مصدره ولا استحالة في شان الوحي الآلهي يحكم بها العقل فان مراتب
النفوس تتفاوت كما ان العقول تتفاوت فقد تركوا بعض النفوس الى حد انها تكاد تلحق بالارواح المجردة
وهذا من القضايا المتفق عليها عند اهل النظر والمشاهدة اكبر دليل . فلا غرابة اذا بلغت بعض النفوس
من لقاء الجوهر بسلامة الفطرة ما يكون لها اكبر مساعد لتلقي الفيض الآلهي والاتصال بعالم ما وراء
المادة فيحصل لها من الانكشافات ما حجبته عن البصائر ستر الانسانية الكثيفة وما دام الانسان مركبا
من المادة والروح فايهما صفا الا وتغلب على الآخر

اما تلقي النبي الوحي بواسطة الملك فهذا ايضا لا استحالة فيه ما دما متفقين على عدم استحالة
وجود ارواح يشعلها الوجود الكوني حالة فيما هو الطف من المادة بل العلم اقر ذلك ولم يخالف
الشرائع فيه واتصال الملك بالنبي لا دليل يعارضه واما القول بعدم امكان خرق الافلاك فهياته قضية
مبحوث فيها ودليها مخدوش في مقدماته التي ركبت على اوهام او ظنون ما زالت بعيدة عن الحقيقة وما
يدريك ان البحث العلمي المجرد سينتج تسليم امكان ذلك الاتصال وغاية ما هنالك عدم الاستحالة وهي
الدرجة الاولى في الانتاج

هذاما امكن ذكره في الجواب عن تلك الشبهات . واذا بقي على الناظر توقف فليخاطبنا في كل
ما اشكل عليه عسانا نهتدي الى وجه حله .

وبعد فانتا نهب باخواننا المغاربة المقيمين بليون وسائر بلاد اوروبا ان يتبعوا في جبال امثال
هؤلاء المتصدين ويتعمدوا عن مجالسهم وليعملوا على دعوة عالم من علماء المسلمين ليقم بين اظهرهم
ويرجعوا اليه في شؤونهم الدينية ويدفع عنهم امثال تلك الشبهات . ونحن بدورنا لا نألو جهدا في كشف
كل ما يشكل عليهم امره والله يوفق الجميع الى الصواب واعلاء هذا الدين انه قريب محبب .

محمد الشاذلي ابن القاضي

الاخلاق ومبلغ عناية الشارع بها

آداب الزوجية وحكمها (٢)

ذكرنا في حديثنا السابق عن آداب الزوجية ان هذا البحث يرجع الى ثلاث شعب . الشعبة الاولى في بيان الآداب المتعلقة بكيفية انعقاد رابطة الزوجية بين الزوجين وقد اشبعنا القول في هذه النقطة في العدد الثامن من المجلد الاول فليرج اليه من اراده . الشعبة الثانية والثالثة في بيان آداب المعاشرة وآداب المفارقة والى شرح هذين الفصلين نسوق الكلام في هذه العجالة .

اعلم ان ارتباط الزوجين ببعضهما ارتباط الفة واحتكاك دائم متصل الحلقات فان رابطة الزوجية من اقوى روابط الصلة بين الافراد فبه تندمج مصالح كل واحد من الزوجين في مصالح الآخر حتى لا يعود يشعر باستقلال مصالحه عن مصالح الآخر فتراه يفرح بكل ما يفرح به صاحبه ويسوءه جميع ما يسوء صاحبه ويرى كل واحد من الزوجين ان اي تقع يناله شريكه فهو له وان اي تعد يقع على شريكه فهو عليه واذا كانت صلة الزوجية على هذا النحو من الاهمية فلا بد من احاطتها بأسوار منيعة تحميها من صروف الدهر وترد عنها كيد الكائدين وما ذلك الا بمراعات قواعد الالفه وحسن المعاشرة فعلى الزوج ان يعتبر الزوجة شريكته في حياته ومصالحه وانها عضو منه يسرها ما يسرها ويفضيها ما يفيضه فيشرکہا في اموره ويستشيرها في شؤونه ويعاملها بالحسنى ويحميها مما يحمي منه نفسه وولده ولا يقصرها على قضاء لبائته واعتبارها آلة لهو يأوي اليها في اوقات انسه وفراغه ليمتع بها نفسه حتى اذا قضى منها حاجته رماها بكلتا يديه ولم يزد على محادثتها في شؤون البيت .

المرأة كائن حي له من الاحساس والشعور وعليه من المسؤولية مثل ما للرجل وما عليه وهي شطر الامة فلا يحسن بنا اهمال شطرها واعتبارها جزءا مهملا لا يصلح الالهو وقضاء الوطر بل علينا ان نتفقد بكل جزء منا وان نستعمله فيما اعدله . فليفهم كل واحد من الرجل والمرأة وظيفته في الحياة وليعمل على تكميل نفسه والقيام بواجبه وليتعاونوا على مصالحهما كشريكين يعلم كل واحد منهما ان ما يجنيه احدهما من المنافع فهو لهما وما يقع لاحدهما من الخسارة ففرمه عليهما

واذا كانت طبيعة كل واحد من الزوجين قاضية بان يقوم كل واحد منهما بمصالحه بمعزل عن الآخر ويستقل باموره التي هي امس بوظيفته فالزوج يعمل خارج المنزل في مصنعه او في مكتبه او في مزرعته او متجره ليحصل ما يعول به اهل بيته المسؤول عن اعالتهم فيبيء لهم ما يحتاجونه من مسكن وملبس ومطعم وغير ذلك من لوازم الحياة . والمرأة تعمل في البيت لتبيء لزوجها وولدها

يبتا نظيفا منظما مستكملا الحاجات والضروريات وتقوم على تربية الطفل وتنمية جسمه وعقله وتهذيب روحه بما تزور فيه من فضائل يشب عليها حتى تصير فطرية فيه تزول الجبال ولا تزول فان وراء ذلك تعاون واشترك بالرأي واسداء النصح وابداء الملاحظة فعلى الزوج ان يطلع زوجته على ما يعرض له في عمله من كل ما يحتاج فيه لرأي مع رأيها كما يعرض على صديقه وعلى اخيه من الرجال فعليه ان يعرض الامر فيه على زوجته لتشعر بأنها عضو في هذا المجتمع الانساني وانها كالرجل يمكن ان تؤدي نفعا عاما او تقوم بحق مشترك كما ان على المرأة ان تحدث الرجل في امورها البيتية وما اليها من شؤون تربية ابنائها واصلاح ملابسهم وشؤون ترتيب امور المنزل وشؤون الطبخ هذا عدا ما يجب ان يحدثها به من الشؤون العامة والاخبار العالمية ويستعري اتباعها للشؤون الاصلاحية العامة وفي عالم الاختراع والابتكار على الخصوص وعلى الاخض ما يستجد في صفحة السيدات وشؤون المرأة فيخلق فيها بمثل هذا الحديث هجورا فياضا بالعزة وحب العمل فتتشتط للقيام بواجباتها وتوفير سبل السعادة لاهل منزلها ولن تجد منزلا سعيدا توفرت فيه اسباب الهناء لاهله والا وتجسد عليه امرأة عاقلة قائمة بواجباتها العائلية على اكمل وجه ولا يتم هذا للمرأة الا اذا كان بينها وبين زوجها حبا متبادلا وهوى مشترك فان المرأة اذا شعرت بوفاء زوجها وجه لها محضته النصح وادت كل ما في وسعها تأديته له من وجوه المبرة والاحسان وفي الحكمة القديمة « اذا رأيت رجلا موقفا فيما يحاوله مسدد الخطى الى الهدف الذي يرمي اليه فاعلم ان وراءه امرأة يحبها وتحبه » فان لم تأتلف الارواح ولم يحصل الازواج المطلوب من الزواج بعد تجربة ليست بالقصيرة بحيث وجد نفرة منها او وجدت نفرة منه ولم يتمكنوا من القضاء على تلك النفرة بعد محاولات كبيرة من الطرفين فانه قد يتمكنوا من القضاء على تلك النفرة الاولى بسبب حسن اخلاقهما وطيب معاشرتهم فكثيرا ما شاهدنا زوجين يظهر عدم توافقهما وركون احدهما للآخر اول عهدهما بالزواج ثم لا يلبثان ان يحصل بينهما ائتلاف كبير وميل ومحبة لم تكن ليحصل شيء من ذلك لولا صبرهما في اول الامر وركون احدهما للآخر مدة يسير فيها اخلاقه وتربيته وحسن اذبه حتى اذا وجده على احسن ما تتطلب المعاشرة الزوجية انقلبت نفرة ميلا ثم ينقلب الميل حبا وهكذا الى ان يصل الى درجة التحاب والتوادد العليا فيحصل المقصود من رابطة الزوجية ويتم المأمول فان لم يتمكنوا من القضاء على تلك النفرة واستمرت معها او زادت رغم محاولتهما لجأ الى ابض الحلال وهو الطلاق الذي به تنفك تلك الرابطة التي لم يتمكنوا من احكام عقدها (كما قال تعالى فإمسك بمعروف او تسريح باحسان) ولا شك ان الافتراق في مثل هذه الحالة خير من الاستمرار على الزوجية الفاقدة لروحها وهو الحب المتبادل والهوى المطامع بالطلاق مبغوض في ذاته لما فيه بحسب صورته من قطع لرابطة هي من اعظم الروابط المفيدة والشركات الراجعة بين البشر ولكن عند الاتجاه لهذا القطع حيث لم تيسر اسباب الربط والتحصيل على النتائج المرجوة من وراء هذا العقد

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور النياشين التونسية

ملخصاً من كتاب العيون النرجسية في الاوسمة التونسية لمحرره*

العالم انورخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الحوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الاوسمة الافتخارية وعلامات الامتياز ليست من اوضاع الدول الاسلامية وانما هي من مبتكرات الامم الاروباوية كان ظهورها عندهم حوالي القرن الرابع عشر للميلاد وتوالي السنين والاعوام اتسع نطاقها عندهم فكان في مبادي القرن التاسع عشر لكل دولة نيشان او اثنان او اكثر ومن اعرق تلك الدول في هذا النظام الدولة الفرنسية صاحبة وسام اللجيون دونور اخترعه نابليون الاول في سنة ١٨٠٢ لمكافحة ارباب الحصال الحديدة من العساكر وغيرهم. اما في الدول الاسلامية فان اوسمة الامتياز لم تعرف عندهم الا في خلال القرن الماضي اقتبسوها عن الامم الاروباوية بعد رسوخ قدمها وتدخلها في احوال الشرق ويلوح ان ظهورها في الاول كان ببلاد الفرس وعن الفرس اخذ فالافتراق الذي لا ضرار فيه خير لا محالة ثم ان النفرة لا يخلو اما ان تكون من قبله او من قبلها فان كانت من قبله فعليه ان يطلقها طلبة رجعية وهي التي يتمكن فيها من المراجعة ما دامت في العدة فكثيرا ما يندم الزوج على الفروقة ويظهر له خطاؤه في التعجيل بالطلاق فيتمكن من جبر الحرق الذي خرقة بالطلاق وذلك بمراجعتها والاحسان اليها واظهار التندم على ما صدر منه عن غير روية ولا شك ان قلب المرأة ضعيف يسهل استهواؤه والتسلط عليه باظهار علامات التجنب والخضوع وان كانت النفرة من قبلها فقد شرع الخلع الذي هو عبارة عن طلاق من الزوج بعوض من المرأة وانما شرع لدفع مكروه المرأة ولذا شرع دفع المال له من قبلها لان نفع الطلاق في هذه الحالة عائد اليها وبالجملة فان تمكن الزوجان من القيام بواجبات الزوجية انمر الزواج ثمرته المرضية وآتى اكله طيبا شها والا فالفرقة الشرعية حفظا لحقوق كل منهما ومصالحه على اوفق الوجوه المرعية.

محمد بن القاسمي

الانراك هذه البدعة يدلّك عليه لفظ نيشان الذي هو كلمة فارسية معناها علامة ومهما كان الحال فقد افاد التاريخ ان السلطان سليم خان الثالث دبر في ايجاد وسام عثماني اثناء حكمه ولكنه لم يجسر على الاستظهار بمشروعه مراعاة للفكر العام ببلاد التي كانت تنفر في زمنه التشبه بالاخلاق الاروباوية فلما دالت دولة آل عثمان لحكم السلطان محمود خان الثاني اعتبر في جملة التنظيمات التي ادخلها لممالكه خلال سنة ١٢٤٧ احداث وسام اسماء نيشان الافتخار وتقلده وقلده لرجال دولته ولبعض اهل العلم منهم الشيخ الالوسي صاحب كتاب روح المعاني في تفسير القرآن الكريم وعن هذا النيشان العثماني اقتبس المرحوم مصطفى باي نيشان الافتخار التونسي في سنة ١٢٥٢

نيشان الافتخار

لما احدث المولى مصطفى باي نيشان (١) الافتخار جعله في صنف وحيد قلده في البداية لترجمانه ومستشاره في الشؤون الخارجية الكونت جوزافين رافو الطاياني (٢) مكتفيا بذلك حتى ينظر ماذا سيكون من التأثير لهذا الحادث بالبلاط الحسيني وبالمحافل التونسية ولكون الظروف ايضا لم تسمح له يومئذ بتقليد متوظف نصراني رتبة جهادية في النظام العسكري المحدث بتونس عن اذن الباب العالي في اواخر دولة اخيه المرحوم حسين باي والى هذا النظام الجديد يشير العلامة الشيخ محمد بيرم الرابع في قصيدته التي مطلعها :

نظامك ايها الملك الهمام به للدين قد ظهر ابتسام

ويستفاد مما كتبه المعلم الامير آلي كاليقارس معين المشير احمد باي والمدير الاول لمدرسة الضباط بارودو ان النيشان الذي احدثه مصطفى باي انما هو نتيجة اختراع دبره اخوة حسين باي وعاقه اجله عن اتمامه . وكان شكل هذا النيشان يضيأ تعلوه نجمة وهلال وبوسطه بالحجارة الكريمة اسم الباي « مصطفى » قال الشيخ الباجي المسعودي في الخلاصة النقية ان هذا الباي هو اول من لبس النيشان (العثماني) من بني الحسين بن علي وهو اول من صاغ نيشان الافتخار (التونسي) ونقش عليه اسمه بحجر الالماس والبسه وزير الامور الخارجية (الكونت جوزافين رافو) اه ووجد لهذا اليوم بسراية بارودو رسم بالدهن لذات هذا المأمور السامي يرى الناظر فيه على صدر صاحبه صورة ذلك النيشان مطرزا باسم « مصطفى » باحرف جليلة ولم ينقل لنا التاريخ اكثر مما تقدم في حق نيشان الافتخار

(١) لفظ نيشان يجمع على نباشين ونواشين وهذا الجمع الثاني يستفاد منه بحساب الجمل عدد ١١١٧ الذي هو موافق لتاريخ دخول ملك تونس في قبضة المولى حسين بن علي مؤسس العائلة المالكة وهو اتفاق غريب

(٢) ارتقى لرتبة امير الامراء مع الوزارة الخارجية في دولة المشير احمد باي ومات بباريس في سنة ١٨٦٢ ونقل جثمانه لتونس وبها دفن .

على عهد مصطفى باي لان وفاته كانت في العام التالي للعام الذي احدث فيه نيشان الافتخار فلما الت نوبة الملك لابنه المشير احمد باي ابتداء من حيث انتهى ابوه فانتخذ اولاً نيشان والدته ولبسه بدون تغيير سوى وضع اسمه « احمد » مكان اسم « مصطفى » ثم بدله بالتوسع في ذلك المشروع مع تغيير شكل النيشان المتحدث عنه بمعنى انه جعله مستديراً عوض شكله البيضي الاول ورتبه في اربعة اصناف اول يحمل على الصدر للجهة اليمنى وثان يلبس بالطوق (كمنذور) وثالث ورابع يحملان على الصدر للجهة اليسرى وجعل كل تلك الاصناف مرصعة بالياقوت وتقلد هذا النيشان وقلده لوزرائه ورجال دولته ورؤساء عساكره منهم الضباط الفرنسيون الذين استحضروهم من فرنسا لتعليم الفنون العسكرية للجيش التونسي وكان عدد هذه الجنود في مدته يتجاوز الثلاثين الف جندي

ومن الغريب ان الشيخ احمد بن ابي الضياف مورخ دولة المشير احمد باي وكتب سره لم يتعرض في تاريخه لنيشان الافتخار الا بالنزر القليل وعباراة ما جاء في تاريخه هي قوله ان الباي المذكور هو الذي رتب اصناف نيشان الافتخار وقبلها منه ملوك واعيان من الوزراء والكبراء وذوي الشأن من غير المملكة وبالغ في اعطائها للناس حتى قال له ديقرانج مترجم سلطان الفرنسيين يا سيدي ان النيشان هو عمل السلطان وليس السلطان هو النيشان وارتمض لسماعها اه بلفظه .

قلت ان الشيخ ابن ابي ضياف يشير بكلامه هذا لما صرح به غيره من المؤرخين من ان المشير احمد باي افترط في البذخ والاسراف لمجاراة اهل الثروة من الملوك اصحاب المدينة الراسخة ناهيك انه لما زار فرنسا في اواخر سنة ١٢٦٢ قلد لرجال الدولة بها نحو الثلاثين نيشانا من اصناف مختلفة تراوح اثمانها بين العشرة آلاف والثلاثين الف فرنك بما تكون جلته لا تقل عن ستمائة الف هكذا نقل بعض رواة ذلك العصر والمعدة عليه وقد اتفق اثناء وجوده هنالك حصول طوفان بجهات نهر لواري اهلك الحرث والنسل فتبرع على المصايين بخمسين الف فرنك حتى اعتقد بعض ارباب الجرائد انه كان متربعاً على خزائن قارون والحال ان دولته في اواخر مدته اشرفت على الافلاس وجملة ميزانيتها السنوية كانت مقدرة اذ ذاك باقل من عشرة ملايين ولما عاد من تلك الرحلة اضاف لاصناف نيشان الافتخار الصنف الاكبر المصحوب بوشاح الشريط الاخضر اقتبس ذلك من نظام وسام اللجيون دونور (وسام الشرف الفرنسي) .

ولما التحق المشير احمد باي بالدار الآخرة في سنة ١٢٧١ لم يسلك ورثته في الملك المشير محمد باي مسلكه فقد سعى لمجرد جلوسه على العرش الحسيني لتدارك بعض التفريط الواقع في عهد سلفه من ذلك تسريح نحو الثلثين من العساكر وابطال النياشين المرصعة بالياقوت واقتراع جميع ما كان منها موجودا بيد اصحابه وبيعه لفائدة صندوق الدولة عدا الصنف الاكبر الخاص بذات الملك وهو النيشان الذي كان يلبسه المشير احمد باي الاول وهو الان في نوبة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني ادام

الله ملكه واجرى في بحر السعادة فكله وفي الوقت الذي انتزع فيه المشير محمد باي النياشين المرصعة من حاملها عوضها لهم بنياشين افتخارية من الفضة بالشكل الموجود لهذا الزمان .

ولما دالت الدولة للمشير الثالث محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ اكتفى بما وقع في عهد اخيه المشير الثاني محمد باي ولم يدخل تغييرا جديدا على نيشان الافتخار سوى وضع ترتيب له في قانون مسطور لان المشير احمد باي رتب شعار النيشان وغفل عن تقنين احواله . وكانت النياشين قبل عصر الحماية تصنع بدار السكة بباردو حسبما تقتضيه الحاجة المتوقعة ورايت في بعض التقايد انهم صنعوا في سنة ١٢٩٠ خمسمائة نيشان من الصنف الثاني ومثلها من الصنف الثالث ومثلها من الصنف الرابع بلغت قيمة مجموعها فضة وصناعة الى ثلاثة واربعين الف ريال .

وكانت مراسيم النياشين تكتب بخط اليد لا بورقة خاصة للامثال المنعوت . كما هو الآن بل لم يكن لديهم نوابط لحفظ النيشان من الاتجار فيه خلسة بالبيع والشراء كما وقع في مدة وزارة مصطفى بن اسماعيل فلما استهل افق الملك بطولوع شمس الدولة العلوية كان في مقدمة الاصلاحات التي انجزها الدور الجديد تنظيم احوال نيشان الافتخار ووضع تعريفه في ضبط المعاليم الموظفة عليه ومما تضمنه الامر العلي الصادر في ذلك قوله : وفقا للحالة الجديدة التي تترتب عليها دولتنا ، اه بلفظه . مما يدل على الاختلال التي كانت عليه حالة نيشان الافتخار في الدور القديم وبالتالي الحقت زيادات كثيرة في انظمة هذا الوسام اهمها تخصيص الاموال الواردة لصندوق الدولة من المعاليم الموظفة عليه لاسعاف المشاريع الخيرية وهذه المرة من حسنات دولة الحماية التي تولت بنفسها وعلى عهدها مباشرة احوال نيشان الافتخار

وكانوا في القديم لا يمنحون نيشان الافتخار الا للرجال وفي هذا الزمان صاروا يمنحونه لشقائقهم النساء على حد سواء ومنهم اتحفن به من السيدات المصونات مدام الابيت زوجة الوزير المقيم الاسبق ومام بلان زوجة الكاتب العام الاسبق ومام ايجشنك مديرة مدرسة البنات المسلمات ولهذه الآنسة فضل على ابناء هذه البلاد لما قامت به من تربية وتهذيب وتعليم بين عموم الاوساط التونسية - اما الرجال المعتازون بنيشان الافتخار فهم في هذا الزمان الاغلبية الساحقة بين الوجاه والاعيان بتونس واعمالها وقل ان تجد ضابطا او متوظفا تونسيا او فرנסاويا غير ممتاز بهذا النيشان وكل من تدعوه المناسبة لحضور موكب العيد بسراية باردو لا يسهه الا التعجب من كثرة اوشحة الصنف الاكبر المحلاة بها صدور اهل الدائرة والوافدين على سمو الباي من المديرين والاعيان ولم يكن يوجد من ذلك مقدار ربعه او ثلثه في عهد الدور القديم ومن اوفق المناسبات لمنح هذا الوسام الرحلات الملكية لفرنسا فان المقدس المولى محمد الناصر باي تكرم بنحو الاربعمائة نيشان من اصناف مختلفة بمناسبة زيارته لباريس في سنة ١٣٣٠

السلام

في موكب تدشين جامع المرسى

خط المعالم والانام تمجد والله يكتبها لكم ويخلد
وارفع على قمم العلاء دعائنا من دونهن يلوح ذاك الفرقد
لله يا خير المدوك فضائلا ذا الموئل الاحمى وهذا المسجد
بيت به المرسى تكامل حسنها ففدت لها آي الثناء تردد
بيت على التقوى اقامت بناءه ولغير ذلك لا يكون المقصد
بيت تشع من الجلال قبابه فيؤمه متيقن وموحد

هذا وقد جرت العادة بتونس من قديم ان الفقهاء لا يلبسون النياشين ولم نسمع ان واحدا منهم طلب نيشانا من الدولة والدولة بدورها لم تعرض عليهم اوسمتها ونياشينها والسبب في ذلك والله اعلم ان ظهور نيشان الافتخار بتونس وافق وجود طبقة صالحة من العلماء الاعلام باغوا المنتهى في الورع والتقوى فلم يكن ليخطر ببال احد من رجال الدولة في ذلك الزمان عرض افتخار او امتياز على احد منهم وعلى تلك القاعدة درج اعقابهم من شيوخ الفتوى والقضاء الى هذا الزمان اقتداء بذلك السلف الصالح

بابه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه ابيه فما ظلم

وهذه النظرية تجرنا للكلام على كون الاوسمة في بداية ظهورها بالممالك الاسلامية كان بعض اهل الورع يراها من البدء التي ربما ينكرها الشرع ناهيك ان المشير احمد باي لما اهداه الملك فيكتور عمانويل الثاني نيشان تاج ايطاليا الملوكي الشبيه في شكله بالصليب لم يقدم على لبسه قبل معرفة النظر الشرعي (١) فيه ولما افتلا اهل العلم بالجواز لبسه في جملة نعوته وشارات الملكية (له بقية)

(١) افتلاه بذلك الشيخ الجدد من الفقهاء الحنفية والشيخ احمد بن حسين القمار من الفقهاء المالكية والوزير الشيخ محمد العزيز بو عتور تعليق نقبس على كلام الشيخين يدل على تضلعه في العلم كتضله في الكتابة والسياسة

تغنوا الثقة له فممنهم ركع
يستوهبون مراحم لا تنقضي
يسترحمون الله بالآي التي
بيت حباه الدر من لآله
بيت لو اكتحل البصير بنوره
خلع الجمال عليه من آياته
من مرمر فاق الحرير ملاسة
ودعائم تسي العقول بحسنها
لو شاهدت الفاتها مسطورة
رفعت سماء البيت فوق كواكب
يزري على وضع الشمس سنؤها
واذا نظرت الى الثريات العلى
متشاكلات الحسن بلورية
تجري بين الكهرباء فتمتلي
نفث يد الصناع في محرابه
من احمر في ابيض في اخضر
فرشت به البسط الثمينه فاغتدى
نسجت محاربا كأن قد شاقها ال
واذا رددت الطرف نحو رحابه
بمرخم الارجا كأن اديمه

بيض سرائرهم ومنهم سجد
تفحاتها ومواهبها لا تنفد
نزل الامين بها وجاء محمد
ثوبا لجينيا وشاة العسجد
لاتمت الزرقا به تسترشد
حللا تتوق لحسنهن الخرد
ذا ابيض يقق وذلك اسود
تخشى انزلاقا من صقاتها اليد
عين ابن مقله لازدرا له المشهد
حلت بافلاك البها تتوقد
وبنورها جيش الدجى يتبدد
اعشى عيونك حسنهن المفرد
بسموطها الدر اليتيم منضد
ساحاته بسواطع لا ترصد
سحر الصناعة باديا لا يجحد
من وشيا زهر الربى يتورد
روضا بهجه الخمائل تشهد
محراب وهو مخرم ومشيد
ايقت ان النور فيه ممدد
ذوب اللجين هبد ومهد



قم يا بلال البيت واصدع قائلا
هذا حمى الرحمات والكنف الذي
هذا التقى ابن التقى اخو الهدى
ملك به لهج الزمان وكم شدا
ملك يقضي في المحامد عيشه
ملك يريد لشعبه ما يرتجي
ملك تذلل له الصعاب خواضعا

الله فليات الثقة الهجد
قد شاده الملك المؤيد احمد
هذا الكريم ابن الكريم السيد
كرم الخلال بعزة والسؤدد
انا يجود وتارة يتعبد
لبنه من نعمى لهم تتجدد
بجلال سدته الكوارث ترعد

ملك لهجة عرشه تحنو المنى ويتاجه لمرى السعادة معقد



مولاي ملكك بالمعارف والنهى	سام وانت لها الرعي المرفد
مولاي كعبة ملككم مفئودة	فتكت بها الادوا وانت المنجد
فانك مؤمل اهلها فلقد قضا	زمننا تكاد نفوسهم تتصعد
واكلأ اساتذة لعرشك اخلصوا	لهج الزمان بهم وتاه المعهد
فالملك يعظم بالمعارف شأنه	والعلم ناموس البقاء الاوحد
لا زلت في حبل السيادة رافلا	تملي الفاخر والدهور تردد
في هالة عقد الحسين نطاقها	كرمت ارومتها وطاب المحتد
تحنو لطيبها الرضى وكمالها	همم العزائم ان بدت تتوقد
ولديك من وزراء ملكك عمدة	بحلا رضاك مطوق ومؤيد
واليكها عذراء اندلسية	قد زفها لحماك هذا المنشد
فاذا تفضلتم بخسن قبولها	حققت امانيا وتسم المقصد

الطاهر القصار

سائقة حسناء

كنت في نزهة مع بعض الرفاق فمرت بنا سيارة كهربائية وكان مقودها بيد عذراء ناهد تأخذ بالالباب . مرت السيارة كأنها السهم يخترق الفضاء فاضطرب الرفاق لذلك وغشى عيونهم ما غشاها من نقع دواليبها . فقلت في ذلك مرتجلا

مسكت مقود (الاتو) بايد	عاجيات قد سورت بزبرجد
بعد ما اسدلت نقابا خفيفا	ليس يخفي سهم العيون المسدد
وجرت تنهب الطريق بسير	ظل شمل الجموع منه مبدد
فغصيب الرفاق كان غبارا	ونصيبى حصباء در منضد
بين مرجاتي شفاة رفاق	باسمات الي عن حسن موعد

القصار

[illegible]

هذه الشجرة مؤلفة من قصيدة بها واحد وعشرون بيتاً وطالع القصيدة أصل الشجرة ثم تقرأ البيت الثاني من أول كلمة من الأصل وتضيف لها الدوحة اليمنى ثم اليسرى وتقرأ البيت الثالث من الكلمة الأولى مضافاً لها الكلمة التي بعدها وتجمعهما بالغصن اليمني فالشمالي وهكذا إلى آخر القصيدة.

(مدير المجلة)

صوت من اعماق الماضي

في عشية وادعة النسيم قرب مغيب الشمس وقف على راس تلك الربوة العالية مستسلها
لخواطر كثيرة تعبت بأحشائه . تتجاذبه الارياح من كل صوب ومد بصرة المقل بالدموع في
الفضاء الواسع الى حد الافق الازرق المتصل بالغيـم الرقيق . واصغى بسمعه لاصوات الطبيعة الباكية
المنبعثة من رؤوس الجبال البعيدة . ثم اخذ يرجع البصر الى السماء العالية فيرى السحب متبلدة تسير
ببطء متجهة نحو الغرب وقد آذنت الشمس بالمغيب فانتشرت صفرة حزينة على الكون الصامت
فأكسبته روعة وجمالا وقف هاته الوقفة يرى الطيور آيـبة الى عشائها بخفة ونشاط وقد ملكتها
الطرب تتناجى وسط سمائها بألحان عذبة تملا القلب طربا .

ويرى الناس سائرة مع الطريق الموصلة لداخل البلاد على اخلاف اشكالهم . هذا ينهب الارض
بسيارته الفخمة يرى غايته قيد بصرة ، وآخر يمشي على رجليه يرى غايته لم تزل بعيدة فينصب
جبينه عرقا ويضاعف السير ، وثالث يمشي على مهل ويده ابنه الصغير يسير على سيره ويتحدث إليه
بحديثه ، ومن ساءة الى اخرى يهوي عليه فيطبع على ثغره قبة حارة صادرة من اعماق قلب الابوة .
ورابع يمشي مع اصداقائه يرى الحياة قد اجتمعت في تلك الحصة القصيرة .

راى ذلك كله . ووقف مبهوتا معلقا انفاسه . وقد فاضت عواطفه وتأججت نيران الاسى في
دواخل ضميره لم بدر كيف شبت بين جوانحه ولم يعرف مصدر هاته الكآبة التي انصبت على
كاهله في هاته البقعة ولماذا لا ينصرف عن هاته الربوة التي طال وقوفه عليها . ويذهب الى سواها
من سائر البقاع ؟

نعم كان في عزمه هذا ولكن شيء قوي لا يدري ماهو . ألصق رجليه بالارض .
فكر قليلا ثم جلس واستقبل الرياح بوجهه واستغرق في تفكير عميق له ، لو رآه راء لظن
انه يبحث عن شيء قد أضاعه . وهنا يقف مذعورا واذا بصوت رقيق من اعماق الماضي يشق
لغائف قلبه « هذه ايها المسكين تلك الربوة التي كنت وقفت عليها . يوم ان كنت سعيدا . مع صديقك » .
ثم تتضارب عواصف الذكريات في راسه فيتفكر يوم كان مع صديقين واقفين على راس هاته
الربوة . ويتفكر حين كانوا يمشون على حافة هاته الطريق وحين كانوا يفكرون في امال ضخام
تترامى لهم على ضوء المستقبل ولكن المستقبل انطمس نورة وصار ظلما حالكا لا يظهر منه شيء .
وحين كانوا يجتمعون في اول عهدهم بالصدقة فتقع بينهم مناقشات خفيفة تنشأ عن فهم مسألة علمية او
فوق نكتة ادبية او مقارنة بين شاعر وشاعر او نائر وآخر .

تفكر هذا كله . وتفكر شيئاً آخر . تفكر خيالات لطيفة تمر على ذاكرته ثم لا تلبث ان تتلاشى حتى لا يبقى منها شيء . مسكين لقد لعبت به الحياة الاعيها القاتلة ، ودار الزمن دورته . واجرى قوانينه الصارمة ففرق بينهم وهذه الايام تمر سراعاً تلتهم المستقبل التهاما والشهور تتبعها الاعوام وهذا المسكين قد هد كيانه الدهر واختطف الشقاء عزمه . مستميتا على احتمال نبال المصائب . حقا كان يسم للحياة بشجر ملؤه الفرح والسرور اما الان فهو ينظر اليها بوجه عبوس قمطرير يتطاير منه الغضب والمقت والياس . .

فكر في هذا كله وفهم صوت الماضي وصبر لنبال المصائب ولكن ماذا عساه ان يفعل ؟ وماذا يفعل البائس المغلوب على امره ؟ لكن لا اقل من ان يثبت هاته اللحظة التعيسة في تاريخ حياته . المظم الحافل بالمثاعب والمشاق اراد ان يفعل وباللاسف لا قدرة له على اثباتها اذ هو عاجز عن ذلك ولكن على كل حال يشبها على اي صفة كانت .

جلس ثانيا . وتناول القلم بانامل مرتعشة ، وفؤادة يضطرب واخذ دفتر مذكراته . وكتب لكنه لم يكتب سطرا حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، وغلبه ثوران بركان نفسه فامسك القلم قليلا حتى سكنت ثورة نفسه وبدأ بركانها بعض الهدوء ثم اعاد البراعة الى القرطاس وكتب . « اخوي العزيزين على هاته الربوة الصامتة كنت واقفا معكما وهذه الطبيعة الساحرة كنت اناجيه معكما وهذه الصفرة السابغة لرؤوس الجبال كنت اقرا فيها سطور الراحة والهناء معكما . وها انا الان اقف وحدي كالطير الذي عاقته المقادير في جناحيه اللذين ينهض بهما ، اقلب طرفي في الفضاء الواسع فلا ارى الا سماء متصلة بالارض وحيدا يمضي لدفع العواطف المرة ، ورمض الجوانح المحطمة . انشد الراحة فلا اظفر بها والسعادة فلا اعثر عليها . فاليكما اكتب هاته القطعة النارية المتجمعة من شرارات الشوق واليكما اهدي هذه الجمل المشوشة النائحة فان ين تشويشها ونوحها روحا معذبة ضائعة بين مجاهل الوحشة . فأنتما اول من فتح قلبي لنور الصداقة وانا انامي سيلا غامضا الى الود الخالص وبكما انتقلت من غم الحياة الى فرحها وسرورها وبكما اعود الى غمها وظلمتها كما كنت . . .

كنت ارى الاصدقاء تمشي فلا اعبأ بهم ، وأرى الرسالة معنونة بعنوان . . صديقي العزيز او زميل الروح فأسخروا تلو قول القائل :

ثلاثة ليس لها وجود الغول والعنقاء والودود

اما الآن ارى الاصدقاء مجتمعة فتثور نفسي ويملكني الحزن على حضي الضائع ، وارى الرسالة بعنوانها فأقول لعلمهم ممن شملتهم الصداقة بعطفها الواسع « كتب هذه الجمل في اول الرسالة ولا دري ماذا كتب بعد . هكذا حكى عنه بعض اصدقائه .

العام الإسلامي

المسلمون في رومينيا وبلغاريا

ذكرت الاحصائية الرسمية المحسرة سنة ١٩٢٧ ان عدد المسلمين بمملكة رومينيا يبلغ (٢٢٠،١٢٠) ساكني اي ١،٣ في المائة من كامل سكان تلك المملكة . منهم ١٥ في المائة من التتار والبقية من الانراك . ومعظم المسلمين مستقرون بجهة دبروجة وبولايات تلطشيه وكسطنزة وسيلستريه ورازريك ؛ غير ان نسبة توزعهم ما بين البادية والحاضرة مختلفة جد الاختلاف بمدينة كسطنزة التي بها من السكان ٥٨،٢٥٨ نسمة ليس بها من المسلمين الا ٦٤١٢ ساكني . ومدينة رازريك الواقعة بجنوب ناحية دبروجة والتي تبلغ حلة سكانها الحصريين ٢٩،٩٣٨ تعد من المسلمين ٢٠،٧٢٥ ؛ وبلدة سيلستريه التي هي حضرة صغيرة ذات ٤١١، ١٧ نسمة واقعة على نهر الطنة (الدانوب) تعد ٧٩٧٠ مسلما لكن البادية المجاورة لها والمحيط بها لا يقل سكانها المسلمون عن ٨٠،١١٨ شخصا بينما ولاية تلطشيه الواقعة بشمال دبروجة لا تحتوي حلتها على اكثر من ٥،٧٨٥ من المسلمين ويوجد ايضا بعض افراد قليلين جدا بشمال نهر الطنة بولاية يساراييه ولكن عددهم طفيف . كما يجب ان نظيف الى حلة هذه الاعداد نحو الثمانين الفا من النور (التزيقان) المسلمين بين مقيمين ومرتحلين ينبون عن كل مراقبة واحصاء

هذه حيرة عميقة . وحسرة اسيفة اثارها وقفة ساعة في تلك العشية الماضية على رأس هذه الرواة الباقية . ولهذا العشية العجيبة شأن غريب وسبب مهم ، اذ تقدمتها اجتماعات كثيرة لكن حينما تذكر لم تؤثر فيه تلك الاجتماعات مثل ما اثرت فيه هاته العشية . وحقا كان وتر الصداقة ساكني هامتا حتى جاءت هاته العشية فضربت على هذا الوتر الباهت ببنائها الروحي فتكلم بنفحة حلوقة مبهمة فيها شق المعاني لا تزال تتردد في خاطره حتى ساعة وقفته . ولا غرابة ان اثرت فيه هاته الفرقة وتركته نحيف الجسم منهوك القوى ينظر الى الوجود بنظرة غير النظرة الاولى اذ هي صداقة قوية بنيت على صروح من الاخلاص والود واسس من المعرفة التامة تعارفوا ليكونوا رجلا كسائر الرجال تعارفوا ليكونوا عمادا للمستقبل كسائر الشباب اذ يفقدما فقد الحياة وصار حليف حزن ممض واسى دائم . هذا ما علمته من حال هذا الصديق الذي رماله الزمن بفرقة صديقيه اما الاخران فلا ادري ماذا كان منهما وارجو ان يجمعهم الله في اسعد الاوقات ؟

ان الاتراك والتتار الرومانيين يستعملون عادة في احاديثهم اللغتين التركية والرومانية، ومعظمهم يتعاطون الفلاحة . غير انه - منذ الحرب العالمية - قد تكونت نخبة مفكرة محدودة تتطلب المهنة الحرة والوظائف الادارية في مدينة كستنزة - مثلاً - يوجد ثلاثة من المحامين بعد وطبيان وبعض الموظفين المسلمين ، وبعد الجيش الروماني بضعة عشر ضابطاً مسلماً منهم صاغقلاسيان (كولونيل) . وقد ساعدت الحركة التركية الحديثة على هجرة الرومانيين المسلمين الى بلاد الغازي مصطفى كمال ، لكن هذه الحركة التي ظهرت بناحية لاربوكة لا تزيد عن الخمسين عائلة سنوياً . غير ان هذه الحركة تضاعفت بصورة عجيبة في هذه السنوات الاخيرة .

يوجد بجهة دبروكة نحو ٤٠٠ جامعاً كلها من النمط المعماري التركي المشتغل على القباب الخضر والمآذن المنمقة . وفي مدينة كستنزة نفسها توجد خمسة وفي بازريك عشرة وتقام فيها الصلاة باللسان العربي غير انه لا يفهم الا من القضاة والمفتين . والاغلبية الساحقة من الذين آمنوا يصومون شهر رمضان ، لكنهم وان كانوا لا يأكلون لحم الخنزير فهم يتناولون الكحول ولا يصلون الخمس بانتظام تام . والقليل منهم من يحجون الى بيت الله الحرام ففي سنتنا هذه لم يحج الا روميني واحد بينما قد حج عشرة منذ عامين . اي قبل الازمة الاقتصادية

يدرس التعليم الاسلامي العالي بمعهد المجيدية الذي هو مدرسة لتخريج الموظفين العالين المسلمين . توجد هذه المؤسسة بجهة دبروكة وتعد ٩ طالباً موزعين على ثمانية اقسام . وتدرس بها - الى جانب العلوم الاسلامية البحتة - العلوم الدخيلة باللغة الرومانية . اما الفنون الدينية فيقوم بتعليمها سبعة اساتذة مسلمون وهي الفقه والنحو والتوحيد الى غير ذلك ، بينما ثمانية اساتذة رومينيون يدرسون العلوم الدخيلة . وما زالوا يعلمون اللغة التركية بالحروف العربية وربما اصدرت الحكومة الرومانية قراراً في تعويضها بالحروف اللاتينية

يسمي القضاة وزير العدالة ويراقبهم مفتشون قضائيون ، ويسمي المفتين وزير المعتقدات وكلهم متخرجون من معهد المجيدية او هم حملة شهادات من المعاهد الاسلامية بالاساتنة او شومن (بلغاريا) أو الازهر بالقاهرة . فمن ذلك ان المفتين الاربعة المتولين على الولايات الاسلامية الاربعة اي ولايات لمطشية وسيلسترية وكستنزة وبازريك قد تخرج اثنان منهم من معهد المجيدية واثنان من مدارس استامبول .

يقوم القضاة بوظيفة ضباط الحالة المدنية بالنسبة الى المسلمين لكنهم يحررون رسوم الولادات والوفيات والزواج بدار شيخ المدينة . وتشمل منطقة نفوذهم جميع مسائل الحالة المدنية الاسلامية التي لم يعدل عنها المسلمون الرومانيون ولا رضوا بها بديلاً . يوجد تعدد الزوجات عند بعض الاتراك غير ان الحكومة اصدرت قانوناً سنة ١٩٣٠ يقتضي ان كل روميني لا يستطيع ان يتزوج اكثر من امرأة

واحدة ولا يقدر أن يتزوج بغيرها ما دامت في عصمته. على أن هذا القانون غير خاص بالمسلمين ولا يقصدهم بالذات لكنه حرم تعدد الزوجات بصورة عملية قانونية. ولما كانت الاغلبية الساحقة من المسلمين موحدة الزوجات فهذا الاصلاح لم يضايقها اية مضايقة

تستأنف احكام القاضي في مسائل الاحوال الشخصية لدى المحاكم الرومينية. واذا اتفق الطرفان المتخاصمان فهما يستطيعان ان يترافعا لدى المحاكم الرومينية مثلما يجري العمل به في بولونيا. والمسلمون الرومينيون حنفيون مثل المسلمين البولونيين

المسلمون ببلغاريا

ان حالة المسلمين بلغاريا مخالفة لاحوالهم ببولونيا ورومينا. وذلك انه منذ القرن الرابع عشر - وان شئت بالضبط - فمن سنة ١٣٩٦ دخل البلغار في حكم الانراك ولم يسترجعوا استقلالهم الا منذ خمسين سنة تقريبا اي منذ معاهدة سان سطفانو المنعقدة سنة ١٨٧٨ والمقررة لأول مرة حدود بلغاريا الجنسية والتراية. فالانراك قد تركوا في البلاد عند ما هاجروها جالية اسلامية قوية العدد بالرغم عن الحرب والمهاجرة. فاعلم ان بلغاويا تعبد ٦٥٠٠٠٠ من المسلمين الانراك منهم افراد قليلون من التتار. فاذا زدت الى ذلك ٧٠٠٠ بوماك مسلم من الجنس البلغاري وممن يتكلمون اللغة البلغارية ونحو ١٢٠٠٠ من النور المسلمين (وهؤلاء يتكلمون النورية والتركية) فيكون متحصل الجميع ٨٤٠٠٠ مسلما في جملة سكان تبلغ ٤٤٥٠٠٠ اي سدس سكان المملكة تقريبا

قد تفرقت الجاليات الاسلامية بكامل البلاد لكن اهم جالية هي المستقرة بمدينة شومن. وهذه المدينة عبارة عن مركز اسلامي كبير ومقر مدرسة اسلامية عليا قد طبق ذكرها الحافقين

وقد ظهرت في السنوات الاخيرة حركة مهاجرة الى تركيا مثل الحركة التي ظهرت برومينا ولكنها سرعان ما وقفت وانتهت. وذلك لان الحكومة البلغارية قد توخت نحو المسلمين - مثل حكومة رومينا - سياسة حرية بتمام معنى الكلمة. من ذلك ان احد نواب مجلس الامة البلغاري (وهذا المجلس يسمى سوبرانية) قد وضع على منصة المجلس مشروع قانون يرمي الى حرمان المسلمين من التمتع بالحالة المدنية الاسلامية وجعلهم من اتباع المحاكم الاعتيادية فلما طرح هذا المشروع على بساط المناقشة صرحت الحكومة بغاية الصراحة انها عازمة على ان تبقي للمسلمين حريتهم في التمتع بحالتهم الشخصية كيف شاؤوا واختاروا وانها لا تريد ان تجري في هذا الامر مجرى الانراك. فاسترجع النائب مشروعه وطوي الامر بسلام.

لا تقل الجاليات الاسلامية ببلغاريا عن ٨٥٠ جالية لها ١٥٠٠ جامع. وبالرغم عن وجود بعض التراخي في القيام بالفرائض الدينية المتعلقة بالجوارح - لا سيما عند الاحداث - فان الاسلام

ما يزال في تزايد بلغاريا. من ذلك ان ٦٠ بلغاريا قاموا بفريضة الحج في سنة (١٩٣١) وإذا تناقص هذا العدد الى ١٥ في سنة الحال فان موجه الازمة الاقتصادية التي اشتدت في بلغاريا اكر من كل بلاد بلقانية سواها.

توجد في البلاد عدة مؤسسات خيرية تقوم بها الاوقاف. اما التعليم فيزاوله صغار المسلمين في ١١٢٠ مدرسة اسلامية و ٣٠ معهد ثانوي و ١٥ معهدا عاليا شرعيا ، وتوجد ايضا مدرستان عاليتان لترشيح المعلمين والموظفين الدينيين الاولى بشومن والثانية بكيرجالي. لكل هذه المدارس اوقاف تنفق منها ولكن عددا كبيرا منها يتقاضى منحة من الدولة التي تقوم بجميع نفقات مدرستي شومن وكيرجالي.

يتمتع المسلمون البلغار بجميع الحقوق المدنية والسياسية بدون ان يكونوا قد عدلوا عن احكام الشريعة في نوازل الاحوال الشخصية. وفعلا فان الفصل الاول من قانون المرافعات البلغاري ينص على ان المحاكم الشرعية الاسلامية تنظر في مسائل الزوجية والطلاق والتقادم والوصايات والنفوذ الابوي والنفقة والحضانة والميراث. غير ان الطرفين اذا اتفقا فلهما الحق في التقاضي لدى المحاكم الاعتيادية وقد رأينا ان حق الخيار موجود ببولونيا ورومينيا مع الفرق الواحد الكبير الذي تتجلى فيه كمال حرية الحكومة البلغارية وهو ان الاحكام لا تستأنف لدى المحاكم الاعتيادية ولكن لدى المفتي الكبير بمدينة صوفيا التي هي العاصمة البلغارية وهو وحده الذي له حق النقض والابرار. وتتولى السلطة البلغارية تنفيذ هذه الاحكام

والمسلمون البلغاريون على المذهب الحنفي مثل البولونيين والرومانيين.

منقولة عن مجلة المباحث الاسلامية سنة ١٩٣٢

عثمان الكعك

مجلة الجامعة

ظهرت في عالم المطبوعات التونسية منذ اول شهر جويلية الفائت مجلة علمية ادبية اجتماعية عنوانها (الجامعة للعلم والادب والاجتماع) يقوم على اصدارها نخبة من رجال العلم والادب بتونس من شيوخ التعليم بالمعهد الزيتوني ومن اساتذة مبرزين بالمدارس الثانوية ومن كتاب بارزين في عالم النشر والتحرير ويكفي ان نشير هنا لمديرها وهو الكاتب القدير السيد محمد ابن الحسين المتوظف بادارة المال ورئيس تحريرها وهو العالم النحرير الشيخ محمد صالح النيفر المدرس بالجامع الاعظم تقع المجلة في ٣٢ صفحة من الورق النصفى وعلى الغلاف الخارجي للمجلة صورة واجهة الجامع الاعظم وواجهة المدرسة الصادقية اشارة لاشتراك الثقافتين الشرقية والغربية في تحريرها وقد برز منها لحد اليوم اربعة اجزاء حافلة بالمواضيع المفيدة في الادب والاخلاق والتقوى والاجتماع وقد سدت هذه التحفة الفنية فراغا في عالم الصحافة التونسية فكانت خير تعريف لما بلغته تونس من رقي ظاهر في عالم التحرير والنشر فترجو للقائمين بهذا العمل العلمي الجليل التوفيق وتسديد الخطى والمجلة ماهى اهل له من سعة الانتشار

تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية*

(١) التمثيل الطائفي - (٢) المحاكم الشرعية

(٣) الاوقاف الخيرية والذرية - (٤) التعليم

الديني - (٥) الارشاد والشعائر

الاسباب الموجبة لتنظيم الاوقاف ولشؤون الاسلامية

ان تنظيم الطوائف والجماعات امر لا بد منه في امة كأمّتنا كثرت فيها الطوائف الدينية والعرقية وفي زمن كثر مشا . نظمت فيه الجماعات تنظيميا اوجد لها الشركات والجمعيات والنقابات . واذا نظرنا الى ضرورة ايجاد الصالح العام والتعاون المشترك يعمل لهما الافراد وتشغل بهما الجماعات لخير المجموع ادر كنا ضرورة التطور والاختذ بقاعدة التنظيم حتى لا يحرم الفرد ضمانته لحياته وحقوقه في معترك التنافس وليكون نجاحه آتيا من تضامن اخوانه ومشاركته اياه في جهاده . فاذا وقع القضاء وكان اضطرابا يوزع مصابه وشقاؤه بينه وبينهم . واذا حدث الخير وكان عاما توزعت نعمته بينه وبينهم . وفي كلا الحالتين رحمة لما يصاب به الفرد من بؤس وعجز . وعدل في تقسيم ما يكسبه من فائدة ومال والفرد مهما كان قويا في حد ذاته وقديرا على اتيان ما يفوق مقدرة المجموع لوجود النبوغ عادة بين الافراد وفقدانه بين الجماعات فان دوام عمل الفرد ودوام فعاليته ونفعه يفقدان بفقده . بخلاف عمل المجموع وفعاليته اللذين وان كانا دون الاول نجاحا وقوة لكنهما على كل اقوى في التاج وادوم في النفع وضمن للبقاء لتندرج الجماعة وموت الامة . وقياسا على ما تقدم واتباعا لسنن النبوة والارتقاء نجد ان الطائفة الاسلامية ليس لها في الوقت الحاضر كيان منظم وقد كانت مصالحها مرتبطة بالحكومة وقوتها مستمدة من الخليفة وكان تطورها متأثرا بفعل الزمن غير قائم على معالجة حكيمة ومعقولة ولاهمال التجديد في شئونها الدينية وعدم الاهتمام بالنواحي الحيوية التي ترتقي بها الطائفة سادت الفوضى وكثرت المفساد والعيوب . فالصالح العالم الذي يضمن للمسلمين رقيم وفي بحاجاتهم كطائفة لها مطالبها ولها حقوقها ولها قتراؤها وموزوها لم يكن موجودا وان وجدت الحاجة للتعليم الديني وتعميم المعارف ومداواة الفقراء واغاثة المحتاجين ومعالجة المرضى وانباء الارامل واليتامى ومساعدة البائسين وتربية

* اتصلنا بهذا التقرير الذي سيقدمه سعادة وزير معارف الحكومة السورية الى اعضاء البرلمان السوري لتقع المناقشة في شأنه من صديقنا الاستاذ محمد كامل التونسي نزيل دمشق ونظر لما اشتمل عليه من آراء جديدة في بعض الشؤون الاسلامية الخاصة رأينا المبادرة بنشره ليعلم قراؤنا الافاضل على ما يستجد من الآراء حول بعض المشاكل الاسلامية الحاضرة وسنتبعه ببيان رأينا فيه وستكون مجلتنا اول مجلة تنشر في العالم الاسلامي

الطفل وتشغيل اليد العاملة ومساعدة الاعمى والمقعّد فليس لها مسئول يشرف عليها او يتداركها وليس لها صندوق يصرف عليها وعلى المؤسسات اللازمة لها ، وان وجدت قضايا تحتاج للمعالجة والمداواة والحل كقضايا تعليم المرأة وتعليم الاطفال والطلاق والزواج والمهر والتبرج والبناء والتمور والقمار الخ . . . فليس لها من يدرسها او يفتي بالعلاج المطلوب لها . او يعد لها العدة فلا يخرج الناس عن العادات والتقاليد الصالحة ولا يتبعون المدنية الزائفة ولا ينغمسون في الشهوات والموبقات التي كلها استفحلت اضعفت المجتمع وفسدت اخلاقه وذهبت بمزاياه وقواه وعدا هذا فان الشعائر التي يجب ان تقام في بيوت الله قد تولاه ائمة لا مهمهم من الواجب غير نيل الراتب ، وان المواعظ والخطب والتدريسات يأخذها احيانا من لا يحسن العلم ولا الكلام وان وجد الصالح في دينه وعليه فهو ممن يجهلون مقتضيات العصر وحاجات الزمن فلا يجهد النفس للبحث والاطلاع ومعالجة المسائل والقضايا مما يفيد افراد الشعب وينض بهم . وامر الارشاد يحتاج لعلم ودراسة ووقوف واختيار وسياسة وفهم ذهنية الناس وتطور الحوادث لا ان يبقى صاحبه جامدا بعيدا عن الحوادث والحاجات فاذا بحث تكلم عن القرون الماضية : واذا قال بوسيلة كانت من وسائل الازمنة البالية واذا خاطب اتجه لفئة دون فئة والناس اصناف وطبقات وفرق وجاعات لكل منهم لسانه وعقليته وحاجاته وامراضه وعاداته ، هذا والجوامع امرها واهميتها وحالتها لا تخفي وكيف تخفى وقد غدت لا تتفق مع العائكة ولا مع مكانة الاسلام وعز المسلمين وتعاليم الشريعة السامية . فالكثير منها مهمل في ترميمه او اصلاحه وفرشه ومنها ما تشعشع النفوس من التعبد فيه لفقد النظافة وشروط الصحة ، والنظافة اصل من اصول الدين وشرط من شروط الايمان والصحة مطلب من مطالب الحياة وفريضة من فرائض المدنية فتأخر الجوامع التي كان يجب ان تعيها يد الاحسان ويد العمران ويد العلم لم يحصل لولا سوء الادارة وفقدان التنظيم وعدم وجود المسؤولين الحقيقي الذي يستطيع إيقاف المهملين عند حدهم ومعالجة الحاجة والضرورة عند وقوعها . ولت الجوامع كان لها الرعاية الكافية والعناية التامة فلا تفقد الفوائد الدينية والاجتماعية التي كان يتمتع بها المسلمون في صدر الاسلام . وليتها لم تدخل من الاهداف النبيلة التي جعلتها لقضاء الحاجات وتنفيذ الروح ولل قضاء بين الناس في مسائلهم واختلافاتهم والمشورة وتدير الامور وتداول الرأي ، ولتعليم المسلمين وارشادهم الى مصالح الدين والدنيا ولعقد عقودهم وانكحهم وتلاوة قرآنهم ولسماع المواعظ التي تفتح القلوب وتبهر الافكار وتهذب النفوس وغيرها مما لم نعد نراه في زماننا بل اصبحنا نرى ونلس تحولنا من عبادة روحية تجلّي فيها طهارة الوجدان وقديسة الدين الى عبادة ميكانيكية تظهر فيها جمودية الفكر واستمرار العادات ولا شعورية القلوب .

وما جرى في المعابد وفي امور المسلمين التعبدية جرى مثله في اوقافهم وفي محاكمهم الشرعية واحكامهم ولماذا ؟ لا شك ان الاسباب كانت واحدة فلا عجب اذا كانت النتائج واحدة

ان الوقف كان عملاً فردياً قام به صاحب الملك فحصر ريع ملكه من مرافق وعقارات لجهة بر لا تنقطع قاصداً ايصال النفع الى نفسه اما في حياته او في مماته وذلك ليدراً مخاطر تسلط الامراء وارباب السلطة على ملكه او امواله كما كان يجري سابقاً ثم ليستفيد من الريع مباشرة ثم لنيل الثواب تكفيراً عن ذنوبه وآثامه او يزيد في ثروياته يوم الآخرة . واذا كان في عداد ما اراده ايصال الخير والمعروف الى الغير عن طريق اطعام الفقراء وايواء الغرباء ومداواة المرضى والعجز وخدمة الدين بتشديد الجوامع واقامة الشعائر الدينية وتلاوة الاوراد والادعية فان في كلنا الحاليين تأمين لمصلحته الذاتية وتغلب على الخير المطلق والصالح العام . وتغلب المصلحة الذاتية قام في ذهن بعض الواقفين ان يحصروا ريع اوقافهم في ذريتهم ويتخذوا الشريعة ذريعة لمشروعية عملهم يحصرهم جهة البر في امر يكاد يكون وقوعه من المستحيل كقولهم واذا خلت الارض من ذريتهم وذرية ذريتهم اناثاً وذكوراً فيعود نفعها الى البيت الحرام مثلاً او الى فقراء المحلة او الى كذا وكذا . واقطاع الذرية لا يحصل الا في الالف مرة واحدة كما هو مشهود ومعلوم ولذا بقي الوقف لورثتهم ولم يستفد الناس منه وكان السائق لهذا العمل خوفاً ان يصيب ابناءهم الفقر او العوز او الذل بعد مماتهم وهو عمل اناني لا مبرر له . ان الخوف لا يمنع الفقر والحرق لا يجلب الغنى ومقدرات المراء منوطة باهلته واستعدادة وتريسته وزمانه فما عليه الا السعي والكسب والاعتماد على الذات لا على غلة موقوفة او رزق مقنن يسوقه الى التوكل والرضى وفي تفضيل المصلحة الخاصة وجعل ادارة الوقف منوطة بفرد وفي تحديد الشروط التي مع مرور الزمن اعتبرها القضاة واعتبرها الناس كنص الشارع وفي تقادم العصور تغالى المتولون وطلقت مطاعمهم فعبثوا في الشروط التي اباحت لهم حق التصرف واستباحوا الاموال وتجروا على التبديل والتغيير والحذف والتحكيك واستعانوا باهل الولاية العامة وبممثلهم وبمرور الزمن والتعامل وبشهادات الزور نفذوا ما ارادوا وكان من اضاعه القيود وتبديل النصوص تعطيل الوقف وسراية الفساد الى ابناء الواقف وحصول الاختلافات . ما كان اغنى المسلمين عن التقيد في شروطهم واوقافهم وما كان اغناهم عن تعويد ابنائهم الكسل والانتكال . الا نجد ان علة الوقف وعلة التفرد هما سبب اضطراب القضاء وفوضى الخيرات . الا نجد ان الجوامع والشعائر لولا التفرد لما آلت الى ما الت اليه . هذه مجالس الاوقاف وادارة الاوقاف والمحاكم الشرعية وهذه الحكومة وهذه المحاكم الم يعجزوا جميعاً عن ازالة الاختلافات وعن اصلاح حالة الاوقاف وحالة المسلمين ولعل البعض يظن ان الاوقاف ثروة يجب الاحتفاظ بها وعدم التفريط في اعيانها وان القول بجعل اوقاف الذرية يسوق ابناء الواقفين وذريتهم الى التشرد والفقر وهذا ضعف للمسلمين .

ان هذا القول ليس بحجة وهو مردود من وجوه اهمها ان الثروة اذا لم تتم اكل عليهما الدهر وشرب وفي نظام الاوقاف الخيرية والذرية قلما يوجد اساس يضمن تنمية الوقف . ثانياً ان

الثروة لا تنمو اذا لم تعامل بحسب تطور الزمن والاساليب الآيلة لتنميتها ، واسلوب ادارة الوقف لا يرحى معه تطور ولا هو متفق مع اساليب التجارة او الشركات او الجمعيات التعاونية فكيف ينمو ثالثا ان الغلة حينما تصرف للشعائر والموظفين والمستخدمين والمستحقين وللترميم والتعمير واداء الضرائب لا يبقى منها الا نزر لا يكفي لشراء عقار ولتنمية الواردات واذا وجد تسلط عليه المتولون فيصرف في غير سبيل أو يؤكل بطريقة شرعية ، ولو فرض وجود علة كافية واضيف عقار الى اصل الوقف فهل هذا كل ما يرحى من النمو . كلا . ان الاوقاف الخيرية قد تزداد اعيان عقاراتها وقد يصلح ولاها ولكن الاوقاف الذرية هي على العكس ادعى للبوار والخراب واسرع للوهن والنقص لحرص المرتزقة على تقسيم فائض الغلة وعدم اهتمامهم بصرفها على التعمير والزيادة . رابعا إن العادة جرت في المحافظة على معالم الوقف اتباعا لما قيل (شرط الواقف كنص الشارع) ولذا فمعالم الوقف لا يجوز تحويلها او تحريرها او تبديلها وكل عين لا تبدل ولا يتغير لا ينمو ولا يتقدم وبعد فقينا ان الوقف الذري ليس ثروة تعود الى ذكر الاضرار التي نجمت عن وجود الاوقاف الذرية وهي :

١ - وجود المشاحنات والضغائن بين افراد العائلة

٢ - تعويد اولاد الواقفين الكسل والانتكال

٣ - تقييد العمران حيث عقارات الوقف قد تمنع توسيع الطريق وتجميل الابنية والمحلات فيتين لنا مما تقدم اولا ان التفرد في ادارة الوقف مهما يكن ضرر بالمصلحة . ثانيا - ان اسلوب ادارته لا يوافق شرط الحفظ والتنمية . ثالثا - ان التقييد المطلق بشروط الواقف دون مراعاة الزمن والحاجة والغاية لا يضمن الصالح العام ولا تقدم العمران . رابعا - ان الاوقاف الذرية ليست ثروة بل هي محلبة الكسل والفساد . ولتدارك الاخطار والقيام بادارة الاوقاف التي يجب ان تكون مجردة للخير ادارة حكيمة معقولة تدعو لتحقيق النفع العام وما تتطلبه حاجات المسلمين التبعية والارشادية والتعليمية » فيجب ان لا يبقى غير الاوقاف الخيرية . وان تنحصر ادارتها بايدي جماعة او جماعات مسئولة . وان يعتبر مجموعها ثروة موقوفة وان تنظم ادارتها ويصرف ريعها للخير الذي اراده الواقف وللغاية التي فيها نفع للمسلمين . ولا يجوز التصرف بها تصرفا يدعو لضياعها او لتمكين الفرد من احتكارها سواء لعائلته ولذريته او لنفسه . ولتكون الاوقاف الخيرية تحت ادارة عامة واشراف مشول . يقضي جمعها سواء كانت مشروطة او ملحقة او مضبوطة ، واوقاف الذرية يؤخذ منها مقدار يوازي رבעه الى جهة البر وما تبقى يترك للمستحقين ان شاؤوا تقاسموه مائة او تصرفوا و كان لهم ما للمالك في ملكه »

ولاشي . يسهل اصلاح الاوقاف واصلاح حال المسلمين الا العمل بقول الكتاب المبين (ما جعل عليكم في الدين من حرج » وقوله تعالى « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » السدال على

الوعظ في شهر رجب

شهر رجب

هو من الأشهر الحرم تقرر تحريمه في الجاهلية عند مضر كلها دون بقية العرب من العدنانيين والقحطانيين فالظن ان تحريمه لم يكن من عهد ابراهيم عليه السلام لانه لم تجمع العرب كلهم على تحريمه والظاهر ان مضر جعلوه شهرا حراما ليكونوا آمنين فيه قصداً لزيادة الامن في العام ولذلك جعلوه شهر العمرة ليكسبوه مهابة عند غير المضريين من العرب والعرب كلهم يعظمون القاصدين زيارة البيت قال النابغة يصف حجه

مشمرين على خوص مشعمة نرجو الاله ونرجو البر والطعما
ومن تعظيم الحجيج ان اقسمت العرب بالله بعنوان كونه تعالى رب الحجيج قال الحجاج
ورب اسراب حجيج كظم عن اللغا ورفث التكلم

فحصل من ذلك تعظيم هذا الشهر عند معظم العرب وقد اشار الى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع في ذكر الأشهر الحرم اذ قال « ورجب مضر الذين بين جمادى وشعبان » وقد لقبه العرب بالاصم ارادوا انه لا يسمع الناس فيه قعقة السلاح للقتال فجعلوه اصم عن سماعها على طريقة المجاز العقلي ولقبه المولدون بالاصب بالباء ولعله تحريف او قلب خفيف ولقبوه ايضا بالفرد لانه شهر حرام فرد بين اشهر حلال بخلاف الأشهر الحرم الاخرى فهي متتابعة فلذلك شاع ارداف

ان الشريعة الغراء تأمر باليسر الذي فيه الخير وتنهى عن العسر الذي فيه الضرر . والحديث الشريف (انما الاعمال بالنيات) الذي يعلمنا ان قيمة العمل بالنية وما وراءها من غاية . فنيات الواقفين ان كانت العمل لوجه الله والخير المطلق فكل ريع يصرف لخير المسلمين ونفعهم حسب حاجتهم ومقتضى زمانهم هو مقبول عند الله - ومقصود لوجهه . وقول الفقهاء في اصولهم - تنغير الاحكام بتغير الزمان - وهو يتفق مع قول المشرع الاعظم « انتم اعلم مني بامور دينكم » وكلا الاساسين يفيدنا توجيه الامور الى ما هو افيد وعدم التقييد بما حددته الماضي لان الزمان السابق اذا اقتضى له اقامة تكية او زاوية او سبيل فان الزمن الحاضر يتطلب اقامة مستشفى ودار توليد ودار رضاة ودار تمرض ومستوصف وغيرها من ضروريات المدينة والاجتماع كيلا يبقى المسلمون في عسر وعالة على غيرهم تتناهم الاقدار ولا راحم لهم . والامة التي ليس فيها فئة او جماعة تعطف على الضعفاء وتواسي البؤساء لا يعم الهناء مجتمعا ولا تحافظ على كيانها (ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) امر يقصد منه اصلاح المجموع ودعوة توحى الواجب لمن فيه المقدرة على انقاذ بني جنسه وقومه . والمصالح الدنيوية امور تنطور مع الحاجة وركي العصر ولو بقيت شروطها وطرق معالجتها واحدة لا تبدل لما امكن الاصلاح والمداواة (يتبع)

شهر رجب عند الكتاب والمؤلفين بوصفه باحد هذه الاوصاف (وليتهم تركوا ذلك فانه من الفضول في الكلام والتطويل الذي لا طائل تحته وما كانت العرب تفعل ذلك ولا هو ماثور عن السلف فلما جاء الاسلام اقر تحريم هذا الشهر في جملة ما اقر من المنافع كما اشار اليه قول النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة « والله لا يسالوني خبطة يعظمون فيها حرمت الله الا اجبتهم اليها » فورد اعتباره من الاشهر الحرم في قوله تعالى « ان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها أربعة حرم » اذ فسر النبي صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع بقوله « وان عدة الشهور عند الله اثني عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السماوات والارض منها اربعة حرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان »

وان تحريم الاشهر الحرم في الاسلام لم يبق له حكم عملي بعد عموم الاسلام بلاد الغرب في نظر جمهور العلماء لان القتال في الاسلام قد انقسم الى مأذون فيه ومحرم فالقتال المأذون فيه لا يتطل اذا وجد سببه والقتال الحرام ممنوع في كل وقت فلم يبق للاشهر الحرم منزلة في الاسلام غير الفضيلة التي تقررت لها من سالف الايام فهي معدودة من الاوقات الفاضلة ولذلك يرغب الناس في الصوم فيها قال علماءنا ان جميع ايام الاشهر الحرم اوقات للصوم المرغوب فيه ويزداد الترغيب بالنسبة للتسعة الايام الاول من ذي الحجة وللعشرة الايام الاول من المحرم وخاصة التاسع والعاشر . ولم يثبت في الدين تفضيل لصوم ايام معينة من الاشهر الحرم غير ما ذكرنا واما ما روي عن انس يرفعه رجب شهر الله وشعبان ورمضان شهرا امتي فهو حديث موضوع او ضعيف ولم يرد في تخصيص يوم من ايام رجب بصوم او صلاة حديث . والاحاديث المروية في ذلك لا تخرج عن الموضوع والضعيف . أما ما ورد في سنن ابن ماجة من ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن صوم رجب كله فمعناه عند العلماء الكراهة لئلا يظن الناس وجوب صومه كوجوب صوم رمضان ولم يقل احد من ائمة مذاهب اهل السنة باستحباب صوم يوم معين من رجب بله سنتيه . ويوم الجمعة الاول من رجب يسميه الناس جمعة الرغائب ولا وجه لهذه التسمية وانما ورد في حديث عن انس مرفوعا ان الملائكة تسمى اول ليلة من رجب ليلة الرغائب وهو حديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات وقال انه موضوع ورجاله مجهولون ولم يتعبه السيوطي في اللالي المصنوعة هذا وقد قيل ان شهر رجب كان فيه الاسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك احد اقوال فقيل كان الاسراء في ربيع الاول ليلة سبعة عشرة وقيل ليلة سبع وعشرين وقيل كان ليلة تسع وعشرين من رمضان وقيل ليلة سبع وعشرين من ربيع الآخر وقيل ليلة سبع وعشرين من رجب واختار هذا الحافظ عبد الغني المقدسي وقيل كان الاسراء في شوال وقيل في ذي الحجة وقد جرى عمل المسلمين على متابعة ما اختاره الحافظ عبد الغني المقدسي فجعلوا ليلة سبع وعشرين من رجب ليلة ذكرى الاسراء ولعل الله قد وفقهم في هذا العمل فيكون ترجيحاً لذلك الاختيار

شهر شعبان

هو شهر يستحب الصوم فيه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر صومه حتى ورد في الصحيح من طرق كثيرة ان رسول الله لم يكن يصوم شهرا كاملا دون شهر رمضان الا شهر شعبان

وليس لشهر شعبان فضيلة غير هذه وأما ما روي أن رسول الله قال فضل شهر شعبان على الشهور كفضلي على سائر الأنبياء فهو حديث موضوع ولعل هذا الحديث هو الذي حمل الكتاب على أن يتبعوا اسم شعبان بوصف الأكرام وهو فضول زايد كما قلناه في شهر رجب وقد تقدم آفا الكلام على حديث رجب شهر الله وشعبان شهري الخ

وقد شاع عند كثير من الناس أن ليلة النصف من شعبان فضائل ومزايا خاصة : منها اعتقادهم أن فيها صلاة خاصة يروون فيها كيفيات منها كيفية في حديث يروي بطرق عن علي بن أبي طالب وابن عمر وجماعة من الصحابة مرفوعا أن من صلى ليلة النصف من شعبان أعددنا مختلفه الركعات بأعداد من فاتحة الكتاب وسورة الاخلاص اعطاه الله خيرات في الدنيا والاخرة وصفت في ذلك الحديث وصفا طويلا ركيكا وهو حديث موضوع بجميع طرقه وعلى اختلاف رواياته لاختلال اسانيد واما عليه من دسمة الوضع في ثقله واسبابه قال الحافظ علي بن سلطان المكي احاديث صلاة ليلة النصف من شعبان كلها باطلة والعجب ممن يشم رائحة العلم بالسنة كيف يغتر بمثل هذا الهذيان ويصليها وهذه الصلاة وضعت في الاسلام بعد الاربعمئة ونشأت بيت المقدس فوضع لها عدة احاديث لا يصح منها شيء اه قال ابن العربي في العارضة وقد اولع الناس بها في اقطار الارض اه ومنها ما رواه في صوم يوم النصف منه وقيام ليلته وقد روي في ذلك حديث ضعيف في سنن ابن ماجه ومنها اعتقادهم أن ليلة النصف من شعبان يغفر الله فيها ذنوبا كثيرة وقد روي في ذلك حديث في سنن الترمذي وابن ماجه بنسند واحد عن عائشة مرفوعا قال الترمذي سمعت محمدا يضعف هذا الحديث وروي ابن ماجه في ذلك حديثا آخر هو ايضا ضعيف ورويت احاديث أخر قريبة من هذا المعنى لا تخرج عن حالة الضعف ومنها اعتقادهم أن ليلة النصف من شعبان يميز فيها من يعيش في العام التي هي مبدؤة ومن يموت من الناس وقد انجر لهم ذلك الاعتقاد من كلام بعض القصاصين من المفسرين اذ جعلوا ليلة نصف شعبان هي الليلة التي في قوله تعالى انا انزلناه في ليلة مباركة انا كنا منذرين فيها يفرق كل امر حكيم وجعلوا معنى يفرق اي يقضى وجعلوا معنى الامر الحكيم هو الارزاق والاجال قال ابن العربي في العارضة وهذا باطل لان الله لم ينزل القرآن في شعبان قال تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن هدى للناس الآية فهذا كلام من تعدى على كتاب الله ولم يبال ما تكلم به ونحن نحذركم من ذلك وانه قال فيها يفرق كل امر حكيم وانما تقرر الملائكة الامور في ليلة القدر المباركة لا في ليلة النصف من شعبان اه . ومن خرافات العوام بتونس زعمهم ان من يقف في ضوء القمر ليلة النصف من شعبان وينظر الى ظل عنقه في ضوء القمر ان وجد ظل عنقه واضحا فهو حي في تلك السنة وان لم يجد لعنقه ظلا بل وجد ظل راسه متصلا بظل كتفيه فهو ميت في تلك السنة وهذا جهل واختلال مبين فان امتداد الظل وانقباضه يتبع موقع سمت القمر من جسد الواقف في ضوئه فيكون القمر في اول طلوعه في الافق وما يقرب منه فهو في سمت جانب الجسم فيظهر ظله طويلا ويكون في اواسط الليل في كبد السماء فيسامت اعلا الجسم فيظهر ظل الجسم قصيرا فلا يبدو ظل العنق قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي في ٢٥

رجب وفي ٢ أكتوبر ١٣٥٦ - ١٩٣٧

افتتاح السنة الدراسية

التعليم في جامع الزيتونة وحل مشكلة التلامذة

لقد انتهجت الاوساط الزيتونة يوم السبت الثاني من شهر اكتوبر الجاري الموافق للخامس والعشرين من شهر رجب المنصرم بافتتاح الكلية الزيتونة فقد كان السرور في هذا اليوم عظيما تبادل الزيتونيون خصوصا والتونسيون عموما فيه عبارات التهاني برجوع التلامذة الى معهدهم العظيم بعد ان فارقوه مدة سبعة اشهر ونيف مضرين عن التعلم واقفين مكتوفي الايدي ينتظرون جواب الحكومة الحاسم عن المطالب التي قدموها اليها.

وقد تداخل في حل هاته المشكلة عدة هيئات واخيرا الوفد المركب من المشايخ السادة الناصر الصدام وعلى النيفر وصاحب المجلة نائبا عن المشايخ المدرسين لمواجهة المولى الوزير الاكبر في شان قضية الجامع واستلغات انظاره السامية اليها وقد تبادر اليه حسبا ابداه جناب الوزير انه سيفض هذه المشكلة في اقرب وقت وقد نشر ذلك في وقته في الجرائد المحلية وبعد ايام صدر البلاغ الرسمي المنتظر فكان شاهدا على عناية الدولة بامر التعليم بجامع الزيتونة وما هي عازمة على القيام به من الاصلاحات المرغوب فيها ومطمنا للتلامذة على انجاز مطالبهم اذا هم لازموا الهدوء ورجعوا الى دروسهم في مفتتح السنة الدراسية فكان لهذا البلاغ الوقع الحسن في نفوس الزيتونيين ووضعوا قوتهم في جناب الحكومة لتنفيذ ما قطعته على نفسها من الوعود ورجعت المياه الى مجاريها.

استؤنفت الدروس في اليوم الاول من السنة الدراسية على احسن وجه وحل الاطمئنان محل الاضطراب . ونحن بقدر ما نهتم بمصالح الكلية والدفاع عنها ناسف لضياع امثال هاته الحصص من اوقات التلامذة وما يتبع ذلك من الويلات ونتمنى ان لا تعاودنا امثال تلك الغيوم وننصح تلامذة الجامع ان لا يتخذوا امثال هاته الطرق للوصول الى رغباتهم المشروعة.

كما نطلب من جناب الحكومة التي عودتنا الاهتمام بمصالح الكلية واهلها ان تاجز فيما تعد به حتى لا يدخل الياس في بعض النفوس فيؤثر فيها التأثير السيء الذي لا يرضاه الجميع فان التمثل ربما يفضي الى نحو ما حدث وتكرر في هاته السنوات الاخيرة ان التعليم بالجامع هو كغيره من التعليم بالكلية يحتاج الى التعهد المتواصل ليدوم نفعه كما ان مصالح اهله تستدعي شيئا من الاهتمام ليقع الاصلاح العام وما هو على همة الحكومة بالشئ العسير.

ونستبشر باستقبال عصر سعيد دخلت فيه قضايا المعهد في طور جديد سيثمل جميعها بناية الله وحسن توفيقه للمتولين امر المعهد والمشرفين عليه.

كما انه استأنفت جمعية اعانة ضعفاء التلامذة اعمالها ووزعت مقتطعات المونة على التلامذة الذين تحت رعايتها وقد بلغ عددهم مائة وخمسة وسبعين وقد وقتت عند هذا الحد لعدم سماح ميزانها بالزيادة عليه وعدم اتصالها من جناب الحكومة بالقدر المقرر بالمجلس الكبير في ميزان العام الجاري ١٩٣٧ - حسبما نشر في الصحف المحلية واستفادة مجلسها من رئيس اللجنة المالية السيد محمد شنيق والسيد الاخضر بن عطية نائب الرئيس بالمجلس الكبير ايضا . اهـ

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية الزيتونية في تونس

الجزء الثاني | تونس في رمضان المعظم عام ١٣٥٦ وفي نوفمبر ١٩٣٧ | المجلد الثاني

فهرس العدد

صاحبة المقالة	صاحبة المقالة
٧٢ ليلة القدر .. العلامة المصاح الكبير	٥٠ جامع الزيتونة من
الشيخ محمد الحجيوي	أقدم الكليات العالية
٧٤ التعاضد المتين بين	وأكثرها اتجاها. فما
العقل والعلم والدين	هي مهمته. وهل هو
٨٠ متى كان ظهور	قائم بها. رئيس تحرير المجلة
النياشين التونسية.. العالم المؤرخ امير	٥٤ تفسير سورة الفاتحة
الامراء سيدي محمد بن	الطاهر ابن عاشور
الحوجة مستشار	شيخ الاسلام المالكي
الحكومة التونسية	٥٨ شرح حديث
٨٥ فلسطين هذي	الاعرابي الذي جاء
الوغي فائق - شعر - مدير المجلة	يسأل عن الاسلام
٨٧ الرافعي المصلح	بن يوسف شيخ
الاجتماعي .. الكاتب الضليع السيد	الاسلام الحنفي
محمد الحبيب شلي	٦٤ شرح حديث من
٩١ تنظيم الاوقاف	سئل عن علم فكتمة
والشؤون	الطاهر ابن عاشور
الاسلامية «٥٢» .. وزير معارف سورية	شيخ الاسلام المالكي
٩٤ الاسلام غريب في	٦٨ التأليف المولدية : العلامة الذائع الصيت
بلادة .. الكاتب الضليع عمر	الشيخ محمد عبد الحي
فايق شنيب	الكتاني الشريف

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب | وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠ | كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ | والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للسلامة

الادارة نهج البشار رقم ٣٣ - تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصداقها ما يبعث من فؤاد سي جلال مع الزيتونة والمدرسة

الجزء الثاني | تونس في رمضان المعظم عام ١٣٥٦ وفي نوفمبر ١٩٣٧ | المجلد الثاني

شهرية وستتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

امين المال :

محمد عبدوي بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نسج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القا

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جامع الزيتونة

من اقدم الكليات العلمية في العالم واكثرها انتاجا

فما هي مهمته وهل هو قائم بها ؟

« ١ »

جامع الزيتونة مسجد أسس على التقوى من اول يوم (مسجد اذا بدا لك تبليج نوره اللامع ايقنت انه الجامع المفرد والفرد (الجامع) (١) روض العباداة ومعبد الرياضة . بستان علوم زهر دوحاتها الفتحة . وثمارها الافاضة ، بحر بركات شجنت فلكها ببضائع الاسرار . وطود عنايات يقتبس من جانبها نور المدد بالعشي والابكار . ما سرح ناظر المؤمن في اثنائه الا امتلا علما من بادرآت ثنياه يحكى بجماله اجمل عروس . صيغ لها من معادن الطروس . قلايد خلق الدروس . تحسب مدرستها اسود غياض . ودواير تلامذتهم حياضا في رياض . لا عيب فيه غير انه غدا بين اقرانه بمرتبة الصدر . واحتض بان ينشرح لواردية الصدر . فما ضاق صدر مهموم ودخله الا انفرج . وانفتحت له بلطيف عنايته ابواب الفرج . به اماكن اشتهرت برجاء قبول الدعا . فطوبى لمن اخلص ودعا) هـ (٢)

وقد اختلف المؤرخون التونسيون في مؤسسه واصح تلك الروايات ان الذي أسسه هو عبيد الله بن الحبحاب (٣) في العام الرابع عشر من القرن الثاني للهجرة . وعليها اقتصر غالب المؤرخين من القدماء والمحدثين . وذكرت رواية اخرى ان للذي أسسه هو حسان بن النعمان (٤) وقد جمع

(١) من غرائب الصدف ان لفظ (جامع) هو تاريخ تأسيس جامع الزيتونة بحروف الجمل . وذلك لانك اذا جمعت اعدادها ته الحروف الاربعة يحصل لك مائة واربعة عشر . وذلك هو تاريخ تأسيس جامع الزيتونة على اصح الروايات

(٢) من الجزء الاول من تاريخ الوزير التونسي ابن السراج من الفصل الثاني من الباب الخامس نسخة خطية توجد بمكتبة محررة .

(٣) كان عاملا لهشام بن عبد الملك على مصر وارسله الى تونس سنة ١١٠ عشر ومائة

(٤) حسان بن النعمان من بني مزيقيا بن عامر وكان يلقب بالشيخ الامين . ارسله عبد الملك بن

ابن دينار بين الروايتين (بان حسان هو الذي فتحها) اي تونس) وبنى بها مسجدا وعبيد الله بن الحبحاب زاد في ضخامته كما ان زيادة الله بن الاغلب (١) زاد فيه وضخمه ، وكملت ضخامته في ايام بني حفص (٢) اذا فجامع الزيتونة قد أسس في خير القرون او في القرن الذي يليه على يد كبار التابعين رضي الله عنهم . فمن اجل ذلك كان منظورا اليه بعين الاحلال والتعظيم من جميع المسلمين وخصوصا من اهل تونس الذين جعلوه قبلة انظارهم وبالقوا في تعظيمه حتى ان الشيخ احمد برناز نقل في شبهه عن الشيخ عبد الوهاب الشعراني في بعض كتبه انه قال ، جامع الزيتونة في بلاد المغرب ملحق بالمساجد الثلاثة . ونقل بعض المؤرخين عن الشيخ سعيد الشريف ان نوحا عليه الصلاة والسلام في يوم الطوفان الاكبر وقفت به السفينة في وسط البحر فاوحى الله اليه ان تلك بقعة يقال لها جامع الزيتونة (٣)

ولا يخفى على القاريء اللبيب ان هذا من المبالغة التي لانصيب لها من الصحة ، اذ ليس هناك ما يؤيدها وغاية ما تدل عليه هو مقدار الاحلال والتعظيم اللذين ملئت بهما نفوس التونسيين نحو جامع الزيتونة ومعلوم ان النفوس اذا توجهت الى شيء ، وبالغت في تعظيمه نسبت اليه امورا كثيرة يعملها عليها الخيال فكانها تعتقد ان الحقيقة مهما كانت ناصعة لاتكفي لتوفية ذلك الشيء العظيم حقه

وقد أسس جامع الزيتونة على ان يكون محل عبادة ، ولما كان المسلمون في العصور الاولى يقومون في الجوامع بكل ما يهمهم من الشؤون التي لاتتافي ما يجب لبيوت الله من الاحترام . فقد صار جامع الزيتونة محلا للتعليم تلقى فيه الدروس العلمية على اختلاف مواضعها وانواعها ، ولا يعلم بالضبط تاريخ جعله محلا للتعليم ولا تاريخ تنظيم التعليم فيه لان تلك الدروس لم تكن في اولها نظامية بالاسلوب المتعارف اليوم . فمن العسير ضبط تاريخ وجودها به ، والظاهر ان الدروس صارت تلقى فيه من القرن الثالث . ثم اخذت تنتظم شيئا فشيئا الى ابتداء الدولة الحفصية سنة ٦٠٣ هـ فعند ذلك ازدهر التعليم بجامع الزيتونة وكثر انتشاره وتقن الناس في مختلف العلوم والفنون وتخصصوا فيها حتى اشتهر كل واحد بما تخصص فيه وظهرت في ذلك العصر الساليف الكثيرة واعتنى الناس بالدروس العليا حتى برعوا فيها

مروان لافريقية فوصل الى القيروان سنة ٧٩ ومعه جنود عدده اربعون الفا . وله مآثر عظيمة منها تجديد بناء جامع عقبة بالقيروان وتأسيس اول مصنع اسلامي لصنع السفن والمراكب الحربية وقد أسسه بالقرب من قرطجة وهو المكان المسمى بدار الصناعة . وصار يسمى اليوم (اميلكار) ابعادا للذكر المجدبة عن الافكار . وقد جلب لهذا الغرض الف عائلة من قبط مصر فاقروهم هناك ومن مآثره نصب الحراج على الاراضي وتدوين الدواوين الدولية بافريقية وجعل اللغة العربية لغة رسمية .

(١) تولى الملك بتونس سنة ٢٠١ وتوفي ملكة سنة ٢٢٣

(٢) المؤنس في اخبار افريقية وتونس لابن دينار صفحة ١٣ المطبوع بمطبعة الدولة التونسية سنة ١٢٨٣

(٣) من تاريخ الوزير ابن السراج المنقول عنه سابقا

وكان هناك تبادل في الآراء والأبحاث بين علماء الزيتونة وبقية علماء المشرق والمغرب، وكان من اعلام ذلك العصر ابن عبد السلام وابن عرفة وابن خلدون والابن البرزلي (١)

ثم اخذ التعليم بجامع الزيتونة يترقى ويأخذ الصبغة النظامية ويتدرج في ذلك مع مرور الزمان وان طرأ عليه شيء من القصور والاختلال في بعض الاحيان . . . الى ان عالت الدولة في هذه البلاد للعائلة الحسينية ادام الله ملكها . فعند ذلك ازدهرت الحياة العلمية . وتطافرت همم من تداول الملك من ابنائها على ترقية العلوم والسعي في انتشارها . وتسهل سبل تحصيلها على القاصدين . ولكن مع ذلك لم يأخذ التعليم بالجامع صبغة نظامية محكمة ، حتى تولى الملك المشير الاول ابو العباس احمد باشا . وهو الملك ذو الهمة العاليه . والمرامي الساميه . فقد اراد ان يرقى البلاد التونسية من جميع النواحي . وحيث كان اكبر مظهر لرقى الامم يتجلى في اعتنائها بالناحية العلمية فقد توجه هذا الامير العظيم الى جامع الزيتونة ووضع الحجر الاساسي لتنظيم التعليم فيه . باصداره للامر العلي المؤرخ بيوم ٢٧ رمضان سنة ١٢٥٨ (الموافق ليوم ٢٦ نوفمبر سنة ١٨٤٢) (٢) وقد تضمن هذا الامر تعيين عدد المدرسين والزام كل واحد منهم بدرسین وضبط هيئة ادارية للجامع مكلفة بتنظيم الدروس ومراقبة احوال المدرسين . وضبط مرتباتهم وتكوين موارد قارة لها من ميزانية الدولة . ولكنه لم يتعرض لتعيين الفنون التي تدرس بالجامع ولا لضبط احوال التلامذة ولا لكثير من الترتيب التي لا بد منها لتنظيم التعليم . فمن اجل ذلك يعتبر هذا الامر كشروع في التنظيم . وكان من الضروري ان تمتد يد الاصلاح لتدارك ما اهمله من الانظمة التي لا بد منها

ولما تولى الوزارة الكبرى بتونس الوزير المصلح خير الدين باشا رحمه الله اراد ان يتدارك ذلك فانتخب لجنة من كبار العلماء وعهد اليها بوضع قانون للتعليم . فوضع هذا القانون وكان بمحكم النظام وافيا بما تستدعيه حاجة ذلك الزمان . وكان ضابطا لادارة الجامع ولاحوال المدرسين والتلامذة ومعينا للعلوم التي تدرس بالجامع وللكتب التي تدرس بها . وصدر به الامر العلي المؤرخ بيوم ٢٨ من ذي القعدة ١٢٩٢ (الموافق ليوم ٢٦ ديسامبر ١٨٧٥) من المشير الثالث محمد الصادق باشا باي رحمه الله وألحق هذا الامر بعبدة اوامر صدرت من الامير الحليل علي باشا باي رحمه الله . على عهد الوزير

(١) انظر تلخيص محاضرة الاستاذ الحليل الشيخ البشير النيفر عن تاريخ الحركة العلمية بجامع الزيتونة بصفحة ٥٥٣ من المجلد الاول للمجلة الزيتونية

(٢) يعرف هذا الامر في الاوساط العلمية بالمعلقة . لان الامير المذكور اذن بكتابته بالذهب وتعليقه في اطار كبير بداخل جامع الزيتونة قرب باب الشفاء . وهو لا يزال معلقا في موضعه الى اليوم . وعلى من يريد الاطلاع عليه ان يراجع كتاب (تراتيب التدريس بجامع الزيتونة عمرة الله تعالى) المطبوع بالمطبعة الرسمية عام ١٣٣٠

العالم الفقيه الشيخ محمد العزيز بوعتور، ولكنها اوامر تتعلق ببعض جزئيات لم تمس بجوهر ذلك القانون فبقي معمولاً به الى عام ١٣٢٨ فغند ذلك (ظهر ان التراتيب المذكورة صارت لا تنفي بحاجة التعليم التي اقتضاها هذا الزمان وادرك ضرورة تقيحها وادخال احكام جديدة عليها كل من يهيم امر العلم والتعليم من رجال الدولة وشيوخ المجلس الشرعي والمشائخ المدسين ونهض التلامذة انفسهم مطالبين باصلاح التعليم بالمعهد الزيتوني المعمور) وبمقتضى ذلك تكونت لجنة من رجال العلم والادارة وكلفت بوضع قانون جديد للجامع يحتوي على كل ما تدعو اليه الضرورة من الانظمة الادارية والتراتب العلمية. وزيادة فنون وكتب لا بد منها فوضعت هذه اللجنة قانوناً ضابطاً لتلك الامور كلها، وصدر به الامر العلي المؤرخ بيوم ٥ شوال ١٣٣٠ (الموافق ليوم ٢٦ سبتمبر ١٩١٢) من الامير الحليل محمد الناصر باشا باي رحمه الله على عهد الوزارة اليوسفيه

واستمر العمل بهذا القانون وظهرت نتائجه وألحق بعدة اوامر ومناشير لتتقيح بعض فصوله حسبما دعت الضرورة اليه في ذلك الحين الى ان تولى الوزارة الكبرى الوزير الحير المرحوم مصطفى دقزلي في عام ١٣٤٠ فتعلق غرضه بأن يحور القانون السابق ويضم اليه ما ابانت الظروف وجوب ادخاله من العلوم والتراتب، واعتنى بالموضوع اعتناء جدياً، واصدر معروضا «١» من الامير محمد الحبيب باشا باي رحمه الله بتكوين لجنة لهذا الغرض انتظم عقدها من اعضاء مجلس النظار وبعض رجال المجلس الشرعي والمدرسين بالجامع وكثير من رجال الدولة من تونسيين وفرنسيين وكان هو الرئيس المباشر لهذه اللجنة، وشرعت هذه اللجنة في اعمالها واستمرت عليها بانتظام، الى ان وضعت لائحة قانون لاصلاح التعليم تام الموجبات من جميع النواحي (٢)

ولكن لاسباب لا نعرفها لحد الآن، قد تعطلت تلك الاعمال ونسجت عليها عناكب النسيان

محمد المختار بن محمود

(١) انظر المعروض الصادر من الامير محمد الحبيب باشا باي بتاريخ ١٨ ذي القعدة ١٣٤٢

(٢) الموافق ليوم ٢١ جوان ١٩٢٤)

(٢) هذه اللائحة قد طبعت مع المعروض الذي اشتمل على تعيين اعضاء اللجنة وعلى تحديد موضوعها في سفر خاص بالمطبعة الرسمية عام ١٣٤٨ ووزعت على اعضاء اللجنة التي سياتي الكلام عليها فيما بعد لتجعلها كنواة للعمل الذي ستقوم به، وفعلاً فانها قد اقرت الكثير من فصولها، ومما ينبغي تسجيله بهاته المناسبة ما حكا له لي كاتب اللجنة الاديب الفاضل الشيخ محمد المقداد الورتاني عن مبلغ اعتناء الوزير مصطفى دقزلي بهذا الموضوع حتى انه كان يقضي معه عدة ساعات تستغرق احيانا الى ما بعد نصف الليل في خدمة ذلك والاسراع بانجازة رحمه الله برحمته الواسعة

القرآن الكريم

سورة فاتحة الكتاب

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

واعلم ان اسماء فاتحة الكتاب كثيرة يهيم التعرض لاثنتين منها وهما ام القرآن والسبع المثاني لاشتهارهما عند السلف ووقوعهما في كلام الرسول صلى الله عليه وسلم . فاما التسمية بام القرآن فقد وردت في السنة وفي كلام السلف فالام اما بمعنى الاصل والمنشا تشبيها بالوالدة والام ايضا اعلى الشيء ومنه ام الراس قالوا وجه تسمية الفاتحة ام القرآن انها مبدؤة ومفتتحة فكأنها اصله ومنشؤه يعنى ان افتتاحه الذي هو وجود اول اجزاء القرآن قد ظهر فيها فجعلت كالاصل والمنشا . الثاني انها تشتمل على انواع مقاصد القرآن وهي ثلاثة انواع الثناء على الله الجامع لوصفه بجميع المحامد وتنزيهه عن جميع النقائص . والاوامر والنواهي ولما توقفت الاوامر والنواهي على معرفة الامر وانه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات ولما توقفت تمام الامثال على الرجاء للثواب والخوف من العقاب لزم تحقق الوعد والوعيد والفاتحة مشتملة على هاته الانواع فان قوله الحمد لله الى قوله يوم الدين حمد وثناء . وقوله اياك نعبد الى قوله المسقيم من نوع الاوامر والنواهي . وقوله صراط الذين الى اخرها من نوع الوعد والوعيد قيل وذكر المفضوب عليهم والضالين يشير الى القصاص . الثالث انها تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكم النظرية والاحكام العملية فان معاني القرآن اما علوم تقصد معرفتها واما احكام يقصد منها العمل بها فالعلوم كالوحد والصفات والنبوءات والمواعظ والامثال والحكم والقصاص والاحكام اما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات وهو تهذيب الاخلاق واداب الشريعة وكلها تدل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة والنضمن والالتزام فالحمد لله يشمل سائر صفات الكمال التي لاجلها حصر استحقاق الحمد له تعالى لما تدل عليه « الحمد لله » من اختصاص جنس الحمد به تعالى واستحقاقه لذلك كما سيأتي « ورب العالمين يشمل سائر صفات الافعال وصفات التكوينية عند من أثبتتها » والرحمن الرحيم « يشمل بعثة الرسل بالشرائع

الراجعة للرحمة بالمكلفين « وملك يوم الدين » يشمل احوال القيامة كلها « واهدنا الصراط المستقيم » يشمل الاحوال كلها من عبادات ومعاملات واداب « وصراط الذين انعمت عليهم يشير الى احوال الامم الماضية الفاضلة . و « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » يشمل سائر الامم الضالة قلت فيحصل لقارىء الفاتحة علم اجمالي بما يحتوي عليه القرآن يعث نفسه الى تطلب التفصيل على حسب التمكن والقابلية .

واما تسميتها بالسبع المثاني فهي تسمية ثبتت بالسنة وقيل انها المراد من قوله تعالى « ولقد ءاتيناك سبعا من المثاني » فقد روى البخاري في صحيحه عن ابي سعيد بن المعلى (١) قال كنت اصلي في المسجد فدعاني رسول الله فلم احبه فقلت يا رسول الله اني كنت اصلي (٢) فقال الم يقل الله استجبوا لله وللرسول اذ ادعاكم ثم قال الا اعلمك سورة هي اعظم السور في القرآن قبل ان تخرج من المسجد ثم اخذ بيدي فلما اراد ان يخرج قلت له الم تقل الا أعلمك سورة هي اعظم سورة في القرآن قال الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقراء العظيم الذي اوتيته . دل هذا على ان الفاتحة تسمى السبع المثاني ووجه تسميتها بذلك انها سبع آيات كما ورد في الحديث القدسي قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي . واتفق على انها سبع آيات القراء والمفسرون ولم يشذ عن ذلك الا الحسن البصري فقال هي ثمان آيات والا لحسين الجعفي (٣) فقال هي ست آيات وقال بعض الناس تسع آيات ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات ومن عد البسملة منها ادمج آيتين . واما وصفها بالمثاني فهو مفاعل جمع مثني بضم الميم وتشديد النون او مع تخفيفها او بفتح الميم مع التخفيف ويقال مثناة بهاء التانيث على الوجوه الثلاثة والكل مشتق من التثنية وهي بناء ثان على اول ووجه الوصف بذلك ان تلك الآيات تشنى في كل ركعة كذا قال في الكشف اي تشنى بسورة بعدها وهي عبارة مأثورة عن عمر بن الخطاب واستشهد على كل ذلك بانها لا تشنى في الركعتين الاخيرين من الصلاة الرباعية والركعة الثالثة من المغرب وتحير الكاتبون في تصحيح هذا الكلام حتى لحاوا الى حمل الركعة على الصلاة بمجاز التبعض ولذلك غير البيضاوي عبارة الكشف عند اختصارها

(١) اسمه الحارث بن نفيع بضم النون وفتح الفاء الرزقي الانصاري المتوفي سنة ٧٤٤ رضي الله عنه

(٢) اعترض عن عدم الجواب بانه شغلته الصلاة فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بان نهه

الى عموم قوله تعالى استجبوا لله . كانه رءاء اعتقد ان المراد من الاستجابة المأمور بها خصوص الامثال للاحكام بدليل قوله تعالى اذا دعاكم لما يحييكم فين له ان الاستجابة على عمومها الشاملة لاستجابة امر الفعل واستجابة امر الاقبال وهو النداء وقد قيل ان هذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل يشمل كل من له حق كالابوين وقوله الا اعلمك اي افيدك واخبرك فعلم فيه فعل من اخوات اعلم مثل خبر وليس هو علم الذي هو بمعنى لقن لظهور ان ابا سعيد كان يعلم الفاتحة

(٣) هو حسين بن علي بن الوليد الجعفي مولاهم الكوفي المتوفي سنة ٢٠٣ كان من اعلام

المحدثين روى عنه الاعمش وغيره وروى عنه احمد بن حنبل واسحاق بن راهويه ويحيى بن معين

فقال « وتثنى في الصلاة » اذ لا تخلو صلاة من قراءة سورة مع الفاتحة في بعض الركعات وانما لا ارى احتياجا الى هذا واقول انما جعل هذا الاسم للفاتحة حين فرضت الصلاة وجعلت الفاتحة ركنا منها وقد كانت تضم اليها السورة في كل ركعة من الصلاة لان الصلاة اول ما فرضت فرضت ركعتين ثم اقرت صلاة السفر واطيلت صلاة الحضر على ما صح من حديث عائشة رضي الله عنها وقيل سميت بذلك لانها تثنى اي تكرر بنفسها في الصلاة فتكون التثنية بمعنى مطلق التكرير بناء على ما شاع عند العرب من استعمال صيغة المثنى في مطلق التكرير نحو ارجع البصر كرتين وقولهم لبيك وسعديك فلذلك استعملوا فعل ثنى بمعنى كرر وعليه فيكون المراد بالمثنى هنا مثل المراد بالمثنى في قوله تعالى كتابا متشابها مثنى اي مكرر القصص والاعراض تحديدا بابعازة والمراد بالصلاة المفروضة فلا ترد صلاة الوتر عند مالك رحمه الله وقيل سميت المثنى لانها تثنى في النزول فنزلت بمكة ثم نزلت في المدينة وهذا قول بعيد جدا وقد اتفق على انها مكية فاية حكمة لاعادة نزولها بالمدينة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الكلام عليها ينحصر في ثلاثة مباحث الاول في بيان اهي آية من اوائل السور ام لا ، الثاني في حكم الابتداء بها عند القراءة عند الفقهاء ، الثالث في تفسير معناها ، فاما المبحث الاول فلا خلاف بين المسلمين في ان لفظ بسم الله الرحمن الرحيم هو لفظ قرءاني لانه جزء آية من قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم كما انهم لم يختلفوا في ان الافتتاح بالتسمية في الامور المهمة ذوات البال ورد في الاسلام ، ولم يختلفوا ايضا في ان البسملة رسمها الصحابة في المصاحف في اوائل السور ما عدا سورة براءة وانما اختلفوا في ان البسملة هل هي آية من سورة الفاتحة ومن اوائل السور غير براءة بمعنى ان الاختلاف بينهم ليس في كونها قرءانا ولكنه في تكرر قرءانيتها كما اشار اليه ابن رشد الحفيد في البداية فذهب مالك والاوزاعي وفقهاء المدينة والشام والبصرة وقيل باستثناء عبد الله بن عمر وابن شهاب من فقهاء المدينة الى انها ليست بآية من السور الاسورة النعل فانها منها جزء آية وذهب الشافعي في احد قوله واحمد واسحاق وابو ثور وفقهاء مكة والكوفة الى انها آية من سورة الفاتحة خاصة ، وذهب عبد الله بن المبارك والشافعي في احد قوله وهو الاصح عنه الى انها آية من اول كل سورة ، ولم ينقل عن ابي حنيفة فيها شيء ، واخذ منه صاحب الكشف انها ليست من السور عنده فعدة في الذين قالوا بعدم جزئيتها من السور وهو الصحيح عنه لانه قال بعدم الجهر بها مع الفاتحة في الصلاة الجهرية وكرة قراءتها في اوائل السور الموصولة بالفاتحة في الركعتين الاوليين اه وازيد فاقول انه لم ير الاقتصار عليها في الصلاة مجزئا عن القراءة

اما حجة مذهب مالك رحمه الله ومن وافقه فلم فيها مسلكان احدهما من طريق النظر والثاني من طريق الاثر فالما المسلك الاول فللملكية فيه مقالة فائقة للقاضي ابي بكر الباقلائي وتابعه ابوبكر ابن العربي في كتاب احكام القرآن والقاضي عبد الوهاب في كتاب الاشراف قال الباقلائي (لو كانت التسمية من القرآن لكان طريق اثبات ذلك اما التواتر او الاحاد والاول باطل لانه لو ثبت بالتواتر كونه من القرآن لحصل العلم الضروري بذلك ولا تمتنع وقوع الخلاف فيه بين الامة . والثاني ايضا باطل لان خبر الواحد لا يفيد الا الظن فلو جعلناه طريقا الى اثبات القرآن لخرج القرآن عن كونه حجة يقينية ولصار ذلك ظنيا ولو جاز ذلك لحاز ادعاء الروافض ان القرآن دخله الزيادة والنقصان والتغيير والتحريف اه) وهو كلام وجيه والاقيسة الاستثنائية التي طواها في كلامه واضحة لمن له ممارسة للمنطق وشرطياتها لا تحتاج لاستدلال لانها بديهية من الشريعة فلا حاجة الى بسطها . زاد ابن العربي فقال ويكفيك انها ليست من القرآن الاختلاف فيها والقرآن لا يختلف فيه اه وزاد عبد الوهاب فقال ان رسول الله بين القرآن بيانا واحدا متساويا ولم تكن عادته في بيانه مختلفة بالظهور والخفاء حتى يخص به الواحد والاثنان ولذلك قطعنا بمنع ان يكون شيء من القرآن لم ينقل اليه وابطلنا قول الرافضة ان القرآن حمل حمل وانه عند الامام المعصوم المنتظر فلو كانت البسملة من الحمد لينها رسول الله بيانا شافيا اه

وقد عارضه ابو حامد الغزالي في المستصفى فقال بقي كون البسملة من القرآن ايضا ان ثبت بالتواتر لزم ان لا يبقى الخلاف (اي وهو ظاهر البطلان) وان ثبت بالاحاد يصير القرآن ظنيا قال ولا يقال ان كون شيء ليس من القرآن عدم والعدم لا يحتاج الى الاثبات لانه الاصل بخلاف القول بانها من القرآن لانا نجيب بان هذا وان كان عدما الا ان كون التسمية مكتوبة بخط القرآن يوهن كونه من القرآن فهنا لا يمكننا الحكم بانها ليست من القرآن الا بدليل ويأتي الكلام في ان الدليل ما هو فثبت ان الكلام الذي اوردته القاضي لازم عليه اه وتبعه على ذلك الامام الرازي في تفسيره وقد صار مرجع استدلال الغزالي وفخر الدين الى رسم البسملة في المتصاحف وستكلم على تحقيق ذلك عند الكلام على مدرك الشافعي . وتعقب ابن رشد في بداية المجتهد كلام الباقلائي والغزالي بكلام غير محرر فلا تطيل به

واما الاستدلال من الاثر فجملة الادلة خمسة الاولى ما روى مالك في الموطا عن العلاء بن عبد الرحمن الى ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى قسمت الصلاة نصفين بيني وبين عبدي فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فاقول حمدني عبدي الخ والمراد بالصلاة القراءة في الصلاة ووجه الدليل منه انه لم يذكر بسم الله الرحمن الرحيم . الثاني حديث ابي بن كعب رضي الله تعالى عنه في الموطا والصحيحين ان رسول الله صلى

الحديث الشريف

باب الزكاة من الاسلام

وقوله وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة
اخرج البخاري (عن مالك بن انس عن عمه ابي سهيل بن مالك عن ابيه انه سمع طلحة بن
عبيد الله يقول جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل نجد نائر الراس يسمع دوي
صوته ولا يفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس
صلوات في اليوم والليلة فقال هل علي غيرها قال لا الا ان تطوع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصيام رمضان قال هل علي غيره قال لا الا ان تطوع وذكر له صلى الله عليه وسلم الزكاة قال هل
علي غيرها قال لا الا ان تطوع فادبر الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا انقص قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق) .

الشرح

بقلم العالم الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد بن يوسف شيخ الاسلام الحنفي

قد تقرر ان الكمال في الدين انما يحصل اذا حصل الاصل والفرع معا وهما الايمان والاعمال
فالاعمال بلا ايمان كسراب بقية يحسبه الضمئان ماء والايمان بلا اعمال مفوت للكمال ونستروح

الله عليه وسلم قال له الا اعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الانجيل مثلها قبل ان تخرج من
المسجد قال بلى فلما قارب الخروج قال له كيف تقرأ اذا افتتحت الصلاة قال ابي فقرأت الحمد لله رب
العالمين حتى أتيت على آخرها فهذا دليل على انه لم يقرأ منها بالبسملة . الثالث حديث انس في صحيح
مسلم انه قال صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وابي بكر وعمر فكانوا يستفتحون بالحمد
لله رب العالمين لا يذكرون بسم الله الرحمن الرحيم لا في اول قراءة ولا في آخرها . الرابع حديث
عائشة رضي الله تعالى عنها في صحيح مسلم قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلاة
بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين . الخامس وهو الحاسم عمل اهل المدينة فان المسجد النبوي
من وقت نزول الوحي الى زمن مالك رحمه الله صلى الله عليه وسلم اهل المدينة والامراء واهل
العلم ولم يسمع احد قرأ بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة الجهرية وهل يقول عالم ان بعض السورة
جهر وبعضها سر فقد حصل التواتر بان النبي وال خلفاء لم يجهروا بها ولو جهروا بها لم يبق خلاف .

لهذا بالجمع في التسيح بين التنزيه والحمد وفاقا لما قيل (وفي البدء من علم الختام حصول) وعلى ذلك الاصل العظيم نه القرآن الكريم في مواطن كثيرة وآيات متعددة (وان الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا) (رب هب لي حكما والحقني بالصلحين) (وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة) وهذه الآية هي التي عزز بها البخاري ترجمة الباب لمناسبتها للحديث . والمفسرين في تأويلها وجهان احدهما ان المعنى وما امر اهل الكتاب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين والتخصيص على هذا باهل الكتاب نظرا لاقرب المذكورين وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة . ولو جعلت الكناية للابعد لم يكن بعيدا فيعم اهل الكتاب والمبشرين لوجود الدليل على ذلك وهو ان كلا من الفريقين مأمور بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم على وزان ووهبنا له اسحاق وبعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب فان الضمير لسيدنا ابراهيم عليه السلام لكونه المتحدث عنه لا لاسحق ولا ليعقوب ولم ار من تعرض لهذا الاحتمال . الوجه الثاني ان المعنى وما امر اهل الكتاب في التوراة والانجيل الا ليعبدوا الله مخلصين وعليه اقتصر صاحب الكشف ثم قال فان قلت ما وجه قوله وما امروا الا ليعبدوا الله قال قلت معناه وما امروا بما في الكتابين الا لاجل ان يعبدوا الله على هذه الصفة اه وفي الجواب يأتى لكون صلة الامر مقدرة وان الامر بمعنى التكليف فيعم النهي وان الاستثناء من اعم العلل اي وما امروا بما في الكتابين لاجل شيء الا ليعبدوا الله مخلصين وكلا التأويلين على ان اللام لام الغرض وما بعدها علة للامر . وقد اختلف في تعليل الاحكام الشرعية فقال الرازي ان احكام الله كفاعاله غير معللة البتة لانه تعالى منزلة عن الاستكمال بالغير وقال الجمهور هي معللة بالمصالح والراجعة الى العباد قال ابو اسحق الشاطبي ان وضع الشرائع انما هو لمصالح العباد في العاجل والآجل قطعا بدليل الاستقرار الذي لا ينازع فيه الرازي ولا غيره . ان بيان الحكم والمصالح للاحكام المبثوثة في الكتاب والسنة اكر من ان تحصى فقد قال تعالى في البعثة وهو الاصل (رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (وما ارسلناك الا رحمة للعالمين) وفي الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وفي الصوم كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون وفي الوضوء ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم الى غير ذلك من الآيات والاحاديث . الدالة على ان الاحكام انما شرعت لمصالح العباد وان قصد الشارع من التشريع اقامة المصالح الدنيوية والاخرية وعلى ذلك استقوا قواعد القياس اه وبهذا التحقيق الذي قرره الشاطبي يتبين لنا ان نقول لا خلاف بين الرازي وغيره لان الرازي انما منع التعليل على وجه الاستكمال بالغير كما يصحح به مستنده المتقدم وذلك ما لا ينازع فيه الجمهور والجمهور يقولون انها

تعمل بالحكم والمصالح الراجعة للعباد وذلك ما لا ينزع فيه الرازي لانه تعليل لا على وجه الاستكمال كما يتبها ان نقول ان ما حنح اليه اهل الاصول من تفسير العلة في باب القياس بالعلامة المعروفة للحكم فرارا من التعليل مما لا حاجة اليه وان الاحسن ان يقال هي الحكمة او المصلحة المترتبة على الحكم ولقد دلت هذه الآية الكريمة على ما يجب ان يؤول به قوله تعالى وما خلقت الجن والانس اذ ليعبدون وهو ان الحكمة التي ارادها الله تعالى من خلق القلبن هو الامر بالعبادة لا العبادة نفسها والا لما تخلقت لاستلزام الارادة الالهية للراد كيف وقد تخلقت في الكثير بدليل المشاهدة والحس فالمعنى وما خلقت الجن والانس الا للامر بالعبادة وقد امروا فعملهم من امتل ومنهم من لم يمثل والقرآن يفسر بعضه بعضا وتاويل الآية بهذا المعنى هو المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما وتاويلها البيضاوي على التجوز في لام التعليل فقال لما خلقهم على صورة متوجهة للعبادة مغلبة لها جعل خلقهم مغيا بها مبالغة في ذلك اه يعني خلقهم على صفة مقتضية للعبادة حيث ركب فيهم عقولا وخلق لهم حواس ظاهرة وباطنة لو خلقت ونفسا عرفت صاحبها واتقادت له لوجود الاستعداد والتهيؤ كما يشير اليه حديث كل مولود يولد على الفطرة فنبه اقتضاء خلقهم على تلك الصورة للعبادة باقتضاء العلة الغائية للفعل واستعملت اللام فيما ليس علة للفعل على طريق الاستعارة التبعية مبالغة في الاقتضاء فالعبادة ليست هي الحكمة بل تشبيه بها وهذا طراز من البلاغة بديع في مقابلة استعمال اللام فيما يعقب الفعل وليس علة له لان هذه باعتبار الابتداء والاخرى باعتبار الانتهاء واني ارى تسمية هذه اللام بلام التهيؤ والاقتضاء كما سمو نظيرتها بلام العاقبة ولم تقف على هذا الضرب من التجوز بلام التعليل لا في اساطير النحاة ولا في كلام علماء البلاغة وكائين من وجه في العربية لم نعر عليه الا في غضون التفسير وقد اطلق البيضاوي لفظ الصورة على الصفة المعنوية كما تأول بذلك القاضي ابوبكر بن العربي حديث خلق الله ادم على صورته وفي رواية على صورة الرحمن فقال ليس لله خلق احسن من الانسان فان الله تعالى خلقه حيا عالما قادرا مريدا متكلم سميعا بصيرا مدبرا حكيما وهذه صفات الرب جل وعلا يعني من حيث مطلق الصفة والا فليس كمثل شيء قال وعن هذه الصفات وقع البيان بقوله صلى الله عليه وسلم خلق الله ادم على صورته اي على صفاته التي قدمنا ذكرها اذ ليس لله صورة مشخصة فلم يبق الا ان تكون الصورة معاني وصفات ثم ايد ذلك بما رواه عن ابي علي المحسن (هو ابن اخي المنصور) وهو ان عيسى بن موسى الهاشمي قال يوما لزوجته هي طالق ثلاثا ان لم تكوني احسن من القمر فاحتجبت وقالت وقع الطلاق اي لانها ليست احسن من القمر فبات بديلة عظيمة ولما اصبح غدا الى ابي جعفر المنصور وقص عليه الخبر فاحضر المنصور الفقهاء وسالهم عن ذلك فاجاب كلهم بوقوع الطلاق الا واحدا كان ساكنا فقال له المنصور ومالك لا تتكلم فقال الرجل بسم الله الرحمن الرحيم والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الامين لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم ثم قال يا امير المؤمنين الانسان احسن ما خلق

الله فقال المنصور لعيسى الامر كما قال . وبما فطر عليه الانسان من الاستعداد والتهيؤ لمعرفة الخالق كما اشار اليه البيضاوي مع ظهور الادلة قال ابو منصور الماتريدي وغلب العراقيين من اتباع ابي حنيفة بوجوب الايمان على الصبي العاقل لوجود التمييز ووضوح الآيات فسمه ذلت ابراج وارض ذات فجاج افلا يدلان على الحكيم الخبير ومن ثم شاع عن الماتريدي انهم يقولون بالحسن والقبح العقليين القائل بهما المعتزلة وتلك مسألة نقص عليك من انبائها امورا تتجلى بها الحقيقة ان شاء الله . الاول ان القائل بوجوب الايمان على الصبي العاقل هو الماتريدي وتلميذه من العراقيين لا الحنفية قاطبة . الامر الثاني ان ما شاع عن الماتريدي مخصوص بالايمان دون سائر الاحكام الفرعية . الثالث ان الماتريدي واتباعه انما صرحوا بوجوب الايمان على الصبي المميز ولم يصرحوا بان الحاكم بالوجوب هو العقل فيحمل على انه يجب شرعا ولا يتوقف عندهم على البلوغ لتحقيق الاستعداد بالتمييز وظهور الادلة بخلاف الاحكام الفرعية فلا غرو ان يكون خطاب التكليف بالايمان بمثابة خطاب الوضع لوجود ما يقوم مقام البلوغ وبعد ما لاح لي هذا رايت في شرح البزدوي التصريح بان الماتريدي وان قالوا بوجوب الايمان على الصبي العاقل لكنهم لا يجعلون العقل موجبا بل يقولون ان الموجب هو الله تعالى وهو عين ما قلناه فالحمد لله على الموافقة . وعليه فان الماتريدي كجمهور الحنفية على طريقة الاشعري وقصارى الخلاف ان الماتريدي لم يشترطوا في وجوب الايمان صفة البلوغ لظهور الادلة ووجود التمييز ولذلك حظ من النظر اما ما يقال بانه روي عن ابي حنيفة لا عذر لاحد في الجهل بخالقه لما يرى من خلق السماوات والارض وخلق نفسه وانه روي عنه ايضا لو لم يبعث الله للناس رسولا لوجب عليهم معرفته بقولهم فليس ذلك بثابت عن الامام لانه لم يوجد شيء من القولين في الفقه الاكبر الذي وضعه الامام في عقايد الايمان ولان ابن السبكي لم ينقل مسألة وجوب الايمان بالعقل عن ابي حنيفة في منظومته المشهورة التي حرر فيها المسائل الواقعة فيها الخلاف بين ابي حنيفة والاشعري ولم يذكر شيئا من ذينك القولين وذلك كله مما يقضي بطلان نسبتها الى ابي حنيفة ومع هذا فقد قال العلامة ابن امير حاج في شرح التحرير ان المقالة الاولى وهي لا عذر لاحد في الجهل بخالقه محمولة على ما بعد البعثة وان الوجوب في المقالة الثانية محمول على معنى انه ينبغي . وقوله مخلصين له الدين اي قاصدين بعبادتهم وجه الله وحده فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا حنفاء . يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك اي اخلاص العبادة واقامة الصلاة واتباع الزكاة دين القيمة اي دين الملة المستقيمة والاشارة هنا بصيغة البعد كالاشارة في قوله تعالى ذلك الكتاب لا ريب فيه قال صاحب الكشف فان قلت لم وقعت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى آلم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمتقضى في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول ذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا وقال تعالى

لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علي ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حيز البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك اه وحاصله ان المشار اليه وان كان قريبا لكنه في حكم البعيد لوجبهن احدهما التقضي والمتقضي بمنزلة البعيد والثاني وصوله من المرسل الى المرسل اليه والواصل كذلك بمثابة المتباعد هذا ما اختاره صاحب الكشف واختار صاحب المفتاح ان ايراد صيغة البعد للتعظيم تنبها على بعد درجة الكتاب في الهداية وقال الرازي للاشارة الى ان القرآن وان كان قريبا من حيث الالفاظ فهو بعيد من جهة الاسرار قلت ولا مانع من الجمع بين هذه المعاني ولا يخفى ان ما ذكره صاحب المفتاح لا يجري في مثل لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك اذ لا يظهر وجه لتعظيم المشار اليه اعني الفارض والبكر ومعنى لا فارض ولا بكر غير مسنة وغير فنية فحرف النفي جزء من الصفة على طريقة العدل عند المناطقة قال القاضي ابو عبد الله المقرئ (جد صاحب نفع الطيب ومن اشياخ ابن الخطيب) ان اهل المنطق يزعمون ان الاسماء المعدولة لا تكاد توجد في كلام العرب وهي موجودة في القرآن وذلك قوله تعالى لا فارض ولا بكر فان زعم زاعم ان ذلك على حذف المبتدأ وان لا داخله على الجملة والتقدير لا هي فارض ولا هي بكر قيل له ان كان يسوغ ذلك في هذا الموضع فانه لا يسوغ في قوله تعالى لا شرقية ولا غربية فصح ان الاسم المعدول موجود في فصيح كلام العرب . وقد وصف الله تعالى في هذه الآية المؤمنين الذين احرزوا على الكمال بالجمع بين الايمان والاعمال بانهم خير البرية وفي آية البقرة بالهدى والفلاح اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وفي ترجمة ابي عمران الفاسي احد علماء القيروان وصلحاتها في القرن الخامس ان رجلا قال انا خير البرية فهمت به العامة ثم حمل الى ابي عمران واخبروه بقول الرجل فقال له ابو عمران انت مؤمن قال نعم قال تصلي وتصوم وتفعل الخير قال نعم قال لا بأس عليك قال الله تعالى ان الذين ءامنوا وعملوا الصالحات اولئك هم خير البرية ومن اجل ان الكمال انما يحصل بالاعمال وصف النبي صلى الله عليه وسلم الرجل في الحديث بالفلاح اذا صدق فيما وعد به من العمل والامثال وذلك ان هذا الرجل جاء يسأل عن الاسلام اي عن احكامه ومشروعاته واخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والصوم والزكاة وقال الرجل في كل واحدة منها هل علي غيرها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا الا ان تطوع فرجع الرجل وهو يقول والله لا ازيد على هذا ولا اتقص فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم افلح ان صدق ولم تذكر في هذه الرواية بقية المشروعات اختصارا يدل على ذلك رواية البخاري في الصوم فقد جاء فيها فاخبره رسول الله بشرائع الاسلام وذلك شامل لبقية الفرائض وسائر المنهات وبذلك يندفع الاستشكل بانه كيف اثبت له الفلاح ولم يذكر له جميع الواجبات والمنهات . ثم الاستثناء اما متصل كما هو الاصل اي لا يجب عليك شيء اخر الا ان تشرع في تطوع فانه يلزمك اتمامه وبه استدل على لزوم الفعل بالشروع

كما هو مذهب أبي حنيفة ومالك رضي الله عنهما او منقطع اي لكن ان اردت ان تتطوع فذلك مستحب لك وبه استدل الشافعي على عدم اللزوم بالشروع وقد اتفقت كلمة شراح البخاري على ان حرف المسئلة دائر على الاتصال والانقطاع ولا اعجب من الحفاظ ابن حجر والقسطلاني في نسبة الاستدلال للحنفية بهذا الحديث بناء على الاتصال عجبي من العمي بل ومن الزيلعي في ذلك فان المستثنى عند الحنفية مسكوت عنه غير محكوم عليه بالقيض فكيف يمكن الاستدلال به على الوجوب وانما الدليل عندهم قوله تعالى ولا تبطلوا اعمالكم والاحاديث الواردة في الامر بالقضاء لمن افطر في صوم النفل المعارضة للاحاديث الدالة على اباحة الافطار في بسطة شريفة من مدارك الائمة رضي الله عنهم وبهذا يندفع الاعتراض بان الاتصال لا يدل على الوجوب وانما يدل على الفرضية الذي هو نقيض الحكم والحنفية لا يقولون بفرضية الاتمام بل بوجوبه وهما متباينان عندهم. وقول الرجل لا ازيد على هذا ولا انقص اي لا ازيد على المفروض ولا انقص منه شيئا وعلى هذا قيل ان الفلاح راجع لقوله ولا انقص خاصة لان رجوعه لقوله لا ازيد يقتضي انه اذا زاد لا يكون مفلاحا وليس كذلك والتحقيق انه راجع اليهما قال النووي لانه لما ثبت له الفلاح بعدم الزيادة كان فلاحه بالزيادة اولى وقال الطيبي يحتمل ان يكون المراد بهذا الكلام المبالغة في التصديق والقبول اي قبلت كلامك قبولا لا مزيد عليه من جهة السؤال ولا نقصان فيه من طريق القبول وقال ابن المنير يحتمل ان يكون المعنى لا ازيد على ما سمعت ولا انقص عند التبليغ لمن وراءني لانه كان وافد قومه جاء يتعلم ويعلمهم وهذا الاحتمال ناظر الى ان الرجل في الحديث هو ضممام ابن ثعلبة الذي خرج حديثه البخاري في باب القراءة والعرض على المحدث عن انس وان حديث الباب وحديث ضممام حديث واحد وبذلك جزم القاضي وابن بطال وءاخرين قالوا لان في كل من الحديثين ان الرجل بدوي وان كلا من الرجلين قال في آخر الحديث لا ازيد على هذا ولا انقص وخلاصة حديث ضممام انه وفد على النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة سنة تسع على الاصح بعثه قومه بنو سعد ليسأل عن الاسلام فقال للنبي صلى الله عليه وسلم اني سائلك فمشدد عليك فلا تجد علي في نفسك اي لا تغضب فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عما بدالك فقال اسالك بربك ورب من قبلك ءالله ارسلك للناس كلهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم قال انشدك ءالله امرك ان نصلي الصوات الخمس في اليوم واليلة قال اللهم نعم قال انشدك بالله ءالله امرك ان نصوم هذا الشهر قال اللهم نعم قال انشدك بالله ءالله امرك ان تأخذ هذه الصدقة من اغنيائنا فقسما على فقراءنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم نعم فقال آمنت بما جئت به وانا رسول من وراءني من قومي وانا ضممام بن ثعلبة اخو بني سعد وقد اتى الصحابة على ضممام هذا في تقديم الاعتذار بين يدي اسئلته التي كرر الاقسام فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ثم صرح بالتصديق اخيرا وذلك مما دلنا على عقل الرجل وحسن تصرفه حتى قال عمر ابن الخطاب

حديث من سئل عن علم فكتمه

هذا الحديث رواه أبو داود بسند رجاله من رجال الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة ورواه ابن ماجه بسند فيه ضعف عن أنس مرفوعا بمثل ذلك وعن أبي هريرة أيضا مثله بزيادة عن علم بعلمه ورواه ابن ماجه بإسناد عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما من رجل يحفظ علما فيكتمه إلا أتى به يوم القيامة ملجما بلجام من النار . ورواه أيضا بسند أكثر أهلهم من رجال الصحيح وفيه صفوان بن سليم وهو متكلم فيه عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله من كتم علما مما ينفع الناس في أمر الناس أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من النار . ورواه الترمذي عن أبي هريرة وقال حديث حسن وروى عن ابن مسعود وابن عمر وابن عباس وعمرو بن العاص مرفوعا بإسناد ضعيفة متفاوتة الضعف فهذا تحصيل القول في أفضل إسناده

معنى هذا الحديث

ظاهر هذا الحديث أنه عام في كل مسئول عنه وفي كل سؤال لأن قوله سئل فعل في سياق الشرط فيعم لأن للفعل حكم النكرة فيؤول إلى معنى كل من سئل بكل سؤال عن كل علم فكتمه ألجمه الله الخ ويستتبع ذلك عموم الأحوال والازمنة والإمكانة لأن العام في الذوات عام في الأحوال والأوقات والأماكن عند جمهور أهل الأصول خلافا للقرافي فظاهره يقتضي أن كل مسئول عن كل علم إذا كتم سائله عوقب يوم القيامة بلجام من نار وترتيب العقوبة على عدم الجواب يقتضي أن الكتمان كبيرة ويقضي أن ضده وهو جواب السائل عن علم واجب لأن النهي عن الشيء أمر بضده هذا ظاهر الحديث . وقد اتفق العلماء على أن هذا الظاهر غير مراد ووجه اتفاقهم على ذلك أن العقوبة

رضي الله تعالى عنه ما رايت أحدا أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام وقال ابن عباس ١٠ سمعنا يوافد قط أفضل من ضمام ابن ثعلبة واستفتح النبي صلى الله عليه وسلم أجوبته بقوله اللهم لما في المقام من الأهمية تأكيداً جارياً مجرى الاستشهاد ويحتمل أن يكون للدعاء بأن يوفق الله هذا السائل وقومه للقبول والعمل فإن الدعاء مطلوب خصوصاً في المهمات ومن عادابه أن يعزم الداعي المسئلة ويستيقن الإجابة ففي الحديث أنا عند ظن عبدي بي ومنها أن يترصد لدعائه الأوقات الفاضلة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من الليل ومنها أن يستفتح الدعاء بذكر الله وكان صلى الله عليه وسلم يفتح الدعاء بقوله سبحان ربّي العلي الأعلى الوهاب

تدل على كون ما ترتبت عليه كبيرة وقد دلت الأدلة الشرعية من المنقول والمعقول ان جواب العالم عما يسأل عنه ليس بواجب في جميع الاحوال وان كون الشيء ذنباً يقتضي ترتب مفسدة دينية على فعله ولا نجد في عدم اجابة العالم من يساله مفسدة في كثير من الاحوال فذلك هو الداعي لهم الى تاويل هذا الحديث اي حمله على غير ظاهرة جمعا بين الأدلة مما ورد عن الشارع وما استقرى من قواعد الشريعة قال ابو بكر بن العربي في عارضة الاحوذى هو محمول على خمسة اوجه الاول ان يعدم ذلك العلم ان لم يظهره (اي المسئول وذلك بان يكون منفردا بعلمه بين اهل تلك الجهة بحيث يتعذر ان يجيب عنه غيره الا في اقطار بعيدة) . الثاني ان يقع السائل في احموقه ان لم يجنبره . الثالث ان تفوت به منفعة (اي مصلحة دينية وهذه الوجوه الثلاثة في معنى الشروط لحزمة الكتمان وكلاهما مبنية على ان المراد بالعلم ظاهرة معنى وعموما فاطلاق اسم المحامل عليها في كلام ابي بكر بن العربي تسامح) . الرابع امتثال وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن سعيد الحذري (١) في قوله « ان الناس لكم تبع وان رجالا ياتونكم يتفقون او يتعلمون فاذا جاءوكم فاستوصوا بهم خيرا » وذلك هو التعليم . (يعني تعليم الذين جاءوا لقصص التصدي للتعلم والتفقه في الدين لانهم انما جاءوا ممتثلين أمر الله تعالى في قوله فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين . وحيث كان قوله طائفة يدل على ان طلب العلم في الدين فرض كفاية فكذلك تعليم طالبه هو فرض كفاية وهذا الوجه محمل للحديث مخالف للمحمل الاول مبني على ان المراد بالسؤال بعض ممانيه وهو طلب التعلم وذلك يقتضي وجوب التعليم دون وجوب جواب السائل ولهم في احكام التعليم تفصيل مذكور في تفسير قوله تعالى ان الذين يكتُمون ما انزلنا من البينات والهدى الآية (الخامس انه الشهادة) وهذا محمل مخالف للمحملين السابقين فيكون المراد بالعلم هنا خصوص العلم بما بين الناس من الحقوق وقد نسب ابن العربي في الاحكام والقرطبي في التفسير هذا التفسير لسحنون ويجري حيثن على حكم اداء الشهادة المذكورة في تفسير قوله تعالى ولا تكتُموا الشهادة ومن يكتنمها فانه اثم قلبه وفيه تفصيل وحاصل كلام ابن العربي راجع اما الى تقييد في العموم ببعض الشروط واما الى تخصيص عموم في السؤال او عموم العلم . وقال الخطابي في شرح هذا الحديث من تعليقه على سنن ابي داود « هذا في العلم الذي يلزمه تعليمه اياه ويتعين عايه فرضا كمن رأى كافرا يقول علوهني ما الاسلام وكمن يرى رجلا حديث عهد بالاسلام لا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها يقول علوهني كيف اصلي وكمن جاء مستفتيا في حلال او حرام يقول افوتني وارشدوني فانه يلزم في مثل هذه الامور ان لا يمنعوا الجواب عما سئلوا عنه من العلم فمن فعل ذلك كان اثما مستحتما لاوعيد والعقوبة وليس كذلك الامر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس الى معرفتها اهـ »

ومعناه ان كتمان العلم المسؤول عنه حرام اذا كان يترتب على السؤال عمل فيما يجب اعتقاده او ما يجب التعب به او في الاقدام على عمل من الاعمال المكلف بها السائل .

وحاصل كلامه تخصيص العموم الواقع في لفظ علم بالحالة التي يترتب على عدم الاجابة فيها اقدام على حرام بناء على ان التعليم انما هو وسيلة للعمل فلا يكون حكمه الا موافقا لحكم المتوصل اليه لان الوسيلة تعطى حكم المقصد هذا دليل تخصيص من جهة النظر ويدل لهذا التخصيص ايضا من الاثر رواية ابن ماجة من حديث ابي سعيد الخدري من كتم علما مما ينفع الناس في أمر الدين النخ . وقد عرف من هذا كله امور اخرى منها ما قال فخر الدين الرازي في تفسيره « اظهر العلم فرض على الكفاية لا على التبيين لانه اذا اظهره البعض صار بحيث يتمكن كل أحد من الوصول اليه فلم يبق مكتوما واذا خرج عن حد الكتمان لم يجب على البقية اظهاره مرة اخرى اهـ » وقال ابن العربي في الاحكام إن كان هناك من يبلغ اكتفي به وان تعين عليه لزمه ومنها ان يكون السائل اهلا لاستفادة ما سأل عنه اذا كان المراد بالسؤال التعلم لقول علي رضي الله عنه حدثوا الناس بما يفهمون أتريدون ان يكذب الله ورسوله وقد قيل ان هذا الكلام يرفعه علي الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عبد الله بن مسعود ما انت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان لبعضهم فتنة فان المعلومات مراتب منها ما تستطيع دركه عقول الجميع ومنها ما لا يفهمه الا الخاصة قال الغزالي في الاحياء سئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال له السائل اما سمعت قول رسول الله من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك الاجام واذهب فان جاء من يفقهه وكتمته فليجمني فقد قال تعالى ولا توتوا السفهاء اموالكم تنبئها على ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولى من حفظ المال وليس الظلم في اعطاء غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق .

وانشد

أ أنشردا بين سارحة النعم فاصبح محزوننا براعية الغنم
لأنهم امسوا بجهل لقدره فلا انا اضحي ان اطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه وصادقت اهلا للعلوم وللحكم
شكرت مفيدا واستفدت مودة والا فمخزون لدي ومكتنم
فمن منح الجهال علما اضاعه ومن منع المستوجبين فقد ظلم
انتهى كلام الغزالي

وهذا يقتضي ان يكون السائل معروفا عند المسؤول ليتبين له حاله من الاهلية لتلقي المسألة ومن التزيم عن قصد الفتنة والتشغيب .

ومنها ان يكون العمل بالمسؤول عنه متوقفا على جواب المسؤول فاما اذا فات العمل او تعذر التدارك فلا يجب الجواب اذ لم يبق الجواب وسيلة الى حكم شرعي من وجوب او تحريم ومثال ذلك

ما وقع من المعتمد بن عباد ملك قرطبة واشبيلية فانه اتاه سفير الازدغش ملك الجلالقة فاغلظ السفير في كلامه مع المعتمد فضرب المعتمد رأس السفير بمجرة فكانت بين يديه فقتله ثم احضر الفقهاء واستفتاهم في حكم قتل ذلك السفير وكان السفير يهوديا فهذا الاستفتاء في غير محله اذ كان عليه ان يستفتيهم قبل أن يقتله : ومنها ان يكون السائل طالبا معرفة عمل يخصه فاما اذا كان طالبا معرفة عمل غيره فذلك من العلم النافلة الذي اشار اليه الخطابي ومن الناس من يسأل عما عمله غيره ليتطلب بذلك عثراته اول التشغب عليه وذلك من التجسس المنهي عنه شرعا ومنها ان يكون العلم المسؤول عنه معلوما للمسؤول مأثورا عنده فان كان المسؤول مجتهدا فطريق علمه بالمسؤول عنه ظهور ادلته عليه وان كان مقلدا فطريق علمه به ان يكون له به نقل عن ائمة المذهب الذي قلده وبدون ذلك لا يجب الجواب دل على هذا ما ورد في حديث ابن ماجة عن ابي هريرة ما من رجل يحفظ علما فيكتمه الخ وقد سئل مالك رحمه الله عن اربعين مسألة فاجاب في ست وثلاثين منها بلا أدري . وقال القرافي في الفرق ٧٨ للعالم احوال : الاولى ان يكون مقتصرا على علم بعض مختصرات المذهب فلا يفتي بما فيها الا اذا تحقق انها مستوفية لما في المسألة من قيود ونحوها فيفتي بما فيها من غير زيادة ولا نقص بان يكون عين الواقعة المسؤول عنها لا انها تشبهها فلا يخرج عليها لانه قد يكون بين النظيرين فروق تمنع من الالحاق فيجب عليه الوقف الحالة الثانية ان يتسع تحصيله في المذهب بحيث يطلع على تفصيل المطلقات وتخصيص العمومات ولكنه لم يضبط مدارك امامه ضبطا متقنا فهذا يجوز له ان يفتي بجميع ما ينقله اتباعا لمشهور المذهب فاذا نزلت واقعة ليست مما يعرفه فلا يخرجها على نظائرها من محفوظاته ولا يقول هذه تشبه المسألة الفلانية لان ذلك انما يصح ممن احاط بمدارك امامه وادلته وقيسته وعلمه . الحالة الثالثة ان يستكمل شروط التخريج والاحاطة بمدارك امامه مع الديانة الوازنة والعدالة المتمكنة فهذا يجوز له ان يفتي في مذهبه بطريق النقل وطريق التخريج هذا حاصل كلامه وسله له ابن الشاط

ومنها ان لا يكون في العلماء من هو اضلع منه بتلك المسألة واقدر على الجواب واتقن وقد قال ابو موسى الاشعري لا تسألوني ما دام هذا الخبر بين اظهركم (يعني عبد الله بن مسعود) ومنها ان يكون قصد السائل الاستفادة دون إثارة الشغب ولذلك أمر عمر بضرب صبيغ الذي كان يسال اهل العلم عن مشابهات القرآن قال القرطبي وكذلك لا يجوز تعليم المبتدع الجدل والحجاج ليجادل به اهل الحق ومنها ان يكون المسؤول واثقا بمرتبة العلمية واضعا نفسه حيث وضعه الله تعالى بحيث يشهد له الناس بالعلم ويظن بنفسه الاصابة فيما يسال عنه الا احتمالا مرجوحا قال مالك رحمه الله لا ينبغي للعالم ان يفتي حتى يراه الناس اهلا لذلك ويرى هو نفسه اهلا لذلك .

ومنها ان لا يكون الجواب عن المسألة يشير فتنة لقصور الناس عن ادراك امثالها ولم يزل الائمة

التأليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التأليف

وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ
محمد عبد الحي الكتاني الشريف

« ٤ »

حرف الميم

مولد السيد مرتضى هو الشيخ الصالح الصوفي السيد محمد مرتضى ابن اخي الامير عبد القادر الجزائري الشامي المتوفى عام ١٣٢٢ له مولد مشهور اوله احمدة تولى على ما انعم به علينا واولاده طبع بالشام عام ١٣٢٦

« مولد المغربي » هو العالم الصالح الشيخ محمد المغربي دفين اللاذقية بالشام اوله الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله الخ في المكتبة الكتانية منه نسخة نفيسة بخط السيد محمد بن

يجتنبون الخوض في دقائق العلم بين العامة ففي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس عن عبد الرحمان بن عوف انه قال له لو رأيت رجلا اتى عمر بن الخطاب في اخر حجة حجا فقال يا امير المؤمنين هل لك في فلان يقول لو قد مات عمر لا يابعن فلانا فما كانت يعة ابي بكر الا فليته فتمت فغضب عمر ثم قال اني لقائم ان شاء الله العشية في الناس فمحذرهم فقلت يا امير المؤمنين لا تفعل فان الموسم يجمع رعاك الناس وغوغاهم فانهم هم الذين يغلبون على قربك حين تقوم في الناس وانا أخشى ان تقوم فتقول مقالة فيطيروها عنك كل مطير وان لا يعوها وان لا يضعوها على مواضعها فامهل حتى تقدم المدينة فانها دار السنة فتخلص باهل الفقه واشراف الناس فتقول ما قلت متمكنا فيعي اهل العلم مقالتك ويضعوها على مواضعها فقال عمر اما والله ان شله الله لا قومن بذلك اول مقام اقومه بالمدينة اه وقد حدثت في خلافة المامون فتنة الخوض في ان القرءان مخلوق والقيت الاسئلة على كثير من اهل العلم فكان منهم من ابى الجواب ومن هؤلاء الامام احمد بن حنبل وقد ضرب ليجيب فابى الجواب وما كان ذلك جهلا منه بالفصل بين الموصوف بالمخلوق والموصوف بالقديم ولكنه علم ان المقصود الفتنة ليتخذوا كلامه وسيلة لتأييد البدعة ولما دخل محمد بن اسماعيل البخاري ليسابور سالوه عن رأيه في القرآن أهو مخلوق فابى ان يجيب ثلاثا وقال الامتناع بدعة ثم لما ألجوا عليه أجلب بكلام موجه فابايت الجواب ابتداء لا تعد من كتم العلم المنهي عنه لانه علم ان المقصود الفتنة والتشغب وقد جاء رجل يسال مالكا بن انس رحمه الله عن قوله تعالى الرحمان على العرش استوى فقال له السؤال عن هذا بدعة ولا اراك الا صاحب بدعة وامر باخراجه من مجلسه فاخر جوة معنفا

هذا ما لاح في الاعلام بمعنى هذا الحديث وبه يتميز السمين من الفئث قاله محمد الطاهر ابن

عاشور شيخ الاسلام المالكي

مصطفى العجائب تم نسخها عام ١٢٦٥ وقد قال عن هذا المولد الشيخ النهاسي هو من ابلغ وافضل المواليد وقد جمع الشيخ فيه بين روايات المحدثين وعبارات الصوفية المحققين
« مولد الشيخ محمود » بن محفوظ الدمشقي الشافعي وهو منظوم «ابع بالمطبعة الخيرية ص ١٢
أوله ❁ حمدا لرب خالق الاكوان ❁

« مولد الحجاجي » هو الشيخ عبد الحافظ الحجاجي المصري بمفتي مديرية الغربية بالقطر المصري سابقا له مولد اوله الحمد لله الذي خلق من نورة الافخم نور عبدة وحبيه الخ وهو مشتمل على فصول ١٢ وخاتمة طبع بالمطبعة الحميدية المصرية عام ١٣١٦
« مولد محمد المنير » رايت من عزاله مولدا وكأن المراد به العالم الصوفي الشمس محمد المنير المترجم في عجائب الاثر للجبرتي ورحلة ابن عبد السلام الناصري

« مولد محمد العربي » هو محمد بن حمزة العربي الواعظ له مولد ذكره له في كشف الظنون
« مولد الحنش » هو شاعر فاس ابو العلاء ادريس بن علي السناني الغرابوي الفاسي المتوفى بها عام ١٣٢٢ كان ماهرا في الملحون والموزون شعرة في كل منهما في مجلد . له مولد ملحون عجيب السياق يحفظه الناس

« مولد بربري » باللغة البربرية سمعت البربر يسردونه بلغتهم وهو اذا ترجم آية
«مولد ازكي المخلوقات» اتى محمد خير الدين الميقاتي الجاوي كل شطر بمفرده تاريخا هجريا لعام ١٣٢٦ تبركا بوصول الخط الحديدي الحجازي الحميدي الى المدينة المنورة وابتهاجا بجعل الحكومة شوري اوله نحمدك اللهم يا من امد هذه الكائنات بنور سيد الموجودات ذكر في طالعته انه لما كان من اجل العادات تلاوة قصة المولد تبركا باشراف سناء هذا الدين قد بادرت عندما استقزني الطرب بقرب انتهاء الخط الحجازي ان اتشرف بنظم مولد شريف يحتوي على مائة واربعة وثلاثين تاريخا هجريا بعضها باعتبار اللفظ وبعضها باعتبار الرسم توسعا بصحة المذهبين اوله

احمد رب الخلق مولانا القديم جل قدرا يرتقى فوق الدوام

١٨٤ ١٢٨ ٧٠٦ ٢٠٢ ٥٢ ٨٧ ١٨٦ ٧٢٠ ٣٠٥ ٣٣

وهو شكل غريب في الموالد وقد طبع بالمطبعة الاهلية بيروت عام ١٢٢٦ - في ص ١٦ مذيلا بتقارض جماعة نعرفهم من ادباء طرابلس الشام كالنقيب السيد عبد الفتاح الزعبي لقيته بيروت عام ١٣٢٤ والشيخ عبد المجيد المغربي لقيته بطرابلس عام ١٣٥١

« المقامات العلية » في النشأة الفخيمة النبوية للشيخ محمود بن محمد احمد خطاب السبكي المصري شارح سنن ابي داود المتوفى عام ١٣٥١ - اوله الحمد لله الذي جعل الاب ابنا والابن ابا والسابق لاحقا واللاحق سابقا ولا عجب طبع بمطبعة السعادة المصرية في صفحات ١٤٤

« مولد البديري » هو المحدث المسند الصوفي ابو حامد محمد بن محمد البديري الدماطي الشافعي سماه اظهار السرور بمولد النبي المسرور اتمه عام ١١٥٦ بمكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية منه نسخة أتمها كاتبها عام ١١٥٣

« مولد ابن عبد المعتال » هو الشمس محمد بن رجب بن عبد المعتال بن موسى بن احمد الحسيني الشافعي في مكتبة المجلس البلدي بالاسكندرية منه نسخة

« مولد الجارم هو ابو اسحاق ابراهيم الجارم الرشيدى له مولد مخطوط كتب عام ١٢٨٤

« مولد البنا » هو العلامة الصوفي المسند الشيخ محمد بن صالح البنا الرشيدى الاسكندري مفتيا اتمه عام ١٢٦٩ - منه نسخة في المكتبة اعلالا كتبت عام ١٢٩٣

« مولد الايباري » هو العلامة قاضي نثر الاسكندرية ابو زيد عبد الرحمان الايباري سماه القلادة السنية في المولد الشريف والاجداد المحمدية طبع ببلاق ١٣١٥ - في حياة المؤلف

« مولد ابن عقيلة » المكى هو العلامة المحدث المسند الرحال الشمس محمد بن احمد ابن عقيلة المكى المتوفى سنة ١١٤٣ - له مولد أسماه (مولد البشير الذير والسراج المنير) طبع بمصر عام ١٣٠٧

« مدارج الصعود » الى اكتساء البرود انظر مولد البرزنجي

« موعود الكرام » انظر الجعبري في حرف الجيم

« مواكب الربيع في مولد الشفيح » لنادرة المتأخرين المصريين الشهاب احمد بن اسماعيل الحلواني الدماطي المتوفى عام ١٣٥٨ - هذا المولد هو اكبر مواليد المتأخرين جرما واوسعا علما واجودها بحثا اوله الحمد لله الذي فتح اقفال كنز الوجود ورتبه على مواكب بحيث لكل ليلة من ليالي المولد الشريف موكب نبوي الموكب الاول في بيان ما في الآيتين اآخر برامة من الرقائق الثاني في اولية خلق النور المحمدي وقد طبع بمصر في قريب من ثلاثمائة صحيفة بالحروف الدقيقة

« المنظر البهي » في طالع مولد النبي وما يتبعه من اعمال المولد وحكم القيام عند ذكر مولده عليه السلام للعالم الصوفي الشيخ محمد بن خليل الهجرسي الازهري المصري المدني الشافعي وهي رسالة نقيسة اولها حمد لمن على هذا الوجود بانفس النفائس المودعة في خزائن الجود ذكر ان الحامل له على جمعه سؤال بعض السادة من مال باعلوي عن تعيين الطالع الذي ولد فيه صاحب النور الساطع وما هو الكوكب الذي قارنه بدور بدره وبابى منزل كان وقته لتعرف حقيقة امره وهي مطبوعة بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٢١٢ في صفحات ١٨

« مورد الصفا » في مولد المصطفى لمفخرة الحجاز وعلامته في القرن الحادي عشر الشمس محمد على بن علان الصديقي المكى المتوفى بمكة عام ١٠٥٩ - وهو شارح الاذكار ورياض الصالحين وغيرهما اوله احمد بن اجري بحار أطافه فكانت مورد اللطف جاء في طالعته جمعت في مولده احسن

مجموع فجاء جمعا صحيحا سالما وهذا الشرف المجموع وهو احسن مولد ينبغي اشهاره من جهة الاسناد والتخريج والاختصار والافادة وهو في نحو ثلاثة كراريس انه مؤلفه جبل ابي قبيس من مكة ١٠٣٩

« مورد الصادي » في مولد الهادي للحافظ محمد بن ناصر الدين الدمشقي في كراسة ذكره له السخاوي في الضوء وغيره ولم اقف عليه

« المولد الروي » في المولد النبوي لعالم مكة ابي الحسن علي بن سلطان القاري المكي الحنفي المتوفى سنة ١٠١٤ شارح المشكاة والشمالك والشفاء ذكره صاحب كشف الظنون في المكتبة السلطانية بمصر نسخة منه اوله الحمد لله الازلي الابدئي على ما اضاءه النور الاحدي وهو في نحو ثلاثة كراريس « المورد الروي » في المولد النبوي للعالم العارف الكبير الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن علي البكري الصديقي المصري المتوفى عام ١١٦٢ - لم اقف عليه وانما وقفت على اختصاره انظر حرف الواو « المورد البهي » في المولد النبوي لحافظ الدنيا الامام عبد الرحيم بن الحسين العراقي الانري المصري المتوفى بمصر عام ٨٠٦ في المكتبة الكتانية منه قطعة اولها الباب السادس في تاريخ ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم ثم الباب السابع في المكان الذي ولد فيه ثم الباب الثامن في تسميته به محمد واحمد ثم الباب التاسع فيما ظهر من الآيات لمولده عليه السلام ثم الباب العاشر في رضاعه وما ظهر لذلك وما يتصل بذلك من شق الصدر وهذه القطعة منه هي بخط احمد بن ابراهيم الخطابي اكملها سنة ٨٦٨ وهذا المولد من النفائس المستجادة لكونه بقلم هذا الحافظ الكبير ولانه من اخر موالد اهل القرون الوسطى رايناه يعتمد على سياق الاحاديث باسانيدها فهو من الموالد التي يتعين السعي في نشرها بالطبع ليعم الانتفاع بها ويبلغم الذي يصرح بان كل المواليد مملوءة بالخرافات والقصص فوجود اخبارها مسندة بقلم الحفاظ الكبار مقنع والحام لاصحاب الزيغ والروغان

« الموارد البهية » في مولد خير البرية لمؤرخ المدينة المنورة ومسندها وعالمها الامام ابي الحسن علي نور الدين السعودي الشافعي المتوفى ٩١١ - اوله الحمد لله الذي اطلق في أفق الجلالة نور الوجود الخ وهو مطبوع بالاستانة وهو من المواليد الجيدة الجديدة بالاعتناء

تنبيه

جاء في الجزء الاول صحيفة ١١ سطر ٢١ ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبني

وصوابه والمنكر باسقاط البني

الفتاوى واللامعات

ليلة القدر

ارسل الينا حضرة العالم المصلح الكبير الشيخ محمد الحجوي وزير المعارف بالدولة المغربية سابقا بنص السؤال والجواب الآتين . ونحن ننشرهما مقدرين له عليه وفضله :

سئل كاتبه المعترف بقصوره ونص السؤال

هل ليلة القدر التي هي خير من الف شهر خاصة بهذه الامة المحمدية . وهل تتقل في السنة كلها ام لا . وما وجه قيام الناس في رمضان باحياء الليالي الاوتار من العشر الاواخر كلها فهل لذلك اصل . وما هو المرجح من حيث الدليل في امرها

اجيبوا مأجورين أجر من قام بواجب تبليغ العلم والدين وتثرونه في نشرة يعم نفعها بين المسلمين . والله يبيحكم للدين واهله

الجواب :

ان ليلة القدر قد حكى فيها الحافظ ابن حجر في فتح الباري اقوالا كثيرة تنتهي الى ٤٨ قولاً . ولكنها عند التمحيص بالقرينة الفنية لا يستقيم الدليل الذي له وجه من النظر في الجملة لعشرها . وتتبع ذلك يطول . ويعلمه من له المام بصنعتي الحديث والاصول

وبوجه الاختصار ان كل قول بكونها تدور في السنة او تقع خارج رمضان مناقض في نظر ظاهر القرآن . قال الله عز وجل :

(انا انزلناه في ليلة القدر) وقال (شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن) فالاولى نصت على ان القرآن انزل ليلة القدر . والثانية نصت على ان القرآن انزل في رمضان . وبضم مدلوليهما ينتج ان ليلة القدر في رمضان ولم يبق التفات الى كل ما يخالف ذلك من الاقوال واسترحنا من هوسه ولا سيما عند المالكية الذين من اصول مذهبهم تقديم ظاهر القرآن حتى على الحديث الصحيح الصريح ان هذا الدليل وان لم اقف الآن على من نص عليه . فسلفى فيه علي كرم الله وجهه الذي ركب آيتين وهما (والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين) و (حمله وفصاله ثلاثون شهرا) فاستنتج منهما ان اقل الحمل ستة اشهر ويسميه الاصوليون دلالة الاقتران . وهو استخراج مدلول من مجموع دليلين لا يستقل به واحد منهما . فان قلت ان القرآن تكلم على فرد من كلي وهو ليلة

معينة نزل فيها القرآن وكلامنا في الليالي بعدها . الجواب ان بمثل هذه الابحاث الفارغة والفلسفة البيزنطية ضخم الفقه وصعب فانتشر الجهل . وان تخصيص الآية بليلة معينة وتصر الفضل عليها لا بد له من مخصص . وان الاصل ان ما جرى على تلك الليلة يجري على غيرها قياسا او نسا ولو عملنا بهذه الفلسفة لما وجب صيام غير ذلك رمضان المعين

ثم انا تصفحنا احاديث الصحيحين اللذين هما عمدة الدين . فوجدناها دائرة على ان ليلة القدر تلتبس في العشر الاواخر من رمضان . ولم نجد بهما حديثا مرفوعا مصرحا بانها في غيرها وذلك كاف في ضعف ما سوى ذلك من الاتوال

منها حديث أبي بن كعب في مسلم انها ليلة سبع وعشرين . ولكن بتأمله يظهر ان القدر المرفوع منه انه صلى الله عليه وسلم وقع له تعيينها ليلة سبع وعشرين والسياق يدل ان ذلك كان في سنة من السنين وليس هو دائما في كل سنة ولا في المرفوع من الحديث ما يدل له وان فهمه الراوي ومنها حديث عبد الله بن أنيس في مسلم انها ليلة ثلاث وعشرين ومنها حديث ابي سعيد الخدري في الصحيحين انها ليلة احدى وعشرين ثم ان حديث ابي بن كعب جعل لها علامة وهي طلوع الشمس بضاء نقية وحديث ابن انيس وابي سعيد جعلاهما نزول المطر . وهاتان العلامتان لا يمكن عادة اطرادهما . في كل ليلة سبع وعشرين واحدى وعشرين وثلاث وعشرين اذ ظهور قرص الشمس دون غيم ونزول المطر قد يكون في تلك الليالي وقد لا يكون لتبدل الفصول في السنة القمرية مع اختلاف الاقطار والشرعية عامة فادعاء اطرادهما يخالف المحسوس ويرده المعقول وليلة القدر لا بد منها كل سنة وذلك كاف في خطأ من عنيها في واحدة من الليالي الثلاث خاصة بها كل سنة ووجب علينا عدم تقليد ذلك الاجتهاد والاقصاء على القدر المرفوع من الاحاديث الثلاثة . وانها وقعت معينة زمن . النبي ص في سنة سبع وعشرين وجعلت لها تلك السنة علامة خاصة لتلك السنة بوحى منامى او غيره ۞ كما وقعت سنة اخرى في ليلة ثلاث وعشرين وفي اخرى في ليلة احدى وعشرين وجعلت لهما علامة خاصة بالسنتين وهي المطر ولا يلزم اطراد ذلك كل سنة .

ثم نظرنا في الصحيحين فوجدنا في بعضهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتكف في العشر الاول راحيا مصادفتها . ثم اعتكف في العشر الثانية فقلل له ان الذي طلبه امامك . فاعتكف في العشر الثالثة . وكان ذلك اخر ما عمل . فعلنا انها فيها ۞ وانها تنتقل فيها خاصة .

كما اتنا وجدنا في الصحيح ارقبوها في العشر الاواخر في الوتر . فقلنا انها في الوتر ارحى من الشفع . وان ورد في الصحيح ما يدل على انها تكون في ليلة اربع وعشرين ووجدنا ابا سعيد فسر حديثه في بعض روايات مسلم بما يقتضي انها ليلة اثنتين وعشرين ۞ وذلك كله لا يخرجها عن العشر الاواخر .

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية سابقا

سؤال : هل الدين فوق العقل والعلم كما يقول غيرنا (غير المسلمين) او العقل والعلم فوق الدين فيؤدي الى التحسين والتقيح العقليين وهو مذهب اعتزالي
لقد اشكلت علينا اصول وفروع في الشريعة الاسلامية المطهرة فمنها ما يقتضي ان الشرع الحمدي مبني على الاصل الاول ومنها ما يقتضي انه مبني على الثاني احببوا .أجورين
ان هذا السؤال رفع الي في السنة الفارطة وكنت اجبت عنه في محاضرة القيت لمخضها بمكناس
اول قعدة الحرام ١٣٥٤

وكانت تلك المحاضرة تأليفا في اكثر من ثمانين صفحة فرايت الآن ان الحضا هنا وفقا لرغبة من رغبوا في ذلك مع تصرف بزيادة ونقص يسير وتغيير اسلوب . فاقول ان هذه مسألة من أهم

فهذا عندي يمكن الجمع بين الاحاديث الصحيحة كلها والغاء ما سواها . وفك المعضلة وينعدم الخلاف الذي هو شر على الدين . اما حصرها في العشر فتخفيف من الشارع ورأفة بالضعفاء ومن لا يقدر على احياء السنة كلها : اذ لو كانت تدور فيها لما حصل ادراكها الا بقيام ثلاثمائة ليلة ونيف وخسين . على ان بعض الليالي قد نهينا عن قيامها ولن يشاد الدين احد الا غلبه . وقد خاطب النبي صلى الله عليه وسلم الفقهاء بقوله انما بعثتم ميسرين . وبهذا تبرز مستند احياء الليالي الاوتار الخمس . واعتمدوا في زيادة الاعتناء بليلة السابع والعشرين على حديث ابي بن كعب الذي كان يقسم اجتهادا منه انها فيها وجلالته عليها وديننا تعلمونها من ترجمته . اما ليلة القدر فليست خاصة بهذه الامة لحديث النساء عن ابي ذر مرقوعا الدال على انها للانباء وامهم . وهو يضعف بلاغ الموطن ان النبي صلى الله عليه وسلم تقاصر اعمار امته عن اعمار الامم الماضية فاعطي ليلة القدر . هذا ما عن لهذا القاصر في جوابكم فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمني وعذري الاستعجال وكثرة الاشغال

ولا بد ان ازيد على السؤال . ان ما يقع من اسراج المساجد بدعة . وان اجتماع الناس لما سوى الصلاة والعبادة برفع الاضواء بل والتجاهر بالمنكرات يجب تغييره . لانها بيوت اذن الله ان ترفع . وخير امور الدين ما كان سنة . وشر الامور المحدثات البدائع .

حرره بالرباط في ٦ رمضان ١٣٥٦ خادم السنة

محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي الجعفري

مسائل الدين والاجتماع بل من المشكلات التي يهتم عموم المسلمين في سائر المعمور حلها وعنها وبها يحصل حل معضلة من معضلات المدنية العصرية

فلقت وقفت على مقالات منشورة في مجلات وجرائد الاسلام بالشرق والغرب تلوح على سيماها الحيرة قائلة كيف ان الاسلام لما بلغ من الكثرة والانتشار على بسطة الاراضي الغنية المتصلة من اقصى الشرق الى اقصى الغرب في اسيا وافريقيا وفي غيرها حتى ناهز الاربعمائة مليون عند ذلك ظهر ضعفه ومرج امرة وصار عالة على غيره ولحقه من الهوان ما لم يلحق اي امة اخرى قبله ولو امة اسرائيل الضعيفة

ان امة اسرائيل لها عذر القلة والتشتت في بقاع المعمور اما الاسلام فبخلاف ذلك كله فلا عذر له بل امة اسرائيل طمعت الآن ان تكون من جملة فاتحيه ومستعمري بقاعه المقدسة وكثير من اصحاب تلك المقالات يصرح او يشير الى ان لاسبب لذلك سوى التمسك بالدين المخالف للعقل والعلم، وممن صرح بذلك مؤلف كتاب (مصطفى كمال) «١» الذي طعن الدين في الصميم بل جميع الاديان وشنع على اصوله بانها غير موافقة للعقول بل هي ضد العقل وضد العلم وعلى فسروعه بانها ضد مصلحة الامة وضد الترقى والتطور وانما هي جمود على عادات العرب الصحراويين وعقليتهم التي لا توافق انواق الامم الاسلامية الراقية سواهم

وانهم اتوا بدين موافق لذوقهم الفاسد (في ظنه) وعوائدهم المبنية على مألوفات الصحراء وعلى التوحش وفرضوها فرضاً على كل من دخل في دينهم طوعاً او كرهاً من الامم العريقة في المدنية . كما طعن في سائر النبوات ولذلك رأى ان الواجب على امة تريد النهوض نبذ الدين ونبذ العقلية العربية بل الشرقية ورأى ان المدنية الحقيقية كتلة واحدة توخذ كلها باجمعها او تترك باجمعها ولا تتجزأ وأن المدنية في زعمه هي العقلية الاروبية والمدنية الغربية فتؤخذ بما فيها من معتقدات وعادات صالحة او فاسدة وتقلد تقليداً اعمى (يعنى لتصير الامة لادينية) الى غير هذا مما اطال به من المطاعن التي يهتدي المبتدئون الى فسادها بمجرد ما عندهم من تعاليم ابتدائية وعلوم ضرورية في اكثر نقطها

ثم اني لم ار احداً من علماء الاسلام رد عليه ونقض ما ابرمه مع انه من اكد الواجبات نعم هناك نقطتان مهمتان لا يهتدي لردهما الا من له تعمق في درس الشريعة الاسلامية واقتدار على نقد ما الصق بها مما ليس منها

«١» لم اقف على هذا الكتاب بعينه وانما وقفت على كتاب معضلات المدنية لاسماعيل . ظهر طبع مصر الذي نقل ، اخر فطائع طومونه ولم يرد عليه بل يظهر عليه القبول والرضى ه مؤلف

النقطة الاولى

كون فروع الشريعة الاسلامية غير موافقة لمصلحة الامة ولا صالحة لعموم الامم الاسلامية المختلفة الاقطار والاجواء والعادات والافكار وهذه المسئلة سبق مني ان اشبعت القول في كثير كلياتها وجزئياتها في كتابي الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي في مواضع منه

- ١ - التمهيد الثالث اول الكتاب
- ٢ - مبحث اصل القياس واسرار التشريع
- ٣ - تاريخ نزول بعض الاحكام كتعدد الزوجات والطلاق
- ٤ - ترجمة ابي حنيفة
- ٥ - اصول الحنفية
- ٦ - مبحث الاجتهاد والتقليد

وفي كتابي ايضا تعليم الفتيات لاسفور للمرأة

ومن جملة ما يتعلق بهذا المبحث زعمه ان القرآن منعت ترجمته الى لغات الامم التي دخلت الاسلام ثم كلفت بالعمل به وذلك مخالف للمعقول وهذا صدرت مني فيه فتوى عام ١٣٥٠ طبع في مجلة المغرب العربية بالرباط عام ١٣٥٢ بنقض فكرته وانه لا مانع من ترجمة القرآن العظيم بل تجب وجوبا كفايا وقد اكتفيت بما سبق مني في الكتب الثلاثة المذكورة فهي كافية في الرد عليه قبل ان اسمع بوجوده

النقطة الثانية

كون الشريعة ضد العقل والعلم وانها تكلف الناس اعتقاد ما يضاد العقل وان يعملوا خلاف ما يقتضيه العلم العصري الحديث وهذه المسئلة من اعوص المسائل حلا ولم اقف على من الف فيها تاليفا يتسبع فيه فروعا واصولها ويأتي ببرهان واضح على نقض ما ابرمه اهل الاتحاد ورد جناباتهم على الاسلام وفي نظري انه واجب على علماء الامة الاعتناء بها وتخصيصها بتأليف برهاني يزيل عن عقول الامة وعقول الناشئة الاسلامية سحب الشكوك والاهام . لذلك تصديت في هذه المحاضرة لاقامة البراهين على حل هذه المضلة وتبرئة الاسلام من وصمتها

ولعلك اذا امعنت النظر فيما سأورده من الادلة والبراهين على نقض هذه الشبهة وانباتها بدليل واضح لا يقبل التشكيك انه لا يوجد في الاسلام عقيدة واحدة بل ولا فرع واحد مبني على ما يضاد العقل او يناهض العلم بل ستمر امامك ادلة « ١ » وبراهين لا يقبل التشكيك تبين لك قبح

ذلك وتثبت لديك ضرورة ان الاسلام دين موافق للعقل معاضد له وانه دين العلم دين مبني على تحرير الفكر من قيد التقليد غير مضاد لشيء من قواعد العلم الصحيح الثابتة على اساس الامتحان العلمي وبذلك يتبين لك ان مؤلف كتاب (مصطفى كمال) جاهل بدين الاسلام غير متذوق له ولا شم رائحته الحقيقية

وإنما سمع الرهبان والملحدون اصداد الاسلام يقولون شيئاً فقالوا تعقيلاً في حال انه ينكر التقليد وبعينه

تنقيح

قبل الشروع في جواب السؤال لابد من تحديد الفاظ في السؤال وهي : الدين ، العقل ، العلم ، ثلثا يبقى اجمال ويكون الجواب مطابقا

الدين

ليس المراد بالدين ما اطلق عليه في حديث البخاري ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم . بل المراد اصول الدين من كتاب وسنة واجماع يعني مدلولاتها القطعية فاذا دل احد اصول الدين على مدلول دلالة قطعية . ثم عارضها امر عقلي قطعي او علمي قام البرهان الحسي والامتحان العلمي على صحته والجزم به

العقل والعلم

ليس المراد بالعقل في السؤال جوهره اللطيف الذي به يدرك الانسان ويستنتج المجبول من المعلوم بل المراد القضايا والاحكام التي دلت البراهين العقلية على اثباتها اثباتاً قطعياً لا يحتمل النقيض اما مستقلاً وحده بشعوره الفطري ككون الواحد نصف الاثنين واستحالة اجتماع النقيضين او بواسطة استعادة الحس او تجربة او عادة استنادا يسلمه العلم والاختبار او المشاهدة لا يمكن ان يتغير النظر في ذلك او يختلف الدليل مع طول الازمان وتغير الاحوال بحيث ان العقلاء امتحنوا ادلته امتحاناً علمياً قطعياً فدل الامتحان على ان الدلالة يقينية لا شك يحصل في صحتها او الغلط فيها او تغييرها بتغير الاحوال * هذا المراد بالعقل والعلم في السؤال .

ولا يكفي في قطعية الدلالة ان يجيء احد فلاسفة اليونان او الهند او الاسلام فيما سبق او اوربا او امريكا الآن فيؤسس نظرية عقلية او علمية يجزم بانها قطعية فيتلقاها عنه تلاميذه بالقبول وتشيع في العالم مع شيوع جلالة القائل ويعطبها على جزئيات عديدة فتطبق وتسلم من لدن جماعة وتصير (١) فقها مسلماً

(١) كنولد الانسان عن الفرد الذي افترضه داروين واخذت تلاميذه واعتقدوا واقفا وارادوا به هدم اساس الديانات مع أنه افترض فقط لم يعم عليه اي دليل مدقق وكذلك انكار ما وراء الحس فقد لهج الادبيون بهذه النظرية واعتقدوها قطعية ثم قامت الادلة القاطعة على اثبات الروح ومشاهدة آثارها وثبوت ما وراء المادة من لدن علماء متقنين فبطلت ه مؤلف

فليس ذلك طريق اليقين بل - طريقه الامتحان العلمي امتحانا يثبت لنا القطع بما دلت عليه لا يحتمل التغير في اي وقت كان وتنطبق على جميع الجزئيات لا تشذ منها واحدة .
 اذ ان الانسان كيفما كان عرضة للغلط ولا زلنا نرى كل يوم اصلاح اغلاط في قواعد الفلاسفة العظام زعموا بناءها على المشاهدة من المتقدمين والمتأخرين في الفلك والكواكب وصورها وسعتها وعدد النجوم السيارة وكيفية سيرها وابعادها ومقدارها وكيفية حركاتها بل وفي طبائع الادوية والعلاجات الطبية وغير ذلك مما هو مشاهد حتى ان الارض مع كونها كرية الشكل وقامت الادلة الحسية على ذلك ولا تقبل الحُدْث . قد مضى زمن طويل على علماء كانوا يعتقدون انها منبسطة حتى ساء ظننا بكل قاعدة عقلية وكل برهان فلا نسلم منه الا ما سلمه الامتحان الفني والعيان .

ولقد كان المسلمون من اول من ناقش الفلاسفة العظام ولاحظوا عليهم وصححو اغلاطهم لان القرآن والدين ينهيانهم عن التقليد وذلك الذي جراههم على النقد النزيه والشجاعة الادبية ثم لما جاءت امتحانات اوربا الفنية والاثباتية وصناعاتها المتقنة واختراعاتها واكتشافاتها المدهشة وقربت المواصلات تأيدت فكرة الاسلام وزادت القواعد اتقاناً واحكاماً .

فتحرير موضوع السؤال هل القرآن او السنة المتواترة او الاجماع الصريح اذا دل واحد منها دلالة قطعية لا تحتمل النقيض على امر قد دل على تقيضه دليل عقلي قطعي او علمي بعد الامتحان وتأييد المشاهدة يقدم هو عليها او تقدم هي عليه .

اما اذا لم يتحقق شرط القطع في احد الشقين المتقابلين بحيث صار من حيز المظنون فهذا لا اشكال انه لا اعتبار بالمعارضة بل القطعي مقدم والمظنون مؤول او مفوض فيه ان كان شرعياً ومنبوء ان كان عقلياً او حسياً اذ الدليل القاطع لا يكون في مقابلته دليل صحيح فضلاً عن ان يكون ظنياً فالتوازن بين القطعي والظني منبوء عند العقلاء فمهما كان في كفة الميزان دليل قطعي الا وشالت كفة الظني بل صار لغوا باطلاً او مؤولاً . (يتبع)

(تنبيه) على القاري الكريم ان يتنبه الى ان القطعة المكتتبة اسفله تأخرت عن موضعها من هذا المقال بسبب مطبعي وموضعها بين قول الكاتب - ثم عارضها امر عقلي قطعي او علمي قام البرهان الحسي والامتحان العلمي على صحته والجزم به . وبين قوله « العقل والعلم »

فهذا هو الذي ينبغي ان يكون موضوع السؤال ومحط الاشكال . عند من يريد التوفيق بين الدين والفلسفة . هل يقدم الدين على العقل او العلم او هما على الدين حيث تعارض قطعياً حينئذ . ونريد الموضوع ايضاحاً فنقول ان الدليل الشرعي من كتاب او سنة لا يكون قطعياً الا اذا كان متواتراً في كل الطبقات تنقله طبقة يستحيل تواطؤها على الكذب عادة عن مثلها الى النهاية وتكون دلالة النص صريحة لا تحتمل غير المراد ويكون الاجماع صريحاً منقولاً لنا بطريق التواتر ايضاً .

اما اذا كان (١) الخبر آحادا او كانت دلالة المتواتر ظاهرة فقط غير قطعية او كان الاجماع سكوتيا فهذه كلها في صف المظنون . فلا تقاوم المقطوع به البرهاني او ما دل عليه الاختبار العلمي العبادي فاذا تعارضت مع واحد منهما فلا خلاف أنه اذا لم يمكن الجمع فانا نرجح القطعي على الظني فنفوض او نزول الظني بما يوافقه لان القطعي مقدم باتفاق المسلمين على الظني والقرآن ينهي عن اتباع الظن الذي يناقض اليقين قال تعالى ان الظن لا يغني من الحق شيئا وقال تعالى (وان تقولوا على الله ما لا تعلمون) وزعمت المعتزلة وكثير من الاشعرية ان الدلائل السمعية من كتاب وسنة لا تفيد اليقين لتوقفها على العلوم اللغوية مثلا في المفردات ٢ على النحو في المركبات وهذه العلوم انما ثبتت بنقل الآحاد عن العرب وبالأقيسة النحوية والكل ظني ٣ تتوقف على ثبوت عدم نقل تلك الالفاظ عما كانت تطلق عليه زمن النبوة ليتعين المراد ٤ على عدم الاشتراك ه وعدم المجاز ٦ وعدم التخصيص ٧ وعدم النسخ ٨ وعدم التقديم والتأخير والكل لا جزم بانتفائه فغايتة ظن ثم بعد ذلك كله ٩ لا بد من عدم المعارض النقلي ١٠ والعقلي إذ لو وجد لقدمنا القطعي على الظني قطعا فهذه احتمالات عشرة كلها توجب نفي القطع عن الدلائل السمعية . والحق ان الأدلة السمعية قد تفيد القطع بقرائن مشاهدة او متواترة تدل على انتفاء هذه الاحتمالات الوهمية كلها فانا نعلم ما هو المراد من لفظ الارض والسماء وامثالها في القرآن والسنة والتشكيك في ذلك بهذه الامور سفسطة يؤدي الى التشكيك في العلوم كلها الفلسفية وغيرها وتبطل مدلول علم التاريخ والآثار وما كتب على الاحجار وتبطل العقود والاحكام وكثيرا من علوم البشر ولوان العام عمل بهذه الاوهام وهذه الاحتمالات والتشكيكات ما ترقى علوم البشر ولا وصل الكون لهذه الدرجة المشاهدة ونحن نعلم ان الله تعالى نهي على من يعمل بالظن في العقائد ثم بينها في القرآن وكلفنا باعتقاد ما دل عليه القرآن وذلك دليل على انها يقين لا ظن فثبت ان الدليل السمعي قد يفيد اليقين وان هذه تشكيكات نشأت عن فلسفة غير ناضجة

(١) خبر الآحاد ولو اتفق عليه البخاري ومسلم غير مقطوع به بل هو مظنون على الراجح وزعم ابن الصلاح وابن حجر وغيرهما انه مقطوع به لاجماع الامة على تلقي ما فيها بالقبول وهو دليل ساقط اذ هذا اجماع سكوتي على فرض ثبوته وهو لا يفيد القطع وايضا الاجماع هو على مجموع ما فيها لا جميعه بدليل انتقاد احاديث فيهما . وتلقي الامة بالقبول لهما ليس هو ما قالوا ان خبر الواحد اذا احتفت به القرائن تصيره قطعيا على ان الأكثر من العلماء يرى ان خبر الواحد لا يفيد القطع ولو احتفت القرائن على صدقه خلافا للسبكي نعم يفيد العلم النظري عند بعض العلماء وفيه ما فيه لجواز الخطأ والنسيان والكذب على الفرد الواحد ويلزم على القول بالقطع عدم الفرق بين خبر الواحد والمتواتر فتكون آية الرجم التي رويت صحيحة مثل المتواتر ويلزم النسخ بالآحاد للمتواتر وصحة الصلاة بالشاذ الذي روي صحيحا وبالجملة التحقيق مذهب النووي وهو عدم افادة القطع خلافا لابن حجر وما ادعاه من الاجماع ممنوع ه المؤلف

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

متى كان ظهور النياشين التونسية

ملخصا من كتاب العيون النرجسية في الاوسمة التونسية لمحرره

العالم المؤرخ امير الامراء سيدي محمد
ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

« ٢ »

النيشان الحسيني

هذا النيشان الخاص بآل البيت الحسيني هو ثاني النياشين . التونسية وضعا ولكنه اولها في الاعتبار فهو أرفع الاوسمة التونسية مقاما واعلاها قدرا وهو عبارة عن نيشان مستدير مرصع بالياقوت ليس به كتابة ولاشارة ولا علامة ولا تاريخ يشعر بزمان ظهوره في الوجود بلبس حول الرقبة بحاشية معائلة لحاشية نيشان الافتخار اخترعه المشير احمد باي في حدود سنة ١٢٥٦ الموافقة لسنة ١٨٣٩ الميلاد وكان ذلك لمقصد سياسي له يرمي لتحقيق ورائة ملك تونس في ءال البيت الحسيني وبادر لا هدائه لبعض الملوك والامراء باروبا منهم ابناء حبيبه ونصيره الملك لويز فيليب ملك الفرنسيين حتى اشتهر امره بين الدول بصفة نيشان ملوكي عائلي وهي الحالة التي وجده عليها المشير الثاني محمد باي عند جلوسه على العرش الحسيني وهذا الباي هو اول من قلد النيشان الحسيني لغير اهل البيوت الملكية والاميرية حيث البسه لوزيرة مصطفى خزندار في سنة ١٢٧٣ واصدر له في ذلك ظهيراً كريما تضمن عبارة صريحة في اعتباره كـ > - من ءال بيته وكان هذا الوزير قبل ذلك على وجل من سيده وربما كان لبعض اهل العلم يد عاملة في ذلك لعداوة بينه وبين الوزير ولماالت الدولة للمشير الثالث محمد الصادق باي اصدر في سنة ١٢٧٧ قانونا في ضبط احوال نيشان ءال البيت الحسيني فكان هذا القانون هو اول نص رسمي في ضبط متعلقات هذا الوسام لان مؤسسه المشير الاول احمد باي لم يعضده عند احداثه بقانون مسطور ومما اقتضاه الترتيب الصادقي ان النيشان الحسيني خاص بصاحب كرسي الملك وءال بيته ولسمو الباي الحق في إمناحه لنقر واحد من اعيان رعيته واصطلحوا على ان يكون هذا الفرد هو الوزير الاكبر ولسموة ان يمنحه فوق ذلك للملوك والامراء ومن هنا نحو اصحاب التيجان كرؤساء الجمهورية الفرنسية وزيد على ذلك في الزمن الحاضر إمناحه لوزراء الخارجية بفرانسا وللوزراء المقيمين بتونس ومعلوم ان شعار هذا النيشان من

من التحبب الثمينة لما احتوى عليه من الحجارة الكريمة فقد رأيت في بعض التقايد ان النيشان الحسيني الذي صنع بعنوان الوزير خير الدين عند تصدرة بمسند الوزارة الكبرى بلغت قيمته ثلاثين الف ريال وقدروا ثمن نيشان صاحب التاج الحسيني بخمسين الف ريال في مدة المولى علي باي وكل وزير عند انفصاله عن الوزارة الكبرى بالوفاة او بسبب اخر يسترجع منه النيشان الحسيني ولم تشذ هذه القاعدة الا مرة واحدة في ظروف استثنائية اقتضاها الحل لعهد قريب .

هنا ينتهي بنا الكلام في موضوع النيشان الحسيني ولكن قبيل التقل منه لحديث بقية الاوسمة التونسية نرى من الفائدة الاشارة لشيء عرضي له علاقة بنيشان آل البيت وصورة ذلك ان الدولة التونسية لما خضعت في سنة ١٢٨٦ للرقابة الاجنبية على مالياتها من لدن دول فرنسا وانكلتيرة وايطاليا صيانة لحقوق اصحاب الديون التونسية كان في جملة الضرائب التي تولي الكمسيون المالي ادارة شئونها الاداء الموظف على التانبر الخاص بالعقود والالتزامات وكان التانبر قبل ذلك عبارة عن ورقة لطيفة خضراء توضع بلصاق فوق الرسوم فاعتاضوا عنها بصنع كاغذ متبر خاص لا يجوز كتب الصكوك والعقود في غيره وجعلوا لهذا الكاغذ علامة دولية بشكل النيشان الحسيني ودام ذلك مدة من السنين تناولت الاعوام الاولى من عصر الحماية فلما تم استهلاك الاوراق الموجودة من ذلك وتوقع تعديل اداء التانبر بتعريفة جديدة اقتضاها نظام المعلوم النسي على ما يكتب من الصكوك وضعوا اوراقا متبرية بطابع رسموا بوسطه شعار الملك يعني الطغراء الحسينية (خبشه) وحولها بالقلم الفرنسي عبارة « العمالة التونسية - الحماية الفرنسية » ولا عيب في هذه التانبر الجديدة سوى خلوها عن لغة اهل البلاد وكان الشان تطريتها بكلمة او كلمتين بالعربية قياسا على تانبر البوسطة المتضمنة عبارة « البوسطة التونسية » بالقلم العربي لان التونسي اين الجانب رقيق الحاشية يقع حتى الوصال الملتق نيشان عهد الامان

هذا النيشان العالي هو الثالث في الوضع وفي الاعتبار بعد النيشان الحسيني ونيشان العهد المرصع الذي سيأتي ذكره احده المشير محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ تذكرا لتراتب عهد الامان التي سنها اخوة المشير محمد باي وعاقه اجله عن تنفيذها وهذا الوسام كان يلبس بالطوق كما ترى ذلك باحد رسوم صاحبه بالقاعة الكبرى باردد المعمور ثم جعل لبله فوق الصدر لجهة اليسار ومعه شريط من المرعز الابيض . وشى الحواشي يلبس فوق الكتف الايمن متدليا نحو الحاصرة اليسرى وكتب فوق شعار النيشان بالترصيع لفظ « محمد » وحوله عبارة « عرض الصادق امة » (١) ولقد استغرق هذا الرمز

(١) عملا بالقاعدة التي سنها المشير احمد باي من ان صاحب الكرسي الحميني يرسم اسمه الشريف مكان اسم سلفه فوق نيشان الافتخار جرى العمل بمثل ذلك فيما يخص بقية النيشان

مداد المحابر وحقت من اجله اسنة الاقلام في اوساط المستعربين الذين يدعون معرفة القراءة فيما بين السطور يعني فهم اسرار التراكيب العربية وذهبوا في تاويل تلك العبارة كل مذهب ودار حديثها يوما بحضوري في مجلس الوزير الشيخ محمد العزيز بوعتور منشي ظهير نيشان عهد الامان للمشتمل على الرمز المشار اليه فقال انه تورية وحسب ، ولا يطوي من الغموض شيئا ، ولما احدث المشير محمد الصادق باي هذا الوسام تقلدة وقلدة لولي عهده ولوزيره الاكبر مصطفى خزندار ثم للوزير خير الدين ووضع له ترتيبا تضمن حصرة في عدد قليل من الذوات ولم يتكرم به في سنته الاولى على غير من ذكر لكنه قلدة في العام التالي (١٢٧٧) في موكب حفيل للمستعرب مسيو ليون روش قنصل فرنسا بتونس بعد رجوع سموه من رحلته للسلام على الانبراطور نابليون الثالث بعاصمة الجزائر ثم منحه في سنة ١٢٩٠ لبقية الوزراء التونسيين ثم لبعض المستشارين بالدولة التونسية وءاخر من تقادة في الدولة الصادقية قنصل فرنسا مسيو رسلطان اثر امضاء عقدة الحماية .

وفي الازمنة المتأخرة وقع التوسع في امانح عهد الامان حيث وقع تقليده للكتاب العام وكثير من المأمورين السامين عند مبارحتهم للخدمة كالمدبرين العموميين والجنرالات وزراء الحرب بالدولة التونسية وممن تقلد هذا النيشان العالي من مشاهير المسلمين غير التونسيين الوزير السيد قدور بن غبريط رئيس جمعية احباب الحرمين الشريفين ومدير المعهد الاسلامي بباريس بسبه اباه المولى محمد الحبيب باي تشيظا لعزائمه ومكافاة لنصحه واخلاصه في سبيل ما انقطع اليه من المساعي الجليلة العائدة بالنفع على مسلمي الشمال الافريقي كتسهيل اسباب الحج واحداث المسجد والمعهد الاسلامي بباريس ومستشفى ومقبرة اسلامية بها وغير ذلك وبديهي ان الوزراء المقيمين بتحفهم سمو الباي بنيشان عهد الامان ويكون ذلك بعد انقضاء بعض شهور من تقليدهم الصنف الاكبر من نيشان الافتخار وهذا يمنحونه اياهم عند تقديم اوراق اعتماداتهم لسمو الباي يوم قدومهم لتونس وقد اتفق تقليد النيشانين معا في ان واحد كما جاد به سيدنا ومولانا المعظم يوم انتصاب فخامة المقيم العام الحالي

نيشان العهد المرصع

هذا النيشان فرع لعهد الامان ولكنه فاق اصله لانه اعلى منه منزلة حيث كانت درجته في الاعتبار بعد النيشان الحسيني احدته المشر محمد الصادق باي في ثاني شوال ١٢٩١ والمشهور ان ذلك كان

التونسية بحيث ان العبارة الرموز بها لعهد الامان لم تبقى كما وضعها مبتكرها المشير محمد الصادق باي حيث صاروا يضعون بقلب الدائرة اسم الباي المتولي مكان لفظ « محمد » ويكتبون حوله عبارة « عرض الباي امانه » عوض العبارة الاصلية التي هي « عرض الصادق امانه » ومن الجدير بلفت النظر رجاء ان يتداركه اهل النظر التحريف المشتملة عليه العبارة الجديدة فان نيشان عهد الامان والعهد المرصع المصنوعة في السنين الاخيرة بمعمل الصائغ الاسرائيلي المكلف بصوغها اسقط منها في لفظ الباي اداة التعريف والكرة لا تناسب المقام المنيف ،

بمساعي وزير البحر مصطفى بن اسماعيل ليجعل نفسه في صعيد واحد مع الوزير خير الدين حيث كان لبس هذا النيشان خاصا بالوزراء بدون تمييز ويستفاد من الرائد التونسي ان سمو الباي تفضل بهذا الوسام الرفيع اثناء موكب يوم ثاني عيد الفطر يعني يوم احداثه على كل من الوزير الاكبر خير الدين ووزير الحرب رستم ووزير القلم الشيخ محمد العزيز بو عتور ووزير الاستشارة محمد خزندار ووزير البحر مصطفى بن اسماعيل والوزير حسين مستشار المعارف وهذه النياشين الستة تكلفت يومئذ على خزينة الدولة بعشرين الف ريال ومائة وخمسين ريالا

واعلم ان نيشان العهد المرصع يبضي الشكل يلبس بالطوق وهو اجل النياشين التونسية باتفاق اصحاب الذوق السليم وقد اقتضى ظهير تاسيسه تخصيصه بالوزراء كما سبقت الاشارة لذلك ولكن لسمو الباي تقليده لمن يشاء من آل بيته ولا سيما ولي العهد وقد اتفق تقليده لبعض الملوك كملك اسبانيا جلالة الفونس الثالث عشر قبل خلعهم وتقليده للوزراء المقيمين امر بديهي لان المقيم العام بتونس هو وزير للخارجية في تونس بطريق الاصلة بل وقد تفضل به المولى محمد الحبيب باي على زوجة الوزير المقيم مسيو لوسيان سان عند مبارحتهما للملكة التونسية في ١٣٤٧ ومن حسن عهدها وسلامة ذوقها انها تطوقت به عند قبول زوجها لرجال البعثة التونسية التي يعمت رباط الفتح في سنة ١٣٤٩ وصرحت بانها فعلت ذلك مجاملة واکراما لاهل ذلك الوفد التونسي وكنت من اعضائه فشكرت لها سعيها من اجل تلك العاطفة الشريفة ولا يجوز ان ننقل عن الاشارة لكون الوزير المفوض مسيو تيارى كاتب الدولة العام ومعتمد السفارة الفرنسية بتونس سابقا كان محرزا على هذا الوسام العالي ومثله احد اسلافه بالكتابة العامة ونعني به الوزير المفوض المستعرب مسيو روا قلده اياه المولى محمد الناصر باي جزاء اخلاصه وولائه للبيت الحسيني

ومن اصول العهد المرصع انه لا يمنح الالمة العمر يلبسه صاحبه ما دام حيا هكذا ينص بظهير تقليده فاذا انقضى صاحبه استرجع النيشان من ورثته ونختم حديث هذا الوسام بالاشارة لما تناوله من عظيم الاعتبار ورفعة المقام في نظر الخاص والعام حيث كان كفوا لمجازاة المريشال فوش قائد الجيوش المتحالفة في الحرب العالمية اثر يوم الهدنة

هذه خلاصة حديث النياشين التونسية الاربعة وهي حسب درجتها في الاعتبار :

نيشان آل البيت الحسيني المحدث في سنة ١٢٥٦

نيشان العهد المرصع المحدث في سنة ١٢٩١

نيشان عهد الامان المحدث في سنة ١٢٧٦

نيشان الافتخار المحدث في سنة ١٢٥٢

وبقي لنا كلام على علامات اخرى تذكارية احدثها المشير محمد الصادق باي وتعرف باسم ميدالية

في اللسان الدارج واصطالحوا على نعتنا بلفظ القوة في المشرق وان كان هذا اللفظ لا يودي معناها بالتدقيق لان الايقونة هي النجمة في كتب اللغة والنجمة هي الصورة التي تعبد ككما في القاموس والميدالية ليست مما يعبد فالمشير محمد الصادق باي ضرب ميدالية اولى مستديرة بعنوان افتخار في سنة ١٢٨١ تذكارا لثورة علي بن غداهم ثم ضرب ميدالية ثانية بشكل بيضي وب عنوان افتخار ايضا في عام ١٢٨٤ تذكرا لواقعة الامير العادل باي وقد انتقد اهل العقول الراححة ومنهم المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف فكرة احداث هاتين الميداليتين لانهما جاءتا تذكارا لحوادث اسيفة كان من حقهم ان تحاط بسياج النسيان لاسيما وان الميداليات انما جعلت تذكارا للنصر والرقى في العلوم والصناعة والاختراع لا لتخليد ذكرى الحوادث الموحجة وقد جرتي البحث عن اصول هذه المسألة للكشف عن امور غريبة منها انهم ضربوا كمية وافرة من ميدالية عام ١٢٨١ بقي منها بدون استعمال اكثر من ثلاثة آلاف ميدالية فضة استعملوها بعد زمان في ضرب سكة راس العام الجديد سنة ١٢٩٢ وقد انقرضت كافة الطبقات التي امتاز بعضها بحمل هذه الميدالية وءاخر من عرفنا من اصحابها امير الاي الحباله احمد سومر فلما التحق بالدار الاخرة استرجعت من ورثته تلك الميدالية واضيفت للانار العسكرية المحفوظة بقشلة باردو هكذا سمعت من الكمندان دة تورنمير مدير الادارة المركزية للجيش التونسية سابقا ولما صعد المولى علي باي لكرسي اسلافه الاكرمين في منتصف حجة ١٢٩٩ ضرب ميدالية بتاريخ هذا العام وجعلها في درجتين ذهبيا وفضة كتب بوجهها عبارة افتخار وبقفاها اسمه الشريف متبوعا بتاريخ عام ١٢٩٩ وفيما يعتقد المؤرخ هوكون (١) ان هذه الميدالية انما ضربت تذكارا لاطفاء جذوة المـج الذي احدثه الثائر علي بن عمار بجبات جلاص وحماة اولاد عيار اثناء احتلال العساكر الفرنسية لتونس في عام ١٢٩٨ وزاد على ذلك قوله ان سمو الباي لم يوزع من هذه الميدالية الا نحو العشرين نظيرا ذهبيا ونحو المائتي نظير من الفضة ثم امر بتعطيل ضرب البقية لان الدولة الفرنسية احدثت يومئذ ميدالية استعمارية عنوانها « ميدالية الحملة العسكرية في عام ١٨٨١ » واما ان الميدالية التي ضربها المولى علي باي لم تكن تذكارا لحركة شاركت فيها المحلة التي خرج بها في سنة ١٢٩٨ بصفته باي الاعمال لتمهيد الراحة بل هي مجرد تذكارات لجلوسه على عرش الملك بدليل ضربها بتاريخ عام ١٢٩٩ الذي هو عام ولايته الملك والمحلة المشار اليها كان خروجها في العام قبله وحوادث عام ١٢٩٨ كلها تابعة لدولة سلفه الذي ادركه اجله في ءاخر شهور عام ١٢٩٩ فلا يعقل انه ينسب شيء اليه من دولة سلفه ومما افادة المؤرخ هوكون ايضا ان المولى محمد الهادي باي ضرب ميدالية تذكارية لصعوده على كرسي الملك وهذا دليل ءاخر على صحة نظريتنا في خصوص الميدالية

(١) صاحب كتاب رموز بابات تونس وهو تاريخ جم فاعوى من احسن ما صنف في احوال الدولة الحسينية ومسيو هوكون كان مديرا للفلاحة والتجارة والاستعمار بتونس

اللاجئ

فلسطين هذي الوغى فائتي

أشيدي فلسطين بالمصرع	ومن وعد بلفور لا تجزعي
ففي العرب عزم يقل القنا	ويزري على السيف والمدفع
وفي قبضة العرب سيف الهدى	ومن يعترض حدة يصرع
فهذي المشارق مرتجة	تفور لنكباتك الزعزع
وهذي المغارب قد اصبحت	من الشجو مكلومة المدمع
وهذي اسود الشرى كشرت	على زرق انسابها الشرع

السابقة ولم نعلم أن المولى محمد الناصر باي سلك في ذلك مسلك سلفه وغاية ما سمعت منه انه اتخذ لنفسه وهو ولي العهد امثلة مصغرة من ميداليات عمه المشير محمد الصادق باي اما المولى محمد الحبيب باي فانه استنبط عند ولايته الملك في عام ١٣٤٠ تحفة ظريفة مرصعة بالياقوت الاحمر قريبة من شكل النيشان الحسيني ميز بها بعض برنسيات البيت الملوكي كما ميز بها زوجة وزيره الاكبر ابي النخبة مصطفى دقزلي ولكنه لم يتماد في هذا السيل بحيث ان هذا الوسام الاناثي (١) لم يأخذ صبغة الاوسمة الرسمية ومات ذكره بموت صاحبه - وما عدا هذا فان الدولة التونسية ضربت ميداليات كثيرة في عصر الحماية لا سيما بمناسبة ترتيب المعارض الفنية وفتح المراسي كميديالية فتح مرسى تونس لسير السفن في عام ١٨٩٣ وءاخر ميديالية اخترعتها ادارة الحماية كانت في عام ١٩٣٦ بقصد تنشيط عزائم اعوان القوة العامة كاعوان البوليس وحراس السجون ومن كان على شاكلتهم ونختم هذه النبهة بالاشارة لبعض متعلقات اصناف نيشان الافتخار واهمها الكسبات التي يلبسها في الاعياد ارباب تلك النياشين وهذه الكسبات المطرزة بسلوك الفضة المموهة بالذهب في الطوق واطراف اليدنين يزداد عليها توشية الصدر والظهر بالطرز لامير الامراء والظهر فقط لامير السواء ويستوي كافة ارباب الرتب العسكرية في حمل الكتفيات المطرزة بالعدس والكتيتل وللجميع الحق في اتخاذ سيف ، ولا سيف الا ذو الفقار ولا بطل الا علي محمد بن الحوجة

(١) لعله اقتبس هذه الفكرة من وسام الشفقة الذي اخترعه السلطان عبد الحميد خان الثاني اتميز النساء التركيات وغيرهن

وان هبت الاسد لاتنثني
فمن بذ دارا وكسرى ومن
ومن غادر الصيد مخذولة
صناديد قحطان لا غيرهم
واحلاف طه منار الورى
رعاة حمى الشرع من بعده
اباة لدى الضيم عصم النهى
فلا الموت يشي لهم عزيمة
ونادى صريخ الوغى فيهم



فلسطين هذي الوغى فائتي
فيا حبذا موتة بعدها
وينغدو بها ملك اخلافنا
ترفرف من فوقه راية
فتنخس بلفور في لبه
فلسطين يا موطى الانبيا
فلسطين يا قبلة الازكيا
ثقي اننا معشر الملهم
فها الشرق شاكي القنادار
مري تأتمر ، فالحياة الحيا
من استنجد النار يكوى بها
وجيش بالغاز سحب الردى
اهذا التمدن اوحى له
ام الطبع قد ثار في نفسه
فاودى باهل الوفا غيلة
اقي فعل وحش ضري رأى
دهتهم قذائف نيرانه
فهاجم بالنار مغناهم

الرافعي المصلح الاجتماعي

بقلم الأديب الكاتب السيد محمد الحبيب شلبي

كان الشرق في القرن الماضي رغم تدهوره السياسي والفكري - يعيش في بقية من الفضائل الاسلامية الموروثة والتقاليد التالدة المتخلفة . من عصور المجد والقوة . تمسك عليه ببناء الاجتماع على ما تطرق اليه من وهن وتحفظ له خلقه السامي النبيل على ما اعتوره من انحلال . وتضمن له حياة متجانسة مثالفة فيها اضطرام روح العصبية للدين والعشيرة وشبوب عاطفة القومية الاسلامية . واعتزاز بعصور المجد والبطولة واثار الملك الواسع والسلطان العريض . فكان يعيش شاعرا بذاته المستقلة وكيانه الممتاز ومكاته في التاريخ .

فلما وقعت الواقعة ورجفت الراحفة وحم القضاء وقضى الامر واصبح هذا الشرق بعد ان كان دؤابة الشرف ومقل المجد وموئل العزة - هوطئ نعال الغربيين واضحى بها مقسما ومتاعا موزعا بين دول ارباب وحي مباحا ومهادا وطيثا لنفائات الشعوب وشذاذ الافاق . فكان ان الغرب القوي الظافر فكر وقدر - وقتل كيف قدر - فرأى انه يحكم قوما يحمي كيانهم مجد باذخ يناطح السحاب ويزاحم الجوزاء بمنكيه وسؤدد تالد يلتمع من خلال القرون ويشع من صفحات التاريخ وابصر ان جو الشرق يعج بارواح الانبياء والحكماء والابطال والقادة والنبغاء والعابرة فتحوطه بجلال

ومن لاذ بالجبين في امره تردى بصرف القضا المفزع



ايا ناكث العهد هذي الطغي	لغير الحشا منك لم تشرع
وهذي جنود الاولى خنتهم	لغير رضا القدس لم تجمع
وهذا الحسيني يحدوهم	بلحن بعيد الصدى مبدع
ونور الهداية في قلبه	ونار الشجاعة في الاضلع
وللدهر عين ترى كل ما	بهذي الوغى وفؤاد يعي
فسيما فلسطين للنصر سعيما	ومن طعنة الظلم لا تجزعي
فان كنت للفض ترواقه	فجدي الى نيله اودعي

الطاهر القصار

قدسي رهيب وتبعث في ابنائه روح العظمة والعزة والطموح . وحيشذ فالدخيل لا يأمن العثار ولا يضمن الاستقرار مادام هذا الماضي الرهيب مصلتا فوق رأسه كسيف القضاء يقض مضجعه ويلبسل افكاره . اذن فلتتجه الجهود لمحو هذا الماضي الحافل الشعاع وطمسه وتشويه ومسحه . ولا يتيسر لهم ذلك الا باتتاج مسلك اخر يسخرون به الارواح بعد ان سخروا الاشباح ويحتلون العقول بعد ان احتلوا الارضين .

ونجوا خيوط مؤامرتهم ودبروا امرهم بليل فقبضوا على ناصية التربية والتعليم ونفثوا السم في الدسم . وحجبوا الماضي الجليل عن الشباب الغرير ولقنوه قشورا من العلم وسقطا من الفلسفة لا يرفغان جهالة ولا يغنيان من الحق شيئا وانما هما مصدر حيرة وضلال وجحود ونكران . وسلبوه الخلق القومي النبيل والتربية الاسلامية القويمه وعلوه النكوص والادبار ودربوه على الخضوع والمهانة فجاء شبابا جبانا خوارا لينا متخشا مذذبا مغرورا . تهالكا على الازدات نكوصا عن الواجبات متهافتا على اللهو واللعب فرارا من الجهاد والنضال موالا بالعبث والهزل ملولا من الجحد والعمل ميالا الى الهدم والتقويض ضجورا من البناء والتشييد جنوحا الى الجحود والانكار عزوفا عن الاعتقاد والايمان قد سحرة الغرب بزخرفه وبهرجه وفتنه بئرائه ومبادئه . قأمن به وفي فيه بقدر ما صار كفورا بماضيه الجليل ومجدة الاثيل وتاريخه الحفيل مغضيا عن سير ابطاله وقادته وعظمائه ونبغائه بل يتخذ من التجديف على ماضيه والزراية باجداده مادة للتهكم والسخر وموضوعا للعبث والتنكيت ويجد في ذلك اشباعا لغروره السخيف وترفعه الوضع وكبرائه الكاذب .

وهل يكون مع هذه الحال طموح الى سياده ؟ او هيام بمثل عليا ؟
بل هل يكون مع هذه الروح المستخذية والنفسية الوضيعة الا الاستعباد والارهاق والذلة والمسكنة والضعه والمهانه .

وقد كانت نتيجة ذلك ان ترزع بناؤة الاجتماعي وانخرم نظامه وفقد وحدته وتجانسه واستولت عليه حيرة نفسية مضنية وضلال فكري رهيب فاضاع فضائله الاسلامية السامية وتقاليده العربية النالدة واخلاقه الشرقية النبيلة وفترت فيه روح العزة وذهب منه خلق النضال والكفاح واصبح كبقير الحنة لا ينطع ولا يرمح . واولا متانة الاساس الذي قامت عليه مدينته الزاهرة وحضارته الباذخة واستعصاؤه على المعاول الهدامة والايدي المخربة لعصفت ربيع الغرب السموم ببلاد الشرق الاسلامي بين عشية وضحاها

ولكن . . . مهلا ! فان بني عمك فيهم رماح .

فها هو رجل قد تمخض عنه الشرق المراع والاسلام المتفزز متحذرا من سلالة باجدة من اصلا ب اربعين قاضيا قد تفقهوا في الدين واستظهروا علوم الشريعة وحذقوا اللسان العربي المبين

واستأثروا بنور القرءان واعتدوا بهدى الرسول واعتبروا بتاريخ الاجداد فجاء الشبل وفيه عرق
دياس لذيالك الاصل الزكي ونزوع الى ذكر الحمى وشوق الى مغاني العزة ومنايات الشرف والسؤدد
وما هو الا ان فتح عينيه على دنياه وابصر الحمى وقد استباحه الاعداء والوطن وقد عقه الانبياء
والمجد وقد كفر به الخلف حتى رفع راية الجهاد وشرع القلم وقذف بالحلم وتزلزل كالبركان وتدفع
كالسيل الاقي لا يقف في طريقه شي .

فكان من دون التراث القومي رجاء محرقا وشهابا رصدا للهارقين من الملة والخارجين على الاسلام
والمحدثين في الدين والمستهترين بالخلق والتاكسين عن الواجب والمتجنين على الله والزارين على
التاريخ ، يقارعهم ويجالدهم وينالهم في غير هواده ولا فتور .

وكان للشرق في محنته الالهية سندا ومعينا وفي فتنه العمياء م شدا ونصوحا وفي ليله المتدحي
هاديا ونبراسا ينبه الشعور البليد ويوقظ النفوس الحاملة ويحرك الهمم النومة ويفتح العيون الوسنانة على
الخطر المحدق والبلاء المحيط هاتكا الستر عن فجور المدنية واضاليلها وزيفها واكاذيبها رافعا الحجاب
عن اغراض الاجنبي المتدسس في دور العلم ومعاهد الثقافة ومناصب الدولة ومن تابعه من المحسوسين
على العلم المتطفلين على المعرفة والطامعين في المناافع والمغانم والحالة والالقاء البائعين الآجل بالعاجل
مستبدلين الذي هو ادنى بالذي هو خير .

كاشفا عن نواياهم الخبيثة ودخائلهم النغلة ملقنا الانظار الى ترائنا القومي الجليل وما فيه من
نفائس وكنوز شوهتها يد الجلود ومسختها نوازي الاطلاق والاستبداد وعبث بها عوادي الالهال
والاغفال

موحيا الاهتمام شط الدين الحنيف وما فيه من تهذيب للنفس وسمو بالخلق وطهارة للظهير
وحدث على الفضيلة .

داعيا الشباب المغرور بقشور العلم المزهو بمحاكاة الغالبين السادر في غلواء اللذات والشهوات
المتهافت على اوضار مدينة القرن العشرين المتخلص من التبعات والواجبات الى التعمق في اسرار الدين
والتححر من ربة التقليد والسمو عن مطالب الحيوانية الدنيئة والتجلي بخلق النبوة وخلال السلف
الصالح والاضطلاع باعباء المهام الخطيرة والمطالب الجسم التي يقتضيها المجد وتطلبها السيادة وتفرضها
الكوامة الوطنية المجروحة والعزة القومية المهانة . ناعيا على خلق الضعف والتأنت والتخنث والليونة
والميوعة .

حائنا على التخلق بخلق الرجولة الصحيحة خلق القوة والجرأة والشهامة والاقدام والكفاح والنضال
مهييا بالامة الحائرة في مفترق الطرق . والشعب التائه في شعاب الحوادث والخطوب الى التمسك
بعاداتها وتقاليدها القومية والمحافظة على مقوماتها ومميزاتها الخاصة حتى يكون لها كيان مستقل وذاتية

متميزة وشخصية قوية واضحة وحتى تستطيع اذا ادلهمت الخطوب وتتابع الاحداث وشخصت الابصار ان ترفع صوتها عاليا بين امم الارض وشعوب المسكونة ودول العالم وتقول (انا ، ،)

ذلك هو الرجل الذي فقدته الاسلام وثكلته العروبة ورزىء فيه الشرق (مصطفى صادق الرافعي)
 فيا للخطب الجلل ! ويا للرزقة الفادحة ! ويا للهصية العظمى ! مات الرافعي ! يا لها كلمة هائلة
 ونبأ مريع ! يعالغ له فؤاد كل عربي وتصدعت له كبدة كل مسلم ! لقائد سقط في الميدان وهو يحمل راية
 الجهاد ويعد خطة الهجوم . . . وزعيم بارح منصة الزعامة وخلف التلاميذ والاتباع والانصار والاشياع
 في حيرة وضنية وحزن مرير وداث بليغ منقطع النظير طاحت به المنايا السود !
 اجل !

مات الرافعي ! فاسكت صوت مجلجل من اصوات الحق ، واغمد سيف قاطع من سيوف الاسلام
 وطاح علم من اعلام البيان العربي مات رجل الحق ! مات رجل الواجب ! مات رجل الجهاد والكفاح !
 فمن لهذا الشرق الحائر بعدك يا مصطفى ! ايه ! من لهذا الشرق الضعيف الواني العاثر للالهى السادر
 في لذائذ النشوان برحيق المدينة الفاجرة الاحوب . . من لهذا الشرق الهادي الوادع المسالم ينث في
 روح القوة والعظمة . روح المجد والعمل . روح البطولة والجهاد . روح الرجولة الحقبة الباسلة
 تلك المثل العليا التي كنت تدعو اليها ببيانك القوى واسلوبك الرائع وقلبك الناري

لم تكن في دعوتك المتحمسة وافكارك الجرئية وفك العالي بالمطفال على موائد الاغراب او
 المقلد لوضع الدخيل فيحي انتاجك زائفا متصنعا لا تتذوقه ولا نستسيغه ولا نجد له وقعا في نفوسنا
 ولا هزة في شعورنا بل لا نجد له الاربكة واضطرابا كما يفعل عبيد التقليد ودعاة التفرنج بل كنت
 تستمد الالهام من قلبك مستنيرا بانوار النبوة مستعينا بهدى ثلاثة عشر قرنا هي عصارة الفكر العربي
 الوقاد وثمرة التمدن الاسلامي الباهر فضاء ادبك اصيلا جليلا حيا نابضا يلمس منا ادق مواقع
 الاحساس ويحرك فينا اعماق نواحي الشعور ونحس كأنه يعرب عن ذات نفوسنا ما تسر له وما تالم
 وما تحزن وما تفرح وما ترجمو وما تأمل فهو منا والينا قطعة من صميمنا وكيف لا وهو مغترف
 من نبع ماضينا الزاهر وتاريخنا الحافل وآثارنا الخالدة فلا غرو بعد ذلك ان حننا له حنين الابل
 الظماء الى مواقع الماء ووجدنا له هزة وارتياحا وطربا وتأثيرا . ولهذا لعمرك هو الادب الحق
 والاثر الخالد وما اقل الادب الحق وما اندر الآثار الخالدة

ان الثلة التي تركتها بعدك يا مصطفى والفراغ الذي خلفته وراءك لن نجد لهما من يسد مسدك
 فقد كنت في تفكيرك الحر المستقل وقلبك النابض بالايمان ونفسك الراضية المعطمة وبيانك العربي
 الاصيل واسلوبك الرائع الجليل امة وحدك ومدرسة قائمة بذاتها وهيئات ان وجود الزمان بمثلك
 اياها الفرقد فانت نهاية فصل وختام عصر

محمد الحبيب شليبي

تنظيم الاوقاف والشئون الاسلامية في سوريا « ٢ »

نشرنا في العدد السابق القطعة الاولى من التقرير الذي وصلنا على طريق صديقنا الشيخ محمد كامل التوتسي من وزارة المعارف بسوريا حول اصلاح الاوقاف والشئون الاسلامية ونوالي الآن نشره

انظر الى التبدل والتطور في امور الدفاع وامور التعليم وامور الادارة وامور الحرب والصناعات وامور التجارة والزراعة فهل من المعقول ابقاؤها على ما كانت عليه والناس عالم حي تعمل فيه قوانين الحياة من نشوء ونمو وكال . على انا مهما ادعينا الغيرة على شروط الوقف وعلى الاسلام والمسلمين وعلى المحاكم والقضاة فلن نكون صادقين اذا لم نوفق غيرتنا ونلائم اعمالنا مع اسس الاقتصاد ونواميس العلم والعمران ولن نصل الى حكمة الشريعة ونقضي باليسر لازالة العسر اذا جاربنا من يقول شرط الواقف كنص الشارع وابقينا اوقاف الذرية تتقاتل في سبيلها المترقة وتتخاصم وترشو وتشاغب . وتركنا الاوقاف الخيرية طعمة للموظفين والمتولين ولاعمال لا فائدة منها غير قبض الرواتب ولم نستفد منها كما يجب ويتفق مع كرامة الدين والمسلمين .

ان التطور الذي حصل في تركيا وهو اشد المعالجات افراطا وتفريطا قد تساق الى قبوله مرغمين امام تعندات الجامدين وامام الانهار الذي تساق اليه مختارين . فلنتعظ ولتبدل ولنعتمد فخير الامور الوسط . واذا انتبهنا واعتظنا هان علينا الاصلاح وهذه اقطار المسلمين باجمعها تعاني الشكوى وكل منهم في مصر وفلسطين والهند وبيروت يعالج شكواه حسب اجتهاده وطاقته وخبرهم من اختار الاصلاح ولو كان مرا وقاسيا فان الانتظار قد لا يضمن السلامة وارضاء جميع الناس امنية لا تدرك وليكن المطلوب الصالح العام والتعاون المشترك وتنظيم المصالح والخلاص من الفريدة وقبول الاساليب التي تمشي عليها ادارة المصالح الاخرى التي ثبتت بالاختبار فوائدها . واتماما لتنظيم الطائفة علينا ان نتناول بالاصلاح المحاكم الشرعية وان نربطها مع الشئون الاخرى التي بحثنا عنها والتي يجب ان تضم الى الكيان المطلوب لان المحاكم الشرعية بعد ما حددتها التنظيمات القضائية وحصرت اختصاصها في دائرة الاحوال الشخصية (كالزواج والطلاق والارث والنفقة وانبات النسب والوصاية والوصية والتركة والحجر والوقف) وغيرها وكانت خاصة بالمسلمين مع الاباحة لغيرهم بالمقاضاة امامها ان اخفلقوا في محاكمهم الطائفية وحيث لا يمكن في الوقت الحاضر الغاؤها وتكليف المحاكم النظامية مهنتها ولذا يجب اصلاحها وربطها بالتنظيمات الجديدة فتؤدي الغاية وتزيد كيان المسلمين قوة . فلهذه الاسباب الموجبة ينظم ما يأتي

يكون للطائفة المسلمة

- ٢ - مجلس تنفيذي يمثل مدير الشؤون الارشادية ومدير المدارس والتعليم ومدير المباحث الدينية ومدير المحاكم الشرعية ومدير الاوقاف الخيرية ومدير المال ورئيس الافتاء
- ٣ - مجلس اعلى يمثل المندوبون المنتخبون وفقا للمادة (١٧)
- ٤ - مجالس طائفية في كل لواء
- ٥ - محاكم شرعية

الفصل الاول - قاضي القضاة

- المادة ١ - قاضي القضاة اكبر ممثل في الطائفة
- المادة ٢ - يرجع اليه وحده حق التكلم باسم المسلمين في الدولة . يمثل مصالحهم ويشرف على جميع شؤونهم الدينية
- المادة ٣ - مدة رئاسته دائمة ولا تنتهي الا بالاسباب الآتية .
- أ - اذا استعفى من تلقاء ذاته وصادق على القبول رئيس الجمهورية
- ب - اذا اصيب بعاهة او مرض يمنعه عن القيام بوظيفته وكانا كلاهما مما لا يرجى شفاؤه .
- ج - اذا ارتكب جرما جنائيا يعاقب عليه القانون .
- د - اذا خالف احكام هذا الدستور .
- المادة ٤ - يتمتع بالحصانة التي يتمتع بها النواب ولا يجوز اتخاذ اجراءات جزائية بحقه الا بعد اخذ موافقة المجلس الاسلامي الاعلى .
- المادة ٥ - يتقاضى رواتبه ومخصصاته من ميزانية المجلس الاسلامي الاعلى وفقا للقانون .
- المادة ٦ - تاتي رتبته بعد الوزراء
- المادة ٧ - تصدر باسمه وتوقعه جميع القرارات والاحكام والبلاغات المتعلقة بشؤون المسلمين الدينية وجميع التعيينات العائدة لموظفي الاوقاف والمحاكم الشرعية ومديري الدوائر وموظفيهم واصحاب الوظائف الدينية واصحاب الجهات المشروطة
- المادة ٨ - يكتسي كسوته الخاصة في المواقف الرسمية وتؤخذ له التحية الخاصة بالوزراء .
- المادة ٩ - يكون لقاضي القضاة نائب منتخب من بين اعضاء المجلس الاسلامي الاعلى يصادق عليه رئيس الجمهورية
- المادة ١٠ - يقوم بجميع الصلاحيات والوظائف التي لقاضي القضاة عند غيابه ويرأس مجلس المديرين ويكون المرجع التسلسلي لهم

الفصل الثاني - المجلس التنفيذي

المادة ١١ - يتألف المجلس التنفيذي من سبعة مديرين كما ورد في الاسباب الموجبة .

١ - مدير المالية العام .

٢ - مدير المعاهد الدينية (الجوامع والتكايا والمساجد)

٣ - مدير المدارس الدينية (المكاتب الوقفية ودور الآثار الوقفية ، المدارس الابتدائية الدينية الكتاتيب والمدارس العالية الدينية) .

٤ - مدير الاوقاف العام .

٥ - مدير الارشاد والوعظ والخطابة

٦ - مدير المحاكم الشرعية

٧ - المفتي العام

المادة ١٢ - قاضي القضاة يعين المديرين ويعزلهم ويحيلهم للتقاعد وفقا للقانون

المادة ١٣ - المديرون مكلفون بتنفيذ مقررات المجلس الاعلى

المادة ١٤ - كل مدير يدير شؤون دائرته ويعين موظفيه ويعزلهم ويحيلهم للتقاعد وفقا للقانون

المادة ١٥ - تحدد رواتب المديرين ونفقاتهم وملاك كل مديرية وراتب مواطنيها بقانون خاص

يصدره المجلس الاسلامي الاعلى

الفصل الثالث - المجلس الاسلامي الاعلى

المادة ١٦ - يمثل السلطة التشريعية في جميع الشؤون الادارية والقضائية والدينية والعلمية والاجتماعية للطائفة الاسلامية

المادة ١٧ - عدد اعضائه لكل لواء نائب واذا زادت النفوس عن مائة الف زاد العدد بنسبة

واحد لكل مائة الف والكسور التي هي فوق الخمسين الفا يكون لها واحد ايضا

المادة ١٨ - مدة المجلس سبع سنين ويجوز تجديد العضو اذا وافق المجلس في اللواء الذي انتخبه

المادة ١٩ - يوضع قانون خاص لموظفي المجلس ومراتبهم ومراتب الاعضاء ونفقاتهم

المادة ٢٠ - للمجلس دورتان الاولى للميزانية والثانية للمسائل المذكورة في المادة (١٦) مدة كل

دورة شهر واحد الاولى في اول تشرين والثانية في اول نيسان

المادة ٢١ - يوضع نظام داخلي في اول دورة

المادة ٢٢ - يحق لقاضي القضاء بموافقة مجلس المديرين حل المجلس والدعوة لانتخاب غيره

في ظرف شهرين من الغائه واذا لم تدع مجالس اللواء خلال المدة المذكورة ترسل منتخبيها حتما عند

انقضاء المدة وعندها يجتمع المجلس الاسلامي ويقوم بواجباته

الإسلام غريب في بلاده*

هل هذا صحيح ؟

الإسلام غريب في بلاده كلمة جوهرية - لها مغزاها تنقش على قلوب المخلصين لدينهم باحرف بارزة لا يمحوها كثر الايام وتوالي العصور حتى يعود الغريب الى وطنه -

قالها - رجل مسلم كبير محنك عركه الدهر وعلمته التجارب فاختبر منهما المستقبل بعد ان قاس الحاضر بالماضي واستنطق الحقيقة فاجابته بلسان المستقبل : ان الاسلام غريب في بلاده ولم يرم بكلمته هذه جزافا الا بعد ان رجع ببصرة وصيرته الى (منبع الحكم) فوجد مما روي عنه صلى الله عليه وسلم ما يؤيد ذلك وهو (بدأ الاسلام غريبا وسيعود كما بدا)

هذه كلمة المرحوم الاستاذ عبد العزيز جاويز (١) احذر رجال النهضة المصرية بل ورجال الشرق البارزين جعلها عنوانا لاحدى مقالاته الرائنة التي كانت تصدر في جريدة اللواء المصرية اثناء جهادة الوطني قرأتها وانا في الثامنة عشرة من عمري - قبل الاحتلال الايطالي - لطرابلس برقة - ولا ادري كيف لم تمنح الايام هذه الجملة المؤثرة من مخياي مدة تزيد على الثمانية والعشرين عاماً .

ولم نعلم ألكونها (عنوانا لمقال عجيب) ؟ أم لكوني استهجن العنوان في ذلك الوقت - رغم اعجابي بالمقال - ليقيني ان (٤٠٠) مليون مسلم منتشرين في مشارق الارض ومغاربها لا يرضون بان يعد الاسلام غريبا بينهم ؟

المادة ٢٣ - الدعوة لانتخاب اعضاء المجلس الاسلامي يجب ان تكون قبل موعد الاجتماع

بخمسة عشر يوما على الاقل

المادة ٢٤ - يصادق على قرارات المجلس قاضي القضاة وتنشر باسمه وله الحق ببرد القرار الذي يتخذة المجلس على ان يعاد فيه النظر في جلسة ثالثة في السنة الآتية واذا اصر المجلس على قراره نفذ المادة ٢٥ - لا يقرر المجلس قرارا الا بالاكثرية المطلقة ولا تتعقد جلسة الا عند استكمال

(تسع)

النصاب القانوني

* ارسل البنا الاستاذ السيد عمر فايق شنيب الطرابلسي المهاجر بدمشق في خدمة القضية الطرابلسية بهذا المقال ليقع نشره بالمجلة خدمة لقضية طرابلس المنكودة

(١) هذا الرجل العظيم كما قال المحرر هو من ابناء تونس الذين رفعوا اسمها عاليا لا في مصر خاصة بل في عالمي الشرق والغرب وكان من اضراب الشيخ محمد عبده والكواكبي والشيخ صالح الشريف وامثالهم ومن العجب انه لما توفي بمصر من منذ عشرة اعوام لم تذكر ولا جريدة واحدة نسبته التونسية مع ان عائلته لا تزال تقيم بتونس الى اليوم

ولقد حاولت ان ادرك مغزى (الاسلام غريب في بلاد) في ذلك الوقت فلم افلح ! ومن يقدر اذ ذاك ان يقنعني بان الاسلام ارتفع بارتفاع عهد الخلفاء الراشدين وتقلص ظله بعد عهد المعتصم العباسي وسيمحي اثره بعد عهد العثمانيين وان ال (٤٠٠) مليون مسلما هم مسلمون بحسب التقاليد وانحدروا من اصلا بآباء مسلمين فعاشوا بهذا العنوان وتحت هذه الجامعة وجلهم ان لم اقل كلهم يستتر وراء الاسلام وباسم الاسلام والاسلام غريب بينهم ؟

حقيقة مرة ومصيبة مؤلمة عرفتها وقررتها بعد مضي ثمان وعشرين سنة وبعد ان رأيت بام عيني الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة وقرات اخيراً ما قرره الامير شكيب ارسلان في كتابه (لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم) وقرأت له تلك الكلمة النارية التي اذاعها للملاء عن فطائع الطليان في طرابلس برقة وقال في اخرها (المسلمون ينسون سريعاً) وقد صح ما توقعه

— نشرتها مجلة الفتح في القاهرة عدد « ٢٤٦ » سنة ١٣٤٩ . لذلك حصلت لي القناعة التامة بعد ان جاهدت نفسي في اقناعها بهذه الحقيقة مدة من الزمن فياليتني وثقت بذلك منذ نشر ذلك المقال وارحتنا من جهود اسقمتها بدون جدوى لذا جعلت عنوان مقالتي هذا « الاسلام غريب في بلاد » وان كنت اود ان اجعل عنوانه (المسلمون ينسون سريعاً) لغاية في نفسي اوجهاها لوقت مناسب وربما دفنت غاييتي معي ثم اخذت ابحت عن موطن الاسلام الحقيقي الاخير الذي تتجلى فيه مظاهره الصادقة فلم اجد موطناً له اشرف واسمى من الجامع الازهر الشريف منبع الهداية الاسلامية ومحط امال العرب والمسلمين والشرق والشرقيين وهل وجدت صالتي التي طالما كنت انشدها ؟ كلا . بل اخذ يخامرني الريب ايضا في هذا المعهد الديني العظيم الذي يتخرج منه فيحول العلماء وفضلاء الفقهاء ورجال المستقبل العظماء ان يصبح فيه اساليب الدعاية الابطالية « المسلية الجديدة » تحت ستار الدين وبه مشايخ وطلبة يعملون لحساب ايطاليا لبث سموم المبادئ الفاشيستية بين تلاميذه لتضليل وتغفيل المسلمين واقناعهم بالاباطيل . اليس الاسلام غريباً في بلاد ؟ وهل بقي من الاسلام بقية في زماننا هذا ؟ اذاً الم يكن على حق من قال (الاسلام غريب في بلاد) ومن قال (المسلمون ينسون سريعاً) كافي بك ايها القاريء اللبيب لا تصدق او تريد ان لا تصدق — هذه الحقيقة الجارحة وتطلب مني الدليل والبرهان . فاجيب ان الدليل هو : كلمة الحق مرة وقاسية تجعل قائمها هدف الانتقاد وربما تجعله مضغة في السنة العباد . لان الراي العام حائر خائر يمشي مع القوي ولو على الباطل . سنة هذا الزمن . اما البرهان فبسيط وما عليك الا ان تقرأ ما ينشره اساتذة الازهر الشريف في امهات الصحف المصرية بتواقيعهم وان اردت برهاناً اسطع ودليلاً المع من ذلك فتكرم بقراءة (الرسالة الايطالية الجديدة) المسماة (ايطاليا في مستعمراتها) والتي طبعت على نفقه ايطاليا (بمطبعة الاخفاء

بالجزندارية بمصر واذا قلت لي ما دخل الازهر في هذه الرسالة ، احبك ان واضعها هو (شيخ رواق الحبرت في الازهر الشريف الشيخ محمد نور بكر وهي تحت توقيعہ) وقد كلفته ايطاليا بان يزور (طرابلس برقة) لهذه الغاية على متن طائرة بعد ان اعدت له كتاباً للدعاية التي شاءت السياسة الايطالية ترويجها وجعل هذا الشيخ ضحية دعايتها الكاذبة وترجمت له ذلك الكتاب من اللغة الايطالية الى العربية وزينته برسوم بعض المساجد والمباني التي هدمتها قنابلها ثم عمرتها بدماء اصحابها تغريرا للمسلمين ، طبعها ونشرها للعالم الاسلامي وشهد فيها على نفسه . . . وظن هو والطلبا ان المسلمين لا يقعون الا بما يصدر عن طريق الازهر الشريف . . وبذلك يضربون عصفورين بحجر واحد - كما قيل في المثل - الاول يسدلون الستار عما احدثوه من فضاء نادرة المثل في طرابلس برقة والثاني يهثون جوا جديدا في الازهر الشريف بما يجهدونه من دعايات للاعمال الشريفة التي يراد تنفيذها - عند ما تسمح الفرص - في بقية الاقطار العربية اتعاما لبرنامجه (في اعادة مجد الرومان الذي اكل عليه الدهر وشرب)

ان رواق (الحبرت في الجاع الازهر) ليس فيه هذا الشيخ - محمد نور بكر - وحده وانما يحتوي على عدد لا يستهان به من الطلبة الذين ولا شك انهم اصبحوا او سيصبحون على مذهب شيخ رواقهم . . وما مصير هؤلاء الطلبة اذا كان كبيرهم الشيخ محمد نور بكر الداعية الايطالية الجديدة هذا شأنه وهو المكلف بتثقيفهم وتربيتهم اخلاقيا ودينيا

على اني اصبحت على يقين تام من سريان هذه الدعوة في جميع الازهر الشريف فهل هناك من يضمن لي ان هذه الاعمال محصورة في (رواق الحبرت) ولم تسر العدوى لباقي الازهر في الجامع الازهر . اذ من البديهي ان الدعاية لا تتوسع بهذا الشكل في الكتب والمجلات والرسائل والصحف الا اذا اختمرت في الادمغة وكانت لها قوة تؤيدها ثم تساعدها على ظهورها . ناهيك عن التيار الايطالي الجارف في رواق المغاربة .

واني لا اريد ان اظهر للملا في مقالي هذا جميع معلوماتي التي استقيتها من منابع موثوقة عما يحاك من دسائس ويجري من الدعايات الايطالية بين جدران هذه المؤسسة الدينية العظمى . كما اني اتغافل عن ذكر اسماء الطلبة الذين ادخلتهم ايطاليا لهذا المعهد باسم تحصيل العلوم وما هم الا جواسيس على اخوانهم ودعاة يكتبون في الصحف المصرية ما نوحه اليهم القنصلية الايطالية بمصر لتلاطع العدو على كل ما نعلم فيحتاط وانما ترك قول الفصل في هذا الامر الهام لحكمة ودراية صاحب السماحة شيخ الازهر الشريف والى ولاية الامور في ذلك الوطن العربي الامين المستقل اليوم .

ولم اكن مبالغا في قولي اذا قلت لوليم يكن الامير شكيب ارسلان (غضبان) - من المسلمين وربما متأثر (حتى من الطرابلسيين البرقاويين) ومنهم - شخصي - فهل تقع مثل هذه الاعمال المضرة بالدين والمسلمين في الازهر ويسكت عنها ؟ وهو الرجل الوحيد الذي لا تفوته شاردة او واردة وقد ضحى حياته وافنى شبابه في خدمة المسلمين .

عمر قايق شنيب

اصلاح الخطأ في الجزء ٢ من المجلد ٢

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٥١	١٠	يؤيدها وغاية	يؤيدها او يمكن ان يؤيدها وغاية الذي
٥٢	٥	وتضافرت	وتضافرت
٥٣	٤	والمشايخ المدسين	والمشايخ المدرسين
٥٣	٥	المعمور (وبمقتضى	المعمور (١١) وبمقتضى
٥٣	١٣	معروضا (١) من	معروضا من
٥٣	٢١	(١٩٢٤)	(١٩٢٤) (والفقرات الموضوعة بين قوسين ماخوذة منه بالحرف)
٥٥	١	(واهدنا	و (اهدنا
٥٥	٢	(وصراط	و (صراط
٥٦	١	قراءة	قراءة
٥٧	١٩	يوهن	يوهم
٥٧	١٩	الضمثان	الظمثنان
٦٠	١٧	كأين	كأين
٦٧	٨	ايمة	ائمة
٦٩	٢٨	ولا عجب	ولا عجا
٧٠	٤	المعتال	المتعال
٧٠	١٦	١٣٥٨	١٣٥٨
٧٠	٢٤	وقته	وقتها
٧١	١	الشرف المجوع	اشرف الجروع
٧٢	١٥	نظر	نظري
٧٢	١٦	ظاهر	لظاهر
٧٤	٥	والتنقيح	والتقبيح
٧٥	٣	فلقت	فلقد
٧٥	٢٧	ءاخر	ءاخر
٧٦	١١	للمرأة	المرأة
٨٢	٢٣	المشر	المشير
٩٣	١٤	موظفها	موظفها
٩٣	٢٦	القضاة	القضاة

استدراك

تذكرنا في افتتاحية المقالين المحررتين بقلم العلامة الشيخ محمد الحجوي (صحيفة ٧٢ وصحيفة ٧٤) ان المحرر هو وزير المعارف سابقا ، والصواب أنه وزير المعارف الحالي للدولة المغربية امد الله في عمره

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية

تصديقاً لما أوجبته من قبلنا من أن تكون من بين المجلات التونسية

الجزء الثالث تونس في شوال عام ١٣٥٦ وفي ديسمبر ١٩٣٧ المجلد الثاني

فهرس العدد

صفحة	المقال	صاحبه
٩٨	تفسير سورة الفاتحة (٣)	بقلم فضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور
١٠٢	باب قوله تعالى كنتم خير امة	شيخ الاسلام المالكي
١٠٦	التأليف المولدية (٥)	الاستاذ الشيخ الصادق المهرزي
١٠٩	فتوى في العمري	العلامة الشيخ عبد الحفي الكتاني
١١٠	فتوى في رهن الزبوت لدى البنوك	شيخ الاسلام المالكي
١١١	فتوى في صلاة العيد في اليوم الثاني	"
١١٢	فتوى في رفع الصوت في المساجد	فضيلة الشيخ محمد العزيز جعيط
١١٣	التعاضد المتين بين العلم والعقل والدين	العلامة الشيخ محمد الحجابي
١١٧	الاصلاحات في الحجاز	الكتاب محمد الطاهر الطيب التونسي
١١٨	التاج الملكي الحسيني	امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه
١٢٢	تونس في القرن السابع	العالم الشيخ علي النيفر
١٢٧	جامع الزيتونة (٢)	رئيس التحرير
١٣٤	اخطاء الكتاب في العربية	فضيلة شيخ الاسلام المالكي
١٣٦	رجع الصدي لداعية الهدى (تخميس)	مدير المجلة
١٤٠	التشوق الى مآقط الراس (موشع)	فضيلة الشيخ محمد الحضر حسين
١٤١	تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية	وزير معارف الحكومة السورية
١٤٣	جمعية الحرمين الشريفين	"
١٤٤	في جمعية الشبان المسلمين	"

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب | وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠ | كانت ممضاة من امين المال
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ | والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للسلامة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديدها الأستاذ محمد بن القاسم

الجزء الثالث	تونس في شوال عام ١٣٥٦ وفي ديسمبر ١٩٣٧	المجلد الثاني
--------------	---------------------------------------	---------------

شهرية وستة عشر شهرا

صاحب المجلة :

محمد بن القاسم

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

أمين المال :

محمد بن القاسم

المدرس بجامع الزيتونة

الإدارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تلفون ٢٦-٤٩

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الإدارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمان الجزء ثلاثة فرنكات

القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر بن عاشور شيخ الاسلام المالكي

واما المسلك الثالث . فيأتي القول فيه على مراعاة قول القائلين بان البسملة آية من سورة الفاتحة خاصة وذلك يوجب ان يتكرر لفظان في كلام غير طويل ليس بينهما فصل كثير وذلك مما لا يحمده في باب البلاغة وهذا الاستدلال نقله الامام الرازي في تفسيره . واجاب عنه بقوله : ان التكرار لاجل التاكيد كثير في القرآن وان تأكيد كونه تعالى رحمانا رحيمًا من اعظم المهمات . وانا ادفع جوابه بان التكرار وان كان له مواقع محدودة في الكلام البليغ مثل التهويل في مقام الحماسة نحو « قربا مبرط النعمة مني » او في مقام الرثاء او التعديد او التوكيد اللفظي الا ان الفاتحة لا مناسبة لها باغراض التكرير ولا سيما التوكيد لانه لا منكر لكونه رحمانا رحيمًا ولان شأن التوكيد اللفظي ان يقتصر فيها اللفظان بلا فصل . فتعين انه تكرير اللفظ في الكلام للزوم التعبير عنه وذلك مشروط بان يبعد ما بين المكررين بعدا يقصيه عن السمع . وقد علمت انهم عدوا في فصاحة الكلام خلوصه من كثرة التكرار . والقرب بين الرحمان والرحيم حين كرر يمنع ذلك . واجاب البيضاوي بان نكتة التكرير هنا هي تعليل استحقاق الحمد . فقال السيلكوتي : اشار بهذا الى الرد على ما قاله بعض الحنفية : ان البسملة لو كانت من الفاتحة للزم التكرار . وهو جواب لا يستقيم لانه اذا كان التعليل قاضيا بذكر صفي الرحمان الرحيم فدفع التكرير يقتضي تجريد البسملة التي في اول الفاتحة من هاتين الصفتين بان تصوير الفاتحة هكذا « بسم الله الحمد » الخ . وانا ارى في الاستدلال بمسلك الذوق العربي ان يكون على مراعاة قول القائلين : بكون البسملة آية من كل سورة . اقول : فينشأ عن هذا القول ان تكون فواتح سور القرآن كلها متماثلة . وذلك مما لا يحمده في كلام البلغاء . اذ الشأن ان يقع التفنن في الفواتح . بل قد عد علماء البلاغة اهم مواضع التأنيق فاتحة الكلام وخاتمته . وذكروا ان فواتح السور وخواتمها واردة على احسن وجوه البيان واكملها فكيف يسوغ ان يدعى ان فواتح سورة جملة واحدة مع ان عامة البلغاء من الخطباء والشعراء والكتاب يتنافسون في تفنن فواتح منشاتهم . ويعيرون من يلتزم في كلامه طريقة واحدة فما ظنك بابلغ كلام

وحجة الشافعي ومن وافقه من القائلين بأنها آية من سورة الفاتحة خاصة أمور كثيرة أنها ما
 فخر الدين الى سبع عشرة حجة . لا يكاد يستقيم منها بعد طرح المتداخل والخارج عن محل النزاع
 وضعيف السند أو واهيه إلا حجتان . قال البيضاوي : لنا احاديث كثيرة منها ما روى ابو هريرة انه
 عليه الصلاة والسلام قال : فاتحة الكتاب سبع آيات اولاهن بسم الله الرحمن الرحيم . وقول ام سلمة
 رضي الله عنها : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب
 العالمين آية . والجواب عنها اما عن حديث ابي هريرة فهو لم يخرج له احد من رجال الصحيح واخرجه
 الطبراني وابن مردويه والبيهقي . وحسبك بذلك توهينا لصحته . فلا يعارض الاحاديث الصحيحة
 حتى نحتاج الى الجمع بين مقتضاها . واما حديث ام سلمة فلم يخرج له من رجال الصحيح غير ابي داود
 واخرجه احمد بن حنبل والبيهقي وصحح بعض طرقه . وقد طعن فيه الطحاوي بأنه روى عنه ابن ابي
 مليكة ولم يثبت سماع ابن ابي مليكة من ام سلمة « يعني انه مقطوع » على انه روى عنها ما يخالفه
 على ان شيخ الاسلام زكرياء قد صرح في حاشيته على تفسير البيضاوي بأنه لم يرو باللفظ الذي ذكره
 البيضاوي . وانما روي بالفاظ تدل على ان بسم الله آية وحدها فلا يؤخذ منه كونها من الفاتحة .
 وأما الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله فنحن لا نخالف فيه . وهو لا يقتضي الا ان ما كتب في
 المصحف كلام الله تعالى . ونحن نعترف بقرآنية البسملة اما دلالة كون ما بين الدفتين قرآنا على اكثر
 من قرآنية البسملة فلا يخفى انها منتفية اذ يجوز ان يكتب الكتابون آية من القرآن يجعلونها
 أمانة على افتتاح السورة كما يكتب بعض الكتابين « عونك اللهم » او « رب تمم بالخير » وقد اشار الى
 هذا عبد الحكيم رحمه الله بقوله : ولا نسلم تحقق التواتر بعنوان كونها من اوائل السور . نعم انه
 متحقق فيما وقع من سورة النمل) كيف ولو ثبت التواتر لانتفى الخلاف كما تقدم وقد اعترف
 البيضاوي بضعف هذا الدليل كما سيأتي . واما الوفاق على اثباتها في المصاحف مع المبالغة في تجريد
 القرآن فقد اعترف القاضي البيضاوي رحمه الله بأنه احتجاج قاصر . اذ نقل عنه انه كتب حاشية على
 هاته العبارة من تفسيره فقال : هذان دليلان يدلان على انها من القرآن لا انها من الفاتحة . الا ان
 ينضم الى الدليل الاول ان نقول في كل محل اثبت فيه - ويضم الى الدليل الثاني ان نقول : عما
 ليس من القرآن في المحل - والقيدان في حيز المنع اه . يعني ان القيدتين اللذين تعينت زيادتهما في
 هذين الدليلين ليمت الاستدلال بهما على كون البسملة من الفاتحة هما قيدان ممنوعان من جانب
 المخالف اذ لا نسلم الاجماع على ان البسملة من القرآن في كل محل اثبت فيه . ولا نسلم الوفاق على
 تجريد القرآن عما ليس من القرآن في المحل الذي ذكر فيه .

وحجة عبد الله بن المبارك وثاني قول الشافعي رحمه الله ما رواه مسلم عن انس رضي الله عنه
 قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا ذات يوم اذ اغفى اغفاه ثم رفع رأسه متبسما فقلنا :

ما اضحكك يا رسول الله قال انزلت علي سورة آتفا فقرأ باسم الله الرحمن الرحيم انا اعطيناك الكوثر السورة . قالوا وللإجماع على ان ما بين الدقنين كلام الله ولا نبات الصحابة اياها في المصاحف مع حرصهم على ان لا يدخلوا في القرآن ما ليس منه ولذلك لم يكتبوا آمين في الفاتحة . والجواب عن الحديث انا نمنع ان يكون قرأ البسملة على انها من السورة بل افتتح بها عند ارادة القراءة لانها تقني عن الاستعاذة اذا نوى المسلم تقدير استعيز باسم الله وحذف المتعلق . والباء في باسم الله الرحمن الرحيم متعلقة بمحذوف تقديره أقرأ لانها شرعت لابتداء الامور فالترزم حذف متعلقها إيجازا اعتمادا على القرينة فهي ظرف لغو معمول للفعل المحذوف ومتعلق به وليست ظرفا مستقرا مثل الظروف التي تقع اخبارا . ودليل المتعلق هو العمل المشروع فيه ولذلك كان تقدير متعلق خاص هو لفظ يدل على ما جعلت التسمية مبدا له دون المتعلق العام كالاتداء فضلا عن الكون او الاستقرار لان القرينة الدالة على المتعلق هي الفعل المشروع فيه المبدوء بالبسملة فتعين ان يكون المقدر اللفظ الدال على ذلك الفعل ولان مقصد المبتدي بالبسملة ان تكون اجزاء فعله مقارنة ببركة اسم الله تعالى فذلك ناسب ان يقدر متعلق الجار لفظا دالا على الفعل المشروع فيه ولو قدر المتعلق معنى الابتداء لتوهم ان الذي يتيمن له بالاسم العلي هو مبدا الفعل لا غير وان كان التيمن في المبدأ يعد تيمنا في الجميع بحسب العرف لكن التقدير الآخر اليق بالادب وأقطع لتوهم التقصير في التيمن

وبالباء باء الملاسة وهي المصاحبة كما هي في قوله تعالى « تنبت بالدهن » وقولهم بالرفاء والبنين وهذا المعنى هو اكثر معاني الباء واشهرها قال سيويه الالتصاق لايفارق الباء والبيه ترجع تصاريف معانيها ولذلك قال صاحب الكشف وهذا الوجه اعرب واحسن اي ادخل في العريية واحسن لما فيه من زيادة التبرك بملاسة جميع اجزاء الفعل لاسمه تعالى .

وقد تكلموا على ملحظ تطويل الباء بكلام كله غير مقنع والذي يظهر لي ان الصحابة لما كتبوا المصحف طولوها في سورة النمل للإشارة الى انها مبدأ كتاب سليمان فهي المحكي فلما جعلوها علامة على فواتح السور نقلوها برسمها . وتطويل الباء فيها صالح لاتخاذ قدوة في ابتداء الغرض الجديد من الكلام بحرف غليظ او ملون

والله اصله الآله بالتعريف وهو تعريف الاله الذي هو اسم جنس للمعبود مشتق من الاله بالتحريك بمعنى عبد او من الاله بكسر العين بمعنى تحبر او سكن او فزع او ولع مما يرجع الى معنى هو منزوم للخضوع والتعظيم . فهو فعال بكسر الفاء بمعنى مفعول مثل كتاب اطلقه العرب على كل معبود من اصنامهم لانهم يرونها حقيقة بالعبادة ولذلك جمعوها على آلهة بوزن افعلة وتخفيف الهزرة الثانية مدة ولما كان واجب الوجود سبحانه وهو الاله حقا عندنا هو باعترافهم اعظم الآلهة وموجدتها وما لكها لما كان ذلك اطلقوا عليه اسم هذا الجنس معرفا بال المعهية الذهنية فقالوا الآله بمعنى الآله الكامل الاكبر الذي هو الاول

بهذا الاسم من بين هذا الجنس فصار هذا الاسم بالتعريف مستعملاً له سبحانه وتعالى حتى صار بكثرة الاستعمال لا يفهم منه الا هو فصار علماً بالغلبة عليه تعالى مثل النجم على الثريا والصعق على خويلد بن نفيل وعليه فلفظ الآله بالتعريف قد يطلق عندهم على غيره تعالى من بقية معبوداتهم لان اصل العلم بالغلبة لا يمنع اطلاقه على غير المفضل عليه وبذلك كان اضعف من العلم الشخصي حتى قال المحققون من النحاة انه ملحق بالعلم وليس بعلم وهو اختيار ابن عصفور . وعليه فتكون استفادة ارادة المتكلم من المعرف عند اطلاقه هل اراد تعريف الجنس او تعريف العلمية بالغلبة منوطة بالقرائن وصلوحية السياق . فلما غلب الآله على رب الارباب عندهم وموجد كل شيء بطريقة التغليب اشتقوا له من اسم الجنس علماً بزيادة في الدلالة على انه الاولى باطلاق هذا الاسم عليه بعد ان دلوا على تلك الاولوية بالعلمية الغلبة ليصير الاسم خاصاً به غير جائز الاطلاق على غيره على سنة الاعلام الشخصية . واراهم أبدعوا وأعجبوا اذ جعلوا علم ذاته مشتقاً من اسم الجنس المودن بمفهوم الالهية تنسبها على ان ذاته تعالى لا تستحضر لواضع العلم الا بوصف الالهية وعلى انه تعالى اولى من يؤله وبعد لانه خالق الجميع فحذفوا الهمزة من الآله لكثرة استعمال هذا اللفظ عند الدلالة عليه تعالى كما حذفوا همزة الاناس فقالوا الناس ولذلك اظهروها في بعض الكلام قال اللعيث بن حريث من شعراء الحماسة

معاد الآله ان تكون كضية ولا دمية ولا عقيلة ورب (١)
كما اظهروا همزة الاناس في قول الشاعر

ان الدنيا يطلعن على الاناس الاميين

وقد التزم العرب تفخيم لامة اذا لم ينكسر ما قبل لفظه وقد حاول بعض الكتاتين توجيه ذلك بما لا يسلم من المنع ولذلك ابى صاحب الكشاف التعريج عليه فقال : وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه كابراً عن كابر



(١) هذا الشعر من الحماسة وهو عشرة ابيات اولها :

خيال لام السلسيل ودونها مسيرة شهر للبريد المذبذب

وبعد البيت :

ولكنها زادت على الحسن كله كما لا ومن طيب على كل طيب

وهذا الشاعر غير مولد كما هو ظاهر كلام المعري الذي نقله الخطيب التبريزي في شرحه

الحديث الشريف

باب قوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس

روى البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال : كنتم خير امة اخرجت للناس
أي خير الناس للناس تاتون بهم بالسلاسل في اعناقهم فيدخلون في الاسلام
البيان

بقلم العلامة التحرير الشيخ الصادق
المحرزي الاستاذ بجامعة الزيتونة

إن الله تعالى امر المؤمنين بالطاعة والاعتصام بالدين الحق فقال جل ذكره (يا ايها الذين
« آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا) . وحذرهم
من ان يكونوا مثل اهل الكتاب فقال (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد
ما جاءهم البينات) وبين ثواب المطيعين وعقاب الكافرين يوم الجزاء فقيال (فاما الذين اسودت
وجوههم أكفرتهم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله هم فيها خالدون) ثم اراد سبحانه ان يقوي عزمهم على الطاعة ويحملهم على
اتباع الاوامر واجتناب النواهي بما هو من انفسهم حيث كانوا . من سبقت لهم الـ عادة الازلية
كما يقول الانسان لغيره انت من بيت فضل ومجد فاللائق بك التحلي بالفضائل والتخلي عن الرذائل
قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) اختلف
القول في كان من الآية الكريمة هل هي تامة او ناقصة او زائدة قليل هي تامة بمعنى وجدتم في الازل
حالة كونكم خير امة اخرجت للناس كما في قوله تعالى (وكان الله غفورا رحاما) وقيل ناقصة
والمقصود خبرها واليه ذهب صاحب الكشاف وصاحب البحر غير انهما اختلفا في التخريج لتفصي
عما يوهمه التفسير بالماضي من الانقطاع فقال الزمخشري هي في الآية كاصلا عبارة عن وجود الشيء في
زمان ماض على سبيل الابهام ولا يدل ذلك على انقطاع طار بدليل قوله تعالى واستغفروا ربكم انه كان
غفارا وقال ابو حيان هي كسائر الافعال يدل الماضي منها على الانقطاع ثم قد تستعمل حيث
لا يكون انقطاع كما في الآية وفي قوله تعالى (ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا) وفرق بين

الدلالة والاستعمال الاترى انك تقول هذا اللفظ يدل على العموم ثم تستعمله حيث يراد به الخصوص ومحور الخلاف ان صاحب الكشف يحملها في الآية على الحقيقة وصاحب البحر على المجاز والحمل على الاول اولى وعلى الثاني اظهر . واما القول بزيادتها في الآية فهو قول مرجوح جعله الشهاب القسطلاني غلطاً بما حكاه عن ابن مالك من اتفاق النحاة على عدم زيادتها في الابتداء ووجهه بان سبيل العرب ان يبدأوا بما تنصرف العناية اليه والزائد لا يكون في محل العناية وبان كان الزائدة ملغاة عن العمل وهي في الآية عاملة في الخبر فلا يصح القول بزيادتها . واختلف المفسرون في المراد بالخطاب في الآية فقيل عموم الصحابة وقيل خصوص المهاجرين من مكة الى المدينة وهو احد خبرين عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل عموم الامة وهو الخبر الثاني عن ابن عباس والخطاب في الآية كالخطاب في قوله تعالى كتب عليكم الصيام فلا تخصيص فيه ويؤيد الحمل على العموم عموم الخطاب في الآية قبلها وهي قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته) وقوله (واعتصموا بحبل الله جميعاً) اذ الظاهر اجراء الخطابات على وتيرة واحدة ويؤيد الحمل على العموم ما رواه الامام احمد في مسنده بسند حسن عن ابي الحسن كرم الله وجهه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطيت ما لم يعط احد من الانبياء نصرت بالرعب واعطيت مفاتيح الارض وسميت احمد وجعل التراب لي طهوراً وجعلت امتي خيرا لامم ولا ينافي حمل الآية على الحديث تقييد الامة في الآية بقوله تامرون بالمعروف الذي هو بمعنى الحال وقد تقرر عند الاصوليين ان الحكم اذا اعقب بوصف صالح للعلية كان الوصف علة للحكم والوصف هنا صالح للعلية وفي معنى الشرط ايضا كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه في بعض خطبه ايها الناس من سره ان يكون من تكلم الامة فليعمل بشرط الله فيها تامرون بالمعروف وتهون عن المنكر لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من باب فرض الكفاية اذا قام به البعض سقط عن الباقي ولا تخلو عنه الامة في عصر من العصور اذ هو درجات ادناها التغيير بالقلب كما قال صلى الله عليه وسلم من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فان لم يستطع فليسهان فان لم يستطع فليقلبه وذلك اضعف الايمان بيدان خيرية الامة تتفاوت كما قال صلى الله عليه وسلم خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم قال الشهاب القرافي في الفرق السبعين بعد المائتين سؤال : قد تجد اعظم الناس ايماناً يعجز عن الانكار وعجزه لا ينافي تعظيمه لله تعالى وقوة ايمانه لان الشارع منعه منه او اسقطه عنه بسبب عجزه لكونه يؤديه الى مفسدة اعظم او تقول لا يلزم من العجز عن القربة قصص الايمان . فما معنى قوله عليه السلام وذلك اضعف الايمان ثم قال رحمه الله وجوابه ان المراد بالايمان العملي الوارد في قوله تعالى (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي صلاتكم بيت المقدس وقال صلى الله عليه وسلم الايمان سبع وخمسون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها إمطة الاذى عن الطريق وحاصل الجواب يرجع الى ان الايمان قسمان اعتقاد وعمل وتغيير المنكر من الثاني وهو مزائب اتواها التغيير باليد

لاستلزامه ازالة المفسدة على الفور ثم التغيير بالقول لانه قد تقع به الازالة وقد لا تقع ثم التغيير بالقلب لانه لا يؤثر ازالة البتة ولذا كان اضعف العمل ولا يخفى ان القرآني رحمه الله بنى السؤال والجواب على ان المراد بالايمان في الحديث ايمان الناهي والذي يظهر ان المراد به حال الايمان نفسه اذا كان الانسان بحيث لا يقدر ان يصدع باوامر الله تعالى ونواهيه خشية عواقب ذلك حتى لا يمكنه ان يتجاوز بتغيير المنكر القلب فهذا الحال اضعف احوال الايمان واشبه بحاله في اوله كما قال عليه الصلاة والسلام بدى الدين غريبا وسيعود غريبا وتتجه في الآية الكريمة اسئلة الاول لم ذكر فيها الايمان بالله متاخرا مع انه الاصل في جميع الطاعات واجيب بان الايمان بالله مشترك بين جميع الامم المحقة والآية مسوقة لتفضيل هاته الامة بالخيرية على سائر الامم فيمتنع ان يكون المؤثر في حصول التفضيل هو القدر المشترك بين الكل وايضا الايمان شرط لتاثير الطاعة والطاعة مؤثرة في الوصف بالخيرية والوصف المذكور اثرها والمؤثر الصق بالانتم من شرطه الذي هو الايمان ولهذا السبب قدم الامر بالمعروف والنهي على المنكر عن الايمان بالله في الذكر وان كان هو الاصل في جميع الطاعات . السؤال الثاني لماذا اكتفى في الآية بالايمان بالله ولم يذكر معه الايمان بالنبي صلى الله عليه وسلم مع انه لا بد منه في حصول الايمان المطلوب من الامة واجيب بان المراد الايمان الواجب شرعا وهو المستوعب للايمان به تعالى وبكتبه وبرسوله بدون تفريق بين احد منهم قال في الكشف جعل الايمان بجميع ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من امن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او غير ذلك لم يعتد بايمانه وكأنه غير مؤمن بالله قلت ويؤيد ذلك ما ذكر عقب الآية الكريمة من نفي الايمان عن اهل الكتاب بقوله تعالى : لو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم مع انهم مؤمنون بالله في الجملة وقال تعالى (ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسوله ويقولون تؤمن ببعض ونكفر ببعض الى ان قال اولئك هم الكافرون حقا . السؤال الثالث كيف كان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصوصيات هذه الامة مع انه موجود في غيرها قال تعالى ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون وقال تعالى في حق اهل ايلياء وكانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وذمهم على ذلك يقتضي وجوبه عليهم واجاب الرازي بما نقله عن القفال رحمه الله بان تفضيل هذه الامة بذلك انما كان لاجل انهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأكد الوجوه وهو القتال لاعلاء كلمة الدين اذ أعرف المعروفات الايمان بالله وانكر المنكرات الشرك به تعالى واقبال هاته الامة على الجهاد في سبيله تعالى اقوى من اقبال غيرها فقد قال في حق بني اسرائيل (فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين) وقولهم اطالوت لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وقولهم لموسى عليه السلام فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فانظر هذا مع قوله تعالى في حق شهداء احد (من المؤمنين رجالا صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) قلت ولا يخفى ان جواب القفال انما يمشى على ان المراد من الامة في

الآية خصوص الصحابة او المهاجرين ومن حذا حذوهم اذ هم الذين قاموا باعباء الجهاد لاعلاء كلمة الدين وقد تقدم لنا ان الاظهر في الآية حمل الامة على عموم امة النبي صلى الله عليه وسلم لما سقنا من الأدلة لاسيما والامر بالمعروف واجب في حق جميع الامة وهو الظاهر من حديث من رأى منكس منكرا فليغيره وهو درجات كما هو صريح الحديث وحمل المقال التغيير في الآية على خصوص التغيير باليد من باب حمل المطلق على بعض افراده وذلك يحتاج الى قرينة ولا قرينة هنا وعليه فالأظهر في الجواب ان المنظور له في تفضيل هاته الامة على غيرها من الامم هو جميع الصفات الثلاثة اعني الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والايمان بالله وقد قدمنا ان المراد به الايمان الواجب شرعا وهو المستوعب للايمان به تعالى وبكتبه ورسله من غير تفرقة بين احد من كتبه ومن رسله ولا شك ان الايمان بهذه الصفة انما حصل لهذه الامة فقط لان غيرها من الامم وان آمنوا بكتبهم ورسلم لكنهم لم يؤمنوا بجميع الكتب التي منها القرآن العظيم وجميع الرسل الذين افطلم النبي العربي صلى الله عليه وسلم لتأخر نزول القرآن وبعبته صلى الله عليه وسلم ولا شك في ان هذه غاية كبرى من الحق جل وعلا بهذه الامة التي سبقت سعادتها في الازل وكفالك بذلك مقتضيا لافضليتها على غيرها وما بنى عليه القفال من ان الخطاب لخصوص الصحابة او المهاجرين هو احد قولي ابن عباس رضي الله عنهما وان كان الاظهر كما قدمنا حمل الخطاب على العموم . وقد نحا ابو هريرة رضي الله عنه في تفسير الآية منحى ابن عباس بما رواه البخاري عنه في حديث الباب حيث قال : اي خير الناس للناس تأتون بهم بالسلاسل في اعناقهم فيدخلون في الاسلام يعني تقتاتلونهم على الكفر بالله وتأتون بهم أمرى فتدخل بشاشة الاسلام في قلوبهم بالمخالطة لاهله فيسلمون . وفي معناه ما ورد مرفوعا عنه صلى الله عليه وسلم عجب الله من أناس يدخلون الجنة في السلاسل . ومما ورد صريحا في افضلية هذه الامة عن سائر الامم بما خصها الله تعالى من المزايا التي اعظمها ان كانت امة لذلك النبي الكريم والرسول الرحيم ما روي في الصحيح عن قتادة رضي الله عنه مرفوعا ان موسى عليه السلام قال يا رب اني وجدت في الألواح امة هم خير الامم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح امة هم الشافعون المشفعون فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح امة كفارة خطيائهم الصلوات الخمس فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح امة يدخل الجنة منهم سبعون الفا بغير حساب فاجعلهم امتي قال تلك امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح امة هم الآخرون السابقون يوم القيامة فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح امة اذا هم احدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واحدة فاذا عملها كتبت له عشر امثالها الى سبعمائة ضعف واذا هم احدهم بسنة لم يكتب عليه سنة واحدة فاذا عملها كتبت عليه سنة واحدة فاجعلهم امتي قال هم امة محمد قال يا رب اني اجد في الألواح

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف

وبيان اخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ

محمد عبد الحي الكتفاني الشريف

« ٥ »

حرف النون

« النعمة الكبرى » لابن حجر الهيثمي هو اسم مولدة الكبير لم اقف عليه وانما وقفت على

اختصاره وقد سبق في حرف الحاء

« نتائج الافهام » في تقويم العرب قبل الاسلام وفي تحقيق مولد النبي وعمره عليه السلام الفه

بلغة عجمية محمود باشا الفلكي المصري وترجمه احمد زكي المصري اوله نحمدك اللهم يا أول لا تاريخ

لاوليته وهو مطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر عام ١٣٠٥ - ص ٦٤ حرر فيه ان الولادة النبوية كانت

في يوم الاثنين ٩ ربيع الاول الموافق ٢٠ افريل عام ٥٧١ - مسيحية

« نور البصائر وكشف الكروب » في مولد وشمائل ومعجزات الحبيب المحبوب للشيخ احمد

البخاري الديلمي الشافعي اوله الحمد لله الذي اوجد سيدنا محمدا رحمة للعالمين طبع بمطبعة بولاق

عام ١٢٩٦ في ص ٢٧

« نور السراج » في مولد النبي صلى الله عليه وسلم والمعراج مطبوع بمصر

« النور اللامع » بمولد الرسول الخاتم الفانح لصديقنا نقيب العائلة الملوكية بمكناس وزرهون

امة اناجيلهم في صدورهم وكانوا يقرؤن نظرا فاجلهم امتي قال هم امة محمد حتى كاد موسى عليه

السلام يتمنى ان يكون من امة محمد فأوحى الله اليه يا موسى اني اصطفيتك على الناس برسالتني

وبكلامي فخذ ما اتيك وكن من الشاكرين . ومن خصوصيات هذه الامة اعطاء الاجر الجزيل على

العمل القليل فقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم حث يوما اصحابه على الصدقة فجعل الناس

يتصدقون وابو امامة الباهلي جالس بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحرك شفتيه فقال له رسول

الله صلى الله عليه انك تحرك شفتيك فماذا تقول عند ذلك فقال ابو امامة يا رسول الله ان الناس

يتصدقون وليس عندي ما تصدق به فقول في نفسي سبحان الله والحمد لله ولا الا الا الله والله اكبر

فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ابا امامة هذه الكلمة خير لك من مد من ذهب تصدق به على المساكين

المؤرخ الاديب ابي زيد عبد الرحمن ابن زيدان العلوي المكناسي اوله حمدا لك اللهم على ان افتتحت بالنور الزاهر الطاهر الوجود وهو مطبوع بتونس في صفحات ٧٠

« النظم البديع » في مولد الشفيح لبوصيري العصر حبيبنا ومحبنا الشيخ ابي المحاسن يوسف ابن اسماعيل النهاني البيروني المتوفى عام ١٣٤٩ اوله : الحمد لله على الآئه محمد امرئى اخلف في ادائه . نظم مسبوك مطبوع مرارا

« النابلسي » تقدم ذكر مولده

« الناصحي » هو البرهان محمد الناصحي عمل مولدا في كرايس قاله في كشف الظنون « ابن ناصر الدين ، الدمشقي له موالد ثلاثة . انظر جامع الآثار والمورد الصادي واللفظ الراق

حرف الصاد

« صفوة الخلاصة » في مولد مزيل الحصاصه لصاحبنا الشيخ رضوان العدل البيروسي الجزري المصري اوله : احمدك اللهم ان جعلت منشانا من النور المحمدي . اكمله عام ١٢٩٦ طبع بمصر بالمطبعة الاميرية ببولاق عام ١٣١٣ في ص ٤٤

حرف العين

« ابن ابي عاصم » هو ابو بكر احمد ابن عمر النبيل ابي عاصم الشيباني الزاهد قاضي اصبهان الامام الحافظ الكبير الشأن صاحب الرحلة الواسعة والتصانيف المفيدة النافعة كما قال الحافظ ابن ناصر في شرح بديعة البيان توفي كما في تذكرة الحفاظ للذهبي سنة ٢٨٧ - ذكر له ابن سليمان للرداني في حرف الميم من صلة الخلق كتاب مولد النبي صلى الله عليه وسلم وماعه وذكر انه يرويه بسنده الى ابي الحجاج يوسف ابن خليل عن محمد ابن ابي زيد الكراني عن محمود بن اسماعيل الصبري عن محمد ابن عبد الله بن شاذان عن عبد الله بن محمد القباي عنه هـ . منه فاستفدنا ان اهل القرن الثالث الفوا في المولد النبوي وهي فائدة كبيرة

« ابن علان » سبق ذكر مولده في حرف الميم

« عبد الله » الحمصي الدمشقي له مولد طبع بمصر ص - ١٦

« عبد القادر الطرابلسي » هو العلامة الشيخ عبد القادر الطرابلسي المدني الحنفي المتوفى بالمدينة المنورة سنة ١٣١٦ له مولد في جزء اوله : الحمد لله الذي تفضل بالنور المحمدي على جميع المخلوقات موجود في المكتبة الكتانية بالخط

« عطية الاحبوري » انظر في مولد المدابني

« عطية ابن ابراهيم » الشامي كان موجودا عام ١٤١١ له مولد منظوم بالمطبعة العلمية ٣٦

« عطية القماش » الدماطي تقدم ذكر مولده

« عرف التعريف » بالمولد الشريف للحفاظ أبي الخير ابن الجزري وهو مختصر من مولدة الكبير ذكره له جماعة ممن ترجمه كالسخاوي في الضوء اللامع وقد ساق اسناده شيخ الاسلام زكرياء الانصاري في مشيخته قائلا عرف التعريف في المولد الشريف اخبرني به الشيخ زين الدين ابو النعيم (رضوان) المستعلي بسماعه على مؤلفه الشيخ شمس الدين محمد ابن الجزري بالمكان الذي ولد فيه بمكة اهـ

« العزب » تقدم ذكر مولدة

« الحفاظ » العراقي تقدم ذكر مولدة

« عياض » وجد في مجموع السيد احمد المكي الجزائري مولد منشور نسب لعياض اوله الحمد لله رب العالمين وهو مطبوع في دمشق ص ١٩ - لكن نفسه بعيد عن انشاء عياض ولعل العزبي هو اول من الف من المغاربة في المولد .

« عفيف الدين » الاجلي قال في كشف الظنون جمع السيد عفيف الدين الاجلي الشيرازي عدة مواليد اهـ

« العقد الانور » اسم مولد البرزنجي تقدم

« العلم الاحمدي » في المولد المحمدي للشهاب احمد الحلواني الدماطي صاحب مواكب ربيع اوله الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله قد التقطت من كتاب المواكب وغيره شذورا في قدر درسين لاحياء ليلتين كليدي العيدين وفصلته في فصول على عدد ابواب الجنة وهو مطبوع بمطبعة محمد افندي مصطفى عام ١٣٠٥ ص ٣٠ - قال في اخره حين تكلم على الاعتناء بالمولد وقراءة قصة المولد الشريف وما اشتمل عليه من كراماته ان كان ذلك من تحرير عالم متق متدين بخلاف الخرافات الشائعة اليوم بين الجهال فذلك مما يجب انكاره وحينئذ فليكن ذلك من عالم موثق به أو بتقريره حتى يحصل المقصود من بيان امر المولد وكراماته الذي هو تمام النظام الذي ترجى به المثوبة الخ .

« عائشة الباعونية » الدمشقية الشيخة الادبية ابنة عبد الوهاب لها مولد طبع بدمشق عام

١٣٠١ - ص ٥١

« عنوان المزنة » في سيرة ومولد خير البرية لنقيب الاشراف بالسوداء ابي هاشم عبد الله محمد الشريف العباسي الحنفي المتوفى سنة ١٣٢٥ - طبع بمطبعة الاتحاد والاخوة بمصر عام ١٣٣٤ - في ص ١٤٠ - وطبع ايضا قديما عام ١٣٠٠ ومؤلفه عليه شرح سماه النفحات الجليلة على الكافية وعنوان المزنة .

الفتاوى والاحكام

سؤال ١ : اما بعد فال المطلوب منكم الجواب الشافي عن هذه القضية الفقهية ادام الله وجودكم لحل المشكلات ونصها :

ما قولكم سادتي العلماء في رجل قال في عمرته : وذلك على ولده الصغير في حجرة مع من يتزايد له بعده من الذكور والاناث للذكر مثل حظ الانثيين ثم على اولاده الذكور فقط واولاد اولاده ما تناسلوا وامتدت فروعهم ولا مدخل للاولاد مع آبائهم ومن مات منهم عن غير عقب فولده بمزلة ومن مات منهم عن غير عقب رجع نصيبه لبقية اخوانه الاشقاء او لاولاده ان كانوا وان انقرضوا ولم يبق لهم عقب رجع للاخ الكبير . هذا لفظ الوثيقة الذي ينبغي عليه الجواب ثم مات من وقعت له العمرى عن اخ شقيق له ولد عدة ودخل معه في العمرى المذكورة وعن اخ شقيق لهما اكبر منهما غير داخل في العمرى وعن اولاد اخ كبير غير شقيق لهما اكبر من الجميع فهل يا سادتي يكون نصيب الميت المذكور الذي وقعت له العمرى حيث مات ولم يترك عقباً لاخته الشقيق الصغير الذي ولد بعده يختص به هو واولاده بعده لاحتمال قول المعمر ومن مات منهم عن غير عقب رجع نصبه لبقية اخوانه الاشقاء ان يكون المراد يدخل معه في العمرى فقط او يدخل فيه الشقيق الكبير لكون ذلك اللفظ يحتمل دخول الاخوة الاشقاء بدليل قوله وان انقرضوا ولم يبق لهم عقب رجع للاخ الكبير ومعلوم ان الاخ الكبير هو غير ذلك الشقيق بدليل حصر المرجع فيه ولو اراد به الشقيق لزاد درجة ثالثة فقال وان انقرض الاخ الكبير الشقيق عن غير عقب رجع للاخ الكبير غير الشقيق وهذا هو المتبادر للفهم واظهر الاحتمالات والعمل باظهرها واجب كما نص عليه الخطاب وغيره وقال ابن رشد في نوازل ما كان الكلام محتملاً لوجهين فاكثر حمل على اظهر محتملاته الا ان يعارضها اصل فيحمل على الاظهر من باقيا وموثق الوثيقة فقيه عارف باحكام الوثائق فحشد لا يحل العدول عن لفظها الصريح الى المحتمل كما نص عليه في المقدمات لابن رشد ونصها لا خلاف ان الالفاظ المسموعة انما هي عبارة عما في النفس فاذا عبر المجس عما في نفسه من ارادته بلفظ غير محتمل نص فيه على ادخال شيء او اخراجه منه وقفنا عنده ولا يصح لنا مخالفة نصه الى ان قال ناقله فاذا تقرر هذا فمسألتكم اذا كتب الوثيقة عدل فقيه ذو دراية وباهة وجب الوقوف عند الفاظها الصريحة فيعمل على مقتضاياتها ويجب حمل محتملها على ما يغلب على الظن ان المجس ارادة وقصده وقد نص الخطاب ايضا على ان اللفظ يحمل على اتم مواردته والله تعالى اعلم وبه التوفيق والهادي الى

اقوم طريق بينوا لنا ذلك ايها السادة الاخيار بنصوص واضحات مأجورين من رب الارض والسموات .

الجواب :

ان هذه العمرى لما وقعت معقبة فهي من قبيل الحبس وخارجة مخرجه واطلاق اسم العمرى عليها مجاز بناء على ما حققه نحارير المذهب من ان الفاظ التبرعات يستعمل بعضها في بعض مع القرينة وعليه فيختص بهذه العمرى الولد المسمى في نصها والولد المتزايد بعد دون ولدي المعمر الذين هما اكبر من المتزايد اذ لا تشماهما صيغة العمرى .

ثم ان نصيب احد الولدين المجمعولة لهما العمرى بالاصالة الذي مات عن غير عقب يرجع الى اخيه الشقيق المشارك له في العمرى فيكون خلفا عنه بعد موته دون الاخ الشقيق الآخر الموجود ودون اولاد الاخ الشقيق الآخر المتوفى لان اللفظ المعبر به عن المرجع في الفاظ الواقفين يكون صادقا على مدلول ذلك اللفظ من مستحقي الوقف دون غيرهم لانهم غرض المتكلم وموضوع حديثه حسبما نص عليه فقهاؤنا هذا هو ظاهر اللفظ في مثل هذا المقام المتعارف بين الناس وهو ايضا اتم موارد لفظ الشقيق هنا لان الشقيق الصغير يزيد على الشقيق الكبير بكونه مشاركا لصاحب المناب المتحل في الحبس ففيه حمل اللفظ على اظهر محتملاته وذلك هو الوجه في حمل الظاهر وليس هذا اللفظ نصا لان النص هو ما افاد معنى لا يحتمل غيره فلذلك لا يتنزل عليه كلام الرهوني المذكور في السؤال فاذا قال المحبس ومن مات رجع نصيبه لاختوته حمل على ان المراد اخوته المستحقون معه في ذلك الحبس ولا يمنع من ذلك تعبير المعمر بصيغة اخوته بلفظ الجمع لانه اراد على تقدير ان يكون من يتزايد له بعد تاريخ العمرى اكثر من واحد بقرينة قوله « ان كانوا » وقوله لبقية اخوته مع انهما اخوان اثنان ولصريح قوله فان انقرضوا رجع للاخ الاكبر . واذا كان نصيب احد الولدين الذي مات عن غير عقب راجعا للاخ المشارك في العمرى فاذا مات هذا المشارك وترك اولادا كان نصيبه المنجر له بالاصالة في العمرى والنصيب الصائر له بالخلفية من اخيه المشارك المتوفى راجعا كلاهما لاولاده بعد موته . افتيت بذلك وانا محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

سؤال ٢ :

وبعد فقد اذنت الدولة التونسية بمقتضى امر علي من سمو الباي المعظم في اباحة رهن زيت الفلاح وصاحب المعصرة لدى سائر البنوك الموجودة بتلك الجهة بدون ان يدفع الراهن شيئا من المصاريف سوى كراء الماكن ان كان في غير محله الخاص ومع ذلك يتقاضى من كل مائة فرنك خمسة وثمانين يقضي بها شؤونه السلازمة والرهن يكون على سعر ٩٠ هـ للمصري وسعر ٦٨٠ للعالي ولكن يقال ان الدولة تعهدت للبنوك بدفع ما يلزم من الربا عن مدة الاشهر القانونية وهذا المعلوم مرسوم

بميزان ١٩٣٨ المقبل بعنوان يدفع هذا المبلغ لتوثيق زيوت الفلاح والمعاصري او نحو ذلك. وحيث ان الملائكة المتوسطة وخصوصا الضعيف منهم في احتياج اكيد لتسديد ما يتطلب منهم بصفة اجبارية والتجار اليهود يتوقعون ذلك لفائدتهم الخاصة في تزامم البائعين في آن واحد وحيث يتوقع بعد المسيرة غلاء الزيت ولو نسبيا كما لا يخفى وحيث توقف بعض الاخيار مع اضطرارهم في استعمال تلك الطريقة المذكورة خوفا من الربا فقد راينا ان نطالب من جنابكم وكمال اخلاقكم وسعة علمكم التامل من السؤال والجواب عنه بالمجلة الزيتونية حفظكم الله ورعاكم

الجواب :

اما بعد فالجواب انه يجوز لمالك الزيت ان يرهنه لدى البنوك على هذا الوجه الذي لا يدفع فيه فائضا ربويا واما ما التزمت به الدولة للبنوك على تقدير صدق الاشاعة فتلك عقدة بين متعاقدين ءاخرين اذ للدولة التزامات متنوعة لاقامة المشروعات العامة وليس على الراعي تبعة فيما تلتزم به الدولة لغيره من مثل هذا اذ الاصل ان المكلف لا يؤاخذ بفعل غيره . وكتبه فقير ربه عبده محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

سؤال ٣ :

ساداتنا العلماء الاعلام هداة الانام متع الله بوجودكم الخاص والعام ما قولكم رضي الله عنكم في اهل بلد وردت الى قاضيهم بعد الزوال شهادة من بلد آخر بعيد عنهم تثبت ان هلال شوال رى في مساء امسه فهل عليهم ان يصلوا صلاة العيد في ذلك الوقت بعد الزوال او هل يصلونها من ضحى الغد او لا يصلونها وقد افناهم بعض الطلبة بانهم يصلون العيد في ضحى اليوم الثاني وزعم ان ذلك ورد في السنة

الجواب :

اما بعد فالجواب ان المذهب انها لا تصلى اذا زالت الشمس من يوم الفطر او يوم الاضحى قال ابن شاس في الجواهر « واذا فاتت صلاة العيد بزوال الشمس فلا تقضى واذا شهد الشهود على الهلال قبل الزوال افطرونا واصلينا وان شهدوا بعد الزوال افطرونا وتسقط صلاة العيد اه » ووافقا على ذلك ابو حنيفة والشافعي وابو ثور رحمهم الله واقول مدرك مذهبا ان وقت صلاة العيد هو صباح اليوم الاول من ايام العيد الى زواله . فاذا زالت الشمس من اليوم الاول من العيد فقد اجتمع فقهاء الاسلام على انها لا تصلى بعد الزوال . فهي في ذلك كصلاة الفجر . لان وقتها قد فات فلا توقع بعده الا قضاء وهي لما كانت غير واجبة فالامر بها لا يستلزم القضاء اذا فات وقتها . لان ائمة الاصول وان اختلفوا

في أن الأمر هل يستلزم القضاء أو لا بد للقضاء من أمر مخصوص وكان التحقيق أن لا بد لمشروعية القضاء من أمر يدل على طلب القضاء عند الفوات فخلاهم خاص بأمر الوجوب كما يؤخذ من استدلالهم وأمثلتهم ألا ترى أن صلاة الفجر لا تقضى بعد زوال يومها ولا صلاة الوتر بعد الصبح وطلوع الشمس ولو سلمنا أن صلاة العيد واجبة وتقضى لكان إيقاعها في مساء اليوم الأول أولى من إيقاعها في صباح الغد فيكون اجتماعهم على أنها لا تصلى بعد الزوال حجة على القائلين بأنها تقضى من الغد لأن صلاة العيد إذا كانت غير فرض فلا وجه لقضائها وإذا كانت فرضاً تقضى فلا وجه لتأخير القضاء إلى الغد إذ لا نظير لذلك في الشريعة ولأن الصلوات المشروعة فيها الاجتماع لا يشرع فيها القضاء ألا ترى أن الجمعة لا تقضى إلا ظهراً مع أنها أولى بالقضاء لأن الجماعة فيها واجبة وإن صلاتي الكسوف والاستسقاء لا يقضيان، وذهب أحمد بن حنبل والظاهرية والأوزاعي وإسحاق بن راهوية وسفيان بن عيينة وأبو يوسف من أصحاب أبي حنيفة إلى أنها تقضى من ضحى الغد (١) وتمسكوا بحديث رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد بن حنبل عن أبي عمير بن أنس بن مالك عن أعمام له من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا غم علينا هلال شوال فأصبحنا صباحاً فبجاء ركب آخر النهار فشهدوا عند النبي أنهم رأوا الهلال بالأمس فأمرهم رسول الله أن يفطروا وأن يخرجوا إلى عيدهم من الغد وهو خبر انفرد به أبو عمير عن أعمامه من الأنصار ولم يروه غيره مع توفر الدواعي على نقله لكثرة حدوث أسباب نقله على أنه مخالف لقواعد الشريعة في قضاء الصلوات ومالك رحمه الله يرد خبر الواحد إذا خالف قواعد الشريعة على أن الظاهر أن بعض رواته زاد فيه تفصيلاً بحسب فهمه لأن ما في رواية أبي داود ليس فيه أن الركب أتوا في أواخر النهار فيحتمل أنهم أتوا من آخر الليل سرى فلا يدل على أن رسول الله أمر بالصلوة في اليوم الثاني وحينئذ فرواية ابن ماجه فيها زيادة لعلمها من فهم الراوي، والخلاصة أن المالكي لا يصلي صلاة العيد في اليوم الثاني لأن مذهب إمامه لا يرى إيقاع صلاة العيد في اليوم الثاني وهو لما قلده ما لا يجوز له الخروج عن مذهبه بدون ضرورة على ما تقرر في كتب الفقه وليس للمقلد أن يجري في أعماله على الأخذ من الكتاب أو السنة لأن مرتبته دون مرتبة الاستنباط فمن رام أن يؤولي إلى مسلك الاستنباط ويلتجى كان حقيقاً بقولهم :

ليس بعشك فادرجي (٢) قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الإسلام المالكي

سؤال ٤ :

ما قولكم رضي الله عنكم في حكم رفع الصوت بتحية الصباح في المسجد بعد الفراغ من صلاة الفجر

(١) وهو المفتى به في المذهب الحنفي

(٢) مثل يضرب لمن يدخل فيما ليس هو ائعلا للدخول فيه وهو موضوع على السنة الطبري قاله طائر لعصفورة ماوت الى غير عشا وادرجي بهمة وصل وضم الراء اي اذهبي وانصري

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٢ »

المقصد وهو جوابي عن السؤال

إن الذي استقرأته من نصوص الشريعة الاسلامية اصولا وفروعا على قلة اطلاعي اني ما وجدت شيئا منها مبني على الاعمال الاول في السؤال ولا الثاني ذلك اني ما وقفت على عقيدة من عقائد الدين تخالف براهين العقول او نظريات العلم الحديث المؤسس على المشاهدة والتجربة الصحيحة وانما الذي يجده الباحث المستقصي عقيدة قامت على صحتها البراهين العقلية القطعية . او عقيدة لم تقم عليها براهين كالسمع والبصر والكلام غير انها لا يناهضها العقل ولا العلم وهكذا الفروع الفقهية وسياقي بسط ذلك

الجواب عنه

ان رفع الصوت في المسجد مكروه مطلقا كما في المختصر الحلي في باب احياء المسوات لانه مظنة التشويش على المصلين ومناف لحزمة المساجد الموضوعة للصلاة والذكر وقراءة القرآن وقد حكى عبد الملك بن حبيب الاندلسي (وكان ارتحل لدار الهجرة للاخذ عن امامها مالك بن انس فوجده قد اجاب داعي ربه فأخذ عن اصحابه) قال كنت ارى بالمدينة رسول اميرها يقف بآب الماحشون في مجلسه اذا استعلى كلامه وكلام اهل المجلس في العلم فيقول ابا مروان اخفض من صوتك وأمر جلساءك يخفضون اصواتهم اه اما مافي صحيح البخاري عن السائب بن يزيد قال كنت قائما في المسجد فصبني رجل فنظرت فاذا عمر بن الخطاب فقال اذهب فاني هذين فجئته بهما قال من اتما او من ابن اتما قال من اهل الطائف قال لو كنتم من اهل البلد لا وجعتكما ترعاف اصواتكما في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد حكى ابن بطال من محقق المالكية عن بعضهم ان انكار عمر لرفعهما اصواتهما فيما لا يحتاجان اليه من اللفظ الذي لا يجوز في المسجد اه وقد استدلل جماعة على عدم حرمة رفع الصوت في المسجد بحديث البخاري عن كعب انه تقاضى ابن ابي حذرد دينا كان له عليه في المسجد فارتفعت اصواتهما حتى سمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيته فخرج اليهما حتى كشف سجف حجرته فنادى يا كعب قال ليلى يا رسول الله قال ضع من دينك هذا واوما اليه اي الشطر قال لقد فعلت يا رسول الله قال قم فاقضه اه ووجه الاستدلال انه لو كان رفع الصوت ممنوعا لبادر عليه الصلاة والسلام لانكاره اذ لا يقر على باطل حرره الفقير الى ربه محمد العزيز جعيط المفتي المالكي اخذ الله بيده

وإذا كانت القواطع العقلية تؤيد القواطع الدينية أو تسلمها ولا تناهضها لم يبق محل لان يقال ان الدين فوق العقل او العقل فوق الدين ولا ان يقال ان احدهما يقدم على الآخر اذ التقديم او الفوقية معناها الترجيح عند التعارض والفرض انه لا تعارض ولا تضاد ولا تغالب بل اتفاق وتعاضد

برهانه

قد تبين لك مما اسلفناه ان الفرض في هذه المسألة هو مضادة قاطعين بان يكون الدليل العقلي قطعيا يقينيا والعلمي سلمه الامتحان العلمي والديني قطعي كذلك وتعارضهما محال تحققة لان الحق واحد لا يتعدد فاما ان يكون في هذا الجانب او ذاك ففرض تعارضهما مع كون كل واحد منهما قطعيا فرض محال لا يوجد في الخارج منه فرد واحد وقد بحثنا عنه فما وجدناه اما اذا كان احدهما ظنيا فانه لا تعقل الموازنة بينهما عند المحققين من علماء الاسلام كما سبق والتعارض بين قاطعين غير ممكن

قال الزركشي في البحر لا يمكن التعارض بين دليلين قطعيين اتفاقا . كانا عقليين او تقايين وذلك ان القطعي لا يكون قطعيا الا اذا كان حقا والحق لا يضاد الحق بل يوافقه وبعضه واذا كان تعارضهما غير ممكن فالترجيح بينهما عبث بل غير ممكن ايضا قال تاج الدين السبكي في جمع الجوامع ولا ترجيح في القطعيات اعدم التعارض قال سيف الدين الآمدي انما يكون الترجيح بين متعارضين وذلك غير متصور في القطعي لانه اما ان يعارضه قطعي او ظني الاول محال لانه يلزم منه اما العمل بهما وهو جمع بين التقيضين في الالبات او امتناع العمل بهما وهو جمع بين التقيضين في النفي او العمل باحدهما دون الآخر ولا اولوية مع التساوي والثاني وهو معارضته للظني محال ايضا لامتناع ترجيح الظني على القطعي وامتناع طلب الترجيح في القاطع كيف وان الدليل القاطع لا يكون في مقابلة دليل صحيح فلم يبق سوى الطرق الظنية هـ .

تلخيص الجواب

يتلخص مما سبق ان الدين والعقل والعلم ليسوا اعداء ولا متخاصمين بل هم اخوة متعاضدون فالعقل اصل من اصول الدين والعلم من مكملاته ولا بد منهما وكل آخذ بيد الآخر يعضده وينصره ثم ان العقل والعلم لا غنى لهما عن الدين بحال فالدين مرشد ومبين لما يخفى عن العقل كما ان الدين هو اصل العلوم ومادتها ولا سيما الادبية فكم ارشد الدين الى اصولها وفروعها

فالدين هو الذي ارشد الى مكارم الاخلاق وهو الذي هذب الانسان ونقله من الوحشية البهيمية الى الانسانية والرحمة والرفق والرقى في الحياة فالاديان هي التي جاءت لخبر البشر المحض وهذبت النفوس الجامعة وعلمت الناس طرق الحياة وطريق الاجتماع وآدابه ولها الفضل كله في تحسين

حال المجتمع ولولاها لكان الناس وحوشاً ضواري لما جبلوا عليه من تنازع البقاء والمنافسة والتغالي في حب الذات والاستيثار بالذات وحب كل واحد ان يستولي على كل شيء

فالاديان بردت كثيراً من حرارة هذه الشهوة البهيمية والشهوة الحيوانية وارشدت الى خير المجتمع وهو الاعتقاد بالمسئولية امام الله في اليوم الآخر الذي تجزى فيه كل نفس بما كسبت وبارشادها ترقى المجتمع البشري وصار مجتمعاً انسانياً وجمعية رحمة وشفقة وتعاون وادب ونظافة وصحة وكال . وما كان الا مجتمع تواب وتكالب وتطاحن

والدين الاسلامي بالاخص هو الذي ارشد الى المبادي الشريفة العالية كالتمساح بين الاجناس والطوائف واغاثة الملوف واعانة الضعيف ونصر المظلوم والوفاء بالعهد وحرم كل ما يكون عليه التكالب وحرم الظلم كلياً واوجب العدل على كل فرد فرد وعلى المجموع ولا اظن انه ورد في دين غير منا ورد فيه من الايغال في العدل ونبد الظلم كلياً حتى ان الله حرمه على نفسه وكلف النبي ان يقوم بالعدل بنفسه ثم اوجب عليه الشورى وهي مبدأ الديموقراطية . كما منع الاباحة المطلقة التي هي الخراب الكلي وحرم الزنا والاشترار في الفروج وجعل شأن الملكية الشخصية التي تردع النفوس الشريرة عن التناحر وقرر الانساب ومنع الاسلاب بغير سبب شرعي وجعل الميراث بين الاقربين ذوي النفع والدفع وبين الزوجين

والدين الاسلامي هو الذي حرم الخمر والربا وجعل حداً للتمتع بالذات والشهوات والمنافسة حتى لا تصل الى حد الاضرار بالغير فقال لا ضرر ولا ضرار وهو الذي اوجب الزكاة وجعل للضعفاء حقاً في مال الراسمالين وخفف ويلات الانسانية وارشد الى تركية النفس وتحريم الفواحش واحترام الحقوق

والدين الاسلامي بالاخص هو الذي زهد الناس في تقديس المادة وعبادتها من دون الله ورغب في التواضع والتواضع فبها دين حب ورحمة لا دين مادة وما افسد المجتمع البشري الا تقديس المادة ونكران المسئولية امام الله فالولا الشرائع لكان الخراب عاماً ولما امكنت هذه العمارة وهذا النظام الموجود في العالم المؤسس على مكارم الاخلاق . ثم الشرائع هي التي ارشدت الى مبادي العلوم الرياضية والطبيعية والادبية والاخلاقية والاجتماعية والطبية والصحية والصنائع والحرف والتجارة والعمارة

وهي التي ارشدت الى حفظ الصحة والى حفظ الذات واوجبت القصاص والحدود والنظام كله . وبالجملة فالاديان هي التي انضجت العقول ، فالعالم مدين للاديان ومضطرب الى الدين أكثر من اضطرابه الى العلم فالو ان العالم كان له دين ولم يكن له هذه العلوم الطبيعية والميكانيكية التي فتت البشر واوصلتهم الى هذه الاسلحة الفتاكة التي لا رحمة فيها ولا هوادة والتي اوجبت التكالب على

الفتح والغزو وعبادة المادة من دون كل إله فكان حاله احسن مما هو عليه الآن وما وصل اليه بعد الحرب العظمى من القلق والاضطراب والحشع وتهديد بعض الدول بعضا وهلع الاقوياء .

ولكن نعرف ايضا بالحق فقول ان العالم لو تمسك كله بالدين وحده دون ان يلتفت للعلم كان جامدا وخالف سنة الله الملاحظة من حركة الفلك ولخالف ما امر به الدين نفسه من العلم ولا يصل الى هذا الرقي من العمارة والتعارف والاكتشاف والاختراع المفيد من بعض وجوهه كالاختراعات الطبية وتقريب المواصلات وتقنين قوانين الحياة والامن والنظام وزيادة اتقان ضبط الحقوق وترقي الفلاحة والصنائع والفنون والاكتشافات الكهربائية والبخارية وغير ذلك فالعقل والعلوم كمالا ما بدأه الدين ، والعالم بلا دين كسيارة ليس لها حصار فانها تقرب المسافة ولكنها الخطر كله . وهذا ما وقع الآن حيث نبذ اكثر العالم الدين الحق والتقييد به وصار علمانيا نابذا للاديان عابدا للاعصر الرنان فبقى يسير دون حصار ووقوعه في الهاوية ان بقي كذلك امر لا شك فيه .

وقد عاقبه الله على نبذ الشرائع الالهية من جنس عمله فأوقعه في نبذ القانون الدولي العام واصبح العالم يتخبط في ظلمة لا نهاية لها وينتظر انفجار البركان الناري في كل دقيقة .

هذا ما ادت اليه هذه التجربة وهي عقل وعلم بلا دين . والافئع لنوع الانسان في هذه الحياة ان اراد الحياة هو ان يجعل الحرية العقل والعلوم قييدا لا بد منه وهو الدين المبني على عاطفة حب للانسان والرفق والاحسان . الأمر بالمعاشرة بالمعروف وان يأمن الجار جاره وان يأمن الضعيف سطوة القوي وان يكون الناس في الحق سواء (ولا يجرمكم شئان قوم على ان لا تعبدوا) حتى ينال العدو قسطه من العدل كالصديق والأمر بالوفاء فيكون القانون الدولي محترما لكن من كل الدول العالمية بشرط ان تكون جدية مبنية على المساواة والمصلحة المتبادلة وتكون العهود موفاة والعدالة حرة .

ان الدين ينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ويأمر بالاحسان وايئاء ذي القربى فلا نجاح للعالم الا بالتمسك بالدين والتمتع بما في العقل والعلوم من منافع ومزايا في حدود الدين (يتبع)

مجلة هدي الاسلام

اتصلنا بالجزء الاول من المجلد الرابع من مجلة هدي الاسلام الغراء وبه دخلت الرصيفة في عاها الرابع فوجدناها مملوءة بالمباحث الشيقة والموضوعات المفيدة فنرجو لانه المجلة القيمة الازدهار والانتشار فهي جدية بكل عناية واكبار لا يستغني عنها العالم بما تنشره من الاباحث القيمة والاديب بما يجده فيها من الرياض النظرية والعموم لما تضمنته من الهداية والارشاد كما نرجو لصاحبها العلماء الاجلاء الاعانة والتوفيق لخدمة الدين وصالح المسلمين

الإصلاحات في الحجاز

وتسهيل الطرق لاداء الفريضة

ما من مسلم الا ويتعنى من صميم قلبه لهذه البلاد المقدسة كل خير وفلاح، وكيف لا يتمنى لها هذه التمنيات الدهية وذى قبلته المقدسة التي يحتم عليه دينه الحنيف استقبالها في كل يوم وليلة خمس مرات وزيارتها مرة في عمره فرضا لازبا لا يحصى عنه

وقد مرت عليها اوقات كان الحاج لا يؤدي فريضة حجه وزيارة قبر نبيه حتى يبلغ منه الجهد مبلغا عظيما لبعد الشقة بين الاماكن المقدسة تلك الشقة التي كانت تنقطع بوسائل المواصلات الاولى في اسابيع وشهور، بين صحار قاحلة وارض جرداء لا تفت في عضد الوافد ولا ترزعزع ايمانه ويقينه بل تزيد تعلقا وشوقا للرؤية هذه المشاعر المقدسة والتمتع بقرىها والتجرد عن دنيا المادة الى اخرى اليقين والايمان فكانت مكة المكرمة والمدينة المنورة تجمع بشقى الاجناس من جميع القارات والكلم متجرد عن دنياه الفانية مقبل على آخرته بالعمل الصالح الصادر عن عقيدة وايمان مأخوذ برهبة وخشوع اوحاهما الى نفسه بيت الله العتيق الذي جعله المولى عز وجل (مائة للناس وأمنا) ودار هجرة نبيه الاعظم صلى الله عليه وسلم الذي جاء للعالم بهذا الدين الحنيف الذي فيه السعادتان الدنيوية والاخرية، وشامت الاقدار ان تبقى هذه البلاد في جميع مرافقها الحيوية على ما كانت عليه منذ قرون مضت من غير التفات الى اصلاح او تثقيف هذا الشعب الذي احتاراه الله لسدنة بيته الحرام حتى قبض الله له (جلالة الملك العادل عبد العزيز السعود) فبذل من الجهود اقصاها واجبرى اصلاحات عمرانية وتهديبية يعجز غيره عن القيام بها في عشرات السنين فقد عبد الطرقات وربط جميع المدن الحجازية والتجدية بشبكة من السيارات القوية تسير ليلا ونهارا بينها لا يخشى راكبوها من شيء نظرا لما تتمتع به المملكة العربية السعودية من نعمة الامن التي اصبحت مضرب المثل ولقد اوضحت جميع المدن العربية بفضل هذا الامن مرتبطة ببعضها فانت ترى السيارات تنقطع صحاري الدهناء بنجد والجوف والربع الحالي في أمن وطمأنينة . فالرياض وبغداد ودمشق والقدس وصنعاء اصبحت جميعها مرتبطة بمكة والمدينة بشبكة من السيارات القوية على مختلف محولاتها باجور زهيدة للغاية بالنسبة للبلادان الاخرى فالراكب الذي كان يقطع هذه المسافات في الشهور الطويلة اصبحت يقطعها في عدة ايام لا يشعر خلالها بأي تعب او نصب ويحارب تعبد الطرق وتأمينها انشأ جلالاته المدارس والمستشفيات حتى لترى في كل قرية مدرسة ومستشفى، وبعث البعثات العلمية والصناعية الى الخارج وسهل السبل لابناء البلاد في انشاء الشركات الاقتصادية لحفظ اموال الشعب، كما انشأت حكومة جلالاته الرشيدة الفنادق في جميع المدن لراحة الحاج والسهر عليه وتوفير اسباب الهناء والمعيشة الرغدة باسعار غاية في البساطة، الى جانب الفخامة، في التأثيث والاطعمة المصنوعة بايدي طاهة مشهود لهم بالجودة والافتان وزيادة على ذلك فقد استنتت القوانين والانظمة التي تحفظ حقوق الحاج وتجعله على بصيرة وحتمت على المطوف واتباعه استعمال شتى الطرق لجلب الراحة والهناء له

اما تنظيم الشوارع وغرس الاشجار فيها من الجانبين والاصلاحات القائمة على قدم وساق في المسجد المكي والمديني فحدث عنها ولا حرج، كما حتمت على شركة السيارات العربية ان تسير خطوطا

التاج

صفحة من تاريخ تونس

التاج الملكي الحسيني

بقلم العلامة المؤرخ أمير الامراء سيدي
محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية

قبل البحث في هذا الموضوع نلخص للقاري الكريم شيئا مما وقفت عليه من حديث التيجان (١) واین كان ظهورها في البداية فقد حققوا ان اول من استعملها امة اليونان وكانت عندهم في البدء من شعار الدين يتخذونها في شكل ظفائر وعرايش يصنعونها من ورق الاشجار والانوار ومنها اكاليل الزهر التي تلبسها العروس الاروباوية يوم زفافها والاكاليل التي تهدي لاموات النصارى يوم الجنائز وفي غرة شهر نوفمبر الموافق لعید جميع القديسين في اصطلاح الكنيسة ثم توسعوا فيها الى ان اخذت صبغتها السلطانية في عهد الابراطور قسطنطين مؤسس القسطنطينية العظمى (الاستانة) فصاروا في عهده ومن بعده يميزون كبار الرجال من الفاتحين باكاليل يجعلونها من عرائش الريحان والورد ودوالي العنب وعن اليونان اقتبس الرومان شعار التاج فكان لهم تاج حب الوطن يتخذونه من ورق

(١) جمع تاج في العربية يقابله لفظ كورونه في اللغة اللاطينية وبهذا اللفظ ما زالوا يسمونه بين الخاصة والكافة في اروبا

من السيارات الكبيرة (الباصات) بين ضواحي البلاد وداخلها لراحة الحاج في انتقاله وتجواله الى غير ذلك من الاصلاحات الجليلة التي يعجز القلم عن استيعابها

فيا ايها المسلم الغيور الممتلئ قلبه بالايمان الصحيح هل لك عذر بعد كل ذلك في تقاعسك عن اداء فريضتك الدينية في هذا العهد السعودي الزاهر عهد الرخاء والطمأنينة، اني لا اغالي اذا قلت ان في استطاعتك ان تؤدي فريضتك على اكمل وجه بجزء مما تصرفه في مصيفك او في كمالياتك، لب ايها المسلم الغيور ايا كنت نداء ربك وحيج الى بيته الحرام تؤد واجبك الديني وتكتسب رضا خالقك وتتل الجنة التي وعد بها المتقون فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم (الحجة المبرورة ليس لها جزاء الا الجنة) وفقنا الله جميعا لما فيه رضا.

الفقيه الى ربه تعالى محمد طاهر الطيب التونسي

مكة المكرمة

شجر العفص يتوجون به اهل الشدة والبأس في ميدان القتال وتاج الزيتون المختص بقواد الجيوش ومن تتوج به يوليوس قيصر المشهور وتاج التكريم الخاص بالقواد المنصورين وتاج الشرف المجعول لتمييز اصحاب الانساب وغير ذلك ثم انتشر شان التيجان عند بقية الامم الاروباية ومنها فرنسا فكان لاشراف القوم بها تيجان من الذهب الوهاج في القرون الوسطى وكان تاج نابليون الاول مقاما على ثمانية نسور مرصعة ومثله تاج حفيده للاخ نابليون الثالث وهو اخر من تتوج بفرنسا لقيام الحكم الجمهوري مقام الحكم الانبراطوري في سنة ١٨٧٠ -

واما في الدول الاسلامية فان التيجان لم تكن معروفة عندهم لانها ليست من اوضاعهم وغاية ما عرف عندهم في هذا المقام العمائم وكانوا ينعتونها بتيحان العرب وقد اثبت التاريخ ان بعض خلفاء بني العباس اتخذ له جوهرة بوجه عمامته لكن لم تقف على ما يثبت صحة اتخاذهم لتيجان ملكية من ذهب او غيره وما ذلك الا لاتصالهم بالقرون الاولى وفي الحديث خير القرون قرني ثم الذين يلونهم الذين يلونهم واذا تغلنا بك للقرن الرابع فالحامس نجد ان بعض خلفاء الدولة الفاطمية بمصر كان لهم تاج ينعت بالشريف يلبسونه في الموكب عوض العمامة موسى بجوهرة لا تقوم بمال لنفاسها وحولها جواهر اخرى دونها في الاعتبار (١)

ويستفاد من كتاب المونس للشيخ ابن ابي دينار ان بعض سلاطين بني ابي حفص اتخذوا لهم تاجا كانوا يلبسونه عند ظهورهم بين الناس ولكن هذا المؤرخ لم يبين لنا وصف هذا التاج وهل كان من ذهب ام فضة وعندي انه لم يكن من المعدن الذهبي بل كان من معدن الفضة التي رغبت فيها السنة ومعلوم ان اهل الدولة الحفصية كانوا اقرب للبساطة والسذاجة العربية منها للتمدن والحضارة فانهم ورثوا الملك عن اسلافهم شيوخ الموحدين وهؤلاء لم تكن لهم علاقة بحضارة الملك التي من لوازمها البذخ المنهي عنه في الشريعة ومما نبت عنه الشريعة لبس الذهب على عكس الجواهر فقد اتفق جمهور العلماء على جواز استعمالها لذلك قلنا ان التاج الحفصي الذي نحن بصدده يغلب على الظن انه كان من فضة نعم انه وجد معدن اخر ليس بذهب ولا فضة ولكنه يفوقهما تنبيها في النفاسقوهو معدن البلاتين (٢) الذي لم يكن معروفا في زمنهم وهذا المعدن لا يشمل المنع الشرعي لان هذا المنع قاصر على الذهب دون سواه وزيادة البسط في حديث هذا المنع بعدنا عن موضوع الحديث فليرجع لذلك من شاء الى كتب الفقه والسيرة النبوية

(١) بالنقل عن تحرير نفيس لصاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغي شيخ الجامع الازهر
(٢) معدن ايض كالفضة وارفح من الذهب وقع الاكتشاف عليه بجبال كلونبيا بامريكا الجنوبية في سنة ١٧٣٥ (١١٤٧ هـ)

ويلوح ان اتخاذ بعض السلاطين الحفصيين لتاج ملوكي انما انجز لهم من طريق المغرب والاندلس لان الحضارة الاندلسية انبعث اشعتها في ذلك الزمان على كامل الشمال الافريقي ومن غريب الاتفاق ان ظهور هذا التاج الحفصي وافق عصر المؤرخ ابن خلدون وهو رجل كما علمت ركض في كل ميدان وهب مع كل ريح وهو من ابناء تونس وباشر في الدولة الحفصية خطة العلامة (١) على السلطان ابي اسحق والصحة والكتابة على السلطان ابي العباس فمن المحتمل القريب انه بعد اسفاره وتنقلاته ذات الحركة السياسية المدهشة بالاندلس والمغرب ورجوعه لبلاد مسقط رأسه قبل التحاقه بالمشرق واجتماعه بالطاغية تيمورلنك واستقضائه بمصر كان من المدبرين في تهذيب اساليب الدولة الحفصية قياسا على ما شهد من فخامة الدولة وبذخها في بلاط السلطان ابي عنان بالمغرب وفي بلاط السلطان ابن الاحمر بغرناطة اثناء وزارة صاحبه لسان الدين ابن الخطيب

وبديهي ان امراء الدولة المرادية لم يكن لديهم شيء من مظاهر الملك والاستقلال بالولاية لقرب عهدهم بالفتح العثماني ووجود رجال الباب العالي بينهم في مقدمة وفود الترك الواردين عليهم حينما بعد حين فلما دخلت الولاية التونسية في حكم البيت الحسيني تدرج آل هذا البيت خلد الله دولتهم في سلم الحكم المستقل الى ان تلبسوا بالصبغة المملوكية فكانت في احلى مظاهرها ايام الباي حمودة باشا وازداد ذلك رسوخا في عهد الباشا حسين باي الثاني ثم في عهد المشير احمد باي الاول بترتيب الوزارات والوزراء وكان لقب الوزير قبل ذلك نعتا لا خطة وبايجاد جيش نظامي عتيق واحداث خطط عالية في الدولة كرتبة امير الامراء تقلدها الباي بالذات ولقب شيخ الاسلام وكان قبل ذلك نعتا لكل من ينتهي اليه العام وهذا الباي المشير هو اول من لبس الطغراء بشاشيته في سنة ١٢٥٤ اهداها اياها السلطان محمود خان الثاني قياسا على صنيعه مع غيره من امراء البلاد المعتازة فقد وقع بيدي رسوم كثيرة لولاة مصر من آل محمد علي باشا منهم عباس باشا الاول معاصر المشير احمد باي وكذلك خلفه سعيد باشا ومحمد علي نفسه فقد كان لكل منهم بشاشيته طغراء عثمانية كالتي جاءت للمشير احمد باي من الباب العالي ومما يناسب ذكره في هذا المقام ان السلطان العثماني نفسه كان يلبس بمقدم شاشيته ريشة مرصعة كما يراه القاري في بعض رسوم السلطان محمود خان الثاني وابنه السلطان عبد المجيد خان لذلك جاز للامير عبد القادر الجزائري فارس العلم والجهاد اتخاذ ريشة من فضة لتمييز قواد جيشه في حروبه بالجزائر وفي سنة ١٢٥٨ ارسل السلطان عبد المجيد خان

(١) العلامة هي عبارة « الحمد لله والشكر لله » كانوا يكتبونها بالقلم الغليظ في طالعة المراسيم السلطانية بين البسملة وما بعدها وهي في نظامهم من الخطط العالية بالدولة لها شبه من قريب بخطة صاحب الطابع في تونس - وكان لهم علامة اخرى خاصة بالرقاع ذات الاهمية الثانوية مما يكتبونه عن اذن السلطان ولا يعرضونه على انظاره وهذه العلامة الثانية ترسم بذييل الرقعة لا بطالعتها

للمشير احمد باي شارة ثانية وهي اخت الطغراء الاولى قال المؤرخ هوكون أنه وقع الوقوف على صورة المشير احمد باي صنعها المهندس جوردان الذي باشر هندسة معبد قرطجنة تذكرا للملك سان لويز. تمثل الباي المذكور بشاشيته موشحة ببنك الشارتين معا وفي حق ورود الشارة الثانية منهما يقول المؤرخ الشيخ احمد ابن ابي الضياف في جملة ما حكاه عن نفسه بمناسبة رحلته مع غيره للاستئانة ورجوعه لتونس صحة المبعوث العثماني الذي اتى بالشارة المذكورة ونص عبارته « فرجعنا ومعنا القابو كاهية واسمه عارف زكي من الكذاب في فرقاطة عثمانية ومعهم نيشان يوضع في مقدم الشاشية زيادة على نيشانه الاول (الضمير في نيشانه عائد على الباي) يلبسها معا وثوبا محلي وهو الستر (يعني كسبات الباي) هذه عبارة ما جاء في تاريخه المعروف ولدي وثائق تاريخية اخرى منقولة من خط يده كاتب بها الوزير مصطفى خزنندار من الاستانة اثناء قيامه بالمامورية التي سافر من اجلها تؤيد ما حكاه في تاريخه مع زيادة بسط واشتمال لحديث تلك المامورية مما لم يحكه ولا شيئا منه في تاريخه وهي تناقضه على خط مستقيم وهم الشيخ محمد بيرم في صفوة الاعتبار حيث قال ان الطغراءات الثلاث - وسماها غلطا نياشين - هي من رسوم المشير. بدليل ان احداها لبسها المرحوم احمد باي قبل تقليده رتبة المشيرية والاخرى لبسها بعد المشيرية بعاهين واما الشارة الثالثة المتممة للتاج الحسيني يعني الطغراء الوسطى فهي من حقوق المشير الثالث محمد الصادق باي. والشارات الثلاث كلها من الذهب المرصع بالياقوت والوسطى اكبر حجما من الاخرين فيكون المشير محمد الصادق باي هو اول ملك تونسي لبس التاج الحسيني في تركيبه من ثلاث طغراءات حسبما تراه بعض صور فطوغرافية قديمة لمواكب المرحوم محمد الصادق باي وكذلك بصور المولى علي باي الثالث والمولى محمد الهادي باي والمولى محمد الناصر باي والمولى محمد الحبيب باي الموجودة بالدهن بقصر باردو المعمور وحسبما تشاهده عيانا في مواكب المولد والعيد عند استضاءه الأفق بشموس طلعة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني ببركة السبع المثاني

محمد بن الخوجه

مجلة الهداية الاسلامية

دخلت هاته الزميلة الراقية في عامها وهي كما يعلم قراؤها ومريدوها محبة في خطتها المحمودة رافعة علم الهداية الاسلامية ناشرة تعاليم الحيقية السمحاء بين الانام تمتد النهضة العتيدة بنفحات من روح رئيس تحريرها العلم الهمام الاستاذ الجليل الشيخ الحضر بن الحسين والاساتذة اعضاء جمعية الهداية بمصر امدهم الله بالاعانة والتوفيق فنرجو للمجلة زيادة الانتشار في سائر الاقطار حتى يعم النفع بها وان بعدت الدار

« تونس في القرن السابع »

« كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري في رحلته »

لتونس تاريخ مجيد، ومفخر طائر ومجد تليد، كان لها بهما ذكر حميد، وصيت بين الممالك بعيد، نرى من واجبا ان نشيد بذكره ونشر بين الملأ، ما طوت العصور من محاسنه حتى يروا صادق فجرة ويستشققوا أريج عطرة خصوصا بين ابناء تونس الذين لا يحسن بهم جهل تاريخ قطرههم وما لاسلافهم من الماثار والمزايا التي هي مثار عزهم ومبعث فخرهم وقد سنحت لي فرصة تسمح بقضاء بعض هذا الواجب بمطالعة (رحلة العبدري التي ابتدأها سنة ٦٨٨ حيث رايت فيها من التنويه بمدينة تونس واهلها عموما وعلماؤها وادباؤها خصوصا ما قضيت منه العجب ورايت به الفرق واضحا بين سلف هذه الامة وخلفها نعوذ بالله من سوء المنقلب فيالها عبرة تفيض العبرة، وذكرى توجج في القلوب جمره، فبدأ لي ان أنشر على صفحات (المجلة الزيتونية) العامرة هذه المفاخر التي غفي رسومها الزمان واتت على نبائها قضايد الحداث ونسجت على محاسنها عناكب النسيان حيث ان الرحلة المذكورة من المخطوطات العزيزة الوجود وليس لي في هذا الصنيع من عمل يذكر غير الترتيب والتنسيق والجمع والتفريق واليك ذلك

(تنويه صاحب الرحلة بمدينة تونس)

لم يأل هذا المؤرخ المنصف عليه رحمة الله جهدا في التنويه بمدينة تونس ووصف محاسنها وإظهارها حقها مدحا وتقريضا بأفصح عبارة وأبلغ إشارة وأجلى بيان وأوضح برهان في عنوبة الفاظ تكاد تشر بها لسلاستها مسامع الحفاظ . قال حين مر بها ذاهبا الى الحج ما نصه لافض فوه : ثم وصلنا الى مدينة تونس مطمح الآمال ومصب كل برق . ومحط الرحال من الغرب والشرق . وملتقى الركاب والفلك وناظمة فضائل البرين في سلك . فان شئت اصحرت في موكب . وان شئت ابهرت في مركب . كانها ملك والارباب اهل الكليل . وارجاؤها روضة باكرتها ربيع بلبل . ان وردت مواردنا نعت غليلا . وان رددت قرائدها شفيت حشا عليلا . جليت بها عروس الغروس . وحليت بها على ممر الدهر الطروس . إلى ان يقول فاقت بحسن معانيها واتقان مغانيها غيرها من المدن وطالت . وسطت بنخوتها واتخت بسطوطها على قواعد الشرق والغرب وصالت . وترجم حسنها البهيج . وعرفها الاربيع . عن معناها ولو نطقت لقات

انا الفادة الحسناء فاق جالها فثالت يميننا لا خطبت على زوج

إذا الغايات ارتدن وصل بعولة فمالي ولا فيخر الى الزوج من حوج
اعادي اذا ما شئت ظليا بقفرة واطرق نوه اليم في ظلم الموج
وفي لمكدود الحبيج استراحة فهم يردوني الدهر فوجا على فوج
وإني الى البيت العتيق كسلم به يرتقي من في الخفيض الى الاوج

ويقول في شأنها ايضا ما نصه : وما زالت مدينة تونس كلاها الله دار ملك وفخامة وهي الى الان دار مملكة افريقية على ضعف المملكة بها واتتهائها الى حد التلاشي ومع ذلك فقد اربت على البلاد في كل فضيلة . . . ويقول في شأنها ايضا حين مر عليها قافلا من الحج ما نصه ثم وصلنا الى مدينة تونس حرسها الله تعالى وهي كما مر ذكرها واستقر عند المؤلف والمخالف شكرها وهي مؤنسة عند اسمها ومسعفة على مقتضى رسمها وما انصف من ذمها بالمحال . وتعسف عليها فقال :

لعمرك ما الفيت تونس كاسمها ولكنني الفيتها وهي توحش

(قلت) هذا البيت الذي تمثل به ونسب قائله للتعسف هو لبعض ولالة تونس قاله حين ضاق ذرعا باهلها الذين قارعوه على بغيه وكانوا اباة ضيم اثبت ذلك العلامة سيدي محمد النيفر الوالد رحمه الله في تاريخه (حسن البيان) وتمثل في شأنه بقول القائل (وتلك شكاة ظاهر عنك عارها)

(وصفه لمباني تونس واربابها)

يقول في ذلك ما نصه : وهذه المدينة كلاها الله (يعني مدينة تونس) من المدن العجيبة الغريبة وهي في غاية الاتساع ونهاية الاتقان والرخام بها كثير واكثر ابواب ديارها معمول بها عضائد وعتب وجل مبانيها من حجر منحوت محكم العمل وانما ابواب عديدة وعند كل باب منها روض متسع على قدر البلد المستقل ولو اتفق ان كان بها ماء جار لكانت معدومة النظير شرقا وغربا ولكن ماؤها قليل وفي ديارها مصانع لماء المطر وهو المستعمل عندهم واما الساقية المجلوبة من ناحية زغوان فقد استأثر بها قصر الساطان وجنانه الارشاجيسير اسرب الى سقاية جامع الزيتونة يترشف منها في انايب من رصاص ويستقي منها الغرباء ومن ليس له في داره ماء ويكثر عليها الازدحام

(وصفه لجامعها الاعظم والظلة التي كانت تجعل في صحنه صيفا)

يقول في ذلك ما نصه : وهذا الجامع من احسن الجوامع واتقنها واكثرها اشراقا ودائرة مسقف ووسطه فضاء قد نصبت فيه اعمدة من خشب على قدر ارتفاع الجدر وشدت اليها جبال متينة في حلق من حديد مثبتة فيها وفي السقوف شدا محكما فاذا كان يوم الجمعة نشرت عليها شقق الكنان المطبقة الموصولة حتى تظلل جميع الفضاء ذلك دأبهم فيها حتى ينصرم فصل الصيف اه (قلت هذا دليل ما كان عليه سلفنا الصالح من اقامة امر الصلاة عماد الدين الناهية عن الفحشاء والمنكر والتي من ضيعها فهو

لما سواها اضع حيث ان جامع الزيتونة على اتساع عرصاته يضيق عن المصلين به في ذلك العصر حتى احتيج الى اقامة هذه القلعة بصحنه هذا مع وجود غيره من جوامع الخطبة

(١٠ زغوان والحنايا)

ذكر في شأنها صاحب الرحلة ما نصه : واما الساقية المذكورة فهي من جملة غرائب الدنيا وهي قديمة من عمل الروم مجلوبة من جبال بجنوبي تونس على مسيرة يومين او نحوهما في اوعار واودية منقطعة وجبال واكم فاذا انتهوا بها الى جبل او تل خرقة وسروا الماء فيه واذا انتهوا الى واد او وهد بنوا لها قناطر بعضها فوق بعض حتى يستوي مع مجرى الساقية بصخر منحوت اتقن ما يكون من البناء واغربه واوثقه حتى ينسرب الماء منها في مستوى معتدل واتصلت هذه الساقية بهذا العمل حتى دارت من وراء تونس الى الغرب وانتهت الى مدينة قرطاجنة وبينها وبين تونس نحو اثني عشر ميلا وهي (اي قرطاجنة) من اعجب مدن الارض واغربها لما يحكى عنها من فرط الاعتناء وغرابة الصنعة وحسبك ان هذه الساقية من جملة الاعتناء بها . واما الرخام فيجلب منها الى كل موضع بافريقية قديما وحديثا ولا يفنيه ذلك منها وهي الآن دائرة لا انيس بها داخل تونس يخرجون اليها تفرجا وتعبدوا والقناطر من تونس اليها معطلة وهذه القطرعة تعرف عندهم بالحنايا وهي مما يقصر عنها الوصف لفرط اتقانها وغرابتها ويذكر ان الروم اقاموا في تدبيرها والنظر في وضعها اربعمائة سنة ، وهذا بعيد . عبيد البكري فحكى ان عملها فرغ حتى استوى جري الماء في اربعين سنة وقد كان بعض الامراء وهو اخو القائم بها الآن احتاج الى اصلاح بعض الحنايا بها مما يلي تونس ليوصل الماء اليها اذ كانت معطلة قبله فاقام في عملها مجتهدا باقصى ما يمكنه اعواما عديدة ولم يمكنه رد ذلك على ما كان عليه ولا ما يقرب منه بل اقتنع بتسديده كيفما امكن مع قلته وتفاخته بالاضافة الى غيره اه (قلت) امير تونس وافريقية القائم بها في زمن رحلة المؤلف هو ابو حفص عمر بن ابي زكرياء بن عبد الواحد بن الشيخ ابي حفص تولى الملك سنة ٦٨٣ وتوفى سنة ٦٩٤ واخوه الذي اصلاح بعض الحنايا الرومانية واجرى فيها ماء زغوان الى تونس هو ابو عبد الله محمد المستنصر امير المؤمنين تولى الملك سنة ٦٩٧ . وتوفى سنة ٦٧٥

(الثناء على اهل تونس عموما)

يقول في مدحهم ما نصه وما رأيت لاهلها نظيرا شرقا وغربا شيما فاضلة واخلاقا حميدة وقد كان الاخلاق بمن شاهد اخلاقهم ان يطنب في وصفهم ويضرب عنن لم يمنحهم الوداد وينصفهم اذ ذلك من بعض واجبه واكل مراتبهم ولكن الزمان لا يعين على توفية الحقوق ولا يتعمد بالفراغ (كذا) الا اهل العقوق وناهيك ببلد لا يستوحش فيه غريب ولا يعدم فيه كل فاضل اريب يبدوون من طرأ عليهم

بالمداخلة ويخطبون منه لفضل طباعهم المواصلة فهو منهم بين اهل مشفق ورفيق مرفق وقد كانت بعض خيار طلبتها وحسبائهم لازمني مدة الاقامة بها وترك لاجلي مهمات امورة وعرفني بفضلائها وكان لا ينفصل عني عامة النهار . وكثيرا ما كنت ابرهن لا يعرفني من اهلها فاساله عن الطريق الى ناحية منها فيقوم من حانوته ماشيا بين يدي يسأل الناس عن الطريق وبذل بي وهذا من اغرب ما يسمع من جميل الاخلاق وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ولولا اني دخلتها لحكمت بان الصلاح في افق المغرب قد محي رسمه ونسي اسمه وضاع حفظه وقسمه ولكن قضى الله بان الارض لا تخلو من قائمه بحجة يري سبيل الحق ويوضح المحجة . . . ويقول مادحا لاهل تونس ايضا في معرض المقابلة بينهم وبين بعض من لم يؤتوا ما أوتوا من الفضل ما نصه فسبحان من خلقتهم واهل تونس في طرفي تقيض اولئك في الارجاء واولاء في الحضيض . . . (قلت) هذه صفات السلف فهل حافظ عليها الخلف وانما المرء حديث بعده فكان حديثا حسنا لمن وعى

(غزارة العلم بتونس)

افصح عن ذلك قوله لا تشد بها (اي بتونس) ضالة للعلم الا وجدتها ولا تلتمس بها بغية معوزة الا استفدتها . وقوله ايضا وما من فن من فنون العلم الا وجدت بتونس به قائما ولا موردا من موارد المعارف الا رأيت بها حوله واردا وحائما . . . وسنقل عنه ما يؤيد ذلك مما ذكره في شان علمائها (الفنون والكتب التي كانت تدرس بتونس) يتضح لنا من انتقاد صاحب الرحلة على اهل مصر اشتغالهم بالعلوم العقلية من المنطق وغيرها واطالته التشنيع عليهم في ذلك بما لا داعي لنقله ان همته كانت منصرفة الى العلوم النقلية التي توافق مشربه ولهذا نجد الكتب التي ذكر انه اخذها عن علماء تونس لا تخرج عن دائرة علوم الشريعة النقلية . وعلى كل حال فنحن نستفيد مما تنقله منها بعض الفنون والكتب التي كان يتدارسها علماء تونس في ذلك التاريخ وهي هذه

(١) علوم القرآن من ذلك (كتاب التيسير في علم القراءات لابي عمرو المقرئ ذكر انه قرأ جميعه على العلامة الامام قاضي الجماعة ابي العباس احمد بن الغماز وعلى العلامة المسند ابي محمد هارون وقرأ بعضه على العلامة الصالح ابي القاسم اللبيح وعلى العلامة المحقق ابي جعفر اللبلي ومنه (الشاطبية) في علم القراءات ايضا قرأ جميعها على ابي جعفر اللبلي وبعضها على الشيخ معين الدين ابي محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان ومنه (القصيدة الشاطبية) في رسم القرآن قرأ جميعها على الشيخ معين الدين المذكور ومنه (الامثال الكائنة في القرآن) للحسن بن الفضل قرأها على ابي الحسن التجاني ومنه (ارجوزة السخاوي) في الآيات المتشابهة قرأها على الشيخ معين الدين

(٢) التوحيد قرأ منه (كتاب العقيدة) على ناظمها ابي جعفر اللبلي مع ما ضم اليها من شر قال وقد اخذ صيان المكتب بحفظها وقد سمعتها منهم بحضورته

(٣) السيرة والمغازي قرأ منها بعض كتاب (الشمايل) للترمذي على أبي جعفر اللبلي (ومختصر السيرة) لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء اللغوي قرأه على أبي محمد عبد الله بن يوسف بن موسى الخلاصي وكتاب (الاكتفاء في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم ومغازي الثلاثة الخلفاء) وهو كتاب كبير يحتوي على أربعة أسفار قرأ كثيرا منه على قاضي الجماعة ابن الغماز

(٤) الحديث منه كتاب (الموطأ) قرأ بعضه على ابن الغماز وعلى ابن هارون وعلى أبي جعفر اللبلي وعلى العلامة أبي يعقوب يوسف بن عقاب ومنه (صحيح البخاري قرأ جميعه على ابن الغماز وبعضه على ابن عقاب وعلى أبي زيد عبد الرحمن الأسيع المعروف بالدباغ من علماء القيروان وقرأ كثيرا منه على أبي القاسم الليدي ومنه (صحيح مسلم) قرأ بعضه على ابن هارون وعلى ابن الغماز وعلى الليدي (وسنن الترمذي) قرأ كثيرا منه على ابن الغماز (وسنن أبي داود) قرأ كثيرا منه على ابن الغماز أيضا (وسنن الدار قطني) قرأ بعضه على ابن عقاب وكتاب (المعلم في شرح مسلم) لأبي عبد الله المازري قرأ بعضه على الليدي وكتاب (الوعد والانتجاز لابن الطيلسان قرأه على ابن عقاب وكتاب المنقي عن الحفظ والكتاب في حصر الضعيف من الحديث والابواب) تأليف أبي حفص عمر بن بدر الحنفي قرأه على أبي محمد الخلاصي (والاحاديث المسلسلة بالمصافحة) وغيرها قرأها على الدباغ

(٥) التصوف قرأ كثيرا من كتبه على أبي القاسم الليدي

(٦) النحو قرأ منه (المغرب) لأبي الحسن بن عصفور قرأه على الأديب النحوي أبي علي حسين بن محمد الطيلي من علماء باجة و (الشرح الكبير على الجمل لأبن عصفور أيضا قرأ بعضه على أبي علي الطيلي المذكور

(٧) التاريخ قرأ منه كتاب (معالم الايمان وروضات الرضوان في مناقب المشهورين من صلحاء القيروان) لأبي زيد عبد الرحمان الأسيع المعروف بالدباغ قرأه على مؤلفه بمدينة القيروان وكتاب (المشاهير من اهل كل فن لأبي عبد الله بن هريرة سمع منه بعضه واجازله في سائره وكتاب (الصلة) لأبي القاسم بن بشكوال قرأ جملة منه على الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن رزين التجيبي وكتاب (درر السمط في خبر السبط) لأبي عبد الله القضاعي المعروف بابن البار في تاريخ مقتل الحسين رضي الله عنه نحا فيه منحى أبي الفرج بن الجوزي قرأه صاحب الرحلة على ابن عقاب

وسوى ما ذكرنا من غرر التأليف في مختلف الفنون وسنذكر ما اخذناه من كتب الادب بالاخض على علماء تونس فيما بعد

(يتبع)

علي النيفر

جامع الزيتونة

من اقدم الكليات العالمية في العالم واكثرها انتاجا

فما هي مهمته وهل هو قائم بها ؟

بقلم رئيس التحرير

« ٢ »

وصلنا في الحديث عن اطوار التعليم بجامع الزيتونة الى لائحة القانـون التي وضعت في عهد الوزير المرحوم مصطفى دقـقـزلي . وذكرنا انها تعطلت ولم يقع انجازها حتى توفي ذلك الوزير الفاضل ونريد الآن ان نسترد في الحديث عن اطوار ذلك التعليم حتى نصل الى تحديد مهمة جامع الزيتونة ويان هل هو قائم بها ام لا . فنقول :

بعد ما توفي الوزير المذكور اسندت الوزارة الكبرى لجناب الصدر الهمام سيدي خليل بوحاجب الوزير الاكبر السابق - وهو ابن شيخ الجماعة في عصره المرحوم الشيخ سيدي سالم بوحاجب الباش مفتي المالكي - فرأى ان احسن عمل يسديه للجامع وبنيه - وهو من اشد الناس ارتباطا بهم علميا واداريا - ان يتم ذلك المشروع الذي بدأ فيه سلفه ولم تسعفه الاقدار على انجازه . لا سيما وقد اوجبت الضرورة في ذلك العهد ادخال تنقيحات كثيرة على قانون عام ١٣٣٠ . فأذن اولا بطبع لائحة القانون التي وضعتها اللجنة السابقة لتكون كاساسا ليراد وضعه من الاصلاح لنظام الجامع . ثم كون لجنة من كبار رجال العلم والادارة (١) فيها كثير من افراد اللجنة السابقة . وعهد اليها بوضع قانون للجامع يكون

(١) اما رجال العلم بهاته اللجنة فهم السادات المقائـخ : المنعم احمد يريم شيخ الاسلام . محمد الطاهر ابن عاشور الباش مفتي المالكي (شيخ الاسلام المالكي الان) . محمد العزيز جعيط المفتي المالكي . بلحسن النجار المفتي المالكي . المنعم محمد رضوان القاضي الحنفي ثم الشيخ الطيب يريم القاضي الحنفي . صالح المالقي القاضي المالكي (شيخ الجامع الاعظم الان) ثم الشيخ الطيب سيالة القاضي المالكي . المنعم محمد بن القاضي نائب الدولة لدى النظارة العلمية . محمد العزيز النيفر نائب الدولة لدى النظارة العلمية (النائب الاول لشيخ الجامع الان) . المنعم عثمان ابن الحوجه المدرس من الطبقة الاولى

واما رجال الادارة فهم السادة : المرحوم علي بن مصطفى المستشار بوزارة العدلية محمد بن الحوجة عامل بنزرت (مستشار الدولة التونسية الان) . مصطفى صفر المكلف برئاسة القسم الاول (شيخ المدينة الان) علي السقاط مدير الاوقاف (وزير العدلية الشرفي الان) الشاذلي العقبي شيخ المدينة (رئيس جمعية الاوقاف الان) محمد المقداد الورتاني رئيس قسم التعليم العربي بالقسم الاول سابقا وهو كاتب هاته الجلسة . محمد قاسم كاهية رئيس القسم الاول (رئيس القسم الاول الان) محمد العجمي كاتب سر الوزير الاكبر (عامل قصصه الان) - وحضر بهاته اللجنة من اعضاء المجلس الكبير السيد محمد شنيق والمرحوم السيد عمر البكوش وحضر بها من الفرنسيين في بعض الاحيان م . تيري مدير الداخلية سابقاوم . قودياني كاهيته سابقاوم . ديقوا مراقب القسم الاول سابقاوم . بيرشي رئيس قسم الترجمة

ككافلا بترقية التعليم فيه وتوسيع دائرة المعارف لتخرجيه . وترأس الوزير هذه اللجنة بنفسه . وتوافرت تلك الهمم العالمة التي تحلى بها اعضاء هاته اللجنة ورئيسها الهمم على بذل الجهد في القيام بهذا العمل العظيم على احكم اسلوب وابدع نظام . وقد بدأت هاته اللجنة اعمالها في اول عام ١٣٤٨ واستمرت الى عام ١٣٥٠ (اي من افريل سنة ١٩٣٠ الى ديسمبر سنة ١٩٣٠) . وحجرت في مجالس تاليف هذا القانون مناقشات ومجادلات كانت تحوم حول البلوغ بالتعليم بالجامع الى ارتقى ما وصلت اليه الاساليب في هذا العصر . ثم بعد ما انتهت اللجنة من وضع هذا القانون وافراغه في القالب الاداري (١) وقع عرضه على الدولة لتقع المصادقة عليه ويأخذ الصبغة الرسمية التنفيذية . ففضى في هذا الدور نحو العاملين انقضت في مفاهيم رسمية بين رجال الدولة . الى ان تولى الوزارة الكبرى جناب الصدر الهمام الوزير الاكبر الحالي سيدي الهادي الاخوة . في شوال عام ١٣٥٠ وهو الرجل الغيور على العلم وءاله والحرص على خدمة مصالحهم وجلب النفع اليهم . فصرف همته للاسراع بازالة العراقيل التي كانت تعترض دون انجاز هذا القانون . ووقف في ذلك موقفا سيحفظه له التاريخ . ولم يعض عام على ولايته حتى زالت جميع الموانع . وصدر الامر العلي المتضمن للقانون المذكور من جلالة ملكنا الحالي سيدنا احمد باشا باي ابقاء الله ورفع منار الدين والعلم على يديه . واسبغ نعمه الباطنة والظاهرة عليه .

وذلك بتاريخ يوم ٤ من ذي الحجة عام ١٣٥١ الموافق ليوم ٣٠ مارس سنة ١٩٣٣

وبصدور هذا القانون سار التعليم بالجامع اشواطا الى الامام . وذلك لانه قد وضع وضعاً محكماً دقيقاً روعى فيه النهوض بالتعليم في الجامع ورفعته شان متخرجيه . وادخلت به على الجامع عدة انظمة وتراتيب وفنون لم تكن موجودة من قبل . ويمكن لنا ان نقول انه قد نسخ غالب ما في القوانين السابقة واتى بما هو خير منها . ولا يتسع المجال الآن لبسط القول في المقارنة بينه وبين القوانين السابقة . ولعلنا نعود في فرصة اخرى لتحرير مقالة نبسط فيها القول من هذه الناحية حتى يعلم القراء اي مدى عظيم واي تقدم عجيب قطعه الجامع وسار فيه بهذا القانون المبارك . وانما تقتصر الآن على تعداد بعض امور مجملة احداثها هذا القانون ولم تكن موجودة من قبل .

(١) مما تجب ملاحظته في هذا المقام حفظا للتاريخ ان اللجنة المذكورة وضعت من هذا القانون ما عدى الباب المتعلق بادارة الجامع . لان الحكومة اعلمت اللجنة بان ماموريتها قاصرة على النظر فيما عدى الباب المذكور . وان الحكومة ستفرد بوضعه . وقد راجت في ذلك الوقت اشاعة في الاوساط العلمية . وهي ان صاحبي الفضيلة الشيخ سيدي الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي والشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي قد احتجا على هذا الاستثناء وطلبا ان يكون ترتيب ادارة الجامع من مشمولات انظار اللجنة . واستدلوا على ذلك بان معروض تكوين اللجنة صريح في تعميم نظرها وواقفهم على ذلك بعض اعضاء اللجنة . ولكن رغما عن ذلك فقد انفردت الحكومة بوضعه من غير اخذ رأي اللجنة فيه كما نسجل هنا ان بعض المشايخ الحاضرين بالجلسة بسطوا مسألة ترتيب فروع الجامع الاعظم وطلبوا تقرير نظام لها . فلم يجب مقترحهم ولم يتعرض قانون الجامع لتنظيمها وهذا ما يجب تداركه في وقت قريب

فمن ذلك ابطال هيئة النظارة العلمية وتعويضها بمشيخة (١) وتكوين ثلاث شهادات للتعليم بالجامع وهي الانلية والتحصيل والعالمية بعد ان كان الجامع يعطي شهادة ثانوية واحدة تسمى (التطويع) ومنها التشجيع على حركة التأليف واحداث جوائز للمجتهدين فيه ومنها احداث طبقة جديدة للمدرسين تعطى لقب (استاذ) ويكسبون الاحراز عليها بوضع تاليف في موضوع تعينه المشيخة وتنظر فيه اللجنة المكلفة باجراء المناظرات بالجامع . وتقع مناقشة المؤلف من

(١) لما وضع المشير احمد باشا باي الاول قانون التدريس بجامع الزيتونة الذي امرنا اليه سابقا جعل ادارة الجامع منوطة بمعدة مجلس يسمى (النظارة العلمية) يتركب من شيوخ الاسلام الحنفية والمالكية (كذا بص المعلقة) والقاضين الحنفي والمالكي ثم اضيف للمجلس المذكور اثنان من المدرسين تختبهما الدولة واعطت لكل واحد منهما لقب نائب عن مستشار قسم المعارف من الوزارة الكبرى واعطى لهما نفوذ واسع في الجامع حيث كلفا بالسهر على تنفيذ فصول قانون ومراقبة مجلس النظار في تنفيذ ومراقبة احوال المدرسين والتلامذة وسير الادارة واعمال وكلاء الكتب وذلك بمقتضى الامر العلي المؤرخ في ٢٥ ذي الحجة سنة ١٢٩٢ واول من تولى هاته الحطة المنعمان الشيخ محمود بن الخوجه والشيخ عمر ابن الشيخ ثم نسخ هذا الامر بامر آخر مؤرخ في ٥ شوال سنة ١٣٣٠ (الموافق ليوم ١٦ ديسمبر سنة ١٩١٢) اعطي بمقتضاها هذان المدرسان لقب نائبين عن الوزير الاكبر وابقى لهما من النفوذ ما اقتضاه الامر الاول بل زيد عليه انهما يحضران بمجلس المشائخ النظار ويشاركان المشائخ النظار في ابداء الملاحظات عند المناقضة واول من باشر هذه الحطة بهذا العنوان المنعمان الشيخ محمد بن القاضي والشيخ محمد جعيط . ولم يعط لقب رئيس لواحد من اعضاء مجلس النظار بل بقي امر الرئاسة مسكوتا عنه . ثم صدر امر علي بتاريخ ١ ذي القعدة سنة ١٣٤٢ (الموافق ليوم ٤ جوان سنة ١٩٢٤) في تعديل سير النظارة العلمية وكان من جملة ما اشتغل عليه اسناد رئاسة مجلس النظار لشيخ الاسلام . وكان لقب شيخ الاسلام لا يطلق في ذلك التاريخ الا على شيخ الاسلام الحنفي وهو اذ ذاك الشيخ احمد بريم رحمة الله عليه . وجرى العمل على ذلك مدة . ثم لما وضع القانون الجديد للتعليم المتحدث عنه استقر راي الدولة على تغيير نظام ادارة الجامع بابطال مجلس النظار وتكليف شخص واحد يدير الجامع واعطته لقب (الشيخ المدير) وقبل صدور القانون بستة اشهر اصدرت الدولة امرامؤرخا في جمادى الاولى سنة ١٣٥١ الموافق لستمبر سنة ١٩٣٢ يقتضي اسناد ادارة الجامع لشخص واحد وجعل مجلس النظار مجلسا استشاريا يستدعيه شيخ الجامع مهما دعت لذلك حاجة . واول من اسندت اليه ادارة الجامع هو صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي . وام يعط لقب شيخ الجامع . وانما اعطى لقب مكلف بذلك . ونص الفصل الاول من امر ولايته المشار اليه : (كلفنا العالم النحرير الشيخ سي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بخطة شيخ يدير الجامع الاعظم بحضورتنا وفروعه) . وقد باشر الشيخ المذكور المشيخة عاماً كاملاً حيث وقع تنصيبه في يوم السبت ٢٣ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ (الموافق ليوم ٢٤ سبتمبر سنة ١٩٣٢) ثم استقال منها في يوم الجمعة ٩ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ (الموافق ليوم ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٣٣) وتولى المشيخة بعده بصفة رسمية شيخ الجامع الآن وهو صاحب الفضيلة الشيخ سيدي صالح المالك القاضي المالكي في ذلك التاريخ وكانت ولايته في يوم الخميس ١٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٢ (الموافق ليوم ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٣) امد الله في عمره واجرى الخيس والسداد على يديه للجامع وبنيه . وقد ابطال بعد ذلك مجلس النظار ولم يبق له حتى حق الاستشارة وابطلت خطة النائبين عن الدولة واعتبرا نائبين عن شيخ الجامع

طرف هاته اللجنة لتتوصل الى قيمة مدارسك و اتساع معلوماته . ومنها زيادة عشر خطط في طبقة المدرسين معاونين - وقد اعطي اهل هاته الطبقة فيما بعد لقب مدرسين من الطبقة الثالثة (١) ومنها احداث ثلاثة اقسام للتخصص في الجامع بالنسبة للمرتبة العالية . وهي التخصص في العلوم

(١) يجب ان نذكر بهاته المناسبة بذة مختصرة عن تاريخ تاسيس المدرسين بالجامع الاعظم وعددهم واقسامهم من العهد القديم الى يوم التاريخ . فنقول : ليست لنا مصادر كافية لتعيين عدد المدرسين وتقسيمهم قبل قانون عام ١٢٥٨ وغاية ما وقفنا عليه مما يتعلق بذلك ما ذكره الوزير ابن السراج في تاريخه (الحلل السندية) وهو ان الامير حسين بن علي تركي مؤسس العائلة الحسينية امد الله ملكها قد زاد في عدد المدرسين بالجامع في عام ١١١٩ وذلك انه لم يكن به قبل هذا العام الا ثمانية من المدرسين . فزاد في العام المذكور في عددهم وصبرهم نيفا واربعين مدرسا . واجرى لهم مراتب وافرة فضاعف مرتب الثمانية الاصليين واعطى مثلاً لكل واحد من المدرسين الذين زادهم . وجعل المرتبات المذكورة تخرج من مال الجزية الذي هو من اهم موارد خزينة الدولة في ذلك العهد . ولم تتوصل الى تعيين المدة التي استمر فيها العمل بهذا النظام لانه سيظهر قريباً انه قد تعطل العمل به . هذا بالنسبة لما قبل عام ١٢٥٨ . واما نظام المدرسين من ذلك العام الى الان فكان كما يأتي : لما وضع المشير احمد باي الاول نظام للمدرسين في عام ١٢٥٨ جعلهم رتبة واحدة وجعل عددهم ثلاثين نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية واوجب على كل واحد اقراء درسين في اليوم من اي فن وفي اي وقت يتيسر له من النهار وعين لكل واحد منهم ريالين في اليوم وجعل مراتبهم تخرج من بيت المال بحيث جعل جميع دخل بيت المال يصرف على مصالح التعليم بالجامع فتؤخذ منه مراتب المدرسين ومراتب المشايخ النظار والقيمين بالجامع وابق مع ذلك تجهيز دفن الغرباء وما يفضل بعد ذلك يشتري به بعد خمس سنين عقار يرجع ريعه لبيت المال واذا بقي شيء بعد ذلك كله فانه يوزع على عموم تلامذة الجامع ويقسم بينهم على السوية ولا يستحق ذلك الا التلهيد لألواط على القراءة . ثم في عام ١٢٦٥ اقترح شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الرابع على الامير المذكور ان يزيد في عدد المدرسين بالجامع حيث ان الثلاثين الموضوعين من قبل لم يسدوا حاجة الجامع الذي اتسع نطاق التعليم فيه في ذلك العهد ووقع الاتفاق على زيادة اثني عشر مدرسا . نصفهم من الحنفية ونصفهم من المالكية واطلق عليهم لقب مدرسين من الطبقة الثانية في مقابلة اطلاق مدرسين من الطبقة الاولى على الثلاثين الاقدمين . ووقع تاسيسهم على الصورة الآتية : وهي انه قد جمعت الاوقاف المحبسة على دروس (تنبيه الانام) خارج جامع الزيتونة ودخله وخصص ريعها لهؤلاء اثني عشر مدرسا وكلفوا بتعليم العلوم المقرر تعليمها بالجامع وخصص منهم اثنان بتدريس كتاب (تنبيه الانام) مراعاة لنصوص الواقفين في الجملة . وهما الشيخ محمود اللي من الحنفية والشيخ علي السقانجي من المالكية . وجعل النظر في هذه الاوقاف الراجعة للمدرسين لوكيل خاص بها اطلق عليه لقب (ناظر اوقاف المدرسين) وقد عثرت منذ ايام قريبة في خزانة الرسوم بالمجلس المختلط على عقدة كراء لارض (تعرف بجرمان كائنة بالبحر الازرق بمقرية من مرسى قرطاجنة خارج باب الخضراء من تونس المحروسة) يرجع ثلثها لوقف المدرسين . ويرجع ثلثاها الباقيان لوقف القراء والمؤذنين بالجامع الاعظم وللشيخ سيدي عمارة . سوغت للشيخ مصطفى يرم القاضي الحنفي والذي تولى تسوية ثلث المدرسين هو المرحوم الشيخ علي الطواحي . (في حق المشايخ الاجلاء المدرسين اهل الطبقة الثانية المرتبين بالجامع المذكور بحق ماله من النظر بالولاية السلطانية) وذلك في شوال عام ١٢٧١ . وهذا هو منشأ اتصال المدرسين بالاوقاف . وهو السبب في الاشاعة التي راجت في هذا العام من ان الدولة ستقرر جعل مراتب المدرسين بالجامع تخرج من

الشرعية والتخصص في العلوم الادبية والتخصص في علم القراءات وتسمى الشهادة فيها بالعالمية . ومنها الاكثار من الفنون العلمية وتنوعها وخصوصا العلوم الرياضية . ومن المهمات التي اشتمل عليها هذا القانون انه ابقى الحق في تعيين الكتب الدراسية بالجامع في مختلف العلوم لشيخ الجامع بواسطة لجنة

الاقواق بعد ان كان معظمها يخرج من خزانة الدولة العامة . نظرا لكون مرتباتهم في الاصل انما تخرج من الاوقاف . فالحقيقة التاريخية هي ان المدرسين بالجامع الاعظم ليس لهم اي ارتباط بالاقواق اي ليست هناك اوقاف محبسة عليهم بالمرة . اما المدرسون قبل عام ١٢٥٨ فقد علمت ان مرتباتهم تؤخذ من مال الجزية . واما المدرسون الثلاثون الذين وقع احداثهم في عام ١٢٥٨ فقد علمت ان مرتباتهم تؤخذ من بيت المال . واما المدرسون الاثنا عشر الذين وقع احداثهم في عام ١٢٦٥ فقد علمت ان الاوقاف التي ياحذونها ليست محبسة عليهم بصفتهم مدرسين للعلوم بالجامع الاعظم . وانما هي محبسة على رجال يقرءون كتاب (تنبيه الانام) خارج جامع الزيتونة او داخله فظهر ان من المصلحة جعلهم يقرءون العلوم بصفة عامة مع ابقاء تلك الاوقاف راجعة اليهم على اصلها كما قدمنا . ومما يجب تسجيله هنا ان الدولة قررت تكذيب هاته الاشاعة بصفة رسمية وانها ستبقى مرتبات المدرسين مخرجة من الخزانة الدوائية العامة حسيما صرح بذلك ممثل الحكومة للجنة المالية بالمجلس الكبير منذ ايام قريية (انظر جريدة النهضة عدد ٤٥٥١ المؤرخ بيوم الاحد في ٢٣ شوال سنة ١٣٥٦ وفي ٢٦ ديسامبر سنة ١٩٣٧)

هذا واتماما للفائدة التاريخية نثبت هنا نص الامر العلي الصادر في ولاية احد المدرسين من الطبقة الثانية المذكورة لما اشتمل عليه من البيانات المفيدة حول الغرض الذي بسطنا القول فيه . واليك نصه بعد حذف ديباجته المعتادة : (اما بعد فان الفقيه النبيه الامعي المحصل الشيخ صالح النيفر (وهو الذي تولى باش مفتي المالكية فيما بعد) قدمنا على بركة الله تعالى مدرسا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة عمرة الله بدوام ذكره يقرئ به كل يوم درسين ويستحق بذلك مرتبا من اجاس المدرسين واجباس الدروس التي جمعناها وجعلنا لها وكلا ووزعناها على من ثبت لدينا استحقاق منها واذا صار من المدرسين الذين يستحقون المرتب من بيت المال على مقتضى ترتيبنا (وهو الترتيب المعروف بالملقة الذي تكلمنا عليه سابقا) فانه يتولى هذا التدريس غيره ولا يجمع لاحد بين مرتب بيت المال وهذا المرتب فليقيم بخطته عارفا بمقدارها متصفا بما يحمد من اثارها واوصينا بالمواظبة والاجتهاد في ابصال النفع للمتعلين كما اوصينا له بالرعي والاحترام والمبرة والاكرام والامر كله لله ذي الجلال والاکرام وكتب في ١٢ ربيع الاول عام ١٢٦٥)

ومن هذا التاريخ صار عدد المدرسين بالجامع اثنين واربعين مدرسا . كلهم مدرسون في العلوم . واستمر العمل كذلك الى ان صدر امر علي مؤرخ في ١٢ محرم عام ١٣١٢ (الموافق ليوم ٢٥ جويلية سنة ١٨٩٤) بزيادة مدرسين في علم القراءات احدهما من الطبقة العليا والاخر من الطبقة الثانية .

وكان يباشر التعليم بالجامع زيادة عن هؤلاء المدرسين الرسميين عدة مشايخ من المحرزين على شهادة (التطويع) وهم يقومون بالتعليم احتسابا لوجه الله وايسر لهم في مقابلة ذلك الامنحة سنوية ضعيفة جدا لا تكاد تذكر .

وكان يقام على كاهلهم القسط الوافر من برنامج التعليم بالجامع وبلغ عددهم في بعض الاعوام الى اكثر من مائة متطوع . وبقي الحال كذلك عشرات من السنين . ثم في عام ١٣٤٥ (الموافق لعام ١٩٢٧) قام المتطوعون بالجامع وطلبوا من الحكومة اعطاءهم جرايات شهرية تناسب العمل العظيم

ينتخبها لهذا الغرض من بين المشايخ المدرسين . وبذلك صار من السهل تعويض كتاب بغيرة بمجرد ما تدل التجربة على عدم صلاحيته بعد ان كانت القوانين السابقة تعين الكتب الدراسية باسمائها حتى انه لا يمكن تعويض كتاب بغيرة الا بعد صدور امر علي في ذلك .
وأنت اذا امعنت النظر في حال التعليم بالجامع قبل وضع القانون الاحمدي الاول ثم بعد وضعه

الذي يقومون به والذي تصرف الحكومة في الاتفاق على ما هو اقل منه قيمة ونقعا بمدارسها ملايين الفرنكات . فاستجابت الحكومة لهذا الطلب وقررت احدث طبقة جديدة من المدرسين بالجامع اطلقت عليها لقب (معاونين) وجعلت عددهم خمسين . واذنت باجراء مناظرة بين المتطوعين المباشرين للتعليم بالجامع للاحراز على هاته الخطة . ووقعت المناظرة المذكورة في شهر ذي القعدة سنة ١٣٤٦ (الموافق لافريل وماي سنة ١٩٢٨) ثم زيد عشرة في عدد هؤلاء معاونين بمقتضى امر اصلاح التعليم المتحدث عنه ووقعت المناظرة عليها في ذي الحجة سنة ١٣٥٣ (الموافق لافريل سنة ١٩٣٥) فصار عددهم ستين . ثم طلب هؤلاء معاونون من الحكومة ان تمنحهم لقب (مدرسين من الطبقة الثالثة) فمُنحتهم ذلك بمقتضى الامر العلي المؤرخ في ١٧ ربيع الثاني سنة ١٣٥٤ (الموافق ليوم ١٨ جويلية سنة ١٩٣٥) وهؤلاء المدرسون من الطبقة الثالثة غير مقيدين بمذهب .
كما ان الحكومة زادت ثمانية مدرسين من الطبقة الثانية غير مقيدين بمذهب بمقتضى امر علي مؤرخ في جمادى الاول سنة ١٣٥١ (الموافق لستمبر سنة ١٩٣٢) ووقعت المناظرة على هاته الخطة الثمانية في شهر جمادى الثانية الموافق لشهر اكتوبر من العامين المذكورين فصار عدد المدرسين من الطبقة الثانية واحدا وعشرين .

كما ان الامر الجديد اقتضى احدث طبقة جديدة من المدرسين وهي طبقة (الاساتذة) وعدتهم ثمانية ويؤخذون من بين مدرسي الطبقة العليا . وتكون ولايتهم في اول الامر بالانتخاب . ثم يكون الاحراز على هاته الخطة فيما بعد على طريق المناظرة . وقد وقع انتخابهم في عام ١٣٥٢ (الموافق لعام ١٩٣٤) وتولى انتخابهم شيخ الجامع الحالي في العام المذكور فاخذ اربعة من مدرسي الطبقة الاولى المالكية وهم العلماء الاجلاء السادة المشايخ محمد العزيز جهيط المفتي المالكي . بلحسن النجار المفتي المالكي . محمد العنابي المفتي المالكي . البشير النيفر المدرس من الطبقة العليا . واخذ اربعة من مدرسي الطبقة العليا الحنفية وهم العلماء الاجلاء السادة المشايخ الطيب يرم المفتي الحنفي . محمد بن الحوجه المفتي الحنفي . محمد الصالح بن مراد المدرس من الطبقة العليا الصادق المحرزي المدرس من الطبقة العليا . وبهذا صار عدد المدرسين بالجامع ١١٢ وهم مقسمون على الصورة الآتية . اساتذة ٨ مدرسون من الطبقة العليا ٢٣ منهم واحد في علم القراءات . مدرسون من الطبقة الثانية ٢١ منهم واحد في علم القراءات (وان اقتضى القانون الجديد ان يكون عدد المدرسين من هاته الطبقة اثنين) مدرسون من الطبقة الثالثة ٦٠ منهم اربعة في علم القراءات

واذا اضيف لهؤلاء مدرس علم الهيئة ومدرس علم الطب ومدرس علم الخط الذين وقع احداثهم منذ عامين كان عدد المدرسين بالضبط ١١٥ اما مراتب هؤلاء المدرسين فواحد وسبعون منهم - وهم الذين وقع احداثهم بعد عام ١٣٤٦ - تخرج بتمامها من خزانة الدولة العامة . واربعة واربعون - وهم الموجودون قبل ذلك التاريخ - تخرج مراتبهم بعضها من جمعية الاوقاف وغالبها من خزانة الدولة والمظنون ان الدولة ستزيد في امد قريب في عدد المدرسين لان العدد المذكور لم يبق كافيا للقيام بما تستدعيه حاجة الجامع وفروعه في هاته الايام نظرا لكثرة التلامذة واقبالهم على التعلم بالجامع اسوة بما تفعله الدولة في كل عام مع ادارة المعارف من الترخيص لها في زيادة عدد المعلمين على حسب ازدياد عدد التلامذة وانشاء المدارس الجديدة .

ثم تدرجت الى جملة القوانين، التي وضعت له الى القانون الاحدي الثاني تجلت لك الروح السامية التي كانت تحف برجال العلم ورجال الدولة في هذه البلاد . وهي ترقية التعليم بالجامع وجعله مجاريا لما وصلت اليه التراتيب والانظمة في سائر معاهد العلم المنظمة . وتكوين ثقافة عامة لتخرجيه تصيرهم قادرين على الاضطلاع باعباء الحركة العلمية والادارية والمشاركة في شؤون الحياة العامة من جميع نواحيها ولما كان ذلك يتوقف على تقرير تدريس العلوم الرياضية التي لا بد منها زيادة على العلوم الشرعية واللغوية للذين هما اساس التعليم بجامع الزيتونة . فقد لاحظ ذلك الواضعون لتراتب التعليم بالجامع في تلك العصور المختلفة . فتجد في قانون عام ١٢٩٢ ان جملة العلوم التي تراول بالجامع ثلاثة وعشرون علما منها الميقات والحساب والهندسة والهيئة والمساحة (١) (انظر الفصل الاول منه)

ثم لما دعت الضرورة بعد ذلك الى زيادة التوسع في العلوم جاء قانون عام ١٣٣٠ قاننيا بتصيير العلوم التي تدرس بالجامع اربعة وعشرين علما منها الميقات والجغرافيا والحساب ومنه الجبر والهندسة والهيئة والمساحة (٢) « انظر الفصل الاول منه »

ثم لما ظهر الاحتياج بعد ذلك الى ادخال عدة علوم تتوقف عليها الثقافة العامة في العصر الحاضر جاء قانون عام ١٣٥١ بتصيير جملة العلوم التي تراول بالجامع ستة وثلاثين علما . وهي كما بالفصل ٢٣ (التوحيد . القراءات رواية ودراية . التفسير . الحديث . اصول الفقه . الفقه مع مقاصد الشريعة . تاريخ التشريع الاسلامي . الفرائض فقها وعملا . التوثيق . الاقضية والشهادات . الاجراءات الشرعية . النحو الصرف . البلاغة . العروض . اللغة والادب ومنه تاريخه ونقد الشعر والانشاء والحطابة والمنتخبات العربية لخط الرسم القياسي والتوقيفي . الاخلاق . المنطق واداب البحث . السيرة النبوية . التاريخ (تاريخ العرب قبل الاسلام) الجغرافيا . الحساب والجبر . الهندسة والمساحة . الهيئة والميقات . خصائص الانشاء (مبادي الكيمياء الطبيعية والمواليد الثلاث - المعدن والنبات والحيوان) فن التعليم (البيدغوجيا) مبادي حفظ الصحة)

محمد المختار بن محمود

(١) جاء الفصل الثالث والفصلان بعده بتعيين الكتب التي تدرس بها العلوم الرياضية في مختلف مراتب التعليم الثلاث - العالية والثانوية والاحيرة - على الصورة الاتية : في الحساب شرح ابن غازي على النمية - التلخيص بشرح المدراتي - المرشدة لان الهائم - القلصادي - النخبة الحسائية . وفي علم الهيئة : السيد على التذكرة - القاضي زادة على الجغميني . وفي علم الهندسة والمساحة : تحرير الطوسي لمقالات اقليدس - القاضي على اشكال التأسيس - الدروس الهندسية لشفيق منصور . وفي علم الميقات : منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب - رسالة سبط المارديني في العمل بالربع المجيب - السوسي - السراج الاخري - سلم السعادة .

(٢) جاء الفصل الرابع والفصلان بعده بتعيين الكتب التي تدرس بها العلوم الرياضية في مختلف المراتب على الصورة الاتية : في الحساب : كشف النقاب - النخبة الحسائية - القلصادي - كتاب الدروس الحسائية لشفيق باجزائه الاربعة . وفي علم الهندسة والمساحة : تحرير الطوسي لمقالات اقليدس - الدروس الهندسية لشفيق - وفي علم الميقات : منظومة ابن غانم في العمل بالربع المجيب - رسالة المارديني في العمل بالربع المجيب - السوسي .

الادب

اخطاء الكتاب في العربية

رد على نقد

قرات في جريدة البصائر التي تصدر في قسنطينة في صفحة ٦ من عدد ٨٤ مقالا للشيخ ابي يعلى الزواوي عنوانه « اصلاح اللسان » قصد منه التنبيه على اغلاط لغوية تقع في استعمال بعض الكتاب من اهل العصر ،

وهذا موضوع مهم كان المتقدمون من الادباء وضعوا له عنوان « لحن الخواص » وكان الخاضعون فيه قديما جماعة من نقاد الشعر ومن النحاة وقد ضمن كثيرا منه كتاب الموشح للهرزباني وكتاب ادب الكتاب لابن قتيبة وكتاب درة الغواص للحريري وبعض مسائل من كنساب مغني اللبيب لابن هشام وطالما كان محل الجدل في نوادي المتأدين مثل مجلس الصاحب ابن عباد والاستاذ ابن العميد بل ربما نعت به قرائح اهل النقد في المجالع العامة مثلما وقع لابن شبرمة مع ذي الرمة في رجة الكناسة بالكوفة حين اشهد ذو الرمة قوله :

إذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح

فانكر عليه قوله لم يكد وقال له « يا غيلان اראה قد برح فابته اياه الجأ الى ان غير قوله لم يكد بان قال « لم اجد »

وعني به المتأخرون من الادباء المصريين فألف الشيخ ابراهيم اليازجي كتابه المسمى لغة الجرائد في هذا الغرض وعني الاستاذ العلامة الشيخ محمد محمود الشنقيطي بالتنبيه على اغلاط كتاب عصره على ان الكلفين بهذا الموضوع لم يسلموا من التعجل في كثير مما خطأوا فيه فقد انكر هذان الفيل على ابن شبرمة تخطئه ذا الرمة وانكر على ذي الرمة تغيير بيته وقال ان اصله عربي صحيح وانتقد الائمة على الحريري بعض ما خطأ فيه الخاصة ، وانا ارى فيما خطأ فيه الشيخ ابراهيم اليازجي كتاب الجرائد كثيرا من المجازفة فكذلك كان شأن الشيخ ابي يعلى الزواوي في حكمه في مقاله هذا .

فقد اشتمل ذلك المقال على ذكر أخطاء للكتاب في ثمانية الفاظ هو محق في اربعة منها ولطالب الوقوف على تفصيلها ان يطالع جريدة البصائر ثم مورد انتقاد كلامه فيها :

اولها اطلاقهم اسم السجادة على الزربية فعدة خطأ ومنكرا وتعجب من اهمالهم لفظ الزربية مع انه الوارد في القرآن العظيم وختم كلامه بان جعل لفظ السجادة اعجميا فارسيا

وكلامه في الحكم على استعمالهم لفظ السجادة كله خطأ فان لفظة السجادة عربية فصيحة وقد وردت في كتب اللغة المعتمدة في اللسان « والسجادة الحمرية المسجود عليها » وفي الاساس « وسمعت بعض العرب يضمون السين » وورود الزربية في القرآن لا يقتضي الا ان يكون لفظ الزربية افصح وذلك لا ينافي فصاحة لفظ السجادة كما ان ورود لفظ السكين في القرآن في قوله تعالى (وءات كل واحدة منهن سكينا) لا يمنع ان يكون لفظ المدية عربيا فصيحاً وقد ورد في الصحيح عن ابي هريرة انه قال ما سمعت السكين الا من قوله تعالى (وءات كل واحدة منهن سكينا) وما كنا نقول الا المدية . واعجب ما في كلام ابي يعلى الزاوي حكمه على لفظ السجادة بانه عجمي ذاهلا عن اشتقاقها من السجود . وان محبتها بوزن اسم الفاعل مجاز عقلي اي المسجود عليها كقولهم عيشة راضية ثانيا ان الكتاب يستعملون فعل اشعل في موضع او قد قال ابو يعلى وقد ورد في القرآن اشعل في قوله تعالى واشتعل الرأس شيئا وليس ذلك بمعنى او قد ولم يرد في الشعر اشتعل بل ورد او قد . وهذا تضيق واسع من ابي يعلى فان فعل اشعل وما تصرف من مادته كله عربي فصيح وقوله تعالى واشتعل الرأس شيئا استعارة بدعية في تشبيه انتشار البياض في سواد شعر الرأس بالتهاب النار في الفحم ولولا ذلك لما كان هذا اللفظ في الآية واقعا موقعه البديع من البلاغة كما بينه علماء البيان قال في اللسان لما ذكر قوله تعالى واشتعل الرأس شيئا « واصله من اشتعال النار »

وكذلك انكاره ورود الاشتعال بمعنى الوقود في شعر العرب قصور واضح فقد قال لبيد في معلقته

فتنازعا سبطا يطير ظلالة كدخان مشعلة يشب ضرامها

فالمشعلة هي النار وهو اسم مفعول من اشعل النار بمعنى او قدما وقد اشار الى استعمال الاشتعال في الحقيقة والمجاز قول ابي بكر بن دريد في مقصورته اللغوية .

واشتعل المبيض في سوده مثل اشتعال النار في جزل الفضي

ثالثها : انهم يستعملون لفظ الصدقة بمعنى الاتفاق وقد التمس لهم عذرا اذا كان بمعنى المصادقة يعني اذا كان وزن الفعل هنا جاءيا من صادف وكلامه في هذا متجه من جهة القياس لان استعمال ما هو مشتق من الثلاثي في غير الثلاثي يتوقف على السماع فالظاهر ان استعمال الصدقة توسع وانتقاده على الالفاظ الرابع والخامس والسادس وهي استعمالهم نوايا جمالية ، واستعمالهم البؤساء جمعا لبائس واستعمالهم جملة « لحد الآن » كلام متجه صحيح .

تخميس رجع الصدى لداعية الهدى

زفت الينا صحيفة الفتح الغراء بعددها الصادر في ٢٥ شعبان المنصرم عروسا فنانة من عرائس الشعر تحت عنوان « رجع الصدى لداعية الهدى » لشاعر الموصل الكبير الاستاذ فاضل الصيدلي يمجدها النابغة المصرية الهادية المهتدية السيدة عزيزة عصفور خريجة الجامعة لما قامت به في شباب محمد صلى الله عليه وسلم بدار الارقم من دعوة الى الحق والهدى . ونظرا لرفعة موضوعها ودقة معانيها واحتياج المجتمع الاسلامي الى بحث امثال هذا الغرض . ختمها مدير هذه المجلة بالتخميس التالي

عزيزة وادي النيل للهدى جدي عهودا نقضت في علاء وسؤدد
وحاشاك بنت العرب ان تترددي (أعصفورة الوادي اهلي وغردي)
(بنغمتك الغناء شدوا ورددي)

قفي فوق رعن البدر واستوطئي السها وشعي علينا آية العلم والبها
وبالله يا قسيمة الرأي واللها (اهبي بما توحى الفضائل والنهي)
(اليك بهذا النشء نصحا وارشدي)

سابعا : انهم يخطئون في نفي ماضي زال بلا النافية والصواب ان ينفي بما النافية قال لان قتيء وانفك وبرح وزال تقرن بما نفيا وبلا دعاء وبالهزة استقهما واستدل بقول الالفية : قتيء وانفك وهذي الاربعة لشبه نفي او لنفي متبوعه الخ وكلاهما في هذا اللفظ مختلط وغير محرز فاما حكمه بالخطأ في نفي ماضي زال بلا النافية فهو حكم صحيح ولكنه لم يحرر تعليله اذ علله بان زال واخواته تقرن بلا نفيا الخ وانما ذلك يصلح تعليلا لعمل زال واخواته عمل كان وليس بيت الالفية مبسوقا الا لبيان شرط اعمال زال واخواته عمل كان وكأن الحق ان يعلل ذلك بوجوب اتباع استعمال العرب فان العرب لا يستعملون الماضي كله منفيا بلا النافية اذا لم يتكرر النفي الا والمراد من النفي الدعاء بالنفي لا الاخبار وهذا استعمال غير جار على القياس فاذا تكرر النفي لفظا صح استعماله في غير الدعاء كقوله تعالى فلا صدق ولا صلى وكذلك اذا تكرر النفي في المعنى كقوله تعالى فلا اقتحم العقبة فان الاقتحام الذي دل عليه الماضي المنفي بلا يشتمل على عدة امور قد فسرهما قوله تعالى « فك رقبة او اطعم في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة او مسكينا ذا متربة ثم كانت من الذين ءامنوا » فإل معنى قوله فلا اقتحم العقبة الى معنى فلا فك رقبة ولا اطعم ولا ءامن . وفيما عدا ذلك لا يستعمل الماضي منفيا بلا الا اذا كان المراد الدعاء دون الخبر ولذلك كان تخصيص ابي يعلى حكمه بالافعال الاربعة زال واخواته اجحافا بحكم الاستعمال وبخاصة اذا كان خطأ الكتاب في هذا الباب واردا في جميع الافعال الماضية وكلامه في انتقاد قولهم أفت مرادا به الفت صحيح وجيه .

هذا ما عن لي في مراجعة الشيخ ابي يعلى لقصد تحرير كلامه . وانا اقدر قدر عنايته بالعربية

محمد الطاهر ابن عاشور

واهتمامه .

ولن تعدمي في خدمة الحق نصرة تنيلك في سعاك عزاً ورفعة
أقيلي لذا النشء المبابل عشرة (وبني لنا من طهر مريم نقحة)
(وقصي علينا حكمة عن محمد)

فقد زاغت الابصار عن خير مقصد وزجت بها الاهواء في شر مورد
وما من صدى يصغى لصيحة مرشد (أيعاو دوي الغي في كل معهد)
(وليس لصوت الرشد عكس بمعهد)

عزيزة جدي في طريقك وادأبي على الهدى حتى تحرزي كل مأرب
ثقي ان هذا الدهر حلف التقلب (لئن ابطأ اليوم الصدى عن تجاوب)
(فلا تيأسي ان سوف يرعد في غد)

لقد ضلت الالباب في خير أمة اناث وذكران شيوخ وفتية
وليس بمجد أن تخصي بدعوة (ولم يكف الا ان تعمي بصرخة)
(رجلا هم الآباء باسم مجرد)

فلن تعدمي فيهم لدى الضيم ضعفا هصورا يزود الشر عن ساحة الحمى
وهم مسلم يرعى مدى الدهر مساهما (فما منهم الأب أو أخ وما)
(سوى البنت أو أخت حليلة اصيد)

فللدين ابناء وللحق عترة وللرأي احلاف وللرشد نصرة
لم اليأس ان حفت من الغي غمرة (وفي الصيد اخيار وفي الغيد خيرة)
(اولو رشد بالحق تهدي وتهتدي)

لئن خفر الاسلام يوما حوارس حماة الحمى شم الانوف عوايس
فمنهم باقطار الشمال فوارس (وفي مصر اكياس اباة اشاوس)
(وفيهم غيارى للذمار المهدد)

ليصدع بافريقية كل قائل اصيل الحجا منهم كريم الشمائل
وعهدي بمصر ان ترى في الاوائل (فسيري على اسم الله سيرة باسل)
(وقومي بهذا السبق عن كل قعد)

لحي بني الفر الميامين مولجا اشم البناجم الجلالة ابجبا
وخطي لهم بالعلم والخلق نهجا (وزجي بهم نحو النزاهة والحجبا)
(على السنن الاهدى الى خير مقصد)

أسيلي لهم يا نبعة النيل موردا يرد عن الافهام عادية الصدى

وقولي لهم قولوا كريما مرددا (فعا شئت من نصح وما شئت من هدى)
(وما شئت من مجد يلبي وسؤدد)

اشييدي باخبار السنين الدوارس روائع ائثار كرام نفائس
وغني بها ذكرى لاهل المجالس (ولن تعدمي ترديد غيد اوانس)
(وشيكا يعم القطر رغم المعربد)

وحسبك نصر الله عوننا وما جئنا وحسبك هامات العلاء مبيوءا
ولن تحرمي خدنا يضا هيك مبدءا (وهل يحرم الرأي السديد وان نأى)
(لدى العصر من رأي حصيف مؤبد)

فما انعدمت بين العقول رجاجة وما سقطت في دولة الحق راية
ولا فقدت في المسلمين هداية (ففي كل نلب لو جست مضاضة)
(وفي كل صدر زفرة من تهدي)

وفي الناس ذوغي وفي الناس مرعو وفيهم مجد في خطاه وملتو
فكم من فؤاد من لظى الغي منكو (وكم من حشادام لذا الجرح منطو)
(على مضض من سيدات وسيد)

بني العرب للعليا الى خير خطة تقيكم مدى الايام شر مذلة
وانا اذا لم نستعد بهمة (احاطت بنا الادواء في كل هيئة)
(واخطرها فتكا وباء التجدد)

سبانا رقي الغرب جبا وطالما سباهم علانا يوم كنا اعاضما
نراهم بعين عن سنا الفخر في عمى (نجدد اثوابا ونصلح مطعمنا)
(ولم نعن بالاصلاح في حالنا الردي)

حللنا بظلماء المجنون معرسا وهننا بابر يق المدام مدنسا
انتبعهم رهطا من العلم مفلسا (ونحمل اخلاقا وروحا وانفسا)
(تداولها الاهواء من كل مفسد)

فلم لا نجاريهم بجبر عساكر ورفع منا طيد وصنع بواخر
اينفعنا مما نرى من ظواهر (سفاسف اقوال وفوضى مظاهر)
(وزينة اشباح وزى بمقلد)

حشنا الخطي نحو الخطايا وصحبها ولذا غرورا بالشورور وخطبها
فتبنا يرانا الله من شر حزبا (فهل نعتي بالصالحات التي بها)

(قوام حياة الامس واليوم والغد)

قنعنا من الدنيا بلح سراها فبتنا غنيمة امام ذئابها
اذا هب منا قائم لحسابها (اطاف على الابواب طيش هوى بها)
(فاوردها من سورة شر موزد)

فهاهم اذلاء وكانوا ضراغما لهم دولة شماء تخترق السما
وهاهم اذا راموا هدى وتقدما (زهاهم وميض من سراب وكلما)
(ارادوا اتباعها منه جاء بمرقد)

هم قبل هذا اليوم للكون ساسة لدولتهم في العالمين رئاسة
دهتها عواد اعقبتهما تعاسة (دسائس غرب دبرتها سياسة)
(لاعداء هذا الشرق في زي مرشد)

دسائس مكر حجة مستبانة لذا الشرق منها ذلة واهانة
وهل ترتجى من مثل هذا صيانة (وقد زعموا ان الفتاة مهانة)
(لدى الشرق في هذا العفاف المقيد)

رمونا بعدوان الصلاح وصحبه وقالوا باننا لم نرد غير حربه
وقدوا من الاسلام اسباب حزبه (وذلك ادهى ما غزوا شرقا به)
(وانفذ سهم لو عقلنا مسدد)

فهل همة تسعى لرفع لوائنا وبالدين والعرفان نيل علانا
وفي صون خدر البنت صون بنائنا (وقدر رفع الرحمان قدر نائنا)
(بفرض صيان غن بذاء وعن دد)

جابهن حقا كان قبلا معطلا وكان بقاء الجاهلين مكبلا
واعلى لهم الشرع ذكرا مؤثلا (وشادلهم الدين والعرف معقلا)
(من الطهر كالصرح الفخيم الممرد)

ايا اسم الاسلام دينكم الوقا اذا مسكم ضر أو اتابكم شقا
وها انتم حدثم على خير مرتقى (فحي على بقيا النزاهة والتقى)
(وعودا الى النهج الرشيد الممهد)

وفي ثقات القلب يا اخت فاسجعي بها وابغيا كل قلب ومسمع
ونادي بها في كل ناد ومجمع (وانت لها يا اخت هارون فاصدعي)
(عزيزة بالارشاد يا أم معبد)

الطائر القصار

التشوق الى مسقط الرأس

موشح نظم عقده العلامة الاستاذ محمد الحضر بن الحسين المدرس بكلية اصول الدين بالجامعة الازهرية بمصر يتشوق فيه الى مسقط رأسه تونس ومن فارقه بها من الاصدقاء . نشبته هنا من مجلة الهداية الغراء

ما الانس في اقداح راح تدور * ما بين حور
ان التي تلتفحنا في الصدور * نار الغيور

يا شاطيء المرسى ازدهر في سعود * ما اخضر عود
وكن كما كنت لعهد الجدود * غيل الاسود
يمرح فيك العزبين الجود * ضافي البرود
فانك لا تزهي بتلحين خود * ونقر عود

يا معبدا يشمل فيه الكرام * بلا مدام
وابتمت ازهازه في نظام * بلا كمام
نهضت تحددو بالنفوس العظام * الى الامام
اقلامك الحرة ترعى الدمام * ولا تنمام

يا نسمة تخطر بين الاقاح * قبل الصباح
والطل اصفى من دموع الملاح * فوق الوشاح
هي وحري في النوادي الفساح * ذيل المراح
وهاها نفحة انس قراح * تشفي الجراح

مالي لا الملح من ذي الجمال * سوى الخيال
الم يكن يدي قطوف الوصال * بلا ملال
الشوق القى مهجتي في نضال * ماضي النضال
ماذا ترى والهجر فيما يقال * داء عضال

يا موطني لم انس عهد الشباب * عذب الرضاب
وباشما شمر ينبغي الذهاب * صاح الغراب
بنا وخضنا في غمار الصعاب * بلا حساب
بيننا وبين المجد عهد يهاب * فلا عتاب

فصمت بي يا بين عقد الرفاق * بعد انتساق
وقمت تنمعي عند شد الوثاق * يوم التلاق
لقيا رفاقي في ليالي المحاق * مثل الفراق
ان فاتني مرآهم بالحداق * فالود باق

حياربا تونس ذات الزهور * عهد السرور
وافتر في طلعة تلك القصور * انس البدور



السلامة الإسلامية

تنظيم الأوقاف والشؤون الإسلامية في سوريا « ٣ »

الفصل الرابع - المجالس الإسلامية في كل لواء

المادة ٢٦ - يكون لكل لواء مجلس إسلامي

المادة ٢٧ - عدد الأعضاء في كل لواء عشرة وفي الأولوية التي يزيد نفوسها على الثمانين ألفا يكون واحدا لكل خمسة وعشرين ألفا .

المادة ٢٨ - يشترك مع الأعضاء كممثلين طبيعيين مفتي اللواء ومفتش المعاهد الدينية ومفتش التدريس والمؤسسات العلمية الطائفية . مفتش المحاكم الشرعية ومفتش الترميمات والتعميرات . مادة ٣٢

المادة ٢٩ - صلاحية المجلس .

- ١ - تهيئة ميزانية المحاسبة ورفعها الى المجلس الإسلامي الأعلى للتصديق
- ٢ - البحث واتخاذ القرارات العامة بما يتعلق بالمعابد ، ترميمها وتعميرها تفريشها واخذائها .
- ٣ - بالمدارس الدينية . عددها وادارتها ، مناهجها والمصادقة على ميزانيتها ومنهجها التدريسية .
- ٤ - المؤسسات الدينية التكليف والزوايا .

٥ - الملاحي

٦ - المؤسسات الصحية

٧ - الأوقاف

٨ - التأجير والتوجيه والاستبدال

٩ - إرسال مندوب المجلس الإسلامي الأعلى

١٠ - إرسال التقارير في القضايا والمشاريع العامة الى المجلس

١١ - النظر في الشؤون الإسلامية وماله علاقة بكيان المسلمين الديني ورفع مقترحاته الى

المجلس الإسلامي الأعلى .

١٢ - امتحان المتقدمين للوظائف الدينية وفقا للقانون .

١٣ - البت في المسائل التي يعرضها عليه محاسب الأوقاف

١٤ - ينتخب أعضاء هذا المجلس على الكيفية الآتية :

يجتمع .

١ - ممثل واحد عن كل قضاء .

٢ - » عن المجلس البلدي

٣ - » » » الاداري

٤ - » » نقابة المحامين

- ٥ - « » « » الاطباء
- ٦ - « » « » المهندسين
- ٧ - « » « » الصيادلة
- ٨ - « » « » معلمي المدارس الدينية الاسلامية
- ٩ - « » « » « » التجهيزية
- ١٠ - « » « » الغرفة التجارية
- ١١ - « » « » الزراعة
- ١٢ - « » « » الصناعة
- ١٣ - مندوب من الناحين الثاين عن كل منطقة انتخابية في مركز اللواء .
- ١٤ - النائب العام او من ينوب عنه .
- ١٥ - امين سر المحافظة او من ينوب عنه .
- ١٦ - القاضي والمفتي .
- ١٧ - ثلاثة من الائمة وثلاثة من العلماء .
- ١٨ - النواب المسلمون الممثلون في مركز اللواء .
- ١٥ - يرأس الاجتماع النائب العام ويعاونه قاضي الشرع .
- ١٦ - لكل مسلم حق الترشيح اذا كان مستوفيا شروط النيابة . ويجب اعلان الترشيح قبل موعد الانتخاب بخمسة عشر يوما على الاكثر ويوم على الاقل .
- ١٧ - الانتخاب يكون بالاقتراع السري وفي جلسة واحدة والذي يحوز النسبة الاكثريّة يستحق الانتخاب ومن باق بعد العدد يكون مرشحا ليحل محل العضو الذي يخلو كرسيه مدة المجلس
- ١٨ - مدة المجلس ثمان سنين ويكون الانتخاب في الشهر الثاني لانتهاؤها .
- ١٩ - يوضع قانون خاص للاجتماع (يسمى النظام الداخلي)
- ٢٠ - يتقاضى كل عضو راتبا عن جلساته
- ٢١ - للجان المجلس ومدة الاجتماع نظام خاص

الفصل الخامس - المحاسبات

- المادة ٣٠ - يكون لكل لواء رئيس مصلحة ومحاسب ورئيس ديوان ومعاون وامين صندوق ومأمور للواردات ومأمور للصرفيات ومأمور للمستودع ومأمور للتعميرات والتريمعات ومهندس وغير هذا مما يجب ان يدخل في ملاك المصلحة .
- المادة ٣١ - يرتبط بكل مصلحة اربعة مفتشين
- المادة ٣٢ - مفتش للمعاهد الدينية . مفتش للمحاكم الشرعية . مفتش للتريمعات والتعميرات مفتش للتدريس والملاحجي . والمؤسسات الخيرية .
- المادة ٣٣ - يوضع قانون خاص للمحاسبة وموظفيها ومعاشاتهم . (يتبع)

الطرائف العلمية والادبية

جمعية الحرمين الشريفين

ان مجلس هاته الجمعية الذي يعقد في كل عام جلسة دورية باحدى عواصم الاقطار الثلاثة : - المغرب والجزائر وتونس - قد انعقد في هذا العام بعاصمة القطر الجزائري . يوم الجمعة في ٧ شوال وفي ١٠ ديسامبر الجاريين . وحضرة الاعضاء المنتخبون من اعيان الاقطار المذكورة وقد سافر الوفد التونسي على القطار قبل عقد الجلسة يومين . وكان متركا من السادة الافاضل : محمد بن الحوجة مستشار الحكومة التونسية . محمد قاسم رئيس القسم الاول . مصطفى صفر شيخ المدينة . الشاذلي العقبي رئيس جمعية الاوقاف . محمد العزيز الاخوة رئيس ديوان المولى الوزير الاكبر . الطيب بلخيرية عامل عاصمة العبيدين . وقد انتخبت الحكومة لرئاسة هذا الوفد في هذا العام حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي . فسافر ومعه بقية الاعضاء في اليوم المذكور واجتمعوا باعيان العلماء والمفكرين في القطرين الشقيقين . ولقد احسنت الحكومة صنعا في اسناد رئاسة هذا الوفد لحضرة الاستاذ المشار اليه لانها بذلك قد تداركت الخلل الذي كنا انتقدناه في العام الماضي على صفحات جريدة (الزهرة) في كيفية تكوين الوفد التونسي حيث كان خاليا في الاعوام الاخيرة ممن يمثل طبقة الفقهاء مع ان الصبغة الاصلية لهاته الجمعية صبغة شرعية فمن الواجب جعل الوفد محتلتا ممن يمثلون الهيئة الادارية والهيئة الشرعية . ولقد كان في اسناد رئاسة هذا الوفد لرجل من كبار العلماء ارضاء للجانب العلمي الذي لا تزال حكومتنا الرشيدة دائبة على ارضائه من جميع النواحي . ونرجو ان يستمر العمل بهذا الاسلوب في الاعوام المقبلة مع جعل عدد الاعضاء من الهيئتين متساويا . وقد بحثت الجمعية في هذا العام عن وسائل تسهيل طرق الحج على اهل الشمال الافريقي وتيسير سبل الاقامة لهم في الديار المقدسة . كما نظرت في ميزانية جامع باريس ووسائل تربيته وكان من جملة ما قرره الجمعية في هاته الجلسة انتخاب عضوين جديدين من البلاد التونسية احدهما لتسديد الشغور الحاصل في عدد الاعضاء التونسيين بوفاة المرحوم السيد الطاهر خير الدين وزير العدلية الشرفي . والآخر زيادة على اصل العدد فصار بذلك عدد الاعضاء التونسيين واحدا وخمسين . والعضوان المنتخبان هما الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور

في جمعية الشبان المسلمين

ان هاته الجمعية المباركة التي لم تزل من يوم تأسيسها تقوم بالاعمال المفيدة نحو النهوض بالحياة العلمية والادبية والحرص على بث الفضائل الدينية بين الناس قد اقامت في عشية يوم الجمعة ٢٨ شوال الجاري (الموافق ليوم ٣١ ديسمبر) منبرا عاما بالجمعية الخلدونية للنظر في مستقبل المهمل الزيتوني العام والبحث عما يرقى شأن متخرجيه . وقد فتح الاجتماع بخطاب القاها رئيس الجمعية حضرة الفاضل الاديب الشيخ الشاذلي النفر المدرس من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم تعرض فيه لما يجب على الزيتونيين من العمل لانتهاج جامعهم من كل يد تريد ان تعبت به او تمسه بسوء ثم تداول الخطابة بعده السادة العلماء الافاضل : الشيخ محمد المختار بن محمود المدرس من الطبقة العليا بالجامع الاعظم ورئيس تحرير هاته المجلة فتكلم في موضوع هام يتوقف عليه كل اصلاح يريد ان يريده الزيتونيون لانفسهم وهو (كيف يجب على الزيتوني ان يتصور نفسه) ثم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المدرس من الطبقة العليا بالجامع الاعظم وامين مال هاته المجلة فبسط القول في وجوه الخلل التي يراها في نظام التعليم بالجامع مع بيان اسباب علاجها . ثم الشيخ الطاهر القصار المدرس من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم ومدير هاته المجلة فالقى خطابا يقارب في اصل الموضوع خطاب الشيخ ابن القاضي . ولكنه توسع اكثر منه في بعض ما يراه من وجوه الخلل . ثم الشيخ التهامي الزهار المدرس من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم وكان خطابه على نمط خطاب الشيخين قبله . وكان الهدف الذي يرمي اليه كل من هؤلاء الخطباء الافاضل هو البحث عن ترقية جامع الزيتونة والترفيه من شأن متخرجيه . وبعد ما انتهى دور المشائخ من الخطابة تقدم تليد نجيب من تلامذة الجامع وهو السيد محمود شرشور فالقى خطابا لطيفا تعرض فيه لطالب الزيتونيين وحثهم على الكد والاجتهاد في سبيل التحصيل عليها وانتهى الاجتماع على الساعة السادسة ونصف . فنهى جمعية الشبان المسلمين على نجاحها في هذا الابتكار الجميل . ونرجو لها الاستمرار على القيام بكل عمل نافع ومفيد . اه

المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم والشيخ محمد المختار بن محمود المدرس الحنفي من الطبقة العليا به ورئيس تحرير هاته المجلة

وبعد ما انتهى المؤتمر من جلساته الرسمية بعاصمة الجزائر سافر الى بسكرة في ضيافة شيخ العرب السيد العزيز بن قانة وقضى هنالك اياما للتنزه بمنابر تلك البلاد الجميلة والتمتع بحياتها الطبيعية البسيطة . وبعد ذلك رجع اعضاء المؤتمر الى بلدانهم . وكان رجوع الوفد التونسي في عشية يوم الخميس في ١٣ شوال وفي ١٦ ديسمبر . فنهى حضرة رئيس الوفد واعضاءه الافاضل بسلامة

❖ جدول اصلاح غلط ❖

صحيفة	سطر	خطا	صواب
٩٨	١١	رحانا	رحمان
٩٨	١١	فيا	فيه
١٠٠	٢٣	الآله	الآله
١٠١	١٤	كضية	كظية
١٠١	١٦	الامين	الآمين
١٠٤	١٦	لو	ولو
١٠٤	٢٠	وكانوا	كانوا
١٠٤	٢٤	اسرايل	اسرائيل
١٠٤	٢٦	هاعنا	هنا
١٠٤	٢٧	رجالا	رجال
١٠٥	٢٣	خطياهم	خطاياهم
١٠٦	٢٠	اتيتك	آتيتك
١٠٩	٢	الفقهة	الفقهاء
١٠٩	٤	عمرته	عمراه
١٠٩	١٣	نصبه	نصبيه
١١٦	٢٧	النظرة	الناصرة
١١٧	١٧	لسدنة	لسدانة
١١٩	١٧	منها للتمدن	منهم للتمدن
١١٩	٨	ينعتونها	ينعتونها
١٢٩	٨	بتيحان	بتيجان
١٢١	٢٢	عامها	عامها العاشر
١٢١	٢٤	المحاء	السمحة

تذييل

جاء في صحيفة ١١٩ وصف تاج سلاطين ابن ابي حفص انه يقرب ان يكون من الفضة التي رغب فيها السنة . والمباح اتخاذ حلية من الفضة انما هو الحاتم

المجلة التونسية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديهاها لمجلة من قبل ربي جليل مع الرتبة من هذا المجلد

المجلد الثاني

تونس في ذي القعدة عام ١٣٥٦ وفي جاني ١٩٣٨

الجزء الرابع

فهرس العدد

صاحبه

المقال

- | | | |
|-----|---|--|
| ١٤٤ | تفسير سورة الفاتحة (٣) | بقلم صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر |
| | | ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي |
| ١٤٧ | فضل القرآن وآداب تلاوته | » » » |
| ١٤٨ | تفسير آية التغابن | » » » |
| ١٥٠ | دعاء النبي (صلعم) عند النوم | » » » |
| ١٥١ | شرح حديث اربع من كن فيه كان منافقا خالصا | » » » |
| ١٥٦ | التأليف المولديه (٦) | صاحب المجلة |
| ١٦٠ | طعام أهل الكتاب | » العلامة الشيخ محمد عبد الحفي الكتاني |
| ١٦٣ | تحليف الشاهد بالطلاق لتعزير شهادته | » شيخ الاسلام محمد يرم الرابع |
| ١٦٤ | التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين (٣) | » شيخ الاسلام المالكي |
| ١٦٨ | سياسة الامم بالنظام والعدل | الوزير المصلح الشيخ محمد الحجوي |
| ١٧٢ | كيف دخل البري الاروباوي في العادات التونسية | صاحب المجلة |
| ١٧٦ | تونس في القرن السابع (٢) | » امير الامراء سيدي محمد بن الحوجه |
| ١٨١ | رثاء فقيه العلم (شعر) | » العالم المدرس الشيخ علي النيفر |
| ١٨٢ | الاعاطفة في الادب العربي (١) | » مدير المجلة |
| ١٨٨ | تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية | » الاستاذ النابه السيد احمد الوزير |
| | | » وزير معارف سوريه |

مجله علمیة ادبیة اخلاقیة
تصانیف الهیة من قبل سید جمال الدین اسحاق علی بن علی شیرازی

ثمن الجزء ثلاثة فرنكات

القرآن الكريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

« الحمد لله »

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٣)

والرحمن الرحيم اسمان عربيان مشتقان من رحم وقيل الرحمن اسم عبراني معرب نقله القرطبي
عن ابن الانباري عن المبرد قال واصله بالخاء المعجمة وانشد على ذلك قول جرير يخاطب الاخطل

او تتركن الى القسيس هجرتكم ومسحكم صلبكم رحمان قربانا
وعندي ان كون الرواية بالخاء المعجمة لا يدل على التعريب لان مادة رخم في العربية تشفرع
عنها معاني العطف والحنو والرحمة قال ذو الرمة يشبه بغزاة

كانها ام ساحي الطرف احذرهما مستودع خمر الوعساء مرخوم
ورخم رخصة كرحم لغة اليمن ، وهو وصف لله تعالى والاتفاق على ان الوصفين دالان على المبالغة
في صفة الرحمة اي تمكنها وتعلقها بكثير من المرحومين وانما الخلاف في طريقة استفادة المبالغة منهما
والذي ذهب اليه صاحب الكشف وكثير من المحققين ان الرحمان صفة مشبهة كخضبان وبذلك مثله في
الكشف ، وفعل رحم وان كان معتديا والصفة المشبهة انما تصاغ من فعل لازم الا ان الفعل المعتدي
اذا صار كالسجية لموصوفه ينزل منزلة افعال الغرائز فيحول من فعل بفتح العين او كسرهما الى فعل
بضم العين للدلالة على انه صار سجية كما قالوا فقه الرجل وضرب وفهم ثم تشتق منه بعد ذلك الصفة
المشبهة واما الرحيم فمذهب سيويه انه من امثلة المبالغة وهو باق على دلالة على التعدي واما الجمهور
فلم يثبتوا في امثلة المبالغة وزن فعيل فالرحيم عندهم صفة مشبهة مثل الرحمان والمبالغة حاصلة فيه على
الاعتبارين والظاهر ما ذهب اليه سيويه وستعلم له غناء فيما سياتي

واسم الرحمة موضوع في اللغة العربية لرقعة الخاطر وانعطافه نحو شيء بحيث تحمل من انصف
بها على الرفق بالمرحوم والاحسان اليه واعانته فهي فينا من الكيفيات النفسانية لانها افعال وتلك الكيفية

اندفاع نحو افعال وجودية ، فأصل الرحمة من مقوّة الاسفعال واثارها من مقوّة الفعل فوصف الله تعالى بالرحمة منزّه بالضرورة عن ان يريد واصفه حصول ذلك الانفعال الملحوظ في حقيقة الرحمة في متعارف واضعي اللغة العربية لسطوع ادلة تنزيه الله تعالى عن الاعراض بل انما يراد بهذا الوصف في جانب الله تعالى اثبات الغرض الاسمي من حقيقة الرحمة وهو الرفق واللطيف الاحسان والاعانة لان ما عدى ذلك من القيود الماحوطة في مسمى الرحمة في متعارف الناس لا اهمية له لولا أنه لا يمكن على حصول ، ان ارد الا ترى ان المرء قد يرحم احدا ولا يملك له نفعا لعجز او نجوة وقد اشار الى ما قلناه حجة الاسلام الغزالي في اعتمد الاسنى بقوله (الذي يرد قضاء حاجة المحتاج ولا يتضيها فبان كان قادرا على قضاها لم يسم رحيمًا اذ لو تمت الارادة لو فني بها وان كان عاجزا فقد يسمى رحيمًا باعتبار ما اعتوره من الرحمة والرفقة ولكنه ناقص) وهذا تعلم ان اطلاق نحو هذا الوصف على الله تعالى ليس من التشابه لتبادر المعنى المراد منه وتحقق تنزه الله عن لوازم المعنى لمقصود في الوضع مما لا يليق بجلال الله تعالى كما نطلق العليم على الله مع التيقن بتجرد علمه عن الحاجة الى النظر والاستدلال وسبق الجهل وكما نطلق الحي عليه تعالى مع اليقين بتجرد حياته عن المادة والتكون ونطاق القدرة مع اليقين بتجرد قدرته عن المعالجة والاستعانة واما التشابه فهو ما كانت دلالة على المعنى المنزه عنه اقوى واشد وقد بينته عند قوله تعالى وأخر مشاهبات ومدكون كل من صفتي الرحمن الرحيم دالة على المبالغة في انصافه تعالى بالرحمة فقد قال الجمهور المحققون ان الرحمن ابلغ من الرحيم بناء على ان زيادة المبنى تؤذن بزيادة المعنى والى ذلك مال جمهور المحققين مثل ابي عبيدة ابن جني والزجاج والزمخشري

وعلى رعي هذه القاعدة فقد شاع ورود اشكال في وجه ارداف وصفه تعالى بالرحمن بوصفه بالرحيم مع ان شان الكتاب والخطباء والشعراء اذا اجروا وصفين من معنى واحد على موصوف في مقام الكمال ان يرتقوا من الاعم الى الاخص ومن القوي الى الاقوى كقولهم شجاع باسل وجواد فياض وعالم نحرير وخطيب مصقع وشاعر مفلح وقد رأيت لهم في توجيه الارتقاء من الرحمن الى الرحيم اجوبة كثيرة مرجعها الى اعتبار الرحمن اخص من الرحيم وانا اخالفهم في ذلك واتبع مذهب سيبويه وهو ان الرحمن صفة مشبهة والرحيم مثال مبالغة فليس بين الصفتين عموم وخصوص مطلق ولا من وجه بل هما متباينان في معنى التوصيف لان مدلول الرحمن كون الرحمة وصفا ذاتيا لله تعالى اشارة الى كونه وصفا قديما ازليا ولذلك كان وصف الرحمن مختصا به تعالى مما خصه به القرآن على التحقيق ، ومدلول الرحيم كون الرحمة كثيرة التعلق اذ هو من امثلة المبالغة ولذلك كان يطلق على غير الله تعالى كما في قوله (بالمؤمنين رءوف رحيم) فليست احدى الصفتين بمعنية عن الاخرى ولا حاجة الى توجيه تقديم الرحمن على الرحيم ولو شئنا توجيهه لقلت ان الصيغة الدالة على الاتصاف الذاتي اولى بالتقديم في التوصيف من الصفة الدالة على كثرة متعلقاتها ، ومن المفسرين اللغويين من زعم ان الرحمن

والرحيم يدلان على معنى واحد من الصفة المشبهة فهما متساويان وجعلوا الجمع بينهما في الآية من قبيل التوكيد اللفظي ، وهو وجه ضعيف اذ هو خلاف الاصل

وقد ذكر جمهور الايمة ان وصف الرحمن لم يطلق في كلام العرب قبل الاسلام وأن القرآن هو الذي جاء به صفة الله تعالى فلذلك اختص به تعالى حتى قيل انه اسم له وليس بصفة واستدلوا على ذلك بقوله تعالى وان قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن

قوله تعالى (الحمد لله) هذا اول الكتاب المجيد على الاصح من مذاهب ائمة الاسلام وهم الذين لا يرون البسملة آية من سورة الفاتحة ولا من اول كل سورة فالفاتحة هي اول سورة من القرآن اعتبارا ولذلك سميت فاتحة الكتاب كما تقدم ووضعت الاولى في ترتيب المصحف وهذا للوضع مستند لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم ولو كان نزولها بعد سورة الانسان وسورة المدثر ، على ان كثيرا من العلماء قالوا بان الفاتحة اول القرآن نزولا بناء على انها مكية وانما جعلت سورة الفاتحة اول سور القرآن فيما ارى والله اعلم لان في معانيها إعدادا لنفوس القارئ والمستمعين نحو تدقي الهدي الذي اشتمل القرآن على تفصيله ذلك الهدي الذي به صلاح الامة في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم واذ قد كان المخاطبون ابتداء بالقرآن لم يسبق اليهم هدي آلهي كما قال الله تعالى (لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك) وقال ان تقولوا انما انزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين او تقولوا لو انا انزل الكتاب لكنا اهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة) ، والشان في الخطاب بامر عظيم لم يسبق للمخاطب به خطاب من نوعه ان يستأنس له قبل القاء المقصود وان يهيا لتلقيه وان يشوق الى سماع ذلك وتراض نفسه على الاهتمام بالعمل به ومظهر ذلك الارتياض هو التفرغ للتلقي بالتخلي عن كل ما شانه ان يكون عائقا عن الانتفاع بالهدي من عناد ومكابرة او امتلاء العقل بالمعارف الضالة فان النفس لا تكاد تتنفع بالعظات والنذر ، ولا تشرق فيها الحكمة وصحة النظر ما بقي يخالجها العناد والبهتان ، وتغامر اشدها نزغات الشيطان ، نبه الله تعالى اهل القرآن الى اصول هذه النزكية النفسية بما لقنهم من المناجاة التي تضمنتها سورة الفاتحة من قوله اياك نعبد الى اخر السورة فانها تضمنت اصولا عظيمة اولها التخلي عن التعطيل والشرك بما تضمنه اياك نعبد ، الثاني التخلي عن خواطر الاستغناء عنه بالتبري من الحول والقوة تجاة عظمته بما تضمنه واياك نستعين ، الثالث الرغبة في التحلي بالرشد والاهتداء بما تضمنه اهدنا الصراط المستقيم ، الرابع الرغبة في التحلي بالاسوة الحسنة بما تضمنه صراط الذين انعمت عليهم ، الخامس التهمم بالسلامة من الضلال الصريح بما تضمنه غير المغضوب عليهم ، السادس التهمم بسلامة تفكيرهم من الاختلاط بشبهات الباطل المموجة بصورة الحق وهو المسمى بالضلال لانه خطأ الطريق المقصود بما تضمنه ولا الضالين ، وانت اذا افتقدت اصول نجاح المرشد في

ارشادة والمسترشد في تلقيه على كثرتها وتفاريحها وجدتها عاكمة حول هذه الاركان الستة. فكن في استقصائها لبيا. وعسى ان ازيدك من تفصيلها قريبا. وان الذي لقن اهل القرآن ما فيه جماع طرائق الرشد بوجه لا يحيط به غير علام الغيوب لم يهمل ارشادهم الى التحلي بزيئة الفضائل وهي ان يقدروا النعمة حق قدرها بشكر المنعم بها فاراهم كيف يتوجون مناجاتهم بحمد واهب العقل ومانع التوفيق ولذلك كان افتتاح كل كلام مهم بالتحميد سنة الكتاب المجيد

فسورة الفاتحة بما تقرر منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب او المقدمة للخطبة وهذا الاسلوب له شأن عظيم في صناعة الانشاء وهو اعون للفهم وادعى للوعي وقد رسم اسلوب الفاتحة للمنشد ثلاث قواعد للمقدمة، القاعدة الاولى ايجازها لثلاث نمل نفوس السامعين بطول انتظار المقصود وهو ظاهر في الفاتحة ومنه نعلم وجه كونها سورة قصيرة موضوعة قبل السور الطوال. الثاني ان تشير الى الغرض المقصود وتلك الاشارة تسمى براعة الاستهلال وقد تقدم بيان اشتغال الفاتحة على هذا عند الكلام على وجه تسميتها بام القرآن وفيما تقدم انفا، الثالثة ان تكون المقدمة من بليغ الكلام وجوامعه وقد بين ذلك علماء البيان عند ما ذكروا المواضع التي ينبغي للمتكلم ان يتأنق فيها وعدوا اولها اول الكلام وقد ألمنا بشيء من هذا انفا وسيظهر تفصيله في تضاعيف الكلام على تفسيرها.

فضل القرآن وآداب تلاوته

عن النبي صلى الله عليه وسلم

القرءان فيه خبر من قبلكم . ونأى من بعدكم . وحكم ما بينكم ، وعن الشعبي : الذي يقرأ القرءان انما يحدث عن ربه .

وقال انس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا بني لا تغفل عن قراءة القرآن اذا أصبحت واذا أمسيت فان القرآن يحيي القلب الميت وينهى عن الفحشاء والمنكر وعن علي كرم الله وجهه : لا خير في عبادة بلا فقه، ولا خير في قراءة بلا تدبر، وينبغي للقاري اذا اراد القراءة ان يريد بها وجه الله وان لا يقصد بها التوصل الى شيء سوى ذلك وان يتأدب مع القرآن وان يستحضر في ذهنه ان يناجي ربه عز وجل وان يكون شأنه الخشوع والتدبر والخضوع فهذا هو المقصود والمطلوب وبه تنشرح الصدور وتبين الامور ودلائل هذا اكثر من ان تحصى واشهر من ان تذكر ، وقد بات جماعة من السلف الواحد منهم يتلو آية كاملة ويتدبرها ، وقال السيد الجليل صاحب الترامات والمواهب واللطائف ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه : دواء القاب خمسة اشياء قراءة القرآن بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع عند السحر ومجالسة الصالحين ،

تفسير آية التغابن

سألني عالم فاضل صديق اعتاد تأنيسي بزيارته عن تفسير قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن وما وجه تسمية يوم القيامة في هذه الآية بيوم التغابن غير متلج لما قاله بعض المفسرين في وجه هذه التسمية من ان التغابن هو ان اهل الجنة يغفون اهل النار وذكر انه راجع تفاسير كثيرة فلم يجد فيها ما يقنعه وحاول في ذلك محاورة هزت من عطفي الى ان افصح في تفسير هذه الآية بما عسى ان يكون فيه مقنع، واللبيب يتبع احسن القول ويسمع، ذهب الجمهور الى ان سورة التغابن مكية الا الآيات الاخيرة من آخرها التي اولها (يا ايها الذين ءامنوا ان من ازواجكم واولادكم عدوا لكم) الآيات واحسب ان هذه الآيات هي التي بعث القائلين بان السورة مدينة اذن نعلم ان المقصود من الخطاب بالآية هم اهل مكة ابتداء وهم قريش ولذلك جاء فيها (زعم الذين كفروا ان لن يعيظوا قل بلا وربنا لتبعن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير فءامنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا والله بما تعملون خبير) (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) وقد قال ائمة من المفسرين ان عادة القرآن انه يريد بالذين كفروا متى ذكر في القرآن المشركين من قريش وقوله قل بلى كلمة بلى فيه ابطال للنفي الواقع في قوله لن يعيظوا فانها حرف يفيد عكس معنى نعم ويقع بعد النفي في الاستفهام وفي الخبر وقوله (يوم يجمعكم ليوم الجمع) ظرف متعلق بقوله لتنبؤن بما عملتم ويجوز ان يتعلق بقوله لتبعن باعتبار عطف قوله ثم لتنبؤن عليه اي يعيظكم فينبؤكم يوم يجمعكم ليوم الجمع لان البعث حاصل قبل الجمع وقوله (فءامنوا بالله ورسوله الخ) جملة معترضة بين الفعل والظرف ويوم الجمع يوم القيامة وقوله ذلك يوم التغابن جاء فيه اسم الاشارة لابعيد تهويله ولفت العقول اليه فلذلك عدل عن الضمير فلم يقل هو يوم التغابن ثلثا يفوت معنى الحصر المقصود وسيعلم ما فيه من النكتة وجملة ذلك يوم التغابن جملة اسمية معرفة الجزئين فكان حقها ان تفيد الحصر اي هو يوم التغابن وليس غيره من الايام يوم تغابن، ومعنى هذا الحصر ان ذلك اليوم لما حصل فيه التغابن في اهم الفضائل جعل ما عداه من الايام التي يقع فيها التغابن كالعدم فحصر جنس يوم التغابن في ذلك اليوم بتنزيل التغابن الواقع في غيره منزلة العدم وهذا من قصر الصفة على الموصوف على وجه المبالغة وهذا الوجه من الحصر يسمى بالحصر الادعائي لان المتكلم يدعي ان الوصف بيوم التغابن محصور في ذلك اليوم وهو يوم الجمع كقولهم انت الحبيب، واعلم ان الحصر انما حصل هنا من صيغة القصر التي هي تعريف المسند والمسند اليه ولم يحصل الحصر من التعريف باللام في قوله التغابن بناء على ان اللام فيه دالة على معنى الكمال لان معنى الجنس الذي هو اصل معنى اللام صالح

هنا فلا يعدل عنه الى حمل اللام على معنى الكمال اذ لا يحمل عليه الا عند تعيين الحمل عليه بالقرينة وهي منفية هنا لاستقامة الحمل على تعريف الجنس وهو اكثر معاني اللام ولولا صيغة القصر لما استفيد معنى الحصر فكيف يكون حاصلًا من معنى الكمال الذي لم ينشأ في هذا المقام الا من حصول معنى الحصر . فلا يختلط عليك كما اختلط على بعض العلماء . والتغابن مشتق من الغبن والغبن الحط من قيمة المبيع عند شرائه فكل شراء باقل من القيمة فهو غبن . ومادة التغابن تفاعل من الغبن واصل مادة التفاعل تدل على وقوع الفعل من جانبين فصاعدا كالتقاتل والتسابق فلفظ التغابن يدل على وقوع غبن حاصل بين جوانب في يوم القيامة وقد اتفق المفسرون على ان المفاعلة غير مقصود منها هنا وقوع الفعل من جوانب ولكنهم اختلفوا في تحصيل المعنى فذهب الزمخشري ومن تبعه مثل الفخر والبيضاوي الى ان المفاعلة هنا هي ان يغبن اهل السعادة اهل الشقاوة اذ ينزلون منازل الجنة التي كان يمكن لاهل الشقاوة ان ينزلوها لو عملوا عمل السعداء وهذا يشبه الغبن فالغبن المستفاد من هذا الجانب استعارة وهذا احد جانبي الفعل واما جانب غبن اهل الشقاوة فجعله الزمخشري تهكما لان نزولهم في منازل النار ليس غبنا لاهل السعادة وعلى هذا الوجه يكون اللفظ مستعملا في مجازين مختلفين على وجه يشبه المشاكلة التقديرية وهذا المعنى ينحو الى تفصيل كلام مجمل نقل عن ابن عباس وهو تفسير بعيد جد البعد ، وذهب ابن عطية الى ان صيغة التفاعل هنا غير مستعملة في معناها الاصيل وهو الدلالة على وقوع الفعل من جانبين فاكثر بل هي هنا لحصول الفعل من جانب واحد للمبالغة مثل التواضع والتمايل فيكون المعنى ذلك يوم الغبن اي يوم غبن الكافرين وهو ينحو الى تفصيل كلام نقل عن مجاهد في تفسير الآية وهو اقرب الى الاستعمال وابتعد عن التعسف ولكنه لا يشفي الغليل لان الاشقياء والكفار ام يغبنوا فيما اقوة بل اخذوا حقهم من العذاب فلم يحصل معنى اصل الغبن فضلا عن المبالغة فيه المستفادة من مادة التفاعل التي لا يحسن ادعاؤها الا اذا كان اصل الفعل واقعا فهذا التفسير وان خرج من ورطة عدم صحة التفاعل لم يخرج من ورطة عدم وجود اصل مادة الغبن وجميع التفسيرات مما رأينا لم يخرج عن هذين المعنيين اما مع ضبط او مع تخليط ومنهم من مر بالآية مرا . ولم يحتلب منها درا . اما انا فاكف ثمادي . واستهدي بالهادي .

فأقول: ليس المعنى في الآية حاصلًا من مراعاة معاني المفردات لاعلى وجه الحقيقة ولا على وجه المجاز ولكنه معنى عزيز جليل حاصل من مجموع التركيب وهو قوله ذلك يوم التغابن فقد اشار الحصر الادعائي الذي قدمنا بيانه الى ان المخاطبين يحسبون اياما كثيرة ايام تغابن قد عرفوها واشتهرت وان المتكلم يحسب ان تلك الايام التي عرفها الناس ليست بايام تغابن وان هذا اليوم المتحدث عنه هو يوم التغابن لا غيره من الايام فبنا ان نتعرف الايام التي يعدها المخاطبون ايام تغابن وان نرجع الى احوال المخاطبين وهم اهل مكة ومن حولهم ذلك ان التغابن هنا قد اضيف اليه يوم

فعلنا ان ليس المراد من التغابن تغابن واحد الناس في بيوعاتهم الخاصة التي تعرض من ساعة الى اخرى وفي يوم وءاخر بل المراد تغابن يحصل في يوم معين يكثر فيه التبايع فيغن فيه ناس كثير ويزبص فيه بعض الناس ببعض لالحاق الغبن والخسارة ولا نجد اياما هذه الصفة غير ايام الاسواق وقد كانت تربش اهل تجارة وكانت الاسواق حول مكة في الحاج سوق عكاظ وسوق ذي المجاز وسوق مجنة فكل داخل الى الاسواق يحرص على ان يجلب الربح الى نفسه ويغن غيره ويحذر من ان يغبنه غيره فكل يترقب الربح ويحذر الخسارة ولا يرضى لنفسه ان يكون مغبونا لان الغبن يؤذن بغاوة المغبون واستخفاف الناس به وتمشي الحيلة عليه وكل هذه اوصاف يأبأها العربي تشبه في الآية حال الناس يوم القيامة بحال الناس يوم السوق في ترتب ما ينفع والاشفاق مما يضر وهو تشبيه هيئة بهيئة وليس تشبيه معنى لفظ مفرد بمعنى مفرد ءاخر واستعمل المركب البدال على الهيئة المشبه بها فأطلق على الهيئة المشبهة على طريقة الاستعارة التمثيلية وهي اعلى انواع الاستعارة والمقصود من ذلك تذكير الكفار والمؤمنين بتلك الحالة بين الرغبة والرغبة حتى يستحضروا كأنهم قد تلبسوا بها فيحذروا سوء عاقبتها من الآن وذلك بان يسعوا الى ما يجلب الربح ويتقوا ما يجلب الخسارة الحلقة قال تعالى يرحون تجارة لن تبور . وقد تكرر في القرآن تمثيل حال اهل الفوز واهل الثبور في الآخرة بحال التجارة كما في قوله تعالى فما ربحت تجارتهم .

ولذلك جاء هذا الكلام المجموع في قوله ذلك يوم التغابن محيي الدليل والمنذمة وهو اسلوب عجيب في صناعة التخاطب فهو بمنزلة الدليل لقوله فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي انزلنا وهو ايضا بمنزلة المقدمة لقوله (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا نكفر عنه سيئاته وندخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) فلا حرم ان تحصل السامعين بهد سماع تلك المقدمة وهذه النتيجة روعة الخائف الوجيل . فتحملهم على توخي خير العمل . قاله محمد الطاهر ابن عاشور

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند النوم

في صحيح البخاري : عن البراء بن عازب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا آويت الى فراشك فقل اللهم اسلمت نفسي اليك ، ووجهت وجهي اليك ، وفوضت امري اليك ، والحأت ظهري اليك ، رغبة ورهبة اليك ، لا ملجأ ولا منجأ منك الا اليك ، آمنت بكتابك الذي انزلت وبنيك الذي ارسلت . فانك ان مت في ليلتك مت على الفطرة وان اصبحت اصبت احرا اه

الحديث الشريف

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدْعُوهَا ، إِذَا اثْنَيْنِ خَانَ ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ

اعتنت الشريعة الاسلامية باقامة هذا الدين على دعائم محكمة الترصيع وهذا الحديث دعامة عظيمة من دعائم الاخلاق التي ترتكز عليها سعادة الامة . وقاعدة من القواعد العامة التي يقام عليها صرحها وهيكلها الاجتماعي فبقدر ما تدرك الخطر الذي ينجر من هياته الصفات الاربع يكون قربها من الكمال . وتربعا على دست السادة . وكلما تفشت في افرادها خصلة منها دخلتها اسباب الهوان والانحلال . ولنبين كل واحدة من الخصال الاربع واخطارها على الفرد والمجتمع مقدما الكلام على الوصف الجامع لها وهو النفاق .

النفاق مخالفة الباطن للظاهر اخفاء لما يكنه الضمير فان كان باعقاد الكفر وإظهار الايمان فهو نفاق الكفر وهو أشد انواعه وان كان فيما سوى ذلك فهو نفاق العمل . ونفاق العمل داء عضال ما تفشى في امة الانحللت روابطها الاجتماعية واضحى افرادها غير شاعرين بالهوة السجيقة المنحدرين فيها وقد بين الرسول عليه الصلاة والسلام للمسلمين الصفات الملازمة لهذا المرض الخلفي فقال اربع من كن فيه كان منافقا خالصا ، لتتخذ كعلامة تدل عليه من جانب وتحذيرا منها حتى لا يمتادها المسلم وسلم من شرها من جانب آخر ، اي اربع خصال من اجتمعن فيه كان منافقا لامرية في ثقافته . ومن كانت فيه خصلة واحدة من تلك الخصال كانت فيه خصلة من النفاق ولازمته شعبة من شعبه حتى يتركها ويثوب الى رشده ويبرأ من تبعته اذا استغفر من ذنبه ، فلنحدثك على هذه الخصال الاربع الواحدة تلو الاخرى .

الحيانة

عد الحديث من خصال النفاق خيانة المؤمن وهو ان يتصرف المرء فيما ائتمن عليه بغير وجه مشروع ظلماً وتعدياً على الحقوق ، والامانة ذات حقوق تجب حرمتها ، فاذا تعدى ولم يراع تلك الحقوق فقد خان وما كان اميناً الا ليحافظ عليها ويرعاها حق رعايتها وهذا يشمل حقوق الله تعالى وحقوق العباد

اما حق الله فيتناول اقامة شرعه الذي امننا عليه فلا نغير منه شيئاً ونبلغه للناس من غير تحريف ونرعاه بالائتمار باوامره وترك المنهيات ولا نتعدى حدوده ومن تعدى حدوده متعمداً كان خائناً لما ائتمن عليه قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون)

فخيانة الشرع بنسبة والاستخفاف به وعدم تبليغه على الوجه الدين الحق وعدم القيام بالواجبات والوقوع في المنهيات وعدم الاكتراث بما توعده الله به المخالف من العذاب واما حقوق العباد فتشمل كل ما ائتمن عليه الانسان من عرض او مال او نحو ذلك من الحقوق وحفظها ورعايتها يكونان بعدم التعدي وبذل ما في الوسع من الحيلة وعدم التفريط ، وخيانتها تكون بصد ذلك بان يتعدى على حرم غيره المؤمن عليه - او يتصرف في الامانة المودعة عنده بنوع من انواع التصرف كان يبيع المال المؤمن او ينقص منه او يججده الى غير ذلك من التصرفات الضارة الغير المأذون فيها شرعاً ، وهذا ظلم يستحق عليه العقاب الديني والعذاب الاخروي وهو مدعاة لنزع الثقة من نفوس الناس وذلك لخطر كله والحائن بصنيعه هذا المعقوت قد دل على سوء نيته وانه اضرر السوء عند تقبله الامانة وتحمله لها فظهر اولا رعايتها ولما صارت اليه ظهر منه ما يخالف حالته الاولى ولذلك عدت هاته الصفة منه خصلة من خصال النفاق

الكذب

العلامة الثانية التي عدتها الحديث من علامات النفاق الكذب والكذب أس البلايا ورأس النفاق ، والقاضي على الاخلاق ، يوقع صاحبه في المهانة وعدم الثقة به ويضعه موضع المقت والصغار ثم ان الكذب يعظم بقدر ما يترتب عليه من الاخطار وبحسب ما ينجر به من البلايا والمفاسد الخاصة والعامة كتأف الاموال التي امر الله ان تراعى وضياع الحقوق التي امر تعالى ان تصان وقطع الارحام التي اوجب سبحانه ان توصل الى غير ذلك من المضار فالكذب يابس صاحبه على الناس باظهار خلاف الحقيقة التي يعلمها ومن اجل ذلك عد من خصال النفاق بل كما قلنا هو رأس النفاق اعادنا الله منه ومن شره المستطير

نقض العهد

العلامة الثالثة من علامات المنافق انه اذا عاهد غدر . وذلك ان السوفاء بالعهود امر اوجبه الشرع الاسلامي وهو امانة على كمال اسلام صاحبه وكلها تقص هذا الوفاء نقص ذلك الكمال فاختلاف الوعود ونقض العهود من النقائص التي يربأ المسلم عن ان يتصف بها او تصير له عادة ، والقدر المنكر هو ان يكون العزم على عدم الوفاء مقارنا لساعة الوعد فيكون غادرا في عهده مضمرا عدم اتمامه والوفاء به وبذلك عي من خصال النفاق

اما اذا كان عازما على الوفاء ساعة وعده ثم عرض له ما حال دون الوفاء به فهذا لم يكن غادرا ولا هو من اهل النفاق .

وهناك قسم ثالث وهو ان يكون عازما على الوفاء ثم اخلف من غير عذر شرعي فهو دون القسم الاول لانه لم يغدر وفرق بين الاخلافت والغدر لان هذا يعتمد على اضرار عدم الوفاء من ساعة العهد . والآخر لم يتقدمه نية الاخلاف وانما تهاون بوعده فلم يوف . وسكلا الامرين صفة ممقوتة لما فيهما من ضياع المصالح والاضلال بنظام الحياة وكل هذا يفقد به الانسان شرفه الا ان الاولى شرها عظيم وخطرها جسيم ، والغدر بالعهود الممقوت يشمل سائر ما يتعهد به الانسان سواء كان لله تعالى او لرسوله او للناس

وفي رواية مسلم بدل الغدر في العهد ، الخلف في الوعد

قال صاحب المحكم يقال وعدته خيرا ووعدته شرا فاذا اسقطوا المفعول قالوا في الخير وعدته وفي الشر اوعدته اه وعليه فيكون الاختلاف فيما اذا لم يذكر الموعد به خيرا او شرا ليكون ذلك كدليل على المراد ، وحكى ابن الاعرابي في بؤادة اوعدته خيرا بالهمزة ، وربما يقال انه لا تنافي بينهما لان المحكي في النوادر مذكور فيه الخير وما تقدم يقتضي انه انما يدل على الشر اذا لم يذكر المفعول وليس في كلام صاحب المحكم ما يدل على قصر اوعدته على الشر في كل الحالات

وقال صاحب الفتوح : المراد بالوعدي الحديث - اي على هاتاه الرواية - الوعد بالخير واما الشر فيستحب اخلافه ، وقد يجب ما لم يترتب على ترك انفاذه مفسدة

الفجور في المخاصمة

هذه رابعة الصفات التي هي من امارات النفاق وهي الفجور في المخاصمة وعدم التوقف عند حد الحقوق التي يروم صاحبها استرجاعها من المعتدي عليه ، فان المسلم يطالب بحقوقه ولكن في حدود من اللياقة والاداب فيلزمه ان يعرى آداب المخاصمة اذ لكل شيء آدابه . ولا يتجاوز الحدود المرسومة ولا يتخذ المخاصمة ذريعة للاحاق الضرر بخصومه فان ذلك يظهر ما تضمنه نفسه ومن ذلك

عد هذا الفجور من النفاق حيث كشف عن حاله بامارة من اماراته
هذوا، جاء في الحديث من عد الخصال ارضا ليس تقصد منه حصر علامات النفاق فيها كما ترشد
اليه رواية مسلم من طريق العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ولفظها من علامات المنافق
ثلاث اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا ائتمن خان

قال القرطبي ولا مخالفة بين الحديثين الواردين في عد خصال النفاق لاحتمال انه استجدله صلى
الله عليه وسلم من العلم بخصال المنافقين ما لم يكن عنده ثم قال فحصل من المجموع خمس خصال
لانها تواردا على الكذب والخيانة في الامانة وزاد في الاول (١) الفجور في المخاصمة والغدر في العهد
وزاد في الثاني (٢) الخلف في الوعد . وهذا كله بناء على انها حديثان في زمانين . وبناء على ان المراد
من الخلف في الوعد غير الغدر في العهد . وقد جوز صاحب الفتح ان تكونا روايتين لحديث واحد
والرواية الثانية تصرف من الراوي وعلى هذا فيكون المزيد في الرواية الاولى خصلة واحدة وهي
الفجور في المخاصمة . وحاول ارجاعها الى الكذب

وبناء على انها حديثان في زمانين يكون تغاير الخصال باعتبار تغاير الاوصاف واللازم وبهذا
تندفع محاولة صاحب الفتح ادخال بعض الخصال واندراجها في بعضها كاندراج الفجور في الخصومة
في الكذب ومحاولته ارجاع الحديثين الى بعضها بهذه الطريقة . وكذلك على اعتبارهما روايتين لحديث
واحد وانما سها بعض الرواة عن الخصلة الرابعة التي انتهت اغيره ولا حاجة الى التمسك بارجاع
بعض الخصال الى بعض . وقد ذكر صاحب الفتح وحجها آخر للجمع بين الروايتين حاصله انه لا يلزم من
عد الخصلة المذمومة الدالة على كمال النفاق ان تكون علامة على النفاق لاحتمال ان تكون العلامات
الثلاث المذكورة في الروايات المتعددة دالة على اصل النفاق والخصلة الزائدة اذا اضيفت الى تلك كمل
بها خلوص النفاق .

وهذا الاحتمال يبعده ما جاء فيما رواه مسلم عن العلاء بن عبد الرحمن قال آية المنافق ثلاث
وان صام وصلى وزعم انه مسلم . وقد عد فيها ثلاثا من خصال النفاق وبين ان ذلك يدل على كمال
خلوص النفاق بقرينة قوله وان صام الخ . فقوله والزائدة اذا اضيفت الى تلك كمل بها النفاق
يقضي انه لا يوسم بكونه منافقا كامل النفاق الا بعد تحقق الخصال الاربع مع ان الرواية التي سقناها
من حديث مسلم تدل على ان الثلاثة تكفي في تحقق النفاق الكامل والا لما ظهر قوله وان صام وصلى
وزعم انه مسلم

ثم ان هذا الحديث عد مشكلا من جهة ان هاته الخصال قد توجد في المسلم ولتثبت هنا بعضا مما
اجاب به العلماء عن هذا الاشكال

(١) اي الذي نحن بصدد شرحه

(٢) اي رواية مسلم

قال النووي في شرحه على صحيح مسلم الذي قاله المحققون والأكثرون وهو الصحيح المختار ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق وصاحبها شبه بالمناقين في هذه الخصال ومخلق باخلاقهم لانه مناق في الاسلام فيظهره وهو بطن الكفر . ومعنى كونه مناققا خالصا انه شديد الشبه بالمناقين ، ونقل ابو عيسى الترمذي عن بعضهم انه نفاق العمل . وهذا هو الذي ارتضاه القرطبي ومال اليه صاحب الفتح وقال الخطابي المراد باطلاق النفاق الانذار والتحذير وان الظاهر غير مراد . وقال جماعة من العلماء ان المراد به المناققون الذين كانوا في عهدة صلى الله عليه وسلم فحذثوا بايمانهم فكذبوا واتبعوا على دينهم فخانوا ووعدوا النصره فاخلفوا وفجروا في خصوماتهم ونسب هذا الى سعيد بن جبير ورجع اليه الحسن البصري كما نقل ذلك عنه قال النووي رحمه الله وهو مروي عن ابن عباس وابن عمر قال عياض واليه مال كثير من ائمتنا .

وهذا يعضده قوله صلى الله عليه وسلم في رواية مسلم المتقدمة وان صام وصلى وزعم انه مسلم والروايات يفسر بعضها بعضا

على انه لا مانع من ان يكون الحديث في وصف المناقق اعتقاد ومع ذلك هو تحذير وانذار عن ارتكاب هذه الخصال بالنسبة للمسلم فان من تخلق باخلاق قوم واتصف بصفاتهم عد منهم وبيان لخطر هذه الصفات الذميمة فنفهم من ذلك انه يصح لنا ان نطلق على صاحبها انه مناقق العمل لكن يبقى علينا قوله عليه الصلاة والسلام . ومن كانت فيه خصلة منهن النخ فكانه قرينة تنادي على ارادة غير نفاق الكفر . ونقول في جواب ذلك ان هذا يدل على ارادة الاعم لا انه يصرف عن ارادة الاخص المعين وهو نفاق الكفر . فان النفاق اذا اطلق في لسان الشرع انما ينصرف الى الفرد الكامل وهو نفاق الاعتقاد والجنوح الى سواه نوع تاول فيلزم ان نراعي كافة الدلائل وهي تدلنا على ارادة المعنى اللغوي الشامل للمعنى الشرعي وذلك لشمول الخصال المذكورة لما هو من قبيل الاقوال والافعال والنيات

وهذا هو وجه الاختصار في العلامات على ما ذكر لان الاصل في الديانات ان لا تتعدى القول والفعل والنية وتلك الخصال مشعرة بالاعمال التي ترجع الى الاقوال كالكنب والتي ترجع الى الافعال كالحيانة والفجور والتي ترجع الى النية كالغدر فالغرض التنبيه على اصولها والحديث يوضح لنا في جلاء ان ما يخفيه المرء ويبطنه من الشر لا بد وان تظهر بوادره وان بالغ

في الاخفاء ما بالغ

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلم

وظهور العلامات كاف في الاتقاء واتخاذ اسباب الحيلة من مكر المناقق وخداعه .

بقي علينا ان نوضح ان هذه الصفات هل هي جبلية او تكتسب وطرق معالجتها اذا ما التصقت احداها

بنفوسنا وموعدا بذلك عدد قادم بحول الله تعالى

محمد بن علي بن الحسين

التآليف المولدية

ذكر بعض ما كتب على خصوص المولد النبوي الشريف من التآليف

وبيان أخذ بعضها عن بعض وطرق الاتصال بها

بقلم العلامة الذائع الصيت الشيخ

محمد عبد الحلي الكتباني الشريف

« ٦ »

حرف الغين

(الغيطي) هو محدث الديار المصرية ومسندها نجم الدين محمد بن احمد الغيطي الشافعي المصري المتوفى بها عام ٩٨١ له مولد نفيس اوله الحمد لله الذي انار بمولد احمد المصطفى جميع الوجود اكمله عام ٩٨٠ - وهو في جزء صغير وهو من المواليد التي يتعين نشرها بالطبع لكونه سلك فيه مسالك النقل والتخريج . بالمكتبة الكتانية منه عدة نسخ منها واحدة تم نسخها عام ١١٢٩ وقد اعتنى الناس بمولد النجم الغيطي هذا واعتمدوه فاختصرة عالم مصر الشيخ حسن المدابغي وقد سبق ذكره في حرف الميم وفي المكتبة الكتانية حاشية على مولد الغيطي هذا لبعض تلامذة الاحوري والشبرايملي لم اعرف خطه وفيها ايضا حاشية عليه للعلامة الامير الكبير فيها فوائد

حرف الفاء

(فتح الله حسبي وكفى في مولد المصطفى) للبرهان ابي الصفا ذكره له في كشف الظنون
(فتح الله في مولد خير خالق الله) لصاحبنا الفقيه الصوفي ابي محمد فتح الله ابن ابي بكر البناي الرباطي المتوفى عام ١٣٥٤ - بالرباط اوله الحمد لله الذي شرف بالكون بولادة خير الانام اتمه عام ١٣٢١ - طبع بالمطبعة الخديوية بمصر عام ١٣٢٣ - في ص ١٨١
(فتح العلي الستار المنجي على قصة المولد للبرزنجي) للشيخ عبد الله بن علي بن يوسف بن يعقوب المكي الفارسي اوله الحمد لله الذي شرف الموجودات خصوصا العرب الخ فرغ من تأليفه بالمسجد الحرام عام ١٢٦٢

(فتح الاطيف لشرح نظم المولود الشريف) للشيخ مصطفى بن محمد العفيفي الشافعي المكي على نظم السيد زين العابدين البرزنجي مطبوع بمصر عام ١٢٩٣

(فتح القدير) انظر مولد الدردير في حرف الدال

(فتح الصمد) انظر اللخمي في حرف اللام

(الفخر العلوي في المولد النبوي) للحافظ شمس الدين محمد عبد الرحمن السخاوي المتوفى عام ٩٠٢ ذكره لنفسه في الضوء اللامع ونسبه له ايضا صاحب النور السافر
(الفخر الدنغلي) هو الفخر ابوبكر الدنغلي جمع في المولد جزءا قاله في كشف الظنون
(الفانوس) هو البرهان يوسف الفانوس عمل ارجوزة تزيد على اربعمائة بيت في قصة المولد
ذكره في كشف الظنون

حرف القاف

(قصيدة) في المولد النبوي للصاعقة في العلوم والفنون والاقدام نجم الدين بن عبد القوي الطوفي الحلبي البغدادي المتوفى بالخليل بالشام عام ٧١٦ ترجمه الحافظ ابن حجر في الدرر الكامنة فقال وله قصيدة في المولد النبوي اولها

ان ساعدتك سوابق الاقدار .. فأنخ مطيك في حمى المختار

انظر ص ١٥٧ - من ج - ٢

(القول المنجي) انظر مولد البرزنجي

(القاقوجي) هو مسند طرابلس ومحدثها وصوفيا ابو المحاسن محمد بن خليل القاقوجي الحسني الطرابلسي الحنفي المتوفى بمكة المكرمة عام ١٣٠٥ له اربع مواليد منها واحد بالمكتبة الكتانية في جزء صغير بخط مشرقى كتب في حياة مؤلفه ونروي ماله من طريق عشرة من اصحابه منهم المعمر الصالح السيد سايم ابن خليل السعاني الدمشقي شفاها بدمشق عام ١٣٢٤

حرف السين

(سليمان البرسوي) المتوفى بعد ثمانمائة له مولد تركي منظوم وكان مؤلفه اماما للسلطان يزيد وبعد وفاته قطن ببرسة فصار اماما لجامع السلطان المذكور وهو الذي يتلى في المجالس والجماع في البلاد الرومية وقد نظم غير واحد من شعراء الترك لكن لم يلتفت الى نظم احد سواه ولم يشتهر قاله في كشف الظنون

(السمان) هو الامام العارف ابو عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان المدني المتوفى عام ١١٩٣ له مولد اوله : حمد المن اطلع من مطالع الغيوب طوابع الانوار المحمدية في المكتبة الكتانية منه نسخة (ابن السنباطي) هو الشمس الدمياطي المعروف بابن السنباطي عمل مولدا نظما قاله في كشف الظنون .

(ابن سويدان) انظر مولد المدابغي

(سعادة الدارين ومنحة سيد الكونين) لابي الفضل احمد البخاري الدمياطي الحسني مولد

منظوم اوله .

الحمد لله أهمل العشق ما انفصلوا ثم الصلاة على المختار ما اتصلوا
في مائتين وأثنين وعشرين بيت ختمها بقوله تاريخها مسك اذفر لمن كسبوا اتم نظمها
عام ١٣٠٩ وطبع بالمطبعة العلمية بمصر عام ١٣١٠

(سفر المولد) للعالم العارف الاديب البارع الشيخ ابي عبد الله محمد المعطي بن صالح بن محمد
المعطي الشرقي التادلي الجعدي من افراد رجال القرن الثاني عشر بالمغرب الاقصى المتوفى به عام
١١٨٠ - صاحب كتاب الذخيرة اكبر كتاب الف في الاسلام في السيرة النبوية في نيف وسبعين مجلدا
كل مجلد خاص بشأن من شئون السيرة النبوية منه مجلد خاص بالمولد وهو في نحو نيف وعشرين
كراسة . من هذه السيرة في المكتبة الكائناتية ما يزيد على عشرين مجلدا فيها ما عليه خط المؤلف .
(سعيد البيان في مولد سيد الانس والحان) للشيخ احمد سعيد الدهلوي الهندي صاحب
الذكر الشريف المتقدم في حرف الدال .

حرف الشين

(شرح المرزوقي على مولد اللخمي) هو العلامة ابو الفوز المرزوقي المالكي نزيل مكة فرغ
من تأليفه عام ١٢٨١ طبع ببولاق ١٢٨٦ - وبهامشه المولد المذكور .
(شرح القوسي) على مولد الدردير هو العلامة الصوفي ابو الحسن علي بن عبد الحق الحجاجي
القوسي المالكي المتوفى ١١٩٤ - سماه الروض النظير على مولد الدردير بالمكتبة الكائناتية منه نسخة
خطية كتبت عام ١٣٠٥
(شرح اذافة الانام لمنكر عمل المولد والقيام) لاكثر علماء الهند في هذا القرن تصنيفا الشيخ
احمد رضى خان البريلوي الهندي الحنفي المتوفى عام ١٣٤٠

حرف الهاء

(الهبات الربانية في مولد خير البرية) للشيخ علي بن محمود الاسموشي الخلدوتي اوله حمدا لمن
شرف الوجود بقطب الدائرة النبوية مطبوع بمصر في ص ٢٤
(الهبته) هو الامام حافظ الديار المصرية نور الدين علي ابو الحسن بن ابي بكر الهبته
المصري المتوفى عام ٨٠٧ له مولد كبير عليه حاشية للشيخ حجازي ابن عبد المطلب العدوي من
علماء القرن الثالث عشر اوله الحمد لله الذي اطلع انوار القرآن فانار اعيان الاكوان منه نسخة بالمكتبة
السلطانية بمصر تم نسخها عام ١٢٠٦ في ستة كرايس .

حرف الواو

(الورد المنهول الاصنى في مولد الرسول المصطفى) للشيخ مصطفى بن كمال الدين البكري

المصري اوله الحمد لله الذي ولد الانوار في الاسرار ، ذكر في خطبته انه لما الف كتابه المورد الروي في المولد النبوي طلب منه اختصاره لان فيه قليل بسط لا طويل ذيل واكثر بسبب سرد عبارات رشيقة الالفاظ فبادر للاقتصار على ما لا بد منه من الاخبار وسماه بالمورد المنهول الاصفى وهو مولد لطيف في المكتبة الكتانية منه نسخة تم نسخها عام ١١٦٩ - وهذا المولد هو الذي اختصره ابو اسحاق ابراهيم الرياحي التونسي في مولده قال في طالعته: والمواليد وان كانت شتى، وانت بالغرض المقصود بما تاتي، لكن لا يخفى اختلاف طبقات الاقوال، بحسب اختلاف الازمنة والاحوال، واكثر المواليد في هذا الزمان استعدالا، وانفعها بركة واعمها نوالا، مولد السيد مصطفى البكري المسمى بالمورد الماهل الاصفى، الا ان فيه بعض تطويل يورث ملالا، وتراكيب يضيق العقل في فهمها مجالا، فاردت اختصاره على وجه لطيف يقطف ثماره، ويقضي اوطاره الخ

(الورد الندي في المولد المحمدي) للسيد محمد حامد عوض اوله استبسم ثغور زهور الافتتاح بالاسم الاعظم، اتمه مؤلفه في المدينة المنورة عام ١٢٩٨ - طبع في بومباي بالهند في صفحات ٣٢ (الوسيلة العظمى في الدارين الى من له الشفاعة العظمى في الدارين) في القيام عند ذكر ولادة صاحب توسين للشيخ محمد ايوب بن محمد لطيف الله البشاوي الهندي سببه انه سئل عن القيام عند ذكر الولادة النبوية عام ١٣٣١ - بملاية مطبوع بالهند في صفحات ١٣٢

حرف الباء

(يوسف المدني) انظر مولد الدردير في فتح القدير

(اليمن والاسعاد) انظر الكتاني

حرف الهمزة

(آيات العرفان) تقدم في حرف الراء

هذا ما تيسر جمعه عن استعجال واشتغال بال في نحو ثلاثة ايام وليال كان اخرها عاشر صفر الحير عام ١٣٥٦ بالمكتبة الكتانية من فاس بقلم محمد عبد الحلي الكتاني حمد المولى عقباة وانا له ما يتبعناه ءامين

تاويل آية مما اشكل على بعض الافهام

عن ابي امية : قال : سالنا ابا ثعلبة الخنسي رحمه الله ، فقلنا كيف نصنع بهذه الآية ؟ قال آية آية ؟ قلت : (يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم) فقال : اما والله لقد سالت عنها خيرا ، سالت عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « نعم ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن المفكر ، حق اذا رايتم شحا مطاعا ، وهوى متبعا ، واعجاب كل ذي رأي برأيه ، ورايت امرا لا يدان لك به ، فعليك بنفسك ودع امر العوام ، فان من ورائكم اياما ، الصابر فيهن مثل القابض على الجمره ، للعامر فيهن كاجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله » الحديث رواه الطبراني في التفسير

الفتاوى والعلام

طعام اهل الكتاب

الحمد لله لما اراد الامير احمد باشا الاول السفر الى باريس أمر كاتبه الشيخ احمد ابن ابي الضياف ان يسأل الشيخ محمد بيرم الرابع بما نصه مولانا شيخ الاسلام وعمدة الائمة الاعلام جوابكم الشافي في طعام اهل الكتاب للمباح لنا بنص الكتاب هل يتناول الطعام ذبائهم ام لا وهل يشترط ان تكون ذكاتهم موافقة لذكائنا ام لا وهل يشترط في اباحة طعامهم تحقق سلامته من النجاسة ام لا فقد افقني ابن العربي من ائمة مذهبنا بما نصه : افقت بان النصراني يقتل عنق الدجاجة ثم يطبخها تؤكل لانها طعامه وطعام اجاراه اه بناء على عموم الآية. المراد ان تحرر لي في النازلة من اقوال ائمتكم وهل فهم من افقني بمضمون قول ابن العربي وفي غالب ظني ان بعض اجدادكم كتابة في النازلة فان كانت فارسها ولا تستغني بها عن جوابكم والسلام من معظم قدركم المعروف

فاجابه الشيخ المذكور بما نصه

الحمد لله وعليكم السلام للزري بسجف الغمام وبعد فقد تصفحت السؤال واجلت فكري فيما تضمنه من المقال فاذا امره يدور على الكشف عن ثلاثة امور وهنا نحن نحرر فيها بالكلام على طبق ما دونه إيمتنا الاعلام فنقول : اما قولكم هل يتناول الطعام ذبائهم فجوابه نعم هو متناول لها ففي البرهان شرح مواهب الرحمن وشرطها (يعني الذكاة) ان يكون الذابح على ملة التوحيد اعتقادا او دعوى فحل ذبيحة المسلم لانه على ملة التوحيد اعتقادا والكتابي لانه يدعي التوحيد سواء كان ذميا او حريا والاصل قوله تعالى وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم اه فانت ترى كيف جعل الآية الكرمة اصلا في اباحة ذبائهم وما ذلك الا لتناول لفظ الطعام فيها للذبائح بل قضية كلام الفخر الزيلعي ان المراد بالطعام في الآية مذكاهم على سبيل الخصوص فبكانه قيسل ومذكى الذين اتوا الكتاب حل لكم اذ غير ما للذكاة اثر فيه من الطعام يحل من غير اهل الكتاب فان استدلاله بذلك النظم الشريف قال والمراد به (يعني بطعام اهل الكتاب) مذاهم لان مطلق الطعام غير المذكى يحل من اي كافر كان ولا يشترط فيه ان يكون من اهل الكتاب وافقني اثره في حمل الطعام على ذلك صاحب الدرر وكذلك الحموي في شرح الكنز حيث قال بعد استدلاله بتلك الآية والمراد ما تلحقه

الزكاة من حيثهم لانه خص اهل الكتاب بالذكر وما لا تلحقه الزكاة يستوي فيه الكتابي والمجوسي فثبت بهذا ما ادعيناه في صدر الجواب ثبوتنا لا خفاء فيه ، واما قولكم : هل يشترط ان تكون ذكاتهم موافقة لذكاتنا فجوابه ايضا نعم يشترط في ذكاتهم ما يشترط في ذكاتنا كما يشهد بذلك تدوينهم لاحكام الذبائح عبر فارقين بين كون الذابيح مسلما او كتابيا ففي الاجناس بنقل الحموي يعتبر في الزكاة اربعة احدها في الفاعل وهو أن يكون معتقدا لكتاب سماوي منزل في دين مقرر عليه ، والثاني صفة في الفعل وهي ذكر الله تعالى عليه ، والثالث صفة في الآلة بان يكون لها حدة ، والرابع صفة الواقع بان يكون فيه قطع الادراج فهذا الكلام يدل على عدم الفرق في هذا وفي الهندية ثم انما تؤكل ذبيحة الكتابي اذا لم يشهد ذبحه ولم يسمع منه شيء او شهد وسمع منه تسمية الله تعالى وحده لانه اذا لم يسمع منه شيء يحمل على انه قد سمى الله تعالى تحسينا للظن به كما في المسلم ولو سمع منه ذكر الله لكنه عنى بالله عز وجل المسيح عليه السلام قالوا يؤكل الا اذا نص فقال بسم الله الذي هو ثالث ثلاثة فلا يحل فيما اذا سمع منه انه سمى المسيح عليه السلام وحده او سمى الله سبحانه وسمى المسيح لا تؤكل ذبيحته اهـ ، وخلاصته انه تحرم ذبيحته اذا عدل عن ذكر الله تعالى اصلا او شرك معه غيره ولا يضر مع تصريحه باسم الله تعالى علمنا بانه يعتقد المسيح إلاها ، ويوافقه ما في الشرنبالية عن الاختيار من قوله ولو قال بسم الله وهو يعني المسيح يؤكل بناء على الظاهر فهذا هو المعول عليه واما ما نقله الحموي عن المستصفي من قوله هذا اذا لم يعتقد ان المسيح آله فان اعتقد فهو كالمجوسي فقد اوهنه ناقله فانه مخالف لعامة الروايات لظاهر قوله تعالى يا اهل الكتاب لا تغفلوا في دينكم مع قولهم المسيح ابن الله قال وسئل ابن عباس عن ذبائحهم فقال قد احل الله لكم قليل يهلون لغير الله فقال الذي احل ذلك منهم اعلم بما تقولون وفي الشرنبالية تحقق اثر قلعه لما في المستصفي وقد قدمنا انه ينبغي الحكم على ما يظهرون لا ما يضمرون ، واما قولكم وهل يشترط في اباحة طعامهم تحقق سلامته من النجاسة فجوابه ان التحقق لا يشترط بل الشرط هو تحقق عدم النجاسة الذي هو اعم من تحقق الطهارة وخلاصة ذلك انه ما لم يتحقق النجاسة يجوز الاكل ففي شرح السير الكبير للامام السرخسي مانصه : ولا بأس بطعام النصارى او اليهود من الذبائح وغيرها لقوله تعالى وطعام الذين اتوا الكتاب حل لكم ولا بأس بطعام المجوس كله الا الذبيحة لقونه عليه السلام سنوا بالمجوس سنة اهل الكتاب غير ناكحي نسائهم ولا اكل ذبائحهم فان قلت هذا انما يدل على اصل حلية الطعام المبحوث عنه لا كون طعامهم محمولا على الطهارة فيحل اكله والا فلا وليس فيما نسقت دليل عليه فانت يظهر من سياق كلامه وسياقه حل الطعام على الطهارة وسيرد عليك من تمامه ما فيه شفاء الغليل فمن ذلك ما ذكره في معرض الاستدلال على ما تقدم وهو ما روي عن سويد غلام سلمان قال اتيت سلمان يوم هزم الله فارس بسلة وجدها فيها خبز وجبن وسكين فجعل يطرح لاصحابه من الخبز ويقطع لهم من الجبن

فياكلون وهم محيوس فعرفنا انه لا بأس بطعامهم ما خلا الذبيحة. ومنه مارواه عن ابن سيرين من ان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا يظهرون على المشركين فياكلون في انيتهم ويشربون. فتلخص ان تحقق الطهارة ليس بشرط في جواز الاقدام على الاكل بل يبقى الامر على اصل الطهارة حسبما دل عليه ما تلوناه عليك مما ليس فيه لزوم الكشف ويدل عليه ايضا ما في الهندية ان محمدا قال ويكره الاكل والشرب في اواني المشركين قبل الغسل ومع هذا لو اكل وشرب فيها قبل الغسل جاز ولا يكون اكله ولا شربه حراما وهذا اذا لم يعلم بنجاسة الاواني فاما اذا علم فانه لا يجوز ان يشرب فيها وبأكل منها قبل الغسل ولو شرب او اكل كان شارباً او اكل حراماً وهو نظير سور الدجاجة اذا علم ان على منقارها نجاسة فانه لا يجوز الوضوء به والصلاة في سراويلهم نظير الاكل والشرب في اوانيتهم ان علم ان سراويلهم نجسة لا تجوز الصلاة فيها وان لم يعلم تكره الصلاة فيها ولو صلى يجوز اه فيؤخذ من صريح هذا الكلام ان القادم على الاكل من انية مشرك والشارب فيها غير متحقق انها نجسة ليس بمركب حراما وان كان الاحتياط في الدين - حرف النظر الى الوقوف على تحقق الطهارة فراراً من ارتكاب المكروه ووزان الاكل من الآنية وزان الاكل من الطعام لا علم ان السر في الجميع انما هو البحث عن الطهارة والنجاسة ليس الا اذا ما يتعلق بالذكاة قد تقدم الكلام فيه مستوفى هذا والذي شاهدناه وسمعناه ممن تقدم موتفاً بعلمه ودينه الاقدام على تناول مما يجلب من بلاد الكفر من الاشربة والمركبات السكرية ونحوها فليسعنا ما وسعهم وليس هذا من اتقاء الشبهات فكفى المرء نبلاً في هذا الزمان التجافي عن الهجوم على المحرمات البحتة هذا ما لدي الآن من الجواب عن فصول السؤال واما ما ذكرتم من فتوى القاضي ابي بكر فاني لا اعلم في المذهب الحنفي ما يوافقها ولا اعلم كتابة لاجدادي في المسئلة الا نظماً للجد الاقرب في الجنب وها اذا مورده هنا لانه لا يخلو من فائدة ونصه

الحمد لله الذي قد وسعا	عبادة فضلاً بما قد وسعا
في شرع طه المصطفى الاواه	عليه تترى صلوات الله
وجعل اختلاف اهل العلم	لناس رحمة بهم في الحكم
وبعد ذا فإني اقول	ما محكم الذكر له دليل
ما يصنع الا فرنج من جبن وقد	كان بجزء ميتة قد انقصد
اعني به انفضحة حلال	عند الامام ما به اشكال
لكونه يقول تلك طاهرة	فعلة الحكم بهذا ظاهرة
وكونه يصنع في اواني	ليست من التنجيس في امان
لا يوجب التحريم اذ لو وجبا	كان طعامهم لنا مجبياً
والله قد احل في الكتاب	لنا طعاماً لاولي الابواب

تحليف الشاهد بالطلاق لتعزيز شهادته

ورد على ادارة المجلة السؤال الآتي من مدينة طرابلس الغرب ونصه : بعد السلام عليكم ورحمة الله وبركاته افنونا توجرون

سؤال :

ايجوز للحاكم ان يحلف الشاهد بالطلاق في بلاد يرى اهلهما الحلف بها سفاهة وليستغل الحاكم امتناع الشاهد عن اداء شهادته تحيزا للفريق من المتخاصمين دون الآخر

الجواب :

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد فالجواب انه لا يجوز للقاضي ان يحلف الشاهد اليمين على صدق شهادته لان الشاهد اذا كان عدلا فعدالته وازع له عن الشهادة بزور فلا فائدة لتحليفه وفي التحليف مع العدالة اضرار له بتكليفه ما لم يكلفه الشرع اياه وقد قال الله تعالى ولا يضار كاتب ولا شهيد وان لم يكن عدلا فشهادته غير مقبولة شرعا فلا اثر ليمينه في قبول شهادته لان الذي لا يزنه دينه عن شهادة الزور لا يزنه ايضا عن الحلف الباطل ، اما تحليف الشاهد بالطلاق فعبت اذ قد يتعمد الحلف به ليعمل شهادته لما تجره اليه من النفع بالمواطاة مع المبطلين في الدءاوي ثم يفارق امراته التي في عصمته لقلة رغبته فيها او استغنائها عنها بغيرها او نية مراجعتها بعد محلل على مذهب من يرى ذلك أفتيت بذلك وانا الفقير الى ربه عبده محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي بتونس وكتب في قعدة وفي جانفي سنة ١٣٥٦ - ١٩٣٨

النفحة الندية . في الرحلة الاحمدية

صدر سفر هذه الرحلة الجليل آية من آيات الفن وتحفة من تحف التحرير والابداع . يخال في برد قشيب وبزري في محاسنه بالغصن الرطيب . فسد في عالم التأليف ثله . وكشف في مجال التاريخ ظله . جمع فيه مؤلفه التحرير كل ما رق وراق . وهلا المسامع والاحداق . من حديث تاريخ الاسفار في امة الاسلام وغيرها وما ينجم عنها من المنافع الجمعة في ميادين النهوض والرقى في مختلف النواحي واصلا بذلك ما بين الماضي والحاضر . مستقصيا لاسفار كبراء الاسلام وعظماءه وتنقلات الساسة واهل الدولة في الارض . مصدرا هذا المؤلف الكريم بصورة ولي النعم سيدنا وهولانا الملك ابقاه الله فكانت في جبينه غرة . وفي سلك صورة الفريدة ذرة . ثم تعقبها الصور البديعة للاشخاص ذات القيمة العالية وغالبها لمولانا الملك وحاشيته الكريمة في تنقلاته بباريس وغيرها وما يتصل بذلك من مناظر الاجلال والحفاوة . فلله در محرر هذا الاثر العالم المؤرخ الاديب الشيخ محمد التعداد الورتاني فقد كان ماهرا في تصوير كل ما يتعلق بالرحلة الملوكية ابداع تصوير وشرح جميع ما احاط بها من ظواهر الاجلال لمكنا المعظم وافراد حاشيته اينما حل

وتشتمل هذه الرحلة على صفحات ٣٥٢ وبها العدد الكثير من الصور الرائعة

فتمني لها ما هي اهل له من سعة الانتشار وعظيم التقدير

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصاحح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٣ »

ولنتعم الاستدلال على ما قررناه في الجواب فنقول :

إذا تقرر لديكم أن العقل والدين والعلم اخوة اشقاء متعاضدون وإن الاول من اصول الثاني والثاني اصل للثالث

١ - كان هذا اول دليل على ان لا يعقل تعارضها وتعاندها ونورد لكم ادلة اخرى اصولية وفروعية على ذلك . قدما ادلة اصول الدين ثم اصول الفقه ثم ادلة الفقه فاقول :

٢ - الاسلام دين الفطرة . نص القرآن . فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون الآية من سورة الروم . قال ابن جزى الاندلسي في تفسيره : ومعناه خلقه الله والمراد به دين الاسلام كأن الله خلق الخلق عليه اذ هو الذي تقتضيه عقولهم السليمة وانما كفر من كفر لعارض اخرجه عن اصل فطرته كما قال عليه السلام كل مولود يولد على الفطرة فابواه يهودانه او ينصرانه ه بخره

٣ - مبدأ الاسلام تحرير الفكر الانساني وجعله طليقا ينظر في ملكوت الله لاستنتاج المجهول من المعلوم واكتشاف ما خفي عن الفهم

فالاسلام لا يمنع الفكر من اظهار مواهبه والبحث فيما يرقى نوع الانسان والله خلق له ما في السماوات وما في الارض جميعا ليمتع بذلك وبما انطوى عليه . من عجائب الخلق قال الله : او لم ينظروا في ملكوت السموات والارض . وقال : او لم يتفكروا . وقال : ان في ذلك آيات لقوم يعقلون . وامثالها فلو كان الدين ضد العقل ضاغطا له محجرا عليه ما امكن ان يعطيه هذه الحرية الواسعة في الملكوت لا في المالك ولا في صفات المالك فليس له ان يعدو طوره كما سيأتي

فلو قلنا ان الدين ينافي العقل او العلم لكانا جمعنا بين متناقضين نقول له تفكر ثم اذا تفكر واستنتج منعاه وحجرا عليه . هذا خلف

٤ - العقائد الاسلامية التي هي اهم شيء في التشريع الاسلامي استقرأناها فلم نجد عقيدة واحدة ضد العقل والعلم وانما هي اقسام ثلاثة - ا - عقيدة لا يستدل الاسلام عليها الا بالعقل والبرهان القطعي وهي وجود الله . وعلماء السنة معترفون انه لا يفيد في اثباتها الا العقل دون النقل اذ هي أساس العقائد

وأول ما يلحق لكل تلميذ قبل إثبات النبوة والمعجزة ولا معنى لإثبات وجود المرسل بالكسر برهان يستند الى اقوال المرسل بالفتح. اذ الرسول انما يعلم صدقه بعد اثبات المعجزة التي شرطها التحدى بأن يقول انا رسول الله ودليلي المعجزة فيلزم اثبات وجود الله قبل المعجزة التي هي نفسها دليل عقلي ايضا او طبعي على خلاف فيها

فهي عقيدة مستندة الى البرهان العقلي المحض ونحن نجد القرآن استدل عليها بذلك. ومن آياته خلق السموات والارض الآيات في آيات اخر (١) . قيل لعلي كرم الله وجهه هل عرفت الله بمحمد او عرفت محمدا بالله فاجاب لو عرفت الله بمحمد ما عرفت

ب - وعقيدة يستدل عليها بالبرهانين العقلي والنقلي كغناه تعالى ومخالفته لحلقه

ت - وعقيدة يستدل عليها بالبرهان النقلي كالسمع والبصر والكلام ولكن البرهان العقلي لا يدفعها ولا يناقضها بل يسلمها وان لم يقطن لاثباتها برهان قبل الشرع

ولا يوجد القسم الرابع الموجود عند غيرنا وهو عقيدة يشتبها الدين ولا يسلمها العقل . بل الدين الاسلامي نعى على الذين يشنون هذا القسم وابطله وبين بشاعة تكليف العقل ان يعتقد ما دلت براهينه على نفيه لذلك نجد القرآن نعى على من يقول بالوثنية وبالحللول والاتحاد والتثليث وبين بطلان ذلك بادلة عقلية

فهذا صار العقل الركن الاعظم لاساس المعتقدات فما أوجبه وجب اعتقاده وما احاله صار محالاً وما جوزه كان جائزاً

هـ - وجدنا القرآن يستدل بدلائل العقل البرهانية على العقائد الثابتة بالسمع ايضا

قال تعالى : لو كان فيهما ءالهة الا الله لفسدتا . وهذا برهان عقلي على وحدانية الله تعالى واستدل ابراهيم عليه السلام بذلك ايضا قال تعالى : وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدي ربي لآكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا اكبر فلما افلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون . الى قوله تعالى وتلك خجتنا اثبتناها ابراهيم على قومه . فسامها حجة ثبت بها الحق وهي دليل عقلي محض

وبيانه انه نظر طلوع الكواكب وغروبها فوجدها على نظام مضبوط في غاية الدقة لا ينتقض . مطابق لمصلحة الخلق فايقن انه لا يمكن ان يكون اتفاقا ولا عن طبيعة غير عاقلة وغير حكينة بل لا يصدر الا عن قوي قاهر مستبد بملكه وحده حكيم عليم وهذا لعمرى اعجب دليل على تلك

العقائد لا سبيل الى رده ولا التشكيك فيه ولا مندوحة لعقل عن تسليمه وهو احسن برهان يقيمه
 المسلم على وجود الله ووحدانيته وحكمته سبحانه وهو ما ظهر لي وانا القاصر في تقرير الآيه وهو مغن
 عما لكثير من المفسرين والمناطقه والمتكلمين فيهم الفخر الرازي وغيره الذين جعلوه من الاستدلال
 بالتغير على الحدوث (١) ونزيد بيانا فنقول هذه العوالم العظيمة والاجرام العلوية والسفلية التي
 عالمنا الشمسي بارضه وقمره وشمسه ودراريه السيارة وغيرها بالنسبة اليه كذرة من رمل القطر المصري
 كما قال بعض منجمي العصر وكلها عوالم منتظمة تحار الافكار في نظمها بل تحار الافكار في نظام
 جسم ادمي او حيوان واحد منها الذي هو ذرة من ذرات عالمنا

أهذا يكون حدث اتفاقا لهذا احدته طبيعة لا تعقل ولا تدرك ؟ كلا بل ذلك تقدير العزيز
 العليم وتدير قوي قاهر عليم علما لا يكيف ولا يوصل لكنه ، حكيم حكمة باهرة ، والصنعة دليل الصانع
 نظرت مرة الى بعوضة وتاملت في ابداع روح في جسمها الدقيق وفيه بصر وشم وذوق وادراك
 تبحث به عما يقيم اودها ويدفع ضررها وتهجم على الادمي الذي هو اعظم منها بمئات المرات فتجعله
 فريسة لها وتتمكن من جفله قوتا لحياتها ثم اذا دافعا ادركت قوة دفاعه فهربت وتمكنت من دفع
 هجومه عليها وربما قدر لها فكانت قائمة له وهو لم يقدر عليها بشيء ولو كان معتزليا يخلق افعاله بزعمه
 أ يوجد حكيم في هذا العالم يقدر على تكوين مثل هذا الخلق الحثير كلا ولو وجد لعبد من
 دون الله . ومن شدة ظهور حكمة الله وقدرته تعمى بصائر فتتكر وجوده او وحدانيته او ألوهيته
 أو علمه أو غير ذلك من صفاته

وفي كل شيء له آية تدل على انه الواحد
 ومن عجب ان الظهور خفاء

٦ - القرءان ارشد الى الاستدلال بالعقل ونتائج العلم فهو الذي جعلهما عوناً له فكيف
 ينكرهما او يكون ضدّهما (ان في ذلك آيات لقوم يعقلون) ومعلوم في الاصول ان تعليق الحكم
 بالوصف يشعر بالعلية

ومثلها : وما يذكر الا اولو الاباب (اي العقول) وما يعقلها الا العلون

٧ - استدلال القرءان بالادلة العقلية على البعث والنشور قال تعالى (وتششكم فيما لا تعلمون
 ولقد علمتم النشأة الاولى فلو لا تذكرون) سورة الواقعة ، وهذا استدلال بقياس البعث على النشأة الاولى
 من العدم من باب القياس الاحروي وهو من الادلة العقلية

٨ - استدلال ايضا على المجازاة في الآخرة (أ فحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون)

(١) وقد تبين ان طلوع الشمس وأفولها ناشيء عن حركة الارض ولا تغير يلحق الشمس من
 ذلك ولا حتى من كسوفها على ما هو الرأي السائد في عصرنا ، ولا يسوغ لنا ان نحمل احتجاج
 ابراهيم وهو نبي الله على فكرة قابلة للتغير وقد سماه القرآن حجة فالقرآن يجب ان لا يفسر
 الا بالمعاني المتخالفة ولم يقع قط في وهم ابراهيم الوهية شمس ولا كوكب حتى يثبت حدوثها بل
 كلامه على الاستفهام الانكارى وبيان مقيدة الحق لقومه بدليل واضح

وهذا استدلال عقلي بمعنى انه لو لم تكن مجازاة في الآخرة مع وجود الثواب والتظالم في الدنيا والله حرم الظلم على نفسه وعلى عبده لكان سبحانه عابثا في خلقهم والله منزلة عن العبث

٩ - قال تعالى (ومن يدع مع الله الاها آخر لا برهان له به فانما حسابه عند ربه) دلت الآية على ان ثبوت الالوهية لا بد له من برهان ، لا جائز ان يكون تقليا لعدم قياس حجة به على خصم لا يقر بالقل فتعين انه عقلي وهل يتصور ان يستدل القرآن بالحجج العقلية ثم ينكر العقل ، ذلك ما لا يمكن . كل من توهم من الدين ومن القرآن شيئا من هذا فانما هو غلط وقع له في المقدمات لم يهتد لوجهه

١٠ - تتبعنا حجج القرآن ضد الفرق قبل الاسلام من وثنيين ومسيحيين وغيرهم فوجدناها كلها عقلية او حسية فدلنا بذلك على ان مبدا القرآن اعتبار ما دل عليه العقل دلالة قطع وما دل عليه العلم وايدة الحس وان هذا اصل من اصوله فكيف يكون ضد العقل والعلم

١١ - ان من قواعد الدين الاسلامي وجوب حفظ العقل ولذلك حرم المسكر بل من العلماء من حكى اجماع الملل كلها على ذلك

اوجب حفظ العقل فكيف لا يعتبر ما دل عليه العقل دلالة قطعية اذ العقل مقصود لنتائجه

١٢ - قال البيضاوي في مواد الحجج من المراسد ان الحجة لا تكون ثقيلة محضة ولا تتصور ابدا اذ لا بد لها من صورة ومادة فصورتها عقلية لا مدخل للنقل فيها ومادتها يتوقف صدقها على العقل فالتقلي المحض محال اه واذا كان للعقل دخل في كل حجة فكيف ينكر الدين ما دل عليه العقل دلالة قطعية وهو مملوء بالحجج

١٣ - ان فلاسفة العصر بنوا فلسفتهم على اصول ثمانية وحين تأملناها وجدنا من القرآن مأخذها

(أ) الحق لا يتعد ولا يختص بزمان وفي القرآن فمادما بعد الحق الا الضلال

(ب) الخلق بحر خضم لم يصل الانسان الا الى جرة منه وفي القرآن وما اوتوا من العلم الا قليلا وفيه فلا أقسم بما تبصرون وما لا تبصرون وفيه وكأين من اية في السماوات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وفيه وما يعلم جنود ربك الا هو . كل هذه الآيات تدل على عظمة الوجود اعظم مما صورته الاديان غير الاسلام وتدل على تطلب فهم تلك العظمة وعلى الانتفاع منها بالاستكشاف والاختراع وعدم الوقوف عند حد

(ج) العلم راس مال الحياة البشرية فيجب تنميته وفي القرآن وقل رب زدني علما

(د) الانسان خلق قادرا على استخدام الطبيعة في مصلحته فيجب ان يجد في رفاهيته وراحته وفي القرآن سخر لكم ما في السماوات وما في الارض وفيه انك كدحا فملاقيه

(هـ) العلم قوة لا تعادلها قوة وسلاح متفوق على كل سلاح فمن علم وعمل فاز على من لم يعمل ولئو علم وفي القرآن (وقل اعملوا) (وفيه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

سياسة الأمم بالنظام والعدل

ومبلغ تأثير العقوبات في صيانة الحقوق

فطر الانسان من اول نشاته على فكرة الاجتماع وذلك حسب ما تمليه عليه العاطفة نحو من يتصل به من الاهل والبنين ثم اخذت هذه الفكرة تتسع بقدر ما تتعدد الجماعات من البشر وحدث بذلك اختلاف العواطف ، فبعد ان كان الانسان لا يشعر بسوى عاطفة الزوجية حتى فاجأته عاطفة اشد منها واقوى تأثيرا وهي عاطفة البنوة ثم احس بعاطفة ثالثة وان كانت لم تبلغ مبلغ الاخرتين وهي عاطفة القرابة بصفة عامة ثم ما شعر الا ورابعة تراحم تلك العواطف لتحل مكانها من نفسه يليق بها وهي عاطفة الصداقة ، واستمر الانسان ينتقل من حالة الى اخرى كلما تعددت افرادة وتطخمت عدد نوعه ، ومن ثمة تكونت العلاقات بين بني الانسان وتشعبت ، بيد أن هاته العواطف غشيتها من المؤثرات النفسية ما زعزع اركانها ، وضعف سلطانها ، فحلت البغضاء في بعض النفوس محل الوداد وقامت النفرة مقام الائتلاف ، وتلاشى نظام الحياة من جراء ذلك او كاد ، واستعد ذو القوة أو الجأه فبطش بالضعيف ونسي اول خلقه ، وتنازعه عامل المصلحة التي تخصه وعامل العاطفة فأثر الاول على الثاني ولما كانت حياة الانسان مقامة على تبادل المصالح وتدخل كل الاختلال اذا سادت فيها الفوضى والاضطراب ويختل التوازن الاجتماعي اذا ترك المظلوم ينتقم لنفسه من المعتدي عليه كانت الحاجة

(و) الطبيعة هو الكتاب العملي الذي يؤخذ عنه ما يصلح لهدايتنا الى الحقائق المشاهدة وفي القراءان (قل سيروا في الارض فانظروا) وفيه (قل انظروا ماذا في السموات والارض)

(ز) ما اضل الانسان الا الخيال واعطاء الظن حق الحكم على كل شيء من غير تمحيص وفي القراءان (وما يتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيئا) وفيه (وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعوا الا الظن وان هم الا يخرصون) وفيه (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على امة وانا على ائثارهم مهتدون)

(ح) كل فكر وان جل قائله يجب ان يعرض على محك النقد العلمي المدقق وعلى التجربة الحسية فما وافق الواقع فهو علم وما لم يتحقق اعتبر في صف الظنون او الاوهام وفي القراءان (قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين) وفيه (ولا تقف ما ليس لك به علم) فالقراءان من اصوله ذم التقليد والاخذ بالامتحان والنقد والوقوف على الحقائق وخلع ربة الاوهام

فتبين لك من هذا ان قواعد الفلسفة المصرية كلها مأخوذة من القراءان فكيف يقال ان الدين ضدها (يتبع)

ماسة بحكم الضرورة الى تقرير نظم للحياة الاجتماعية تكون حافظة لها من عبث العابثين ، وتقوم بالرعاية والحفظ حتى يسلم بنو الانسان النعين قدر لهم ان يعمروا هذا العالم فجاءت الشرائع السماوية ترى بهاته النظم . كما ان اقواما ممن لم يهتدوا بهدي الرسل اقاموا من أنفسهم نظاما حسبما بلغت اليه عقولهم فحدث في الناس حدث جديد ودخلوا في حياة نظامية وطوقوا بحدود وقيود لا عهد لهم بها من قبل وسنت العقوبات المتنوعة بتنوع الجرائم التي اعتبروها جرائم او عدها الشرع جريمة

واختلفت الآراء في اي النظم اسبق هل هو النظام التشريعي السماوي او النظام الوضعي ؟ وقد شهد التاريخ ونقل ايننا نظاما تشريعية متعددة في ازمة متوالية سارت على مقتضاها امم . كما حدثنا عما بلغ اليه الفكر الانساني من ادراك المحاسن واضدادها والمفاسد التي تنشأ عنها وما سته من النظم الاجتماعية وقوانين العقوبات الى غير ذلك من لوازم الحياة العامة . وأشهر هاته القوانين التي سارت على مقتضاها امم مختلفة في عصور طويلة القوانين الصينية - القوانين الهندية - القوانين المصرية الفرعونية - قوانين الساميين بابل . وآشور . والكلدانيين والحثية والفنيقية واليمنية الحيرية - والعبرية وعد من أشهر القوانين السامية القوانين التي سنها حمورابي وتعرف (بشريعة حمورابي) (١) وكان من بين بنودها في مادة العقوبات ان الانسان اذا خلع عين احد تعلق عينه . واذا خلع سن احد تخلع سنه واذا قتل احدا يقتل واذا خان الموظف او ظلم احدا من الرعية كان جزاءه القتل

وقد عثر الباحثون في السنين القريية على عدد من بنود هذا القانون منقوشة على اللواح وعلى الجدران في برج بابل وعيرة في ارض العراق اين كان الاموريون على ان هاته القوانين التي مزعدها ليست كلها وضعية بل منها ما هو سماوي ومنها ما اقتبست بعض بنوده من الشرائع السماوية

ومنها ايضا القوانين الفارسية واليونانية والرومانية ، ولا يبعد عليك اذا قلنا ان هاته القوانين قد ترجع الى بعضها وان اصول بعضها مقتبسة من الآخر كما يشهد بذلك اتحاد بعض فصولها مرة وتناوبها اخرى وقد طرأت عليها عدة تنقيحات لافرق في ذلك بين ما كان منها سماوي او وضعي ، فقد تحدث للناس اقضية وقواعد ونظم بحسب ما يحدثون من الفجور وطرق المعاملات ، ومن احدث النظم التي يعيش على مقتضاها جمهور الناس (٢) اليوم بالنسبة الى ما كانوا عليه الشريعة الاسلامية والقوانين الوضعية الحديثة . فذلك نظام سماوي اتبعه المسلمون من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم لوفائه بالحاجة التي شرع من اجلها على اكمل وجه بالنسبة الى جميع العصور وفي جميع الاقطار التي

(١) ملك من ملوك الاموريين تاريخه قبل الميلاد بنحو الفين ومائة سنة وكان هو وقومه يعبدون الكواكب من دون الله . واسسوا مدينة بابل وجعلوها عاصمة الملك
(٢) انما قلنا جمهور الناس لان هناك من الامم من لم تزل تحيا على سنن اسلافها من الشرائع القديمة والقوانين العتيقة ولو في الجملة .

عمروها وأقاموا فيها قسطاس العدل الذي شرعه الله لهم وساس به رعاتهم من كانوا تحت رعايتهم وتم لهم بذلك التشريع حفظ المصالح ودرء المفسد

وقد تخلل حكمهم بعض الضعف ولم تنفذ قوانين الشريعة كما يجب فسربت الى الامة عوامل القوضى وتلاشت بعض المصالح ودخل من اجل ذلك اختلال في النظام العام الذي كان مسيجا بسياج الشريعة المتبعة

واعظم اصل من اصول النظام الاجتماعي الذي جاءت به الشرائع وتبعته سائر القوانين الوضعية وادرك العقل انه المحور الذي يدور عليه عمران الكون الا وهو العدل بين الناس فكلما ابتعد عنه الانسان قرب من الوحشية وكلما قرب منه احس بالسعادة .

وبما ان كل اطوار الحياة التي قطعها بنو الانسان مرحلة تلو اخرى لم تكن خطاهم في قطعها متساوية فكان ذلك سببا فيما نشاهد من الاختلاف في حياتهم العامة ويتبع ذلك اختلافهم في فهم القواعد المرعية وفي ادراك الحاجة الماسة لقبول النظم والقوانين ، فاذا كانت الوحشية متغلبة من فرط طول مدة الاهمال لم يكن من الين ادخال الانظمة وفرض القوانين على هذا المجتمع فرضا واذا كانت الاخرى سهل تطبيق القواعد النظامية لسهولة الانقياد من اجل ادراك العقول للمصلحة كلها اقيم عليها الدليل وظهرت بوادر صلاحها .

وانما قلت من فرط طول مدة الاهمال لاني لا اعتقد ان الوحشية والفوضى هما الحالتان اللتان نشأ عليهما الانسان وانما يصير اليهما من اهمال الرعاية وتغلب المصلحة الخاصة من تأثير ما جبل عليه من تنازع البقاء الذي هو سنة عمرانية متفق عليها ، غير ان هذا التنازع مرة يكون لا محذور فيه واخرى يكون الخطر كله فجاء من اجل ذلك سن قانون العقوبات التي تبلغ الى حد القتل على قاعدة بقاء الفاضل .

وفكرة عذاب المجرم قديمة اصلها يرجع الى تشريع الاهي فتدرب عليا البشر واطمأن اليها واتخذها القاعدة الثانية في حفظ نظام المجتمع البشري .

وهنا يتعين علينا ان نبحث في العقوبات والسبب الداعي اليها والغرض الذي ترمي اليه اما السبب الذي دعى لاقامة العقوبات فهو كما قدمنا المحافظة على النظام العام واقامة الموانع حتى لا تتسرب الفوضى الى المجتمع ويقف الانسان عند دائرة خاصة لا يتعداها واذا سطا وتجاوز الحد واعتدى على غيره كان ذلك منه جريمة يعاقب عليها ، واما الغرض الذي يرمي اليه قانون العقوبات فقد اختلفت الاراء فيه وتعددت اقوال العلماء ولشئها الواحد تلو الآخر

الاول ان الغرض من العقوبة هو الانتقام من الجاني . الثاني الاصلاح وردم الناس من الشر

حتى لا يتعدوا الاجرام. الثالث جبر ما انصدع بالجريمة. فهذه ثلاثة اقوال ذهب الى كل قول منها فريق من العلماء وانبنى على هذا الاختلاف اختلاف آخر فيما ينبنى عليها من الاحكام. ولان ثبت نبذة تكشف لنا مبلغ نظريات علماء الاسلام في هذا الغرض تتعلق بنوع من الاجرام وهو قتل النفس عمدا وعقوبته

القصاص بالقتل

لا خلاف بين علماء الاسلام في ان قتل النفس البشرية عمدا بثالة القتل من غير موجب شرعي جناية كبيرة ، وجرم عظيم ، يستحق المجرم ان يعاقب على هذه الجناية وعقابه يكون من نوع الجناية وهو القتل والاصل في هذا قوله تعالى (كتب عليكم القصاص في القتلى) وقوله عليه الصلاة والسلام العمد قود . ثم بعد ذلك تنظر هل القصاص هو العقوبة المتعينة او يصار الى ضرب من التخفيف بدفع المجرم غرامة لاهل القتل وهي الدية . ذهب ابو حنيفة الى ان القصاص هو الحكم المتعين ما دام المدعي من اهل الميت لم يعف .

وذهب الشافعي الى ان الواجب الاحد الدائر لا يعينه القصاص او الدية . وحق الاختيار لولي الميت وهنا يظهر اختلاف الحكم في التعيين وعدمه وذلك يرجع الى امور منها ان القول الثاني اعتبر فيه ان القصاص شرع جابرا وفي كل من القصاص والدية نوع جبر فحكم بالتخير في تعيين الواجب واعطى الاختيار للولي ، واعتبره جابرا من ظاهر لفظ القصاص في الآية وما يدل عليه اصل معناه من المقابلة فيكون هذا في مقابلة ذاك وجبرا لما فات .

واما القول بالتعيين فقد اعتبر فيه الزجر وهو لا يكون الا بالقتل لان القتل عمدا تناهت معه الجريمة فأوجب العقوبة المتناهية وهي القتل قصاصا ، (يتبع)

محمد شاذلي بن القاضى

اربع كلمات باربعة آلاف درهم

روي : ان ذا الرئاستين ركب ركبة لم يركب مثلها في خراسان ، وبين يديه اربعة آلاف سائق والفا حامل قوس ، فلما صار بقرب الماخور برز اليه رجل كان الارض انشقت عليه ، فقال : ايها الامير اسمع تنتفع وتنفع قال : قل ، قال : الاجل آفة الامل ، والمعروف ذخيرة الابرار والبر غنيمة الحازم ، والتفريط مصيبة اخي القدرة ، فدعا الفضل كاتبه وهب بن سعيد بن سليمان بن الحسن فقال : اكتب هذه الكلمات الاربع ، واعطه اربعة آلاف درهم .

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

كيف دخل الزي الاروباوي في العادات التونسية

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

كان اهل تونس القديم لا يعرفون من الازياء غير الزي العربي ويمتاز اهل الحواضر بلباس القفطان والعمامة والطيلسان وهو شعار الشيوخ وكان لبس الحبة الواسعة من الامور المحصورة بين اهل العلم وفي ايام الدولة المرادية ظهر بتونس اللباس المعروف بالمحضور وتاصل رواجه بالدولة حتى كان هو ملبوس اولياء الامر في بحر القرن الثاني عشر والنصف الاول من القرن بعده كما تراه في رسم بالدهن للمرحوم المولى حسين باي الثاني بيت الافراح بسراية باردو فلما كان سنة ١٢٤٦ لبس السلطان العثماني محمود خان الثاني الزي الاروباوي واصدر امرة لولاة الممالك العثمانية ولامراء البلاد الممتازة ومنها تونس باجراء العمل في بلادهم بالانظمة الجديدة التي رتبها الباب العالي وكان في جعلتها للباس الاروباوي (١) والعسكر النظامي فكان حسين باي (٢) السالف الذكر هو اول من خلع الثياب العربية ولبس الثوب الاروباوي اقتداء بخليفة الاسلام ولكن لم تعرف له صورة بالدهن

(١) اللباس الاروباوي اي الافرنجي يبعثه العامة في تونس باللباس السوري نسبة لسوريا وهي اول بلاد شرقية اختلط بها المسلمون بالاروباويين اثناء حروب الصليب

(٢) المشهور بين الناس ان اول من اتخذ الزي الاروباوي من الامراء الحسينيين هو المرحوم مصطفى باي ولعل هذا الوهم انجر لهم من كون مصطفى هذا هو اول من لبس نيشان الافتخار الذي هو من توابع الزي النظامي والحقيقة التاريخية هو ان اخاه حسين باي هو الذي لبسه من قبله كما اتفق على ذلك كتاب تاريخ تونس الحديث ومنهم الشيخ احمد بن ابي الضياف كاتب سر الباي حسين المشار اليه فقد جاء في تاريخه عند تعرضه لرحلته للاستانة في سنة ١٢٤٦ ما تنقله عنه ونص محل الحاجة رجينا (لنونس) في جادى اولى سنة سبع واربعين بعد أن البسنا هناك (يعني في الاستانة) زي العسكر النظامي وجاء معنا رسول بالشعار الملكي النظامي فلبسه الباي في ديوان حافل على العادة واخذ الوزير (يعني شاكير صاحب الطابع) اللباس من يد الرسول وهو الذي باشر وضعه على الباي اهـ بحروفه

اوغيره تمثله بهذا الزي الجديد الذي انتقده الناس في عصره وراوة بدعة وظلاله حتى انهم عثروا ذات يوم في مجلس حكمه على رقيم امام كرسي الملك ففتحوه واذا به قصيدة مجهولة المصدر في انكار ذلك الصنيع مطاعها :

بربك ايها الملك المطاع اكفر ذا الصنيع ام ابتداع

ولكن اهل العلم من فضلاء الشيوخ لم يعتبروا لذلك حسابا فقد تصدى العلامة الشيخ محمد يرم الرابع لنسخ قصيدة من عيون شعرة في تهئة الباي المشار اليه بمشروعه الجليل ننقلها هنا اتماما للفائدة لانه لم يتقدم نشرها بكتب الادب التونسية ونصها :

نظامك ايها الملك الهمام	به للدين قد ظهر ابتسام
نظام يكتسي الاسلام منه	سرورا ليس يحصيه النظام
به نسخت شوائب كل عجز	كما بالصبح قد نسخ الظلام
كان صفوها نظم الدراري	بدت ولكل واحدة حسام
اذا ما شاهدت عيناك منه	مسيرا فيه ذل واحتشام
رايت البحر يزخر فيه موج	ينار قد غدت ولها اضطرام
وقد خفقت لهم رايات عز	تشير بان جندك لا يضم
فانك فوق هذا الدهر تاج	وحسن التاج يكسبه النظام
الا يا ضيغم الاسلام يا من	بعز مقامه تعلق الانام
سبقت الى الفاخر كل ملك	فمالك مشبه فيما يرام
وهب ان الملوك سمو اليها	وكل بالوصال له غرام
فعا ضربوا من العليا بهم	وان طاروا حوالها وحاموا

وقال الشيخ الباجي المسعودي في الخلاصة النقية عند ذكر مئثر حسين باي ما نصه :
ووافته الخلة النظامية السلطانية في جمادى الاولى من سنة ١٢٤٧ هـ صعبة رسلة (اي رسل الباي) الى الدولة العلية الداي مصطفى البلهوان كبير حواسب الترك وكاتب السر ونخبة الكتاب ابي العباس الشيخ احمد بن ابي الضياف وكان لباسه لها في يوم مشهود ومحفل عظيم وامر حينئذ رجال دولته واتباعه بلباس النظام تسارعوا له في امره اهـ بحروفه

وقال المؤرخ هوكون الفرناوي في كتابه المسمى « شعار بابات تونس » في ٢٣ دجنبر ١٨٣١ عرف قنصل فرنسا بتونس مازيو دي لاسابس بوصول شاولش (مبعوث) من اصطنبول لبلاط باردو حاملا لحسين باي خطا شريفا في تأكيد ولاية الباشليك وخطا اخر في الامر بان اللبس الجديدة التي تزي بها السلطان يقع لبسها في الايالة وهذه عبارة ما عرف به القنصل : قد ظهر الباي بين الناس لابسا كسوة الباشا وبه اقتدى حتما الوزراء واهل البلاط وكل الذوات الذين لهم علاقة بالدولة وهذا اللباس الجديد الذي هو بدعة نظره جيش الترك (يعني جيش الانكشارية) واهل البلاد بعين السخط اهـ بنصه

لأنك في الملوك عزيز اصل وانك قد سهرت لها وناموا
 بقيت كما تحب عزيز ملك محلك من ذرى العليا السنام
 ولا زالت وجوه الناس تغنو لعزك كلما صاح الحمام
 ومني كلما هبت شمال على علياء حضرتك السلام

ولما التحق المولى حسين باي الثاني بالدار الآخرة في سنة ١٢٥١ سلك مسلكه في لبوسه الرسمية اخوة المولى مصطفى باي وعلى قياسه كانت لبوس اهل الدولة لكن عامة التونسيين بقوا على حالتهم القديمة في مدة هذا الباي وكذلك في مدة ابنه المشير احمد باي الاول غير ان مدة هذا الامير التي استمرت ثمانى عشرة عاما كانت موسومة بظهور مبادي التمدن العصري بتونس الامر الذي هيا للايالة التونسية محاولة السير مع تيار الحضارة الاروباوية ووافق ذلك ايلولة كرسي الامارة للمشير الثاني محمد باي وكانت مدته قصيرة الا انها امتازت بتاصل العلايق بينه وبين مبعوث فرنسا القنصل ليون روش المستعرب المشهور وهذا غرس في نفس الباي حب القانون والتشبه بالامم الراقية فابتكر سموه مشروع عهد الامان وبمقتضاه جاز لليهود التملك العقاري ولبس الشاشية الحمراء وكانوا قبل ذلك لا يملكون العقار ولا يلبسون غير القلنسوة السوداء اما كساءهم الخاص باللون الرصاصي فانه انجر لهم من اسلافهم في عهد الدولة الحفصية وكانت التسوية في الحقوق بين عموم سكان الايالة التونسية حسبما اقتضاه دستور عهد الامان فاتحة باب تسهيل التفرنج على اليهود وهم اهل تطوير وتشبه بالعناصر الحية في كل زمان ومكان وكان بينهم الكثير من ابناء عمومهم نسيلي اسبانيا ولاسيما ايطاليا حيث مدينة القرنة ومنها كانت يفد على هذه الديار اطباء والصيدالة وغيرهم من مفكري اليهود وارباب المساعي ذات الالوان والاشكال المختلفة ومنهم سماسرة السوء الذين لعبوا شوطا فسيحا بهذه الديار وامتازوا بالرقص في ظل معابر دواوين الدولة في الدور القديم فكانت العنصر الاسرائيلي في عهد الدولة الصادقية شديد العلة بالتمدن الاروباوي وكان الكثير من ابناء البيوتات اليهودية متزينين باللبوس الاروباوية ولكن لم يقدم على الاقتداء بهم في لبسهم اي نفر من التونسيين المسلمين بحيث ان اللباس الاروباوي بالنسبة للاهالي المسلمين كان خاصا باهل الدولة كضباط الجيش ومتوظفي الحكومة ومنهم طائفة الكتاب فكان لبس هؤلاء في ساعات العمل هو السترة السوداء والسر اويل الطويلة مع الشاشية المعروفة بالكالبوش على انهم كانوا يخلعون هاته اللبوس عند رجوعهم لبيوتهم ويعودون للباس القفطان والحلة الواسعة والعمامة ناهيك ان بعضهم لم يقدر على التكلف بترك عمامته فاعفاه الباي من لبس الشاشية الكالبوش كالكتاتيب الاديب الشيخ محمد الطاوي فانه كان يتزي بالزي الاروباوي مع ابقاء راسه متوجا بتاج العرب وقد وقعت لهذا الاديب المغربي على شيء من شعرة الرقيق من ذلك ابيات لطيفة في وصف بلد نابل مطلعها :

الى نابل يشاق كل نبيل الى حيث معنى الانس غير محيل
ومنها

فماشيت من روض اريض ومنظر نضير ومن ظل هناك ظليل
تجمعت الاهواء فيها فحيثما حلت تلتقاك الهوى بقبول
الى ان قال في تمجيد وادي السحير
فيا وادي السحير (١) رواك صيب كدمع لذي شوق اليك طويل

والكلام هنا قاصر على الوجهة التاريخية فلا مبرر لاطالة القول من الناحية الادبية لذلك تقول ان الزي الأروباوي اخذ في الانتشار بين اغلب اهل الحواضر التونسية في عصر الحماية تبعاً لناموس اقتداء المغلوب بالغالب في بزنه وأخلاقه ومعاشه (٢) وتفشى اتخاذها بين الخاصة والكافة سواء في ذلك اصحاب الحشيات والوظائف وغيرهم وصاروا يعتنونه باللباس الطلياني وهو تعرف يهودي الى ان تناولته الالسن في كل مكان وتغنى به اصحاب الشعر الملحون كما في قولهم

يا حبيبي يا مزيان * لابس كسوة الطليان
ما يكسبني حتى ريال والسيشارة في فمو

وفي آن واحد عم الشبان التونسيين لبس الشاشية المجيدي (٣) وتقاصر شان الشاشية التونسية كتقاصر العمامة التي سيؤل امرها فيما يلوح للتقاصر والتراجع وكأنها ستبقى وقفا على اهل العلم فعلمهم ان يجتهدوا في ابقائها على ضخامتها الاصلية التي لا يوافقها من الالوان غير البياض الناصع وان لا يشاركوا في اسباب تضاولها حتى لا تصبح الكشطة (٤) كشيطه، والهررة هريرة، وتعالى بعض الشبان التونسيين في التشبه بالنصر الاقوى فكشفوا عن رؤوسهم في الطرقات العامة قياسا على مساكنهم من الأروباوين واليهود وكانهم غفلوا عن نتيجة هذا الاندماج، واذا استفحل الداء عن العلاج،

محمد بن الحوجه

(١) لفظ السحير المشتق من السحر رسمته ادارة الاشغال العامة في خريطة الطرقات العمومية بلفظ السحيل المشتق من الساحل ولعله اقرب للحقيقة لوقوع مكانه على مقربة من البحر فليتامل

(٢) هذا الناموس وفلا حقه المؤرخ ولي الدين ابن خلدون في مقدمه فليرجع اليه

(٣) نسبة للسلطان عبد المجيد خان المتوفى سنة ١٢٧٧

(٤) مغرب من كشته في اللغة التركية ومعناه عمامة على حد قول سحيم

انا ابن جلا وطلاع الثنايا متي اضع العمامة تعرفوني

« تونس في القرن السابع »

« كما يصفها ابو عبد الله محمد بن احمد العبدري في رحلته »

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيقري

- ٢ -

علماء تونس وفضلاؤها

يقول في الاشادة بهم ما نصه واهلها ما بين عالم كالعالم ، رافع بين اهله للعلم ، ومعطل حد الضبا بحد القلم ومسلم على ريع بذى سلم ، شاك من وجده فرط الالم ، ويقول في شأنهم ايضا حين مرورة بتونس ذاهبا الى الحج ما نصه وبها من اهل الرواية عدد وافر ، يجلو الفخار بهم عن محيا سافر ، وبين علمهم وقد اقلت ذكاء يمينها في كافر ، ولكنه لم يتض لي حين ورودها ، ان اقضي الوطر من لقاء جميع مذكورها وهدودها بسبب وظائف السفر ولوازمه ، واقتصار معرفه على اعمال جوازمه ، وكان حكم السفر حيث قد استمر وتمادى ، فلم الق بها من اهل العلم الا آحادا ، ثم ذكر جملة منهم ، وعند قفوله من الحج ومرورة بتونس قال في وصفهم ما نصه : وقد اقمتم بها مدة حتى شفيت الحشى الغليل ، وتفعت بوردها الغليل ، وقطعت فيها الغدو والاصيل ، بمجالسة كل فاضل جليل ، فمأ ، نفصل عن عالم يوضح الحلك مهما اجاب ، الا الى صالح به در السحاب ، ولا اغدو عن محاسن أدب كقطع الرياض ، الا لمحفل وعظ يسقي الحدود بالدمع الفياض ، فقطعتها اياما من غفلات الدهر مخنسلات ، وانتظم لي بها شمل أنس طالما مني بالشتات ، فلم يبق بها شيخ مذكور الا رايته ، ولا عالم مشهور الا اتيت به ثم ذكر جملة منهم (الادب بتونس)

يظهر ان للادب بتونس في عصر صاحب الرحلة سوقا نافقة ولاهلها به اعتناء وتهتم فتوى العبدري يذكر ما اخذ عن ادباء تونس من الشعر وما تدارسه عنهم من كتب الادب محليا ذلك بذكر سنده الذي يصل من رواه عنه بقائل ذلك الشعر او مؤلف ذباك الكتاب كما يذكر سند كتب الحديث التي رواها عن علماء تونس فتراه يذكر انه قرأ مقامات الحريري على ابي الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي حدثه بها عن الشيخ الفقيه العالم ابي عمرو عثمان بن سليمان التميمي سماعا عن ابي الحسن ابن جبير سماعا عن ابي الطاهر الخثوعي عن الحريري ويذكر ان ابا الحسن التجاني حين قرأها عليه كان ينقدها فقد محقق وانه ذاكرة في مواضع عدة كان يعقبها فأثبت ابو الحسن قوله فيها واستحسنه كما ذكر انه أخذ عنه المقامة الدوحية حدثه بها عن الخطيب ابي محمد بن برطلة قراءة عن ابي زكرياء يحيى بن حسان القرطبي وحكى ايضا انه قرأ كتاب المذهبة في الحلى والشيئات على

الفقيه الاديب الفاضل ذي العناية والتهم ابي عبد الله محمد بن عبد المعطي بن محمد النفري شهر بابن هريرة حدثه بها عن الشيخ الفقيه العالم ابي الحيش محمد بن ابراهيم بن احمد الانصاري قراءة وعن ابي اسحاق ابراهيم بن محمد الازدي كلاهما عن ناظمها الشيخ الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن عيسى ابن اصبح بن المناصف رحمه الله ، ويذكر ايضا انه اخذ عن ابي الحسن التيجاني قصيدة الشيخ الحافظ ابي عبد الله القضاعي (يعني ابن الابار) التي امتدح بها الامير ابا زكرياء بن عبد الواحد ابن ابي حفص قال وهي مشهورة اولها
ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبل الى منجائها درسا

حدثه بها عنه سماعا وانه قرأ عليه ايضا قصيدة الشيخ الاديب الاوحد الفاضل ابي الحسن حازم بن محمد بن حازم الاندلسي القرطاجي وهي المقلوبة من قصيدة امرئ القيس في مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم قال وقد اجاد فيها وابدع ما شاء ورام الصعب فضارع الانشاء وهي مما ينبغي ان يقيد ولا يمل ولذلك اردت اثباتها في هذا الموضع مستخيرا لله سبحانه وقد حدثني بها عن منشيها المذكور وهي

لعينيك قل ان زرت افضل مرسل قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل
وفي طيبة فانزل ولا تغش منزلا بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وساقها على طولها ، ويقول انه قرأ قصيدة الشيخ الفقيه الصالح ابي زكرياء يحيى بن علي الشقراطسي التوزري على الفقيه الاديب ابي عبد الله ابن هريرة حدثه بها عن شيخه الفقيه القاضي ابي عبد الله محمد بن علي بن عمر بن علي التوزري الشهير بالمصري قراءة منه عليه عن الشيخ الفقيه ابي عبد الله محمد بن ابي يحيى الطواني عن (كذا) الشيخ الفقيه القاضي ابي عمرو عثمان بن ابي القاسم عبد الرحمن بن حجاج عن الشيخ ابي محمد عبد العزيز بن عمر بن حمادي (بفتح الحاء وتخفيف الميم) عن الفقيه الخطيب المحدث ابي القاسم عبد الرحمن بن محمد بن احمد النفطي عرف بابن الامام وبابن الصائغ عن الشيخ الامام ابي عبد الله محمد بن يخلف بن وطاس بطاء مشددة عن ناظمها قال وقد رايت ان اثبت القصيدة هنا بجملتها بحول الله تعالى وهي هذه

الحمد لله منا باعث الرسل هدى باحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر وافضل الخلق من حاف ومتعل

وذكرها على طولها ثم قال قد ابدع هذا الناظم رحمه الله فيما نظم، وشرف هذه القصيدة بقصده الجليل فيها وعظم، فراقت معنى ومنظرا وشاقت حسا ومخبرا، فهي كما وصفها، ابو عبد الله المصري حيث قال يست من معارضتها الاطماع، وتعتقد على تفضيلها الاجماع، فطقت ارجاء الارض، واشرقت منها في الطول والعرض، على انه رحمه الله قد اكثر فيها لاجل الصناعة التصنع، وتكلف منها ما هو بعيد المرام شديد التمنع، واعترض في كل معنى عرض ، وربما اغرق النزع فخالف الغرض ، كقوله

فويل مكة من آثار وطأته . وقوله - وحل بالشام شؤم غير مرتحل
وما جرى هذا المجرى من كلامه رحمه الله ولكن قصيدته بالجملة قد حلت من البلاغة في يفاع
ممنع ، وجلت وجها زهلا الحسن إن يتنفع ، فإن انكرت من وصفها قولا ، أو سمعت في مدحها تخصيص
لولا ، احدثت متاملا وانشدت متمثلا

ما سلم البدر على حسنه كلا ولا الظبي الذي يوصف
البدر فيه كلف ظاهر والظبي فيه خنس يعرف
وقد ولع بها الناس كل الولوع ، واستحسنوا في محاسنها كل مفرق ومجموع ، وعنوا بها شرحا
وتخميسا وغنوا بها معبدا انيسا هثم ذكر ما صدر لها من التخميس عن ادباء اريقية وجميعها قراءة منه
على ابي عبد الله بن هريرة المتقدم حدثه بها عن اصحابها اجازة ومناولة ، وذكر انه قرأ عاياه ايضا تخميس
ابي عبد الله المصري للهفرجة قصيدة الشيخ الفقيه العالم الصالح الاوحد ابي الفضل يوسف بن محمد
المعروف بابن النحوي وقد دوسمه بعجالة الروية في تسميط القصيدة النحوية قال وهي قصيدة مشهورة
تسمى ام الفرج وكان بعض الشيوخ يحض على حفظها واخذ النفس منها بحفظها وذكر انه اخذها عن
ابي عبد الله بن هريرة عن الاديب ابي عبد الله محمد بن يونس بن عبد الرحمن البتاتي التونسي قراءة
لها عليه عن الفقيه ابي العباس احمد بن علي بن ابي بكر الحيري القلعي يعرف بالبلاطي عن الفقيه
الامام ابي محمد عبد الله بن ميمون بن محمد بن الغنام القلعي عن الفقيه الامام الصالح ابي عبد الله محمد
ابن عبد المعطى ويعرف بابن الرماح عن ابي الفضل بن النحوي ثم ذكرها مع تخميسها ونص طالعها
يا من يشكو ألم الحرج ويرى عسرة قرب الفرج
ابشر بشذى فرج ارج اشتدي ازمة تنفرجي
قد آذن ليك بالبلدج

وساق جميعه . ويقول انه قرأ على ابي العباس بن السكمان ممن لقيهم بتونس ايضا قصيدته في
مدح النبي صلى الله عليه وسلم التي تزيد على الثلاثمائة وعشرين بيتا وهي التي جمع فيها معجزاته عليه
الصلاة والسلام ووسمها بخلاصة الصفات في خصائص المصطفى قال وهي مهذبة منقحة لا حشو فيها البتة
ومطلعا

لاحمد خير الخلق أهدي تحيتي	محمد الآتي بحكم وحكمة
مدحت رسول الله والمدح دونه	ولو ملا المداح كل صحيفة
ولو كان كالبجر المحيط مدادة	وكالشجر الاقلام ما قط جفت
يمد مدى الدنيا بسبعة ابجر	لما بلغت من مدحه عشرة حبة
كفاك ثناء الله في الفتح والضحي	وتكريرة اياه في غير سورة

وذكر جملة منها ، ولا ريب ان فيما نقلناه عن صاحب الرحلة دلالة واضحة على مبلغ العناية بالادب في ذلك العصر وعلى نفاق سوقه بتونس
(شعراء تونس وادباؤها)

ذكر منهم في غصون كلامه جملة فحول (منهم) ابو الحسن علي بن ابراهيم التجاني المتقدم ذكره
فمما اورد له من شعره ما حكاه عنه قال - اخبرني الشيخ الاديب الفاضل ابو الحسن التجاني بشعر
تونس كلالها الله انه وقف على الروضة شرفها الله واذا في استارها مكتوب

هنيئا لكم يا زائرين ضريحه امتتم به يوم المعاد من الرجب
وصلتم الى قبر النبي بطيبة فطوبى لمن يضحي بطيبة او يمسي
قال فقال لي بعض من حضر زد عليهما شيئا فقلت ارتجالا توطئة للبيتين
قفوا سلخوا هذا ضريح محمد اما تبصرون النور اهبى من الشمس
وصلوا عليه واسئلوا وتوسلوا الى الله بالمبعوث للجن والانس
هنيئا لكم البيتين ، ومن شعره ايضا ما رواه عنه قال انشدني لنفسه
حدثني ابخر اضحى بما اهدى الى الاذانب اذاني
كانما في فمه حيفة او شعرة من لحية الداني
قال وانشدني ايضا لنفسه

يا من اذا اودع سرا فلا دين له عن نشره يردعه
كالبوق ان اودع فيه فم الطف ربح ذاع مستودعه
قال وانشدني ايضا واظنه لنفسه

رغيف أبي علي حل خوفا من الاضياف منرلة السماء
اذا كسروا رغيف ابي علي بكى يبكي بكاء فهو باك
(ومنهم) اخوه الفقيه ابو حفص عمر بن ابراهيم التجاني اورد له من شعره قوله
سرك ان اعلمته ثانيا فاعلم بان قد آن ان تفشيه
لان ما اضممر في حالة الـ افراد تستخرجه التثنية

قال العبدري وهذا الاستدلال بالتمثيل نحوي مليح مناسب جدا يدل على طبع فاضل ومقول
فاصل اه (ومنهم) ابو عبد الله محمد بن هريرة المتقدم ايضا قال في شأنه ما نصه لقيت منه خيرا فاضلا
صدوقا ذا مروءة واخلاق جميلة وله عناية بالتاريخ وحظ من الادب ومشاركة في غير فن افادنا
وافدناه وجالسته كثيرا وناولني كتابه الذي جمعه في وفيات المشاهير من اهل كل فن ومواليدهم وتنف

من اخبارهم واسمعني مواضع منه واجزني بسائرة وهو كتاب مفيد اولاً انه لم يرتب على ما ينبغي (ومنيهم) العلامة الامام قاضي الجماعة بتونس ابو العباس احمد بن القماز . ذكر ان مما اخذه عنه كتابه المسمى مفاوضة القلب العليل على طريقة ابي العلاء المعري في ملتقى السبل . قال ومما قرأته عليه في حرف الكاف من مفاوضة القلب العليل

يا راكبا في نيل لذاته	مسالكا يعي بها السالك
غرتك دنيا منقض شانها	وانت لابد لها تارك
خلاصة سلاية للسني	اصدق ما غرت به افك
ما مكنت من وصلها طالبا	الا انشت وهي له فارك
حذار ان تلقى غدا باكيا	من طول ما أنت بها ضاحك
شاقك وجه في الدحي نير	اسود في عين الحجا حالك
ملكته رقت لم تدر ان	قد خسر المماوك والمالك

واورد له غير ما ذكر من شعرة الرائق (ومنيهم) ابو العباس احمد بن عمر بن ميمون الاشعري يعرف بابن السكان (وسنقل ما قاله في شأنه بعد) اورد له من شعرة . قوله

ازكي الخليفة خلقا عند خالقه	ذو حرفة تن سؤال الناس تغنيه
وخير ما اتصف العبد التقي به	في دهره تركه ما ليس يعنيه

واورد له ايضا قوله

من كان يرجو الخلق في حاجاته	خان الذي يرجى وخاب المرتجي
فاقصد الا الخلق اما حاجة	عرضت فباب الله ليس بمرتجى

قال وانشدني ايضا لنفسه

يقولون لي ان الشهادة مكسب	ولم تشتغل يوما بصرف المنى لها
قللت لهم لي في الشهادة مذهب	انا في سبيل الله ارجو منالها

وقد اورد له غير ما ذكر

(شواعر تونس)

لما ذكر ان معن لقيهم بتونس من الفضلاء ابا الحسن التجاني قال في شأن بيت التجاني - ان بيتهم بالعلم شريف شهير وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر - ثم ذكر ان ابا الحسن التجاني انشده لامرأة من اهل بيته لم يسمها ملغزة في اسم تميم

يقولون لي هذا حبيبك ما اسم	فما استطعت افشاء وما استطعت اكرم
قللت اسم ميم وحرف مقدم	فذا اسم من اهوى فديتكموا افهموا

قال وانشدني لها ايضا في صفة شعر

اذا انسدت منه عليها ذؤابة	كفصن اراك عانق الغصن ارقم
ايث طويل فهو يستر جسمها	اذا نزعته عنه الملابس اسحم
كان الصباح ارتاع من خوف طالب	بثار فاضعى بالدحي يتكتم

(يشع)

العلم

رثاء فقيده العلم الامام محمد الصادق النيفر*

تأمل جبال العلم كيف تمور
وكيف مصابيح الهدى قط ضوءها
قفوا خشعا من سطوة الموت واعجبوا
وكيف الشموس المشرقات تغور
فريعت صدور للعلاء صدور
لطود على هام الرجال يسير

ايا قوم هذا الميت عصر بذاته
عصور بها للعلم عرش مشيد
عصور درى اهل الحجاجر مجدها
مطالع انوار الفضيلة والهدى
اذا غاب منها نير لاح نير
رعى الله هاتيك العصور فكم شدا
اذا انساب سيل العلم من نبع صدره
وان مارسا للعلم بكشف سره
سلوا كعبة الخضر اسوا موئل الهدى
وفي كل وجه غرة من جلالهم
اذن فلتقض عين الزمان فخطبه
ونكبتة في الصادق النيفر الرضا
مصاب اصاب العلم في ام راسه

ايا صبح يوم باكرتنا نعاته
فلجت بوجه حالك اللون اغبر
وهضت جناحا كان للسبق حائزا
وقوضت صرحا ينطح النجم رعه
فيا لك من يوم عصيب على النهى
فهذى وجوه القوم جللها الاسى
ترى النعش مرفوعا على هام موحها
وتسمع البابا من الشجو خفقا

افاتك من يوم الزفاف سرور
ولخط بنيران العدا ينفور
اذا استبقت للمكرمات نسور
يشع بلالاء الحجا وينير
به الطرف هام والفقؤاد كسير
وذا دمعهم حول السرير يحور
فيبدو ويخفى تارة فيفور
تكاد من الحزن العميق تطير

* فيجت النوادي العلمية عموما والمعهد الزيتوني خصوصا بموت شيخ الشيوخ العلامة
الامام استاذنا محمد الصادق النيفر فعم الاسى طبقات الامة فنعزي فيه عائلة العلم كافة . وسنلم
بترجته الوافية في العدد القابل بحول الله

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب الشاب السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

(١)

سادتي الفضلاء

انه من اقدس الفروض ان اقدم كلمة شكر قصيرة الى هيئة التعليم العربي . راحيا ان تبلغ عني
بعض ما اشعر به من عظيم المنة والولاء ، واني لاحيىكم جميعا واحبي هيئة المعلمين باسم الادب العربي
فما اجتماعكم اليوم في هذه القاعة الحافلة . الا علامة حب مكين واخلاص صادق للادب العربي ،
والامة بخير ما دامت تقبل على آداب لغتها اقبال تشجيع وإكبار وحرص على الحياة والبقاء
وحياة الادب العربي حياة ناطقة . لافظة . فائضة . ان استلهمت العقول اوحث اليها بالمعجزات
الخارقة . وباسرار المجد العتيق . وخير ما نستطق به هذه الحياة الفيحاء . انما هو الدرس .
والتحصيل . والنقد .

وهاهو ذا نقيب هيئة المعلمين العربي . يتحدث اليكم عن عزمه وعزم معلمي اللغة العربية الذي
اعتزموه من انشاء « نادي المعلمين » . لقد تيمنت بحديثه وتسعدت منذ صارحنى بهذه الفكرة الحسنة
التي تجسمت في عقول المعلمين . وازددت انشراحا بها وغبطة ساعة علمت ان النادي سيكون قبل كل

وتلغي عقولا فجر الشيخ درها عليهم افلاك العلوم تدور

ايا عام الخضراء في فقه مالك
ومن ذا يوفي شرح كل عويصة
ومن ذا بتدريس الاحاديث يعتلي
ومن يزوري قسا بآيات لفظه
ففي كل صدر من جميلك صفحة
فلو جحدت يوما جميلك السن
واطرت مزايك الجسم حجامع
تجمع فيك العلم والفضل والهدى
حييت ملاذا ثم وليت تاركا
وما مات من شاد القرائح والنهي
فم يا فقيد العلم نومة صابر

ان بعدك القول المبين يصير
اذا اشكلت عند الشيوخ امور
علاك ومن ذا في البيان قدير
ومن ذا بأسلوب الخطاب بصير
وفي كل قلب من جدك سطور
لفاضت بآيات المديح صدور
وخصتك بالشكر الجزيل دهور
ويتك بالمجد الاثيل شهر
فيحولا بهم طرف العلاء قريب
وخلف امثال الخلود تسير
جزاؤك عنها جنة وحرير

الطاهر القضاة

شيء نصير اللغة العربية . والادب العربي . وهيئة التعليم خير من تصدى لاقامة هذا النادي ويستشرف ويرشح له . اذ المعلوم هم رسل اللغة والادب والعلم والدين والتربية الحازمة في كل امّة . ولولا الخشية من ضيق الزمن لذهبت اتحدث اليكم بهذه الذكريات الحلوة الثمينة التي اشعر الآن بازدهام صورها في خلدي . هي ذكريات « نادي دار العلوم » ذلكم النادي الذي كان وما يزال برغم ما يلاقه مصدرا لماجد في مصر من نهضات الرقي في الادب واللغة والتربية والاجتماع . . ويشرفني بعد هذا ان اكون ممن يعمل خالصا مخلصا لتحقيق هذه الفكرة . وادعو الله من صميم قلبي ان يقرب تلك الساعة التي نرى فيها « نادي المعلمين » على خير ما يصفه الرجاء وتحدث به الامال .

با أيا السادة

اخترت التحدث اليكم في موضوع العاطفة في الادب العربي . وفي البدء التمس . من حضراتكم غفران خطأ صغير تعمدت اتيانه في عنوان هذا الحديث . اذ قد ابحث لنفسي اختيار كلمة العاطفة للدلالة على ما يعرف في علم النفس « بالانفعال » واحسب ان غيري من شيوخ الادب الذين تلقينا عنهم كانوا يرتكبون مثل هذا الخطأ الصغير . فيطلقون كلمة العاطفة في دراستهم الادبية على ما يعرف في علم النفس بالانفعال . وليس لدينا جميعا ما نبرر به صحة هذا الاستعمال سوى شيء واحد لعله ينفعنا اذا ما إتخذنا عذرا . ذلك ان كلمة العاطفة اكثر شيوعا وتداولاً بين الادباء والمتأدين من كلمة الانفعال . ولان لفظة العاطفة كيفما اطلقت في مناحي الاحاديث المدرسية وخاصة ما كان منها حائما حول هذا الفن الرفيع فن الشعر والنثر فانما تعين في اذهان الادباء معنى الانفعال في صورة من صور التباينة المختلفة . فكأن الادباء تواضعوا على اختيار هذه الكلمة . وكأنهم استحسنوا خفة استعمالها فاطلقوها على ما يعترى النفس الانسانية من ذلكم التموج حينما تثار لسبب قوي يغشاها بفيض من غمرات الوانه الزاهية القائمة . الناصعة الحالكة . الزائفة الثابتة . ويبعث في سريرتها ثورة النشاط فتنتطق صارخة بلايغ البيان وتنفس معبرة عن احساسها بالشعر الرائع والنثر الحكيم وبما هو اصدق من الشعر والنثر من انغام الموسيقى المزهفة الصادحة . ودائع النحت المائلة الواضحة . وانشيد الاغاني السحرية الفاتنة . مما لا يكون منبعثا الا عن نفس مثقلة بالعواطف وروح قوية الحسى قوية الشعور ونحن تلقى هذا الوحي العاطفي بكل ما فينا من تعطش ورغبة واخلاص وحرس ومازلنا نقبل عليه . وتعلق به . ما دام يمثل لنا تمثيلا صحيحا صورا واضحة تامة من صدق العاطفة وقوتها وعمقها . وما دام يملأ قلوبنا بما يملك علينا الحس والشعور من تلك المعاني القدسية التي غمرت خاطر الاديب وطفحت بها قريحته المتوهجة . فسالت على لسانه شعرا بديعا او نثرا محكما يعبر عن سر من اسرار هذه النفس الانسانية الحائرة . او يكشف قناع الغموض عن حقيقة من حقائق هذا الوجود الصاحب بما فيه من تناقض وضلال

ذلكم هو الادب في ادنى درجات اعتباره . وفي اخص حدوده . وفي ايسر ما يفهم من مقاييسه النقدية . صورته في هذه العبارة الجلمة . ليتضح لنا ان العاطفة هي العنصر الاصيل لهذا الانتاج الذي نسميه ادبا . ونحاول أخضاعه للدرس والتحليل لنعرف مكان حسنه وجماله ومقدار قوته ومثاقته . ثم لنعرف ايضا مكان قبحه وتناقضه ومواطن ضعفه ومهاته لنحكم له او عليه بالخلود والابدية . او بالتلاشي والموت القريب .

وليس من شك ان عمل الناقد البصير بفنه المخلص لدرسه . هو ذلك العمل الذي لا ينتهي الى غاية اصدار الحكم فحسب . بل يتجاوز هذه الغاية الدنيا الى غاية اخرى ابعدا منالا واشد عناء واكثر فائدة ونفعا اذ عليه ان يخلص للادب وللحياة ويحاول التوفيق والملاءمة بينهما ما استطاع الى ذلك سبيلا . وعليه ان يتجه بهذا الادب الى اقدس المبادي واسمى المثل ليقربه من الرفعة والكمال المنشود برائد من رشاد نقده . وصحيح بحوثه ودرسه . وهو لن يبلغ هذه المكانة العليا من التمييز والتوجيه . الا اذا كملت في نفسه حذقة الفن . واصبح ذا بصر بهذه المقاييس النقدية . التي تواضع المحدثون على اتخاذها سندا يعتمدون عليه في الدرس وتمحيص وفي النقد والتوجيه .

وسهل علينا بعد هذا الاجمال الذي اوضحنا بتحصيله معنى الادب . ومهمة النقد . وما يقوم به النقاد من عمل جليل خطير . ان نعرض بالجواب المفصل لهذا السؤال . الذي بدأنا نشعر به يتشنى في صدورنا . وهو : اين تنفق قوة العاطفة وصدقها ؟ وفي اي منحي من المناحي نشهد ثورتها وطغيانها ؟ هل نتجه في بحثنا عن العاطفة الى الاديب الشاعر او النثر ؟ ام الى نفوس القراء والسماعين ؟ ام اننا ننصرف انصرافا عن هذه وتلك . لتتجه الى ناحية اخرى محدثة . هي ناحية هؤلاء الممثلين الذين يعرضون على انظار الجمهور فوق خشبة المسرح تلك القطع الادبية . فيبدعون في اجادة تمثيلها والقاء فصولها في شيء غير قليل من الروعة والتأثير ومن القوة والصدق ؟

ولو شئنا اختيار لفظ آخر لتحديد مدلول السؤال وايضاحه ايضا بقرينه من الاحاطة والحصر لكان لنا في ذلك . ان نقول بعد استعراض هذه القطعة الباكية . من شعر مالك بن الريب التميمي . التي قالها وقد احس بالموت ينازعه في اغترابه . بعيدا عن اهله ووطنه .

الايات شعري هل ابيت ليلة	بجنب الغضى ازجي القلاص النواحي
لقد كان في اهل الغضى لو دنى الغضى	مزار ولكن الغضى ليس دانيا
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ما شى الركاب لياليا



تذكرت من يبكي علي فلم اجد	سوى السيف والرمح الرديني باكيا
واشقر خنذيذ يجرح عنانه	الى الماء لم يترك له الدهر ساقيا
ولكن باطراف السمينة نسوة	عنيز عليهن العشية مابيا

صرب على أيدي الرجال بقفرة
ولما تراءت عند منرو منيتي
أقول لأصحابي أرفعوني لأنني
فيا صاحبي رحلي دناء الموت
أقيما علي اليوم أو بعض ليلة
وقوما إذا ما استد روحني فهيا
وخطا باطراف الاسنة ضجعي
خذاني فجرائي ببردي اليكما
يسوون لحدي حيث حم قضائيا
وخل بها جسمي وحانت وفاتيا
يقر لعيني ان سهيل بدا ليا
فانزلا برابية ، اني مقيم لياليا
ولا تعجلاني قد تبين مايبا
لي السدر والاكفاف ثم ابكينا ليا
وردا على عيني فضل ردائيا
فقد كان قبل اليوم صعبا قياديا



السنا نسمع في صرخات هذا الشاعر صوت الالم ناطقا باصدق ما يقال في تصوير حال الغرب
المحب الحريص على الحياة ، الضنين بلذة العيش في ظلال الغضى ، وفي مساكن القوم بجوار الغضى ؟
السنا نسمع في لثاث انفاسه الضعيفة الخافتة ، ندبات الحزن شاكية قساوة الموت النازل به في غربته النازحة
وانقطاعه البعيد ؟ ثم السنا نجد في قرارة نفوسنا اصداء تلك الصرخات وهذه الندبات تدوي دويًا
يشير من مشاعرنا عاطفة التحنن الحادب ، والرحمة المترققة بالبأس المسكين ؟

فهذه قصيدة رثاء دون شك ، وهو ليس من نوع الرثاء المألوف اذ قد رثي فيه مالك بن الريب
التميمي نفسه فصور الكارثة كما كان يراها ، وكما كان يرى نفسه في غمراتها المظلمة . .

فاذا حاولنا درس العاطفة في هذا القصيد ، وتعرضنا له بالنقد ، فهل ننقد عاطفة مالك بن
الريب التي عبر عنها بما انشأ من قول ؟ ام ننقد عاطفتنا وقد قرأنا وسمعنا ، فتأثرنا تأثرا اثار في
خفيا نفوسنا عاطفة مكتظة طافحة بالمعاني الحزينة الباكية ؟ ام اننا نرحىء البحث الى حين حتى اذا ما
مثلت القطعة على خشبة المسرح حاولنا نقد العاطفة من جديد وجعلنا الاعتماد في ذلك كل الاعتماد
على قوة العرض وقوة التمثيل ؟

وكما قلنا في قصيدة مالك هذه نقول ايضا في خطبة علي رضي الله عنه تلك الخطبة الصارخة التي
تحدث بها الى طائفة من انصاره الكوفيين ، وقد اراد اثاره همهم واباء نفوسهم ، فصور لهم روعة
ما قد نال النساء الحرائر من ضر الاذى ومكره الالم ، وعلي عيوف عزوف ، عزيز منيع قسوي
في نفسه شديد ، ان قرعته حوادث الدهر بغمزاتها المؤلمة ، او مست الايام انصاره بشيء يضطهدهم
اذلالا ، وبذلهم هوانا واستصغارا ، ضجت نفسه مستكبرة غضاضة الظلم وهزيمة الاعتداء ، فكيف
وقدرأى من شطار الشام استباحة الحمى ، وانتهاك الحرم .

أليس في هذا الموقف ما يشير عجاجة من لهيب عواطفه ؟ أليس يجب عليه ان يستحث الناس
الى مدافعة الشر واقصائه ، وقد كان كل ذلك ، فاستمعوا له وقد انتهى اليه ان خيلا لمعاوية وردت

الانبار . وقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان فخرج علي رضي الله عنه مغضبا يجر ثوبه حتى أتى « النخيلة » واتبعه الناس فرقي ربوة وحمد الله واثني عليه . وصلى على نبيسه الكريسم صلى الله عليه وسلم ثم قال . . . « اما بعد فان الجهاد باب من ابواب الجنة فمن تركه رغبة عنه البسه الله الذل . وسيماء الحسف . وديث بالصغار وقد دعوتكم الى حرب هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرا واعلانا . وقلت لكم اغزوه من قبل ان يغزوكم . فوالذي نفسي بيده ما غزي قوم قط في عقر دارهم الا ذلوا . فتخاذلت وتواكلتم . وثقل عليكم قولي . واتخذتموه وراءكم ظهريا . حتى شنت عليكم الغارات . هذا اخو غامد قد وردت خيله الانبار وقتلوا حسان بن حسان ورجالا منهم كثيرا ونساء والذي نفسي بيده لقد بلغني انه كان يدخل على المرأة المسلمة والمعامدة فتستزع احبائهما وروعتهما ثم انصرفوا موفورين لم يكلم منهم احد كلها . فلو ان امرا مسلما مات من دون هذا اسقا ما كان عندي ملوما . بل كان به جديرا .

يا عجايب العجب . عجب يميب القلب . ويشغل الفهم . ويكثر الاحزان من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم وفشلهم عن حقتهم . . حتى اصبحتم غرضا ترمون ولا ترمون ويغار عليكم ولا تغيرون ويعصى الله عز وجل فيكم وترضون . ان قلت لكم اغزوه في الشتاء قلتم هذا اوان قر وصر وان قلت لكم اغزوه في الصيف قلتم هذه حرارة القيظ انظرنا ينصرف الحر عنا . فان كنتم من الحر والبرد تفرون فانتم والله من السيف افر

والله لقد افسدتم علي رايتي بالعصيان . ولقد ملاتم جوفي غيظا حتى قالت قريش ابن أبي طالب رجل شجاع ولكن لا رايتي له في الحرب . لله درهم . ومن ذا يكون اعلم بما مني او اشد لها مراسا فوالله لقد نهضت فيها وما بلغت العشرين . ولقد نيمت اليوم على السنين . . ولكن لا رأيي لمن لا يطاع فقام اليه رجل من الانصار ومعه اخوة وقال « يا امير المؤمنين انا واخي هذا كما قال الله تعالى رب اني لا املك الا نفسي واخي فمرنا بامرئك . فقال لهما علي رضي الله عنه واين تفعان مما اريد » والظن الغالب ان ما قد حدث عقب انتهاء علي من قوله المبين وحديثه الناري العاصف مما قصته علينا الرواية . لم يكن من الوصف البعيد الغلو في المبالغة . ولا من التصوير المتهم بل ربما كان من البين جدا ان يسارع انصار علي الى التلبية بكل ما فيهم من قوة واخلاص وان يفعل الضعيف منهم ما قد فعل .

وانا لنقول بغلبة هذا الظن اعترافا بما في هذه الخطبة من العاطفة القوية الصادقة . وهل اصدق من عاطفة عمرت احقابا في احقاب . وهي ما تزال باقية التأثير في النفس على تراخي العهود وبعد الآماد .

هذه امثلة ضربت لتوضيح السؤال السابق فعلي رضي الله عنه ما زال يخطب او في عبارة اخرى

ما زال يقذف بكلماته النارية المنضمة . ونحن ما زلنا نستمع له وتأثر بقوله كل هذا التأثير الحماسي اللائح في قسمات الوجوه . وفي مدامح الانظار . وكذلك يتملكننا الاعجاب لو عرضت علينا هذه الرواية عرضاً قويا كل القوة صادقاً كل الصدق .

وفي الحق أننا كدنا نقرب من موضوع البحث وإن كنا لم نحدد بعد الناحية الخطيرة التي يجب أن يتجه إليها الناقد بنقده والدارس بدرسه . وفي تحديد ناحية النقد والدرس وتعيينها يجدر بنا أن نستعين بالمبادي التي يقررها علم النفس . فاعل تلك المبادي تشع علينا بضياء من النور وفي هذا الضياء نستطيع تعيين المظهر الحقيقي للعاطفة . وبذلك يمكننا أن نتجه إليها اتجاهها خاصاً حينما نحاول دراسة الأدب دراسة منتجة قيمة . وما يقرره علم النفس لا يبعد أن يكون هو الحق . إذ أنه يمنع أن تثار من مشاعرنا عواطف الألم والحزن . أو السرور والطرب لشيء من الشعر أو النثر قرأناه أو طال استماعنا إليه . ما لم يكن ذلك النثر أو الشعر مثقلاً بالمعاني الحزينة المؤلمة . أو راقصاً بنشوة طافحة بالوان من الطرب والسرور . فعواطفنا لا تتخذ ولكنها تتأثر وهي لا تتأثر بلعلعة البريق الخادع . ولا تضطرب لشيء لم يكن مصدره من القلب . ومن هنا لا يمكن للاديب أن يتخذ من أدبه بيعث الم وسرور إلى نفوس القراء والسامعين . ما لم تكن نفسه مكتظة بما يملك عليه الحس والشعور من معاني الحزن أو الطرب . وهل يتيسر للقائد أن يقف في ساحة الوغى خطيباً محرضاً الجنود الغزاة على القتال وانزال الشر بالاعداء مذكياً في قلوبهم حمية الغضب لشرف الكرامة والعزة والاباء . ما لم يكن فخوراً بالموت شهيداً في سبيل الشرف والكرامة والعزة والاباء .

ومن السهل علينا أن نخرج من ذلك التردد إلى شيء من الثبات والاطمئنان فقد بان لنا أن العاطفة الأدبية هي ذنب العنصر الخفي الذي يغشى قلوبنا بلون من الوانه المختلفة ليحرك فينا كل ما يتناسب معه من المشاعر والعواطف . فنحن الذين نقرأ والذين نسمع نحن مظهر ذلك العنصر العاطفي . وعلى قدر عمقه وقوته وصدقه . يكون تأثيره فينا . ومن هنا اجمع النقاد المحدثون على أن يتخذوا نفوس القراء ميزاناً حساساً لصدق العاطفة وقوتها فإذا قلنا أن هذا القصيد من اصدق الشعر عاطفة وأنه قوي خالده التأثير . فمعنى ذلك أنه من القلب . وما كان من القلب مصدره . ففي القلب منتهى وروعه . وإذا قلنا أن هذا الشاعر صادق مؤثر . فمعنى ذلك أنه سما بعواطفه وافكاره وخياله ثم سما حتى انتهى في عليائه . إلى حيث أصبح يشرف على العالم كله . واصبحت اصداء نعماته المرفهة الخفي . المنسجمة القطع والوصل . المنبثقة من تحريك اوتار قلبه ولسانه تبلغ كل القلوب . وتثير خامد المشاعر من كل النفوس .

وبعد فمن أين يأتي صدق العاطفة ؟ ومن أين تستمد العاطفة قوة تأثيرها ؟ أو في عبارة أخرى اختارها لوضع هذا السؤال فأقول ما صدق العاطفة . وما قوة تأثيرها ؟ (للبحث بقية)

العلم الإسلامي

— ١٥ —

تنظيم الاوقاف والشؤون الاسلامية في سوريا « ٤ »

الفصل السادس - المحاكم الشرعية

- المادة ٣٤ - ترتبط المحاكم الشرعية اعتباراً من تصديق هذا المشروع وبعد تشكيل المجلس الاسلامي الاعلى والمديرية بمديرية المحاكم الشرعية.
- المادة ٣٥ - قاضي القضاة يعين الحكام الشرعيين ويعزلهم وفقاً للقانون .
- المادة ٣٦ - يعين للمحاكم الشرعية في كل لواء قاض ومثله في كل قضاء .
- المادة ٣٧ - يضع المجلس الاسلامي الاعلى مشروع قانون الاحوال الشخصية واصول المحاكم الشرعية ويقدمه الى المجلس النيابي للتصديق
- المادة ٣٨ - قاضي القضاة يكون المرجع الاعلى لقرارات المحاكم الشرعية
- المادة ٣٩ - تصنيف القضاة والمفاقي وتبينهم وترفعهم يعود لقاضي القضاة
- المادة ٤٠ - للطوائف الاخرى حق المقاضاة امام المحاكم الشرعية كما كان لهم سابقاً اذا اتفق الطرفان المتخاصمان

الفصل السابع - التكايا والزوايا

- المادة ٤١ - جميع التكايا والزوايا ترتبط بالمجلس الاسلامي الاعلى
- المادة ٤٢ - يوضع نظام خاص لربطها وادارتها بالمجلس الاسلامي الاعلى

الفصل الثامن - مواد متفرقة

- المادة ٤٣ - تلغى الاوقاف الذرية ويضع المجلس الاسلامي الاعلى قانوناً بذلك
- المادة ٤٤ - يضع المجلس الاسلامي الاعلى تصنيفاً جديداً للوظائف الدينية بعددها وشرائط التعيين والدرجات والمعاشات والكسوة
- المادة ٤٥ - يضع المجلس الاسلامي الاعلى نظاماً خاصاً للمدارس الدينية واصول التعليم
- المادة ٤٦ - وظائف الاطعامات وقراءة الادوارد والاجزاء ودلائل الخيرات وما شابهها من الامور تحول مخصصاتها الى اعمال تعليمية واسعافية
- المادة ٤٧ - يضع المجلس الاسلامي الاعلى قانوناً للجمعيات الاسلامية . دفن الموتى . تعليم الاعميين . الموتد . الاعياد . نشر الروح الدينية . مقاومة المفسد . حماية الانقطاع والنساء . ترويج الزواج . المدارس الاولى . حماية المقابر . جمعية الآثار . دار الكتب

الفصل التاسع - الاوقاف

- المادة ٤٨ - ١ - تعود ادارة الاوقاف والاشراف عليها الى الطائفة الاسلامية بواسطة مجلسها الاسلامي الاعلى

- ٢ - الاوقاف الخيرية والمضبوطة والملاحقة تلتحق ادارتها العامة بمصاحبة الاوقاف
- ٣ - المتولون الحليون وجميع موظفي الشعائر والخدمة والوعاظ والحلقات اشروطة يصنفون وتحدد رواتبهم من قبل المجلس الاسلامي الاعلى
- ٤ - يجري عليهم جميعا ماعدا ذوي الخدمات الموقته قانون التقاعد الذي تجري عليه الحكومة
- ٥ - يزول الحق المكتسب في التولية والجهة والوظيفة بعد وفاة الموظفين الحاليين
- ٦ - الوكالة في جميع اعمال الاوقاف والتدريس والشعائر والمحاكم الدينية لا تجوز الا لعذر شرعي وبقرار من المجلس الاسلامي في اللواء
- ٧ - في الاوقاف الخيرية المشروطة يجري اعتبار القائمين بادارتها كموظفين في الاوقاف يصنفون ويأخذون راتبهم وفقا لاعمالهم .
- ٨ - الاوقاف الذرية ذات الجهة الخيرية يفرز منها المجلس الاسلامي ما يوازي حاجة الجهة والباقي يعتبر ملكا ويحل وفقا للمادة ٣٤
- ٩ - الاوقاف الذرية التي لا يمكن توزيعها مهاباة ولا يمكن افرزها تباع بمعرفة المجلس الاسلامي وتوزع على المرتزقة الاحياء وفقا للميراث الشرعي .
- ١٠ - الموظفون في الاوقاف والمدارس والمحاكم الدينية يقسمون الى خمس عشرة مرتبة يكون اقل معاش فيهم عشر ليرات سورية واكثره مائتين وخمسين ليرة سورية شهريا .

ليرة سورية	ليرة سورية
١٥٠	١٣
٢٠٠	١٤
٢٥٠	١٥
	١٦
	١٧
	٢٢
	٢٧
	٣٢
	٣٧
	٤٥
	٥٥
	٦٥
	٧٥
	٨٥
	١٠٠

الفصل العاشر - الميزانية العامة

- المادة ٤٩ - تدفع الحكومة جميع المخصصات الحالية التي هي للقضاة والمحاكم الشرعية وللافتاء الى ميزانية المجلس الاسلامي الاعلى .

تدارك سهو (تعليق تابع لصحيفة ١٦٠) وردت على ادارة مجلتنا اسئلة كثيرة تحوم حول طلب بيان حكم طعام اهل الكتاب واستعمال آتيتهم ولبس ثيابهم ومنسوجاتهم فرابنا ان ننشر نص الفتوى البيرمية التي كان اجاب بها المنعم شيخ الاسلام محمد يرم الرابع عن السؤال الذي وجه له المولى احمد باشا باي الاول في نفس الموضوع على طريق كاتم اسرارة الشيخ ابن ابي الضياف لانها وفت الموضوع حقه واحاطت به من جميع اطرافه زيادة عما تدل عليه من شدة تمسك امراء العائلة الحسينية المالكة باهداب الدين الخفيف وانهم لا يقدمون على امر الا بعد التثبت فيه واخذ رأي علماء دينهم في حكمه الشرعي

في جمعية الرابطة الادبية

اقامت هاته الجمعية احتفالا بهجلا لذكرى الماسوف عليه الاديب الكبير مصطفى صادق الرافعي يوم الجمعة ٢١ شوال المنصرم في قاعة (سينما فريقي) حضره عدد كبير من اهل العلم والادب وان كان دون ما يناسب مقام ذلك المصلح العظيم والكتاب الشرقي القدير وترأس الاحتفال الشيخ محمد الشاذلي ابن القاضي صاحب هذه المجلة وقد ارتجل خطابا افتتح به الاحتفال اتي فيه على نبذة من حياة الفقيه وشرح طريقته في الادب فاتى ببسطة دلت على مكانة الرافعي في هذا المضار وبين الاسباب التي تركت بعض الادباء ينقمون على الرافعي وينحIRON عند الحكم له او عليه ثم تداول الخطاب بعدة السادة مصطفى الجدرئيس جمعية الرابطة الادبية فالتقى خطابا تعرض فيه الى مكانة الرافعي في الادب . والغرض من اقامة هذه الذكريات . ووفاء ابناء تونس لنوابغ الاسلام ثم تلاه الاستاذ الطاهر صفر فالتقى خطابا فلسفيا تعرض فيه الى ناحية من حياة الرافعي وهي حياته السياسية واستعرض نصوصا ادبية للرافعي دلت على نفس كانت تتقد حماسا ثم تبارى الشعراء كل باحسن ما جادت به قريحته في تخليد ذكرى رجل الشرق وانتهت الحلقة بالترحم على الفقيه وشكر هيئة الرابطة الادبية على نجاحها فيما تقوم به من خدمة الادب ورجاله .

محمد عثمان باشا داي الجزائر

كان اهدانا صديقا اللودعي التحرير المؤرخ الفاضل السيد احمد توفيق المدني نزول الجزائر اليوم كتابه « محمد عثمان باشا داي الجزائر » فالفينا سفرا عظيم الفائدة غزير المادة جلا في وضوح وشيء من الدرس والتحليل ذلك العصر الغامض من تاريخ الجزائر وتلك الحقبة المجهولة من عموم المشتغلين بالتاريخ واطهر ما اختص به الحكم التركي لتلك البلاد ورفع كثيرا من اللبس والاغلاط التي كانت تحوم حول ذلك العصر .

وقد نسقه مؤلفه البصير بدقائق الفن احسن نسيق وبوبه اجمل تبويب فخرج تحفة فنية فائقة ادت حق الفن والحقائق العلمية اكمل تأدية هذا زيادة عن الصور الجميلة والوثائق التاريخية العزيزة الوجود التي لا يظفر بها الا مثل ذلك البحاته الذي لا تنفوته نادرة او شاردة فيما يوجه عنايته له من الموضوعات النافعة والابحاث المفيدة . كيف لا ومؤلفنا أشهر من ان يعرف في عالم التأليف وهو من ابرز رجال هذا الشمال اتجا ودرسا لكل ما يعين على نشر ثقافة اسلامية شرقة تعمل لاسترجاع مجد غير . وشرف مؤنل أخفته صروف دهر شأنه غير مستقر

فعلمي على خير عمل، وبارك رجال العلم والانتاج بما ينفع الناس ويزرع في نفوس الشباب حبة الامل،

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للسلامة
وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
كانت ممضاة من امين المال
والمخابرات المالية لا تكون الا معه

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة السنوية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية التونسية للدراسات الإسلامية

المجلد الثاني

تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨

الجزء الخامس

فهرس العدد

صاحبه

المقال

- ١٩٤ الحجاج التونسيون يساء اليهم في
طريق الحج بقلم رئيس التحرير محمد المختار بن محمود
- ١٩٩ تفسير سورة الفاتحة (٤) » صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر
ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
- ٢٠٣ تفسير آية الرحمن على العرش استوى »
» »
- ٢٠٧ تفسير آية التغابن » الاستاذ الشيخ الصادق المحرزي
» »
- ٢٠٩ الحديث الشريف »
» »
- ٢١٣ الاخلاق الفاضلة » الاستاذ محمد بهجة البيطار
» »
- ٢١٦ الفتاوى والاحكام » العالم المدرس الشيخ علي النيفر
» »
- ٢١٩ التعاضد المتين بين العقل والعلم
والدين (٤) » الوزير المصلح الشيخ محمد الحجوي
- ٢٢٤ سائحة » العالم المدرس الشيخ الناصر الصدام
» »
- ٢٢٧ الالقاب والنوعت الملكية في البيت الحسيني
بن الخوجه مستشار الحكومة التونسية
» »
- ٣٣٣ العاطفة في الادب العربي (٢) » الاديب احمد بن المختار الوزير
» »
- ٣٣٦ ترجمة فقيد العلم الشيخ محمد الصادق
النيفر » رئيس قلم التحرير
- ٣٣٩ تأجيل الشهادة الاهلية من الخدمة
العسكرية »

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب | وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠ | كانت ممضاة من امين المال
» في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ | والمخابرات المالية لا تكون الا معه
يخصم الربع للتلازمة

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصديهاها المبدعة من قبل ربي جليل مع الزيتونة في الزيتونة

المجلد الثاني

تونس في ذي الحجة عام ١٣٥٦ وفي فيفري ١٩٣٨

الجزء الخامس

شهرية وستتها عشرة اشهر

رئيس تحريرها :

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

أمين المال :

محمد عبد الله بن القاضي

المدرس بجامع الزيتونة

صاحب المجلة :

محمد الشاذلي بن القا

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

مديرها :

الطاهر القصار

المدرس بجامع الزيتونة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

المراسلات :

ترد باسم صاحب المجلة بمحل الادارة

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

ثمان الجزء ثلاثة فراكات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحجاج التونسيون

يساء اليهم في طريق الحج ويكلفون بما لا يطاق ثم يستغيثون
ويستنجدون فهل لهم من مغيث وهل لهم منجد

بقلم رئيس التحرير

سافر الحجاج التونسيون في هذا العام يوم الاربعاء ٢٤ قعدة المنصرم (الموافق ليوم ٢٦ جانفي) وعددهم ٣٨١ من مرسى (بنزرت) على ظهر الباخرة (بريطانيا) التي هيئتها شركة تكونت بالجزائر لتنقل عليها حجاج المغرب والجزائر وتونس الى جدة واشرف عليها رئيس هاته الشركة السيد الفضلي

وكان المتوقع في مثل هذا الوقت ان تقتصر على الاخبار بسفرهم والدعاء لهم بان يجعل الله حجهم مبرورا . وسعيهم مشكورا . وحظهم من العناية الالهية موفورا . وان يسهل الله لهم طريق الاياب متمتعين بالصحة والعافية . والنعم الزاوية . فيلثم بهم شمل عائلاتهم واقاربهم . وتزول عنهم وحشة الفراق . هذا ما كنا نتوقع ان تقتصر عليه ولكن المعاملة السيئة والقساوة الفضيعة التي عومل بها حجاجنا الكرام في هذا العام تركنا نتقل من الدعاء الى الاحتجاج ومن التهنئة الى الاستغاثة . اذ لم يحض على سفر الحجاج الا ايام قليلة حتى راجت عدة اشاعات في البلاد استفدنا منها ان الحجاج التونسيين قد وقعت معاملتهم من طرف مستاجر الباخرة بغاية القسوة والفضاعة رغما عن لاموال الباهضة التي دفعوها اجرة للركوب . ثم بعد ايام تايدت هاته الاشاعة بالكتاب المفتوح الذي وجهه الحجاج من (بورت سعيد) بتاريخ ٣٠ جانفي الى صاحب الجلالة ملكنا المعظم يشون اليه ما وقع لهم من الاضطهاد ويستجدون به لاقادهم من الشر المستطير الذي حل بهم . (وقد نشر هذا المكتوب بجريدة النهضة في عددها المؤرخ بيوم الثلاثاء ٧ حجة والموافق ليوم ٨ فيفري الجاردين) كما ارسل بعض الحجاج من بورت سعيد مكاتبة لبعض الجرائد تنذر فيها من اضطهادات مالية فرضت على الحجاج قهرا ولم تكن لهم على بال .

وتتلخص انواع التعديات التي وقعت على الحجاج فيما ياتي :

١ - عند ما ركب الحجاج الباخرة من مرسى بنزرت وجدها قد ملئت بالحجاج القادمين من

المغرب ومن الجزائر فلم يجدوا الاماكن الثلاثة بهم ولم يلتفت المكف بالباخرة اليهم ولم يهتم بهم . حتي انهم بقوا على ظهر الباخرة كامل اليوم وطول الليل وهم يعانون - شيوخا ونساء واطغالا - الم البرد الشديد .

٢ - وزيادة على عدم تمكينهم من بقاع في الباخرة فقد حرموا من الطعام رغما عن كونه داخلا في معلوم الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل

٣ - ولم يقع هذا الحلل مع ركاب الرتبة الثالثة والرابعة فقط بل وقع حتى مع ركاب الرتبة الاولى الذين ما دفعوا الاجر مضاعفا الا طلبا للراحة . فاذا بهم لا يجدون اي امتياز بل لم يجسد بقاعا ينامون فيها

٤ - ثم لم يكف مستاجر الباخرة بهذا كله بل اراد ان يتمادى على ارهاق الحجاج المساكين فقبل وصول الباخرة الى (بورت سعيد) طلب من جميع الحجاج ان يسلموا له جوازات سفرهم وبعد ما تسلمها طالب كل واحد منهم بستمائة فرنك بعنوان معلوم المرور من ذلك المضيق . فنشأ عن ذلك اضطراب كبير للحجاج لان جميع مصاريف التنقل داخلة في اجرة الركوب طبق الاتفاق الواقع من قبل . وعليه فلماذا يطالبون بهذا الاداء الجديد . ويدفعونه عن يد وهم صاغرون

وما علم الناس بهذه التعديبات المتكررة الواقعة على الحجاج حتى حصل في البلاد استياء شديد وقلق عام . واخذ كل واحد يفكر في حالة قريبة وما يعانيه من هاته التعديبات الفاحشة زيادة عما يقاسيه من عناء السفر . وقد حرر اولياء الحجاج عريضة دفعوها لصاحب الجلالة ملكنا المعظم وتقدم وفد منهم في موكب رابع العيد وبسط له القضية من جديد . وألفت نظره العالي الى حالة الحجاج من رعيته وكيف يعاملون اسوء معاملة . وهم المنضوون تحت رايته . والعائشون في كنف رعايته

وقد نظر جلالته في هاته القضية بغاية الاهتمام . واذن باجراء بحث حول هاته الاشاعات . حتى يقع الانتصاف لهؤلاء الحجاج المساكين الذين وقعت اذياتهم في سبيل الله . وقد بلغنا ان الحكومة التونسية طلبت من الحكومة الجزائرية بصغة رسمية اجراء (بحث قانوني) وموافاتها بنتيجته في اقرب وقت .

ونحن نتعجب غاية العجب من هاته الحالة السيئة ومن هذا الارهاق والاعنات الذين يعامل بهما الحجاج التونسيون - لا في هذا العام فقط بل في كل عام - فكانهم لا ولي لهم ولا نصير . وكأنهم ليست لهم حكومة تغار عليهم وتزود عن حماهم وتدفع يد العدوان عنهم . ففي كل عام يسلم اليهم وتمتهك حرمتهم ثم يعلو الضجيج فنظن ان الحكومة ستلافي ذلك الحلل في العام المقبل . فاذا جاء العام المقبل تجددت الحالة بافطع مما كانت عليه وهكذا ، ونرى ان السبب في ذلك عدة امور يجب تداركها حتى لا تقع اعادتها في المستقبل . بحول الله

منها جعل الحج بيد فرد او افراد يتاجرون به كما يتاجرون بسائر البضائع ويرتكبون في ذلك كل انواع التحيلات . مع ان الواجب يقتضي ان يكون الحج حرا بان يسافر الناس احرارا على بواخر البريد من غير ادنى كلفة ولا مشقة . كما يقع السفر لسائر بقاع الارض . واذا كان من اللازم ان يذهب الحجاج قافلة واحدة فليكن ذلك تحت مراقبة الحكومة التونسية وعلى نظرها مباشرة . من غير ان يكون امر الحج محالا للتجارة الفاجرة . وسوقا للارباح على كاهل افراد عاجزين عن المدافعة عن انفسهم ليمتع بها رجال لا يخافون الله ولا يقرؤون للآخرة حسابا .

ومنها عدم جعل رئيس للحجاج التونسيين - فالمتعارف من قديم الزمان ان الدولة ترسل مع الحجاج نائبا عنها يكون كرئيس لهم يدافع عن مصالحهم ويخاطبونه في جميع شئونهم . ويدفع عنهم كل ما يراد إلحاقه بهم من المضار سواء على ظهر الباخرة او في البر . ويلقب بشيخ الركب وهذا ما كان معمولا به في تونس . ثم من منذ اعوام قريبة ابطل ذلك وصار الحجاج التونسيون يسافرون وليس معهم شخص يدافع عنهم ويجلب الخير اليهم . ولو كان مع الحجاج في هذا العام مندوب عن الحكومة يرجع امرهم اليه لما أمكن لمستأجر الباخرة ان يزدرى بهم هذا الازدراء الفاحش ولصده عن العبث بحقوقهم الشرعية . وكرامتهم الانسانية . حتى انهم لما حرروا برقيتين على ظهر الباخرة يوم ٢٧ جانفي في الاحتجاج على ما عوملوا به من الفظاعة والفضاضة احدهما موجهة لجلالة الملك والاخرى موجهة لجناب المقيم العام ودفعوا عليهما المصروف اللازم وهو فرنكات ٣٠١ و٢٠ منعوا من ذلك وتعلل المكلف بالبريد عن عدم ارسالها بان مندوب حكومة الجزائر اذنه بعدم الارسال . فاي دخل لمندوب حكومة الجزائر في منع التونسيين من التشكي لجلالة اميرهم . أليس السبب في ذلك عدم وجود رئيس للركب التونسي يدافع عنه بصفة رسمية ويمكنه من جميع حقوقه الشرعية

ومن اسباب الخلل جمع الحجاج المغاربة والجزائريين والتونسيين في باخرة واحدة . تكون القافلة الاخيرة التي تحملها هم الحجاج التونسيون بعد ان تكون قد امتلات بغيرهم فلا يجد بها الحجاج التونسيون البقاع التي كان من الواجب ان تعد لهم . وهذا من الخلل الذي سببه سوء الادارة وفساد التنظيم وعدم الاهتمام والا فمن الواجب ان تنقسم الباخرة على حجاج الاقطار الثلاثة بصورة محكمة بحيث يخصص لحجاج كل قطر قسم منها بالنسبة لمختلف الرتب حتى اذا جاء حجاج ذلك القطر وجدوا بقاعهم محفوظة لهم لم يقع التعدي عليها .

وقد حكى لنا رجل فاضل نهب لتوديع صديق له وطلع معه الى الباخرة . وكان هذا الصديق حجز موضعا له في الرتبة الاولى فلما طلب من المكلف بالباخرة تمكينه من موضعه اجابه بانتهاء بقاع الرتبة الاولى وامره بالنوم على سطح الباخرة

على ان هناك امرا افطع من ذلك كله والعجيب اننا لم نر في الصحافة اليومية والاسبوعية حديثا

عنه . وهو ما وقع لحامل الصرة المندوب عن جلالة الملك : فقد بلغنا ان هذا المندوب لما صعد الى الباخرة وطلب الموضع المخصص له اجابه المكلف بعدم وجود موضع له فاحتج على ذلك وصادف ان هناك بيتا بالرتبة الاولى اعدت لنائب الشركة بتونس وحيث قد تأخر هذا النائب فقد ظنوه عدل عن السفر فاعطوا بيته لمندوب الملك ولكن بعد حصة وحيزة حضر صاحب البيت واراد حيازته . فحاول نائب الشركة من مندوب جلالة الملك ان يخرج ليقع تسليم البيت لصاحبه فامتنع المندوب من ذلك والتمس حوله من كان حاضرا من بعض متوظفي الدولة فلبقاءه في البيت الذي سلموه اليه واحل الاشكال هكذا بلغتنا هاته الحادثة وهي تدل على تهاون كبير من المكلف بالباخرة والا فكيف يعقل ان مندوب جلالة الملك لا يهأله موضع من قبل .

فهذه الاخلال كلها ليس لها من سبب الا جعل امر الحج منوطا بعهدة افراد يتاجرون به ويتخذونه مغنما لسلب الاموال الطائلة من الناس الاتقياء الذين يقصدون الى عمل قد نبى الله تعالى عن الرقت والفسوق فيه .

ولولا هذا الخلل الناشء عن سوء الادارة لكاث اجتماع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة من اهم ما نرغب فيه لانه يفضي الى تعارفهم وتقوية اواصر الوداد بينهم . ولكنه لما كان ذريعة الى هذه الاضطرابات المتنوعة فطلب ان يجعل للحجاج كل قطر باخرة خاصة بهم . او تتخذ طريقة عادلة في حفظ بقاع كل فريق منهم على الطريقة التي يقع بها السفر للاقطار الاروبية المبنية على احكم الاساليب واضبطها . حتى ان رجلا من تونس لو اراد السفر الى امريكا في يوم ١٥ رجب المقبل فانه يمكنه ان يذهب اليوم الى شركة (كوك) مثلا ويطلب منها حجز موضع في الباخرة (نورماندي) لذلك اليوم في الرتبة التي يريد . فتعطيه عدد الموضع المخصص له فاذا خرج من تونس يوم ١٢ رجب ووصل الى (الهافر) يوم ١٥ رجب صعد الى الباخرة ووجد الموضع الذي خصص له من قبل بثمانية اشهر فمن الواجب اذا اريد الاصرار في المستقبل على جمع حجاج الاقطار الثلاثة في باخرة واحدة ان يتخذ مثل هذا النظام

هذه هي التراتيب التي نرى من الواجب على الحكومة ان تتخذها في المستقبل حتى اذا سافر الحجاج كانوا بسببها امنين مطمئنين على اموالهم وابدانهم وكرامتهم اما بقاء الحالة على ما هي عليه الآن ففيه جلب لقلقل لا داعي اليها ومن السير تداركها . وفيه ايضا تضعيف لهمة الناس عن اقدام على الحج مع ان حكومتنا بصفتها الاسلامية من واجبا ان تسهل اسباب هاته الفريضة على الناس وتبذل معهم غاية الجهد في ازالة العراقيل والانتاب التي يمكن ان تحول بينهم وبينها

اما حجاج هذا العام فاملنا وطيد في ان الحكومة ستدافع عنهم وستنير لهم حقوقهم المضمومة لا سيما بعد العناية التي اظهرها جلالة ملكنا بقاء الله وذلك بان تلزم مستاجر الباخرة بان يرجع لكل

من اعطي موزعا اقل من رتبته مقدار الفرق بين الرتبة التي دفع اجرتها والتي اعطيت له بالفعل وبان تلزمه بترجيع السمتاءة فرنك التي اخذها منهم بعنوان المرور من بوغاز (بورت سعيد) حيث ان ذلك داخل في اجرة الركوب كما وقع عليه الاعلان وكما وقع عليه التعاقد . ونلاحظ هنا للحكومة بان البحث الاداري الذي طلبت اجراءه من الحكومة الجزائية كما اشرنا اليه سابقا لا يكفي وحده لاثبات الحقيقة . لان الابحاث الادارية قد تسير على اوجه يكون مآلها طمس الحقيقة عوضا عن اظهارها لذلك نرجو اجراء بحث شرعي على الطريقة القضائية المعمول بها في سائر النوازل المدنية فما الحجاج الامدعون وما مستاجر الباخرة الا مدعى عليه فينبغي تسيير النازلة على هذا الاساس حتى تتجلى فيها الحقيقة . وحتى يعلم مستاجر الباخرة ان الحجاج التونسيين ليسوا العوبة في يده وان لهم حكومة عادلة متيقظة تدافع عنهم وتحول بينهم وبين كل ضيم يراد إلحاقه بهم .

والمرجو ان تأخذ هاته القضية حقها من العدل والانصاف . بفضل انتصار الحكومة واصرار الحجاج على المطالبة وان يعود الينا حجاجنا الكرام جامعين بين اداء الفريضة وحسن القبول متزودين بعظمة البيت الحرام ومهبط الوحي ومدينة الرسول بعدما وقفوا على قبرة دلى الله عليه وسلم وهو الذي لا يقف شقي عليه . ولا يحظى بالمثل بين يديه . والله المرجو بفضله ان يوفقنا لتدارك ما فات وان يعفو برحمته عما ارتكبناه من الزلات . انه الكريم الذي عم فضله كل قاصد . والرحيم الذي شملت رحمته كل صادر ووارد .

محمد المختار بن محمد

محاسن الفقر

روي عن ابي الدرداء انه قال : لان اموت وعلي اربعة آلاف درهم انوي قضاءها احب الي من ان اترك مثلها حاللا . وقال سلمان الفارسي قد خشيت ان اكون قد تركت عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل ولم ذاك : قال لانه قال من اراد ان يدخل الجنة فلا يكن زاده من الدنيا الا كزاد الراكب وانا قد جمعت ما ترون . فقوموا ما عنده فبلغ ثمانية عشر درهما . وكان يقال من اصبح آمنا في سر به معافا في بدنه عنده قوت يومه فعلى الدنيا العفاء . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان من دعائه : اللهم احيني مسكينا وامتي مسكينا واحشري في زمرة الفقراء اللهم اجعل رزق آل محمد كفافا . فسئل بعضهم ما الكفاف فقال جوع يوم وشبع يوم . قيل وكان الفضيل بن عياض يقول في دعائه اللهم اجمعني وأجمع عيالي وتركنا في ظلم الليل بلا مصباح وانما تفعل هذا باوليائك فبأي منزلة نلت هذا منك يارب

القرآن الكريم

الحمد لله

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

« ٤ »

« الحمد لله ، هذا اول القرآن على الصحيح من مذاهب علماء الامصار وهم الذين لا يرون ان البسملة آية من سورة الفاتحة والفاصلة هي اول سورة من القرآن اعتبارا ولذلك جعلت أوله في ترتيب المصحف المستند لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم فسواء كانت الفاتحة اول القرآن نزولا على قول بعض العلماء أم كان غيرها اوله نزولا فان الفاتحة هي اول القرآن اعتبارا وترتيبها ويجوز ان يقدم بعض الكتاب في الوحي ثم يوقف بعد ذلك على الترتيب المراد .

وانما جعلت سورة الفاتحة اول سور القرآن لان فيها اعداد نفوس السامعين لتلقي الهدي الذي اشتمل عليه القرآن فان القرآن انما انزل هدى للناس وتبينانا للاحكام التي بها اصلاح الناس في عاجلهم وآجلهم ومعاشهم ومعادهم ولما لم يكن للنفوس سبق اعتياد بذلك لزم ان يها المخطاطون بها الى تلقيها ويعرف تيؤهم باظهارهم استعداد النفوس بالتخلي عن كل ما من شأنه ان يكون عائقا عن الانتفاع بهاته التعاليم النافعة وذلك بان يجردوا نفوسهم عن العناد والمكابرة وعن خلط معارفهم بالاغلاط الفارقة، فان النفس لا تكاد تتنفع بالعظات والنذر، ولا تستنفع بالحكمة والنظر . ما بقي يخالفها العناد والبهتان او تخامرها نزغات الشيطان . فلا مناص لها قبل استقبال تلك الحكمة والنظر من الاتسام بميسم الفضيلة ، والتخلي عن السفاسف الرذيلة، فبه الله تعالى المخاطبين بهذا الكتاب الى هاته الحصلة ليكون تلقيهم لما يرد في تضاعيفه من الاحكام اسرع واثبت بما لقنهم اياه من المناجاة التي اشتملت عليها سورة الفاتحة وهي المشار اليها بقوله : ملك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين الى اخرها فانها مناجاة للخالق تضمنت التنزه عن التعطيل والاحاد والذهرية بما تضمنه قوله « ملك يوم الدين » وعن الاشرار حسب ما تضمنه قوله « اياك نعبد واياك نستعين » وعن المكابرة والعناد بما تضمنه « اهدنا

الصرط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم » فان طلب الهداية اعتراف بالاحتياج الى العلم ووصف الصراط بالمستقيم اعتراف بان من العلم ما هو حق ومنه ما هو مشوب بشبه وغلط ومن اعترف بهذين الامرين فقد اعد نفسه لاتباع احسنهما . وعن الضلالات التي تعتري العلوم الصحيحة والشرائع الحققة فتذهب بفائدتها وتنزل صاحبها الى دركة اقل مما وقف عنده الجاهل البسيط وذلك بما تضمنه قوله « غير المغضوب عليهم ولا الضالين » ولاجل هذا سميت هاته السورة ام القرآن كما تقدم ، ولما لقن المخاطبون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي الى الاحاطة بها في كلامه غير علام الغيوب سبحانه قدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجاتهم جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء ان يفتتحوا مناجاتهم اياهم وطلبتهم بالثناء والذكر الجميل فكان افتتاح الكلام بالحمد سنة الكتاب المجيد ، لكل بليغ محيد ، فلم يزل البلغاء من يومئذ يلقبون كل كلام نفيس لم يشتمل في طالع على الحمد بالابتداء من حديث كل امر ذي بال لا يتبدا فيه بالحمد لله فهو ابتداء وقد لقيت خطبة زياد ابن ابي سفيان التي خطبها بالبصرة بالتبراء لانه لم يفتتحها بالحمد .

وكانت سورة الفاتحة لذلك منزلة من القرآن منزلة الديباجة للكتاب او المقدمة للخطبة وهو شان عظيم من الانشاء فان تقديم المقدمة بين يدي المقصود اعون للفهام وادعى لوعايتها . ومما يحسن في الديباجة او المقدمة امور احدها الاجاز لثلاث عمل النفوس بطول انتظار المقصود ولانه ادل على بلاغة المتكلم وعدم حصره وعيه . الثاني الاشارة الى الغرض المقصود وهو المعبر عنه ببراعة الاستهلال لانه يهيئ النفوس للغرض حتى تتأهب للتلقي ان كانت من اهل التأقي والنقد او التكملة ان كانت في تلك الدرجة ولان ذلك يدل على تمكن المتكلم من الغرض وثقته بصحة قوله فيه حتى انه ينبه النفوس اليه . الثالث الاشتغال على الحمد لله تعالى . وقد جمعت ديباجة القرآن وهي الفاتحة هاته المحاسن وابانتها وهذا عندي هو السر في قصر سورة الفاتحة مع ان السور الاوائل من القرآن هي الطوال . الرابع ان تكون من بليغ الكلام وجوامعه .

والحمد هو الثناء على الجميل اي الوصف الجميل الاختياري فعلا كان كالكرم واغانة الملهوف ام غير كالشجاعة . وقد جعل الثناء جنسا للحمد فهو اعم منه ولا يكون ضده فالثناء الذكر بخير مطلقا وشذ من قال يستعمل الثناء في الذكر مطلقا ولو بشر وينسب لابن القطاع وغرة في ذلك ما ورد في الحديث وهو قوله صلى الله عليه وسلم « من اثنيتم عليه خيرا وجبت له الجنة ومن اثنيتم عليه شرا وجبت له النار » وانما هو مجاز دعت اليه المشاكلة اللفظية . واما الذي يستعمل في الخير والشر فهو الثناء بتقديم النون وهو في الشر اكثر كما قيل . ولا يخفى ان اخذ الثناء جنسا لمفهوم الحمد يقتضي ان يكون الحمد ذكرا باللسان فلا يعترضك ما اعترضهم من اشكال كون الله تعالى حامدا لنفسه مع التنزه عن

اللسان ومع كونه حامداً نفسه في الازل فلا يكون بالقول لان ذلك مدفوع بداهة بان المراد باللسان الكلام عبر به لانه الآلة لذلك في المتعارف فالحمد بالكلام النفسي يقدر ثناء لانه سيكون مدلول كلام لفظي او انشاء او نحوها عند ما يبلغ لللائكة او البشر بعد ايجادهم . على ان المفهومات اللغوية وضعت للمتعارف بين المتواضعين على اللغة واطلاقها على الصفات الالهية ومتعلقاتها انما هو بالتقريب بغاية المستطاع كما قدمناه في الرحمن . واما المدح فقد اختلف فيه فذهب الجمهور الى ان المدح اعم من الحمد فانه يكون على الوصف الاختياري وغيره وهي طريقة البيضاوي وظاهر كلام القاموس وقال صاحب الكشف الحمد والمدح اخوان .

وعندي ان القول بترادف الحمد والمدح هو الحق الذي لا ينبغي الانصراف عنه وهو الذي يشهد به استعمال العرب ، والحمد في الآية مرفوع باتفاق القراء الا من شذ وهو مرفوع على الابتداء والمجرور خبره اذ لا يتوهم غير ذلك وهو من المصادر التي اتت بها العرب بدلا عن افعالها في معنى الاخبار فاصله النصب على المفعولية المطلقة على انه بدل من فعله وتقدير الكلام نحمد حمداً لله حمداً فلذلك التزموا حذف افعالها معها مثل سقيا ورعيا وخيبة وبؤسا واما قول العرب سقيالك فانما هو ليعينوا المعنى بالدعاء وربما تركوه فاذا عرفوا هذه المصادر رفعوها نحو الحمد لله والعجب له والويل له وانما استحبوا الرفع فيه لانه صار معرفة وهو خبر (اي غير انشاء) فقوي الابتداء (اي انه لما كان خبرا لادعاء وكان معرفة بالتهيأت فيه اسباب الابتداء لان كونه في معنى الاخبار يبيء جانب المعنى للخبرية وكونه معرفة يصحح ان يكون مبتدأ لان الابتداء انما هو خبر واحسنه اذا اجتمع معرفة ونكرة ان تبدأ بالاعرف وهو اصل الكلام . وليس دخول الالف واللام في هذه المصادر بمطرد فلم يقولوا السقي لك والرعي لك . ومن العرب من ينصب بالالف والسلام وعليه عامة بني تميم قال صاحب الكشف والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى اه »

قلت وانما كان الاصل في هاته المصادر النصب لانه اصل المصادر في هذا الباب لانها بدل عن افعالها فكان الشأن ان تكون منصوبة لتدل على الافعال المحذوفة لاسيما وقد كثر النصب فيها نحو حمداً وشكراً . او لان المصادر دالة على الاحداث القائمة بمحالتها فهي تقتضي ان يدل على نسبتها لمحالتها والاصل في الدلالة على النسب هو الافعال وقد تأيدت هذه المناسبة بورودها منصوبة بكثرة كما قاله السيد في شرح الكشف

ومن شان بلغاء العرب انهم لا يعدلون عن الاصل الا وهم يرمون الى غرض عدلوا لاجله والعدول عن النصب هنا الى الرفع لتأتى لهم الدلالة على الدوام والثبات لصيرورة الجملة اسمية . والدلالة على العموم المستفاد في المقام من ال الجنسية والدلالة على الاهتمام المستفاد من التقديم . وليس واحد

من هذه الثلاثة بممكن الاستفادة لو بقي المصدر ، منصوبا اذ النصب يدل على الفعل المقدر والمقدر كالمفوض فلا تكون الجملة اسمية اذ الاسم فيها نائب عن الفعل ولا يحصل الدوام ، ولانه لا يصح معه اعتبار التقديم فلا يحصل الاهتمام ولانه وان صح اجتماع الالف واللام مع النصب كما قريء ، بذلك وهي لغة تميم فالتعريف حينئذ لا يكون دالا على عموم المحامد لانه ان قدر الفعل أحمد بهمزة المتكلم فلا يعم الا محامد المتكلم دون محامد الناس وان قدر النعل نحمد واريد بالنون جميع المؤمنين بقرينة اهدنا الصراط المستقيم وقرينة اياك نعبد فانما يعم محامد المؤمنين او محامد الموحدين كلهم كيف وقد حمد الله تعالى اهل الكتاب والعرب في الجاهلية قال امية بن ابي الصلت

الحمد لله حمدا لا انقطاع له فليس احسانه عنا بمقطوع

اما اذا صار الحمد غير جار على فعل فانه يصير اخبارا عن جنس الحمد بله ثابت لله فيعم كل حمد كما سياتي . واعلم ان قراءة النصب وان كانت شاذة الا انها مجدية هنا لانها دللتنا على تطور هذا التركيب المشهور وان بعض العرب نطقوا به في حال التعريف ولم ينسوا اصل المفعولية المطلقة . فان قلت لماذا وقع الاهتمام بالحمد مع ان ذكر اسم الله تعالى اهم فكان الشان بتقديم اسم الله تعالى حتى لا يلجأ الى تفسيره عن النصب الى الرفع لاجل هذا الاهتمام قلت قدم الحمد لانه حمد على نعمة تنزيل القرآن الذي فيه صلاح الدارين فذلك المنة من اكبر ما يحمد الله عليه من جلائل صفات الكمال لاسيما وقد اشتمل القرآن على كمال المعنى واللفظ والغاية فكان خطورة عند ابتداء سماع إنزاله او ابتداء تلاوته مذكرا بما لمنزله تعالى من الصفات الجميلة وذلك يذكر بوجوب حمده وان لا يغفل عنه فكان المقام مقام الحمد لا محالة فلذلك قدم وازيل عنه ما يؤذن بتأخيرته ثم ان ذلك الاهتمام تاتي به اعتبار الاهتمام بتقديمه ايضا على ذكر الله تعالى اعتدادا باهمية الحمد العارضة في المقام وان كان ذكر الله أهم في نفسه لان الاهمية العارضة تقدم على الاهمية الاصلية لانها امر يقتضيه المقام والحال والآخر يقتضيه الواقع . والبلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال والمقام . ولان ما كان الاهتمام به عارض هو المحتاج للتنبيه على عارضه اذ قد يخفى بخلاف الأمر المعروف المقرر فلا فائدة في التنبيه عليه بل ولا يفيت التنبيه على غيره . فان قلت كيف يصح كون تقديم الحمد وهو مبتدا مؤدنا بالاهتمام مع انه الاصل وشان التقديم المفيد للاهتمام هو تقديم ما حقه التأخير . قلت لو سلم ذلك فان معنى تقديمه هو قصد المتكلم للاتيان به مقدما مع امكان الاتيان به مؤخرا لان اللبلاء صيغتين متعارفتين في حمد الله تعالى احدهما الحمد لله كما في الفاتحة والاخرى لله الحمد كما في سورة الحاثية . واما قصد العموم فيستوضح عند بيان معنى التعريف فيه وليس هو متعينا في كون اللام فيه للاستغراق كما نقله الحفاحي عن رد ذكره البضاوي لان العموم حاصل على كلا التقديرين كما سيجيء . نعم ان العموم مستفاد من التعريف باللام واللام لا تنافي الا عند العدول به عن التكرير الذي هو اثر اعتباره بدلا عن الفعل

« الرحمن على العرش استوى »

من تفسير فضيلة شيخ الاسلام المالكي

« كتب الي احد الفضلاء من بلد طولقة من عمالة قسنطينة يسألني عن قوله تعالى في سورة طه الرحمن على العرش استوى وذكر انه عجز عن فهم المراد منها وأنه تطلب كشف الاشكال فلم يحظ بكشفه ولما رايت من حذقه وبموهمته احببت ان اتحفه بتفسير هذه الآية على وجه ارجو ان يزيل اشكاله . ويزيد على مثل هذا المهم الشريف اقباله »

هذه الآية تدرج تحت القسم الثاني من اقسام المتشابه العشرة التي تعرضت لتاصيلها وفرعتها في تفسير سورة آل عمران ونشرت خلاصة ما كتبه فيها في مجلة الهداية الاسلامية في ج ١٢ من المجلد ٢ لسنة ١٣٤٨ وحاصله ان هذا القسم هو من المتشابه الذي نشأ التشابه فيه من القصد الى اعلام الامة بمعان من شؤون عظمة الله تعالى تعيين ايرادها بمجملات لتعظيم وقعها في نفوس السامعين حتى يستحضر كل لب مقدارا من مدلولها على مقدار تفاوت القرائح والافهام مع الاعتماد على ايمان المخاطبين بها ان لا يحملوها على ما يظهر بادىء الزاى من معان لا تليق بجلال الله تعالى . وهذه الآية ونحوها كقوله تعالى في سورة الاعراف ثم استوى على العرش لكونها من المتشابه كانت طرائق علماء الاسلام في الكلام عليها مختلفة متفاوتة

فاما السلف من الصحابة فلم يخض منهم فيه سائل ولا مستؤل ولا تطلبوا بيانه من الرسول وتلك سنتهم في امثالها حين كانت عقائد الامة سالمة من الدخل . وحين كان معظم انصارها الى حسن العمل . ثم حدث التشوف الى الغوص على المعاني في عصر التابعين وربما طنت بأذانهن اسئلة السائلين فاخذوا يسدون باب الخوض في مثل هذا ويتعدون عنه لىواذا والحقوة بالمتشابه ففقدوا بالامساك عن تاويله ويقولون آمانا به ويتاولون لطريقتهم بقوله تعالى « وما يعلم تاويله الا الله » ثم بقوله « والراسخون في العلم يقولون آمانا به كل من عند ربنا » ولذلك نقل عن جماعة منهم انهم قالوا في آيات المتشابه « نعرها امرار كما جاءت بلا كيف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تمثيل » ودرج على ذلك معظم ائمة العصر الذي بعد عصر التابعين مثل مالك وابي حنيفة والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وسفيان ابن عيينة ومن تبع طريقهم من اصحابهم والطبقة التي تليهم مثل الشافعي وعبد الله بن المبارك واسحاق بن راهويه ونعيم بن حماد شيخ البخاري واحمد بن حنبل والبخاري وقد سئل مالك رحمه الله عن هذه الآية فقال للسائل « الاستواء معلوم والكيفية مجهولة وفي رواية (والكيف غير معقول) والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة واظنك رجل سوء أخرجه عني » وعن سفيان الثوري انه سئل عن الآية فقال « فعل فعلا في العرش سما استواء » . ثم طلع الشك بقرنه في نفوس من لم

يزنوا الايمان حق وزنه فاضطر المتكلمون من ائمة الاسلام فيما اضطروا اليه من تبين حقائق الصفات وتعلقاتها الى ان يخوضوا في الآيات وتاويل متشابهاتها اقتاعا للرتاب ، واقامعا لمن جاء يفتح لاحادة الباب ، ولم يروا عملهم هذا مخالفا لما درج عليه السلف ولكنهم رأوا السلف سلكوا التأويل باجمال وراوا انفسهم في حاجة الى تفصيل التأويل وراوا ان كلتا الطريقتين تاويل وفسروا قوله تعالى وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم بمعنى عطف قوله الراسخون على اسم الجلالة . ولقد ابدع امام الحرمين في بيان وجه عدم الامساك عن تفصيل التأويل اذ قال « ان كل مؤمن مجمع على ان لفظة الاستواء ليست على عرفها في الكلام العربي فاذا فعل ذلك فهو قد فسر لا محالة (يعني حيث لم يحمل اللفظ على ظاهر معناه) فلا فائدة في تأخره عن طلب الوجه والمخرج البين بل في تأخره عن ذلك إلباس على إلباس وإيهام للعوام » وقال الغزالي « لاختلاف في وجوب التأويل عند تعين شبهة لا ترتفع الا به » . وتسمى هذه الطريقة طريقة الخلف وهي الطريقة المثلى المناسبة لما عدا القرون الثلاثة الاولى ومن ثم قال بعض العلماء « طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم » ومعنى هذا الكلام فيما افهم انا ان السلف ارشدوا الى تطلب السلامة من الخوض في مثله خشية قصور الافهام والتورط في الشك فلما لم ينصح الناس الى نصحهم وابوا الا السؤال وادخال الشك تعين سلوك طريقة الخلف فهي اعلم اي ادخل في العلم اي اكثر علما لان بيان التأويل وتفصيله يكثر فيه الاحتياج الى الاستدلال بالعلم والقواعد

وكلتا الطريقتين طريقة هدي يسع المسلم سلوكها قال ابن السبكي في خاتمة جمع الجوامع « وما صح في الكتاب والسنة من الصفات نعتقد ظاهر المعنى ونتره عند سماع المشكل ثم اختلف ائمتنا أنقول ام نفوض منزهيين مع اتفاقهم على ان جهلنا بتفصيله لا يقدر »

فعلى طريقة الخلف تأولوا قوله تعالى الرحمن على العرش استوي بتاويلات ثلاثة
التأويل الاول قال جمهور الاشاعرة وفي مقدمتهم امام الحرمين ان معنى الاستواء القهر والغلبة والاستيلاء كما في قول الاخطل

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق (١)

وقول الآخر

فلما علمونا واستوينا عليهم جعلناهم مرعى لنسر وطائر

وهذا هو التأويل الشائع بين طلبة العلم وعندي ان معناه ضعيف اذ لا مناسبة لان تستعمل غلبة

(١) هو بشر بن مروان بن الحكم الاموي اخو الخليفة عبد الملك بن مروان توفي سنة ٧٥ هـ بالبصرة عن نيف واربعين سنة كان جوادا ممدحا اولاه عبد الملك اماراة الكوفة سنة ٧٢ ثم ضم اليه اماراة البصرة سنة ٧٣ فاجتمع له العراق كله وبعد وفاته خلفه على اماراة العراق الحجاج بن يوسف

العرش في معنى عظمة الله تعالى اذ ليس العرش بمتهم فيه خالفية ولا تعاص حتى يعبر بغلبته عن عظمة الغالب وعلى هذا التأويل فالمراد بالعرش العرش الذي هو من عالم السماوات التأويل الثاني للامام الرازي قال الاستواء الاقتدار وزعم انه احسن تأويل والحق عندي أنه تأويل ضعيف اذ لا كبير معنى للاقتدار هنا والمراد بالعرش على هذا مثل المراد به على التأويل الاول التأويل الثالث قال صاحب الكشاف « لما كان الاستواء على العرش وه و سرير الملك (بكسر اللام) يرادف الملك (بضم الميم وسكون اللام) عرفا اي يلزم وصف الملك جعله العرب كناية عن الملك (بضم الميم) فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم يقعد على السرير البتة اهـ » يريد ان ذلك من الكناية باللازم المتعارف عن الملزوم ومعلوم ان اللفظ المستعمل كناية عن لازم معناه لا يلزم فيه صحة ارادة الملزوم فلذلك زاد صاحب الكشاف قوله « وان لم يقعد على السرير البتة » فالمراد بالاستواء فيه هو معنى الجلوس والمراد بالعرش كرسي الملك فحصلت الكناية بذلك عن الملك ولا استواء ولا عرش



ويظهر لي تأويل رابع ، وميزانه في سورة الحق رافع ، وهو ان قوله تعالى الرحمن على العرش استوى مركب دال على هيئة جلوس الملك على العرش وتلك هيئة عظيمة في عقول السامعين فقد عرف العرب ملوك الفرس وملوك الروم وتابعة اليمن ودخلت وفودهم اليهم ، وتحدثوا بعظمتهم في سوامرهم ونواديرهم ، حتى تقرر في اذهان اهل الصناعة اللسانية منهم ما لهؤلاء الملوك عند جلوسهم على عروشهم من العظمة المفرطة والجلالة البالغة فجاء في هذه الآية تشبيه عظمة الله تعالى التي لاتصل العقول الى كنهه هيئتها هيئة عظيمة هؤلاء الملوك تشبها مقصودا به التقريب وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس واستعمل المركب الدال على الهيئة المشبه بها في معنى الهيئة المشبهة استعمال الاستعارة التمثيلية وقد تقرر في علم البيان ان التمثيل هو اعلى انواع الاستعارة لابتناءه على التشبيه المركب الذي هو ابداع من التشبيه البسيط وقد نشأت عنه امثال العرب كما هو مقرر وعلى هذا الوجه فالمراد بالاستواء والعرش مثل المراد به في التأويل الثالث وانما ترجح عندي كون الآية استعارة تمثيلية وليست بكناية وان كانت الكناية تحجيء بالمركب نحو قول زياد الاعجم

ان السماحة والمروءة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج

لوحيين احدهما اعتبار رشاقة المعنى فان الكناية تنبني على صحة ارادة المعنى الصريح وذلك اصل الفرق بينها وبين المجاز المرسل الذي علاقته اللزوم فقولهم طويل النجاد لا يفهم منه السامع الا ان له نجادا طويلا وان ذلك يلزمه طول القامة وان المتكلم ما اراد الا الاخبار عن طول القامة فالسامع يظن انه طويل النجاد حقيقة وكذلك جبان الكلب ومهزول الفصيل وقد يكون المتحدث عنه لانجاد

له ولا كلب له ولا فصيل الا ان ذلك امر قلها يعلمه السامع ، واما الآية فلا يصح فيها ارادة المعنى الاصلي لما هو معلوم لكل مؤمن من استحالة جلوس الرحمان على العرش فلا يصح الكنى به عن معنى الملك المقصود من الآية ولا يغني عن ذلك قول صاحب الكشف « وان كان لم يقعد على السرير البتة » لان الذي نظر به تجوز فيه ارادة المعنى الاصلي والآية لا يجوز فيها ذلك فكيف يصح في الآية الانتقال من المعنى الاصلي الى المعنى الكدائي مع ان المنتقل منه لا يستقر فيه الذهن فضلا على ان ينتقل منه فلزم سلوك طريقة الاستعارة التمثيلية ونظير الآية قول ابى تمام

من شاعر وقف الكلام ببابه واكتن في كنفى ذراة المنطق

فقوله وقف الكلام ببابه ليس كناية عن ملازمة صنعة الكلام لهذا الشاعر بل هو تمثيل لتسخير الكلام حتى صارت هيئة مقدرته على الكلام الذي يريد ان يشبه هيئة تسخير عبيد واقف ببابه لخدمته يتوجه انما وجهه او هيئة عاف واقف ببابه لطلب معرفته وكذلك قوله واكتن في كنفى ذراة المنطق لظهور ان الشاعر لم يثبت لنفسه ذرى يسكنها المنطق بخلاف بيت زياد الاعجم فان المروءة والسماحة والندى مشتمل عليها ابن الحشرج فتكون قبة ابن الحشرج مشتملة على السماحة والمروءة والندى لاشتمالها على الموصوف بها .

الوجه الثاني بقاء لفظ الاستواء ولفظ العرش لمعنيهما الحقيقيين لان المركب في الاستعارة التمثيلية ليس فيه اطلاق مفرداته على غير ما وضعت له بل مفرداته باقية في معانيها وانما الاستعارة في مجموع المركب . وهذا الوجه احسن تاويلا واقوم قيلا . ووضح حجة ودليلا ،

قاله : محمد الطاهر ابن عاشور

عليك ايها المسلم ان تعلم انه . . .

اذا جارت الولاة قحطت السماء واذا منعت الزكاة هلكت الماشية واذا ظهر الربا ظهر الفقر واذا خفرت الذمة ادى العدو .

وعن ابن عباس قال :

اذا رأيت السيف قد اعريت والدماء قد اريقت فاعلموا ان حكم الله جل وعز قد ضيع واتقم من بعضهم بعض . واذا منعتم القطر فاعلموا ان الناس قد منعوا ما عندهم من الزكاة فمنع الله جل وعز ما عنده

آية التغابن

نشرنا بالجزء الرابع من مجلد هذا العام تفسير الآية التغابن وهي قوله تعالى (يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن) بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر ابن عاشور ، ثم هد ذلك ارسل الينا فضيلة الشيخ الصادق المحرزي الاستاذ بالكلية الزيتونية تحريراً ابان فيه عن رأي آخر في فهم الآية المشار اليها ننشره له انما للفائدة شاكرين همته العلمية ونصه بعد دباحته : وقفت بالجزء الرابع من المجلة الزيتونية على ما حبره براع العلامة الهمام شيخ الاسلام المالكي شكر الله سعيه وأدام رعيه جواباً عن سؤال ورد على فضيلته في استكشاف المراد بالتغابن في قوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فاذا هو وجه وجهه يستحسنه كل نبيه وبما انه كان يخلج بصدره وجه آخر لعله يكون من محامل الآية الكريمة فقد اردت ان اكشف الستار عنه في مجلثكم الغراء

ذلك انه لا خلاف بين المفسرين في ان المراد بيوم التغابن هو يوم القيامة ، ولطوله كما قال تعالى وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون » وتعدد مواقفه العظام تعددت اسماءؤه باضافته اليها يسمى تارة بيوم الحساب واخرى بيوم الحشر واخرى بيوم التغابن وفي ذكر يوم التغابن عقب يوم الجمع اشارة الى انه من اول مواقفه ولا يخفى ما في التعبير عنه بذلك من التحويل ، والتغابن تفاعل من الغبن كالتغافل والتناسي لفظا ومعنى ومنه الغبن في البيع اذا غفل البائع عن قيمة متاعه فباعه بابخس منها وعليه فيحتمل ان يكون المراد بيوم التغابن يوم تناسي الناس مبراتهم وطاعاتهم التي هي بضائعهم في دار الدنيا وكانوا اعدوها لذلك اليوم العظيم وبخسهم لقيمتها حتى لا يرون لانقسام طاعة تذكر ولا مبرة تشكر امام ما يشاهدونه من هول ذلك الموقف (جعلنا الله فيه من الآمنين يوم تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى) فلا اعتماد للخلق الا على رحمة الخالق ومن نوقش الحساب هلك فقد ورد في حديث الشفاعة العظمى على ما رواه الشيخان في صحيحهما من رواية انس ابن مالك وابي هريرة رضي الله عنهما عن صلى الله عليه وسلم انه قال : يجمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقولون الا ننظرون من يشفع لكم فياتون آدم فيقولون انت آدم ابو البشر خلقتك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته واسجد لك ملائكته وعلبك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله (١) ونهاني عن الشجرة فصيت (٢) نفسي نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيذهبون الى نوح فيقولون

(١) اي اظهر شدة غضبه في هذا اليوم على من عصاه مريدا ايقاع العذاب به وهذا لم يكن قبل يوم القيامة ولا بعده

(٢) اي خالفت امر ربي وهي مخالفة بحسب الظاهر لان آدم لم يعتمد المخالفة بالاكل من

انت اول الرسل الى اهل الارض وسمك الله عبدا شكورا الا ترى مانحن فيه الا ترى ما بلغنا الا تشفع لنا الى ربك فيقول مثله ويذكر خطيئته التي اصاب بسؤال ربه بغير علم (١) وفي رواية وكانت لي دعوة (٢) دعوت بها على قومي ، نفسي انسي اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا ترى مانحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا فذكر مثله ويذكر ثلاث كذبات كذبهن (٣) نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى كليم الله ونجيه فيأتون موسى فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب بقتله النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى روح الله وكلهه فيأتون عيسى فيقول عليكم به محمد عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

عين الشجرة التي نهي عنها وانما اكل من شجرة اخرى من نوعها ظنا منه انه انما نهي عن عين تلك الشجرة لا على نوعها لتتم كلمة ربك ففي الحديث ان موسى عليه السلام قال لآدم انت اكلت من الشجرة فاخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى تلومني على امر قدرة الله قبل خلقي بالف سنة فقال صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى وانما اطلق على هاته المخالفة معصية في حق الانبياء عليهم السلام لشدة تعظيمهم لله تعالى حتى انهم يعدون ما صدر منهم نسيانا وسهوا مما لم يوافق ما سبق في علم الله ذنبا عظيما من باب حسنات الابوار سيئات المقرين والا فالانبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الوقوع في المعاصي حقيرها وجليلها حفظا لهم ولطفاً بهم من الله تعالى اذ العصمة كما قال ابو اسحاق لما يريدني هي ان يخلق الله تعالى في النبي مانعا عن المعصية لكن لا بحيث ان يلجئه ويسلب اختياره ويجلبه على الطاعة بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويحرره عن المعصية مع بقاء الاختيار تحقيقا للابتلاء والتكليف قلت وبذلك نفهم جيدا معنى قوله تعالى في حق يوسف عليه السلام « ولقد همت به وهم بها لولا ان رأى برهان ربه »

(١) هو ما نطق به القرآن العظيم بقوله : ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم اني اعطتك ان تكون من الجاهلين

(٢) دعوة نوح عليه السلام ما قصه الله تعالى في سورة نوح من قوله : وقال نوح رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا رب اغفر لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات ولا تزد الظالمين الا تبارا « اي هلاكا » . روي عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة نوح كان من المؤمنين الذين تدركهم دعوة نوح

(٣) اخرج البخاري عن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم الا ثلاثا ثنتين منهن في ذات الله عز وجل قوله اني سقيم لما دعاه ابوه للسجود للصنم . وقوله بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم ان كانوا ينطقون . وقال بينا هو ذات يوم وسارة اذ اتني على جبار من الجبابرة فقيل له ان هاهنا رجلا معه امرأة من احسن الناس فارسل اليه يساله عنها فقال من هذه فقال اختي فاتي سارة فقال يا سارة ليس على وجه الارض مؤمن غيري وغيرك وان هذا سألني فاخبرته انك اختي فلا تكذبي فارسل اليها فلما دخلت عليه ذهب يتناولها بيده فاخذ فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت الله فاطلق ثم تناولها الثانية فاخذ منها او اشد فقال ادعي الله لي ولا أضرك فدعت فاطلق فدعا بعض حبيته فقال انكم لم تاتوني بانسان وانما اتيتوني بشيطان فاخدمها هاجر فاتته وهو قائم يصلي فاقوما بيدها فقالت رد الله كيد الكافر او الفاجر في نحره واخدم هاجر (قال ابو هريرة تلك امكم يا بني ماء السماء) وهي دقية مع ابنها اسماعيل بالطاف امام باب الكعبة شرفها الله

الحديث الشريف

روي عن أبي أمامة ابن سهل انه سمع ابا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما انا نائم رأيت الناس يرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر ابن الخطاب وعليه قميص بجره قالوا بما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين

البيان

هذا الحديث الشريف اخرجه البخاري رحمه الله تعالى في باب تفاضل اهل الايمان في الاعمال والكلام فيه ينحصر في ثلاثة مباحث وخاتمة الاول في تحقيق معنى الرؤيا والثاني في طريق تعبيرها والثالث فيما يتعلق بجوهر الحديث والخاتمة في مناقب عمر ابن الخطاب رضي الله عنه

المبحث الاول

قرر علماء الشريعة المطهرة أن الله تعالى خلق الآدمي مركبا من عنصرين سماوي وارضى فهو ناظر للارضى بجسده وللسماء بروحه التي جعلها الله قائدة الحيوي في تدبير شؤونه من جلب المنافع ودفع المضار فكانت الروح كشمس مضيئة على بدنه مطاعها القلب ومن حكمته تعالى ان جعل الحواس

فأوقى فاقول لهم انالها فاتي تحت العرش فاخر ساجدا فاحمد الله بمحامد لا اقدر عليها الآن الا ان يلهمنيها الله فيقال لي يا محمد ارفع راسك وسل تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول يا رب امقي امقي (٢) الى آخر الحديث «وبما تضمنه هذا الحديث من هول ذلك الموقف العظيم وان الناس يهرعون فيه الى الانبياء عليهم الصلاة والسلام في طلب الشفاعة ولا يقدم عليها الا من خصه الله بها صلى الله عليه وسلم يتضح لك جلها وجه العدول عن التعبير في الآية الكريمة يوم الغبن الى يوم التغابن بزيادة الالف لدالتها على امتداد مدلوله وانتشاره بين جميع الطبقات وتأكيد وقوعه كما هي في قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه اذ المرادة انما وقعت من امرأة العزيز فقط دون يوسف عليه السلام وان ما تمحله بعض المفسرين من جعل الالف فيه للفاعلة المقتضية وقوع الفعل من الجانبين كالمخاصمة في غنية عنه كلام الله الحكيم ، وفوق كل ذي علم عليم ،

(١) قوله امقي امقي الظاهر ان الثاني تأكيد للاول على وزان قول الانبياء عليهم السلام نفسي نفسي وفي مقابلته وأمراد بامته صلى الله عليه وسلم جميع من في المحشر من المؤمنين لان هذه الشفاعة هي الشفاعة العظمى الشاملة لسائر الامم واضافهم صلى الله عليه وسلم لنفسه اما تغلبا لامته ويحق لها ذلك لفوزها بهذا النبي العظيم وسبق سعادتها كما قال تعالى كنتم خيرا امة اخرجت للناس او ان جميع المؤمنين في ذلك الموقف العظيم كما واحدة له صلى الله عليه وسلم لارسالهم من انبيائهم والتجانيهم اليه لما جبل عليه صلى الله عليه وسلم من الرأفة والرحمة كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم

الحُسن كسحاب يغشاها في حال اليقظة ولولا لاكتشفت لها جميع المدركات الغيبة اذ هي من عالم الملكوت فاذا سكنت الحواس وارتاضت الروح بالنوم او بغيرة كالتجرد للحق تعالى امكنها استطلاع ما كان مستورا عنها واكتشفت لها مدركات جزئية تارة تتعلق بنفس الرائي وتارة بغيرة فتحفظها المخيلة حتى اذا زال الارتياض ورجعت الروح اعملها البدني حكمتها المخيلة للحسن المشترك بصورة تناسبها مرة مناسبة تامة فلا تحتاج الى التعبير ومرة غير تامة فتحتاج اليه

ومن حكمة اللطيف الخبير ان جعل الارواح كالايجاد قوة وضعفا فالاجساد يظهر اختلاف قواها ومقاديرها في الاعمال البدنية والارواح يظهر اختلافها في المدركات العلية

وبما ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام هم اقوى الناس ارواحا لضعف اشتغالهم بمراجع الحواس البدنية واعراضهم عن المصالح الدنيوية كما قال صلى الله عليه وسلم في حديث تأييد النخل انتم اعلم بامور دنياكم كانت مرأيتهم عليهم الصلاة والسلام صادقة وضربا من الوحي الالهي الذي خضمه الله به الانتظار الى قول اسماعيل عليه الصلاة والسلام لانيه عند ما قال له سيدنا ابراهيم يابني اني ارى في المنام اني اذبحك قال افعل ما تؤمر ستجدني ان شاء الله من الصابرين فقد جعل ما رآه ابوه في المنام امرا من الله تعالى ، وفي حديث عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت اول ما بدى به رسول الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة فكان لا يرى رؤيا الا جاءت كفلق الصبح . وبكونه لا فرق بين ما يوحى به اليه صلى الله عليه وسلم يقضه او مناما في التشريع لامته اذ لا ارتياب في صدق ما يخبر به عن ربه تعالى كما قال جل وعلا وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى تسنى للعلماء الخلاف في حديث المعراج هل كان يقضه او في المنام ولا خلاف بينهم في صحته ما ورد فيه والعمل به من اقتراض الخمس صلوات في اليوم واليلة وغيرها من احاديث المرائي المشحونة بها كتب الصحاح غير ان القرآن العظيم لما كان كلام الله المقدس لم يوح شيء منه مناما اعتناء بشانه وحفظه له من الاشبهة حيث كان متعبدا بلفظه بل نزل كله يقضه منجما بحسب الوقائع والحداثات بواسطة جبريل عليه السلام الملقب بالناموس عند اهل الكتاب قال الجوهرى في صحاحه ناموس الرجل صاحب سره الذي يطلعه على باطن امره ويخصه بما يستره عن غيره

وبما ان اول ما بدى به صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة عدها من المبشرات بنبوته والمبشر من ياتيك بخبر الخير اولا فقد روي عن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لم يبق من النبوة الا المبشرات قالوا وما المبشرات يا رسول الله قال الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وروي عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة وفي رواية من خمسة وستين وفي رواية من سبعين جزءا من النبوة وحملت الرواية الاولى وهي اشهر الروايات على ان مدة نبوته

صلى الله عليه وسلم كانت ثلاثة وعشرين سنة منها ستة اشهر يوحى له فيها بالرؤيا الصالحة وحمل بعضهم اختلاف الروايات في العدد على اختلاف حال الرائي في الصلاح وهو حسن ونقل القرافي عن الكرماني في كتابه الكبير ان ما يراه النائم يرجع الى ثمانية اقسام اربعة منها ناشئة عن الاخلاق الاربعة الغالبة على مزاج الرائي وهي السوداء والصفراء والبلغم والدم فمن غلب عليه خلط رأى ما يناسبه كاللون السود والمجربات لمن غلبت عليه السوداء والالوان الصفرة والطعوم الحامضة لمن غلبت عليه الصفراء والالوان الحمر والطعوم الحلوّة لمن غلب عليه الدم والمياه والتلوج لمن غلب عليه البلغم . والخامس ما هو من حديث النفس في النوم ويعرف ذلك بجولانه فيها في اليقظة والتفكير فيه . والسادس ما يحدث به الشيطان ويعرف بكونه فيه حث على تنكّر الشريعة والسابع الاحتلام وذلك بان يتمثل له الشيطان في صورة توقفه في الحلم ولذا ينبغي التعوذ منه عند النوم والتحصن بما وردت به الآثار من القرآن العظيم وفي الحديث الشريف الرؤيا الصالحة من الله والحلم من الشيطان وهاته الاقسام السبعة لا تعبر برؤيا روحية بل هي خيالات موهومة تجول بنفس النائم والقسم الثامن هو ما تستكشفه الروح من اللوح المحفوظ بواسطة الملك الموكل بها وهو المعبر عنه بالرؤيا الصالحة في قوله صلى الله عليه وسلم لم يبق بعدي من النبوة الا الرؤيا الصالحة وبما تضمنه الحديث المذكور من انها جزء من النبوة فلا ينبغي ان يعبرها الا من كان من اهل العلم الذين يحسنون تعبير المرائي بما اودع الله فيهم من المعرفة والقوة الذهنية على ادراك ما تضمنته . قيل للامام مالك رحمه الله تعالى ايفسر الرؤيا كل احد قال بالنبوة يا حب فليل له ايفسرها على الخير وهي عنده على الشر لقول من قال الرؤيا على ما اولت فقال الرؤيا جزء من اجزاء النبوة أفتلعب بامر النبوة . وذلك لان ما يراه النائم ينحدر من المخيلة للحس المشترك بمثل لاشياء موجودة او ستوجد لا انه يرى حقائق تلك الاشياء بعينها فيدخلها ما يدخل الالفاظ الصوتية من الحقيقة والمجاز والكناية والتصحيف والقلب وغير ذلك اذ تعبير الرؤيا هو العبور من ظاهرها الى باطنها والعبارة الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد الى ما ليس بمشاهد فينبغي للمعبر ان يكون عارفا بتطبيقاتها على ما ينص عليه وان ينظر في القرائن الخارجية من احوال الرائي وغيرها حتى يتفكر الحقيقة فيمكنه تطبيق الآثار الخيالية على المدركات الروحية كما لو رأى نائم انه يخوض بحرا فيعبر له بفيضان نعم الله عليه ان كان تاجرا او من حواشي السلطان وبحصول علم متسع ان كان من طلبته ومن رأى انه سعد على منبر فيعبر له بولاية ملك ان كان من اهله وبخطة القضاء ان كان من اهل العلم وقد اذكرني ذلك ما رايت في تاريخ ابن الاثير ان الحسن ابن علي رضي الله عنهما لما تخلى عن الخلافة وسلمها لسيدنا معاوية رضي الله عنه عام اربعين من الهجرة ورجع من الكوفة الى المدينة لقيه اعرابي في الطريق وكان من شيعة ابيه وفيه غلظة فقال له الى اين تذهب يا مسود وجوه

المسلمين منكراً عليه التسليم في الخلافة فقال له الحسن رضي الله عنه لا تعذلني يا اخ العرب فان جدي صلى الله عليه وسلم رأى في المنام بني امية يترقون على منبره واحداً بعد واحد فلما استيقض استوحش من ذلك فانزل الله عليه (انا انزلناه في ليلة القدر وما ادراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من الف شهر) تسلياً له بجعل بيته بيت نبوة فعلم ان بني امية يتولون هذا الامر ويمكث بأيديهم الف شهر وتصديقاً لذلك فقد كانت مدة خلافة بني امية من تاريخ تسليم سيدنا الحسن ثلاثة وثمانين سنة واربعة اشهر وهي الالف شهر . كما ينبغي للمعبر ان يكون مستحضراً لآيات الكتاب الحكيم والسنة النبوية اذ كثير من المرائي ما يستند في تفسيرها للكتاب والسنة . فقد رايت في ترجمة ابي الوليد الباجي ان تلميذه ابا محمد الهواري وكان يعمل لما يراه شيخه ابو الوليد من انه صلى الله عليه وسلم باشر الكتابة بنفسه فيما كتبه لسهيل بن عمرو في صلح المحديية مع قريش فرأى في المنام انه دخل المدينة واتى المسجد النبوي فرأى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يشفق وبميد ولا يستقر فاعتراه فزع عظيم فقص رؤياه على ابي الحسن بن معوز من غير ان ينسبها لنفسه فقال له اخشى على صاحب هذه الرؤيا ان يصف رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ليس من صفته ويتحمله ما ليس له اصل فسأله من اين علمت هذا فقال من قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولداً لقد جئتم شيئاً ادا تكاد السماوات يتقطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن ان يتخذ ولداً) فتاب الى الله ورجع عما كان يعتقد وما رجع اليه هو التحقيق في المسئلة فاذ صلى الله عليه وسلم كان امياً لا يقرأ ولا يكتب قبل النبوة وبعدها على الصحيح تحقيقاً للمعجزة وان الكتاب لصك صلح الحديية هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه فقد روي انه لما ابتدأ الكتب بسم الله الرحمن الرحيم قال له سهيل بن عمرو نحن لا نعرف الرحمن فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اكتب باسمك اللهم فكتب ثم كتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو كنا نعلم انك رسول الله لا تبعناك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لسيدنا علي احما فقال علي والله لا احما وانت رسول الله فقال له صلى الله عليه وسلم ارني اياها فاره اياها فمحاها بيده الكريمة وقال له اكتب من محمد بن عبد الله . والله در البصري في قوله : كفالك بالعلم في الامي معجزة * في الجاهلية والتاديب في اليم يتبع

محمد الصادق المعري

كلمات حكيمة

قيل لحكيم : ما المروءة ؟ قال : ترك ما لا يعني ، قيل فما الحزم ؟ قال : انتهاز الفرصة ، قيل فما الحلم ؟ قال : العفو عند القدرة ، قيل فما الشدة ؟ قال : ملك الغضب ، قيل فما الحرق ؟ قال : حب مغرور وبعض مغرط ،

الاخلاق

مقدمة

للاستاذ الشيخ بهجة البيطار « صاحب المقال » سمعة مقرونة بالتجلة والاكرام اذ انه عالم دمشق الاوحد الذي يسير على قدم الاستاذين محمد عبده والافغاني ويقتضي ابر المجديين الذين يانفون من الجود المرري بالدين وينكر على البدع المسيئة لسمعة الاسلام والمسلمين دون ان يخشى في الله لومة لائم ومع ذلك فهو عالم عامل لا تجد معمعة سياسية الاوله فيها القسط الاوفر وما من جمعية خيرية الا كان احد مؤسسيها ويقضى بياض نهاره في الارشاد والوعظ في مجتمعات الشبيبة والطبقات العامة دون اجر سوى ثواب الآخرة شأن الفقراء الصابرين وهذه الواجبات المهمة لم تمنعه من اداء واجب في المجمع العلمي العربي الذي هو احد اعضائه البارزين

واخلاصة ان الأستاذ البيطار يعد الآن قطب دائرة علماء الدين علما وعملا بالديار الشاميه ولعلني ساعرف به القراء في مقال آخر مطول بعد ان تتمكن الصلة بينه وبين مجلتنا كما انني ساعرفهم ببعض رجالات الشرق الذين سيبعثون بنفحات نيراهم الى المجلة التريثونية الغراء فالى اللقاء

محمد الكامل التونسي

دمشق

الاخلاق الفاضلة

المحاضرة المترجلة التي القاها الأستاذ محمد
بهجة البيطار في مدرج الجامعة السورية

افتتح القول باسم الله وبحمده والصلاة والسلام على النبي العربي العالمي وعلى سائر اخوانه

الانبياء والمرسلين ومن تبعهم في هديهم واصلاحهم .

سيدي الوزير المعظم - اساتذتي الاجلاء - زملائي الاعزاء :

فكرت فيما القيه على مسامعكم الكريمة هذه الليلة ، وفكرت في نفسي ايضا ، فوجدتني مدرسا للدروس الدينية ، ووجدت الاولى بي ان يكون موضوعي اخلاقيا ، ولكن الناس اختلفوا في الاخلاق اختلافا بينا ، فما يراه هذا سيئا يراه الآخر حسنا ، فرأيت ان استمدها اخلاقا قدسية سماوية ممن اوجد هذا العالم وعلم ابائنا آدم عليه السلام (وعلم آدم الاسماء كلها) (الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان) (اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم)

آيات عشر من آخر سورة آل عمران كان يتلوها ويعجب بها معلنا العربي الاول (صلوات الله عليه) كان اذا نهض نكث الليل الاخير تلا هذه الآيات وانتم ايها الاساتذة الكرام تحيون طائفة من الليل باعداد دروسكم وتصحيح وظائف تلاميذك فجدد بنا ان نتلو تلو معلنا الاول ونستفتح

عملنا بتلاوة هذه الآيات واولها (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار آيات لاولي الاالباب) .

لا اريد ان اذكر ما يتعلق بهذه الآيات من الوجوه الشرعية والعربية فذاك في كتب التفسير وهي في متناول ايديكم ايها الاساتذة الكرام ولكن اورد بعض ما يحضرنى في معاني هذه الآي الشريفة مقتصرًا في ذلك على ما يتسع له المقام .

(ان في خلق السموات والارض) هذه الآية صريحة في ان الله تعالى جعل للانسان سلطانا على العوالم العلوية والارضية ودلت على ان الانبياء هم اول من فتحو ابواب البحث والنظر في العلوم الكونية وهذا كقوله سبحانه قل انظروا ما ذا في السموات والارض فهو نظر علمي ينتج افضل النتائج والثمار وكقوله (وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا) وهو تسخير تمكين وانتفاع واكتشاف واختراع .

وكقوله (هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا) وهذا خطاب عام لامة القرآن يدعوهم ويوجه نظرهم الى ما اودع تعالى في جوف هذه الارض من الكنوز والمعادن ويرشدهم الى الاستفادة منها والانتفاع بما بث فيها من الخواص والقوى ويشب ان جميع ما استحدثته امم الغرب من المكتشفات والمخترعات هو مما ارشد اليه الاسلام وسبقت الى العمل به الامة العربية في عصورها الذهبية فرده رد لنصوص القرآن وتعطيل لاحكامه وتجريد لهذه الامة من كل ما يعزز قوتها وينمي ثروتها ويدفع عوادي الشر عنها وأي جناية على هذه الامة اكبر من هذه الجناية .

(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانهك فقنا عذاب النار) .

الجمع بين الذكر والفكر في آية واحدة هو جمع بين العلم والفضيلة ولا غنى لاحدهما عن الآخر وانما قدمت الفضيلة لانها اساس العلم ونبراسه وعليه بنيت فكرة التربية الصحيحة القائلة (هذبوا النفوس قبل ان تعلموا الرؤوس) فالذكر ينبوع العدل والرحمة والفكر آية العلم والحكمة الذكر والفكر هما علم وعمل بل هما جناحان يحلق بهما الفرد والامة في سماء العلم والعرفان والرحمة والاحسان، الذكر هداية ورحمة، والفكر علم وحكمة ولا غنى للفكر عن الذكر الا اذا امكن ان تستغني هذه الارض عن نور الشمس . هذه الامة العربية ايام نهضتها قد فجر القرآن عيوننا واستنبطت من كنوزة اخلاقا وعلوما فهم بعد ان سمت عقولهم بالتوحيد وزكت ارواحهم باقدس العبادات اصبحوا يعلمهم وهديم خير امة اخرجت للناس لم يشهد التاريخ لهم مثيلا بين الامم ، (وهنا اورد الاستاذ المحاضر الشواهد الكثيرة من سيرة الخلفاء الراشدين والملوك العادلين ثم قال) وقد وصفهم الحكميم الاجتماعي كوستاف لبون بقوله (لم يعرف التاريخ فاتحا ارحم ولا اعدل من

(العرب) لقد فسر الذكر ايضا بالصلاة كما ثبت في الصحيحين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنبك) اي لا يقطعون ذكرهم في جميع احوالهم بسرائرهم وحركاتهم والستهم كما قال احد الذاكرين .

ذكرتك لاني نسيك ساعة وايسر ما في الامر ذكر لساني

قال لي شاب مرة : ان هذا العصر هو عصر مادة وقوة فما فائدة العبادة الشخصية كالصلاة مثلا في معترك الحياة العملي والجهاد القومي . فاجبته بان جميع التكاليف الشرعية من روحية وبدنية ومالية مبني على درء المفساد عن الامة وجلب المصالح لها فالصلاة الروحية البدنية التي هي فرض عام على كل مكلف تنهى عن الفحشاء والمنكر واشد الفواحش والمنكرات فتكا وهتكها هي تلك الحيوش المعنوية التي مهد بها الغرب السبيل لفتح بلاد الشرق كالحجر والقمار والبغاء والربا والانتحار فكثير ممن اضاع الصلاة واتبع الشهوات وقع في هذا التيار الذي اسلمه الى الجنون او المنون فكان ذلك من اشد المصائب على الوطن واهله

فالمرجو منكم ايها الزملاء الاعزاء ان تربوا النشء الجديد على حب الله واقام الصلاة والمحافظة عليها وان تحيوها في المدارس بل ان تحيوا المدارس بها فهي من الوجهة الصحية رياضة بدنية ولكنها تمتاز من الوجهة الروحية بانها صلة بين المخلوق وربّه وبين الروح وجسمه وبين الآخرة والاولى وقد اخبرنا الاستاذ محمد بك العشماوي وكيل وزارة المعارف المصرية الجليلة في دار معالي وزيرنا ان وزارة معارف مصر قد انشأت مساجد في جميع مدارسها الابتدائية والثانوية والعالية وانهم فصلوا مدارس الذكور عن الاناث فمضى يكون عندنا مثل هذه النهضة الخلقية الطيبة

وجملة القول ، ان الذكر بلا فكر جهل وضعف والفكر بلا ذكر قسوة وعنف ونحن لو كنا من اولى الذكر الصحيح لظهرت بلادنا من المهالك والمفاسد ولو كنا من اولى الفكر الصحيح لاجدنا كل ما نحتاج اليه واستغنينا بذلك عن الاجانب فطوبى لمن جمع بين الامرين ونالوا الحسنيين ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته . وما للظالمين من انصار

اي شيء اخزي من افتضاح السرائر والاعمال في ذلك اليوم العصيب (يوم يقوم الناس لرب العالمين يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم) . ولكن هل يبالي بخزي الآخرة من يرتكب الجرائم والمآثم في هذه الدنيا ولا يبالي بالخزي

القرآن الحكيم يزن بالقسطاس المستقيم عقائد الناس واعمالهم ويميز بين طبقات محسنهم ومسيئهم فلا يحكم عليهم في الدنيا حكما واحدا ولا يجعلهم في الآخرة مستويين في منازل الكرامة او الندامة ام يجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الارض ام يجعل المتقين كالقهار

الفتاوى والامام

وردت على ادارة المجلة الاسئلة الآتية

السؤال (١) إمام تذكر وهو في صلاة الظهر انه لم يصل الصبح فقطع صلاة الظهر وقضى الصبح ثم أدى الظهر فقل له أعليك فوائت فقال نعم علي فوائت قديمة وانا منذ عشرين سنة لم ترتب علي فوائت فقل له واجبك التماذي علي صلاتك ثم قضاء الصبح مع الفوائت القديمة فهل ما قيل له هو الصواب او ما فعله. وهل صلاة المأمومين بطلت عليهم حين قطع الامام ام هي صحيحة فيتمونها الجواب : ان من تذكر وهو في صلاة حاضرة فوائت تزيد على الخمس سواء أكانت قديمة العهد ام حادثه ام بعضها قديم العهد وبعضها حادثه (كما في صورة الحال) - يجب عليه التماذي علي الصلاة التي هو فيها اتسع وقتها او ضاق لان الترتيب انما يجب بين الحاضرة ويسير الفوائت دون كثيرها قال خ «ويسيرها مع حاضرة» قال عبد الباقي في حل هذه العبارة: ووجب غير شرط ايضا مع ذكر ترتيب يسيرها (اي الفوائت) اذا اجتمع مع حاضرة - قال عيش - ومفهوم يسيرها تقديم الحاضرة علي كثيرها وهو كذلك ندبا ان اتسع وقتها وجوبا ان ضاق - فاطلاق فقهاءنا لمفهوم يسيرها دون تفصيل بكونها مجتمعة او مفترقة قديمة العهد او حديثه دليل علي عدم اختلاف الحكم - اما ما يخص صلاة المأمومين في صورة ما اذا قطع الامام جهلا كما في واقعة الحال فلا شك انها تبطل لبطلان صلاة الامام لان كل صلاة بطلت علي الامام بطلت علي المأموم الا فيما استثنى وهذه الصورة ليست منه ولذا ذكروا في صورة ما اذا تذكر الامام فوائت يسيرة وهو في صلاة حاضرة انه يقطعها محافظة علي

فعلي رجال العلم والاخلاق ان يبينوا للناس ان اهل الحزبي في الدنيا هم اهل الحزبي في الآخرة وان نار الآخرة وقودها جثث وهام. ويجب علي حماة الوطن والاقتصاد ان يحسموا من هذه البلاد مادة الفساد اذا ارادوا سلامة هذه الامة ووطنها وان ينصحوا للمتهورين من الشباب بمقاطعة الملاهي الفاسدة المفسدة والسعي في اغلاق المقامريوت الفحش والخنور والعري والفجور ويجب بيان ان هذا العري الذي يديه الرقيق الابيض الماحور في نوادي الحزبي والعار هو تقليد لبعض همج القرون الوسطى كما يراه المتتبع لتاريخ الفحشاء واسبابها وامتدادها ونشوتها بين الامم وهل يسهل علي رجال العلم والاخلاق ان تشيع الفواحش في هذه البلاد المباركة وان يكون بعض شبابنا اداة لحمل هذه البضاعة الضارة ونقلها الي بيوت الطهر والعفاف ويكون هو ايضا جرثومة للابوة والامراض وسببا لضياع الانساب والاحساب وافساد الفتيان والفتيات وحل روابط الاسر والبيوتات

الترتيب الواجب وان مأموه يقطع ايضا تبعا له قال خ - وامام ومأموه قال عبد الباقي - اي رقطع امام ذكر السير عليه وهو في صلاة وقطع مأموه تبعا له -

السؤال (٢) اكثر جوامع بلد جربة مطاها في جوانب رحاها بحيث انه لا يمكن الوصول اليها للنظير الا بالمرور على تلك الرحاب كما انه يقع تعليم الصبيان بها في ظل جدران رحاها صباحا ومساء فهل رحبة المسجد كالمسجد في الحرمه عند المالكية ام ان المسجد يزيد حرمة على رحبته فان كان الثاني فلا حرج علينا فيما كنا نفعله وان كان الاول فقد كنا في خطأ عظيم

الجواب ان رحبة المسجد (اي صحنه) كالمسجد في الحرمه عندنا قال عبد الباقي عند قول خ - وتمنع الجنبه موانع الاصغر الا كآية لتعود ونحوه ودخول مسجد ولو محتازا - ما نصه - وسطحه وصحنه كهو - نعم استثنى قهناؤنا مسائل يجوز للجنب فيها دخول المسجد بالتيمم وهي اذا كان مريضا او مسافرا عادمها للماء او حاضرا صحيحا اضطر لدخوله بان لم يجد الماء الا في جوفه او كان بيته داخله واراد دخوله او الخروج منه لاجل الاغتسال او اضطر للمبيت به ففي الصورة المسؤول عنها لا يجوز للجنب الحاضر الصحيح اجتياز صحن الجامع للوصول للمطهرة التي به ليتطهر منها ولو تيمم لذلك اللهم الا اذا فرضنا انه لم يجد ماء الا في تلك المطهرة . هذا هو مشهور مذهب مالك نعم هناك قول لبعض اهل المذهب رده خ (بلو) على عادته وهو انه لا بأس بمرور الجنب بالمسجد اذا كان عابر سبيل اي محتازا اخذا بظاهر قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا) بناء على ان المعنى ولا تقربوا مواضع الصلاة الا عابري سبيل وحمل مالك عابر السبيل في الآية على المسافر وجعل معنى الآية لا تفعلوا في حال السكر صلاة ولا تفعلوها وانتم جنب الا عابري سبيل اي وانتم مسافرون بالتيمم اما تعليم الصبيان في المساجد فهو جائز اذا حوفظ على حرمة المسجد وروعت آدابه وعمل المسلمين بمدارسة العلم بالمساجد سلفا وخلفا شرقا وغربا من غير تكبر عليهم في ذلك برهان واضح على الجواز والله اعلم

السؤال (٣) ما جرت به العادة من الجهر بالذكر حال حمل الجنازة والسير بها الى المقبرة هل هو افضل لما فيه من تذكير المشيعين وحملهم على الحشوع حيث ينههم الى ترك الاشتغال بلهو الحديث ولغوهم ام ان الافضل السكوت لانه ادعى للتذكر والاعتبار بناء على ان العبادة بالفكر افضل من العبادة بالذكر

الجواب انه وقع خلاف بين ائمة المالكية هل القراءة على الميت عند موته وبعده وعلى قبره مكروهة او مستحبة والمذهب وهو الذي اقتصر عليه خ هو الكراهة قال خ عاطفا على ما يكره - وقراءة عند موته - ويتخرج على هذا الخلاف في القراءة الخلاف في الذكر حال حمل الجنازة الواقع في السؤال والذي يظهر من مذهب مالك رضي الله عنه كراهة ذلك لما ذكره دليلا للقول بكراهة

القراءة على الميت تقلا عن سماع ابن القاسم واشهب عن مالك من قوله - ليست القراءة والبخور - من العمل - اي انها ليست من عمل السلف الصالح وان وجه ذلك ككون المقصود تدبر احوال الميت للاعتاظ بها وما ذكر من الكراهة هو المناسب لمذهب مالك وشدة تمسكه بالسنة وما كان عليه السلف وقرط كراهته للابتداع حتى انه في مذهبه يكره قول القائل استغفروا للجنازة قال خ - وقول استغفروا لها - وذلك لان هذا القول بدعة ولذلك لما سمع سعيد بن جبير هذه المقالة قال لقائلها - لا غفر الله له - على ان ما جاء في السؤال من كون الذكر جبراً حال حمل الجنازة ينه المشتغل به والحديث الى الاعتبار والاعتاظ - لا يتم لانا نشاهد ان ذلك لم يمنع المشيعين من الاشتغال بالحديث المنهي عنه حال اتباع الجنازة

السؤال (٤) الزكاة في المزارعة هل تجب في نصيب رب الارض فقط دون نصيب العامل ام تجب الزكاة فيهما ولو كان العامل خمسا وعلى الاحتمال الثاني هل يضم النسيان لبعضها بحيث تجب الزكاة فيهما ان كان مجموعهما نصابا ولو لم يبلغ احدهما او كل منهما بانقراده نصابا ام لا يضمن بل ينظر لكل منهما هل بلغ نصابا ام لا

الجواب ان الزكاة في المزارعة تجب على من بلغ نصيبه من الشريكين نصابا سواء في ذلك رب الارض ام العامل ولو خمسا من غير ضم احدهما للآخر قال البرزلي في نوازل الزكاة ما نصه : ولا زكاة على شريك في ميراث او غيره حتى يبلغ نصيبه نصابا ومثله الحماس اليوم لانه شريف

السؤال (٥) تاجر محتكر باع لتاجر مدير زيتا بقدر معلوم من الدراهم للتسوية على ان يقبل من المشتري عوض الدراهم شعيرا بقدر معلوم من الدراهم ايضا للوية وعلى ان يكون قبض الشعير بعد بيع المشتري للزيت وشرائه بثمنه شعيرا وذلك في مقدار ثلاثة اشهر فهل هذا البيع صحيح جائز ام لا

الجواب انه بيع فاسد غير جائز سواء نظرنا لكونه في الحقيقة بيعا للزيت بالشعير من غير تناجز وهو ممنوع لانه بيع للطعام بالطعام نسيئة ام نظرنا الى ظاهرة حيث اشتمل على عقدين بيع الزيت بالدراهم وتصيير الشعير فيها لان التصيير شرطه الانجاز لما تصير كما لا يخفى ويشتمل هذا التعاقد على وجه آخر المنع وهو ان الاجل المضروب لقبض الشعير « الذي هو ثمن الزيت او هو مصير في ثمنه » غير معلوم لان الثلاثة الاشهر جعلت ظرفا للقبض وهي زمن ممتد من اول يوم منها لآخر يوم فوقت القبض مجهول وجهالة الاجل في المعاملات يوجب بطلانها

السؤال (٦) رجل تحصل على غلة زيتون تبلغ نصابا واراد ان يخرج زكاتها دراها بمقدار قيمة ما وجب عليه فهل يجزئه ذلك في المذهب المالكي ام لا

الجواب ان مذهب مالك عدم اجزاء ذلك فلا بد من اخراج الزكاة من عين ما وجبت فيه

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الامام الشيخ محمد الحجاوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٤ »

١٤ - لا تجد الاسلام يكلف ان تعتقد ما هو ضد ما تحس وما تتعقله يقينا، وعقائده مقبولة في غاية السهولة ليس فيها لغز ولا رمز ولا ايهام كما يوجد في عقائد غيره من الملل بل عقائده مبينة واضحة والدين دين الامين وتجد غيره من الاديان غير خال من ذلك

فالوطني يصور صورة بيده من حجر أو حلواء ثم يعيدها ويطلب منها خبزة او يدفع بها ضرة ثم يأكل الحلواء ويكسر الحجر، وكل عقائده لغوز ورموز لا حل لطلاسمها الى الابد وتجد البوذي بل والمسيحي تكلفهما الكنيسة باعتقاد التثليث او الخلول والاتحاد ولم يقم لهما عليه برهان بل المسيحي تكلفه الكنيسة ان يعتقد في خبز ياكله انه لحم المسيح الذي رفع الى السماء منذ قرون وهي تحرم اكل لحوم الادميين وان يعتقد في خمر يشربه انه دم المسيح ايضا وهو قد خبز الخبز بيده وعصر الخمر بيده

وكلفته باعتقاد ألوهية المسيح مع اعتقاد انه بشر مولود ياكل ويشرب ويحتاج الى ما يحتاج اليه الانسان وانه وجد بعد ان لم يكن وانه ولدته مريم وانه ولد الله (تعالى عن ذلك) وبالجملة تكلفه باعتقاد المتناقضات المستحيلات اعتقادا جازما لا يرتاب فيه فهل ذلك ميسور ؟

والمسلم في راحة من حمل هذه الاثقال ، بل قول قد أوجب الاشعرية اعتقاد تنزيه الله عن الجهة فاذا وجد قاصر العقل ضيق الفكر لا قدرة له على فهم هذه العقيدة واعتقد الجهة فانه معذور

لان الشارع قصد تشريك الفقراء مع الاغنياء في اعيان الاموال ولذا علق الزكاة بالاعيان غير انه في صورة الحال له الخيار بين أن يخرج العشر زيتا او حبا

السؤال (٧) ما يصرفه رب الزيتون على جمع زيتونه هل يطرح بمقداره من الزيتون ويترك الباقي فقط اولا يطرحه بل يترك الجميع - وما يبيعه قبل تمام عصره من الزيتون ليخلص من ثمنه العملة هل يخرج عشرة ام لا

الجواب ان ما يصرف على جمع الزيتون لا يطرح بمقداره من الزيتون وان ما باعه منه قبل تمام عصره محسوب عليه في الزكاة فيجب زكاة الجميع ان بلغ نصابا لان الزكاة وجبت في عينه من غير اي اعتبار آخر ولذا قال مالك يحسب على الرجل ما أكل من الثمر والزرع قبل الحصاد في النصاب ، والله اعلم

علي النيفر

بالعجز كما وقع للامة التي سألها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله فقالت في السماء فقبل اسلاها وحديثها في الصحيحين

١٥ - مدار عقائد الاسلام على تنزيه الله عما لا يليق بمقام الالهية وعدم التعطيل بان ثبت له تعالى الصفات التي اثبتنا النقل وسلمها العقل
ثم انا وجدنا آيات دلت على التنزيه (ولم يكن له كفوا احد) (ليس كمثله شيء) (ولا يحيطون به علما) (هل تعلم له سميا) ووجدنا آيات اكثر منها عددا (١) دلت على التشبيه (الرحمن على العرش استوى) (يخافون ربهم من فوقهم) (وهو معكم) (أمتم من في السماء ان يخسف بكم الارض) (ان اصنع الفلك بأعيننا) (لما خلقت بيدي) (والسموات مطويات بيمينه) في آيات أخر لما تعارضت الأدلة الجمعية فزرع العلماء الى العقل وجعلوه حكما . فتصفح ادلة التشبيه فوجدناها نفسها تعارضت فما دل على جهة العلو عارضه ما دل على المعية او الامام وما جاز على نصوص الجهة جاز على النصوص الدالة على الجوارح اذ الكل تشبيه فسقط ما دل عليه من الظاهر التشبيهي المنافي للتنزيه وبقي ما دل على التنزيه على نصوصه والعقل عاضد له (٢)

اذ العقل يحيل ان يكون الاله الذي خلق العالم والزمان والمكان والاجرام وعوارضها الازلي الابدی القائم بنفسه الغني عن غيره الذي لم يكن من شيء ولا عن شيء موصوفا بما يخالف ذلك من التشبيه الدال على الحدوث والافتقار واذا احوال ذلك فقد حكم برجحان آيات التنزيه على التشبيه ووجب عدم اعتقاد ما افاده ظاهر هذه من التشبيه

ثم لك ان تفوض وان تؤول حسب مشربك فالعقل لا يوجب هذا ولا ذاك فادلة العقل مقدمة عند علماء الكلام على ما تدل عليه ظواهر الاوضاع العربية اذ ادلة العقل يقينية والاضاع ظنية لان الآيات الدالة على التشبيه ليست دلالتها صريحة وانما هي ظاهرة تقبل التأويل فهي ظنية الدلالة واليقين مقدم على الظن باجماع العقلاء كما سبق (٣)

١٦ - في القرآن والسنة آيات واحاديث دلت على قواعد من العلوم العقلية المحضة فلسفية طبيعية وهندسية وفلكية وغيرها ترشد الى حقائق الكون وادوار الطبيعة وادوار حياة الانسان الى غير ذلك مما يهت الناظر ويستوقف الحاضر أ - كآية وارسلنا الرياح لواقح الدالة على إقح الاثني

- (١) خلافا لابن خلدون في المقدمة ان آيات التنزيه اكثر
(٢) بهذا التحرير تعلم ما وقع لابن القيم في اعلام الموقنين ج ٢ عدد ٣٧٠ وبهذا يمكنك التخلص ايضا مما وقع للذهبي في كتابه العلو فانظرهما
(٣) بهذا الجواب تعلم دفع ما اطلال به الذهبي في كتاب العلو مما يخالف هذا وكذلك ابن تيمية وغيرهما

بالذكر من النبات ، عرف العرب هذا من القرآن منذ بضعة عشر قرنا وما اكتشفت العلوم الطبيعية الا حديثا

ب - آية اطلقوا الى ظل ذي ثلاث شعب . اشارة الى قاعدة هندسية

ج - آية اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء . اشارة الى الاستفادة من علوم الفلسفة الطبيعية

د - آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار . اشارة الى النظر في علم الهيئة والفلك والتعديل

هـ - آية ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما انزل الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض آيات لقوم يعقلون. اشارة الى النظر في علوم البحر والحوادث الجوية وعلم النبات والحيوان الى غير ذلك

و - وقوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا وقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم جعلنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر . بينت الآيات اطيوارا الانسان قبل الرحم وفي الرحم حيث كان جمادا ثم نباتا ثم حيوانا ثم انسانا فتبارك الله احسن الخالقين ويتعلق بذلك فوائده من علم التشريح وغيره

ز - آية الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة . رتب مراحلها بعد الولادة الى الوفاة

ح - آية كيلا يكون دولة بين الاغنياء منكم. اخذوا منها قواعد من علم الاقتصاد السياسي وكل هذه الآيات وغيرها اذا راجعت التفسير وما أخذت علماء الاسلام منها مما يطول بنا تتبعه وجدتها منبهة الى الاستفادة من العلوم العقلية والاستعانة بها على فهم الحياة مع الاستدلال بها على صميم المعتقدات وكل ذلك دليل اعتبار الدين للعقل والعلم واعتضاده بهما وكيف القرآن يقول ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ويجب علينا ان نقف عند حد ما يدل عليه الاسلوب العربي وان متمسك بالحقائق متمسكين عن السباحة في بحر الخيال متحققين ان القرآن قد يدخر الله فيه للمتأخرين ما لم يصل اليه المتقدمون

١٧ - أخذ علماءنا علوما عقلية وضموها الى علوم الدين كالحساب والهندسة وتخطيط البلدان ومسح الارضين والاقتصاد السياسي وغير السياسي وعلم الطب والصيدلة والنجوم والتعديل وكل ما

يفيدنا في حياتنا ويتوقف عليه امر من امور ديننا او ديانا فالحساب صار جزءا من علم الفرائض (التركات) الذي يروى فيه انه نصف علم الشرع. والقرآن اعتبره ايضا قال لتعلموا عدد السنين والحساب. ومن لم يتقن الحساب لم يتقن قسم التركات وايصال كل ذي حق حقه ومن لم يعرف مسح الارض والهندسة لم يكن قساما ولا يصلح كاتباً للخزراج ومن لم يكن طبيباً لم يصلح ان يشهد في العيوب وقيس الجراحات والتدميات الى غير ذلك

فكل علم يتوقف عليه وظيف من الوظائف الشرعية أو امر من امور الدين صار من جملة العبادات

ولكونه وسيلة الى مقصد أعطى حكم ذلك المقصد من وجوب كفائي او عيني او ندب (١)

فاكثر العلوم العقلية صارت من العلوم الشرعية فكيف يكون الدين ضد العلم ام كيف ينكر مسلم تعلم هذه العلوم وهي من الفروض الدينية

وتسميتها علوما حديثة تسامح لان جلها وجد قبل الاسلام انما الذي يحق ان يسمى علوما حديثة ما اخترعه الأوروبيون والأميريكيون بعد نهضتهم الاخيرة

كما فعل غيرهم من الامم قبلهم فالاسلام اخترع ما اخترعه قبلهم واخترع قبله غيره ايضا يونان وغيرهم فاخذوا الاسلام وهذبه ونمّاه

فالعلوم العقلية ملك مشاع بين الامم كل عمل فيه ما قدر له نعم المسلمون وبالاخص العرب منهم اكثرهم كان معتنيا بالعلوم الادبية اكثر من غيرها لترقية النوع الانساني واخراجه من ظلمات الجهل والاخلاق الفاسدة والاوهام والضلالات التي تعوقه عن الرقي وبالعلوم الرياضية

وكان اعتناء اوروبا بالعلوم الطبيعية والميكانيكية ونحوها ولها ايضا فضل عظيم في ذلك وان ادى كثير منه الى هلاك النوع الانساني

ولكن الذي مهد السبل لذلك هي العلوم التي مهدها الاسلام من اديبة ورياضية واحتفظ باماتها فالاسلام مهد الارض وزرع وغيره نمى الزرع وحصد وكل ما زادته اوروبا او غيرها يتعين علينا معرفته والا كنا مخلين بواجب ديني

١٨ - اكثر العلماء اختصاصا بعلوم الدين هم فلاسفة المسلمين الذين اشتغلوا بالعلوم العقلية وخدموها خدمة حلي مثل ابي يوسف يعقوب الكندي اعظم فلاسفة العرب والاسلام ثم الغزالي والرازي وسعد الدين التفتازاني وابن رشد الحفيد وطول بنا تعدادهم

وماسب ظهور الاشعري وتمذهب اكثر الائمة بمذهبه والانتساب له الا طول باعه في الفلسفة للتي بها استعان على هدم اصول الاعتراك فلو لم يكن الدين معتبرا للعقل وعلومه ما كان اشد

(١) انظر شراح خليل لدى قوله في الجهاد كالقيام بعلوم الشرع وانظر احياء الغزالي وغيرها

الناس اختصاصا بهما اشدّهم اختصاصا به ، لم يأنف المسلمون عن اخذ العلوم العقلية حتى عن الامم المقهورة لهم مثل الفرس والهند والرومان واليونان اخذوا كل فلسفة وجدوها عند غيرهم فهدبوا وهم الذين احبوا فلسفة اليونان بعد دروسها بقرون ونشروها في اوربا ولولاهم لضاعت ولو ضاعت ما امكن اوربا ان تنهض هذه النهضة الا بعد قرون من زماننا هذا

فالدين الاسلامي لا يناهض الفلسفة الحقيقية المقيدة غير الوهمية ولا يمنع منها من له باع في علوم الديانة وتمكن منها نعم يمنع من الفلسفة من لم يعرف علم الدين ولا تمرس به او من كان ناقص الذكاء الفكرى لان الخوض فيها لمن لم يتوفر فيه الشرطان ضرر فادح ويؤدي الى الكفر الفاضح اذ تسبق الى ذهنه الشبهة المظلمة المضلة وهو جاهل بالدين الاسلامي فيظنهما متناقضين اما من كان قليل الذكاء فشغله بها عبث وفساد

واشتغال من يجهل الدين بالفلسفة هو سبب ادعاء بعض المنفرنجين ان دين الاسلام ضد العقل والعلم وبني على هذا الاساس المنهار قوله ان الدين مانع من رقي الاسلام وهذا الذي وقع لمؤلف كتاب مصطفى كمال وهو حكم على شيء عظيم قبل تصوره وقياس فاسد على دين الوثنية

فالاسلام دين العلم وعضد العقل ودين الرقي وهو الدين الذي لم يشب بخرافات تشوّهه وهو ما في صريح القرآن وصريح الاثر الصريح ايضا

١٩ - اشتغل صدر الامة في خير القرون بترجمة كتب اليونان وغيرها في العلوم العقلية ايام المنصور العباسي والعلماء الكبار متوافرون فما انكر جمهورهم ولا قالوا ان ذلك ضد الدين ذلك دليل انهم كانوا يرون ان الدين ليس ضد العقل ولا العلم

وكونه تسبب في حدوث فرق المعتزلة وغيرهم فليس كل عمل يجوز يجب ان يخلو من كل مفسدة بل المدار على غلبة المصلحة على المفسدة وما سبب الفرقة الا انصاف العلماء وأرباعهم وقدماء قالوا (لو سكت من لا يدري لقل الخلاف)

وكما ترجوا علوم الاوائل عن غيرهم ترجوا ايضا دينهم الى غيرهم فترجوا القرآن وغيره ولولا الترجمة ما اسلمت تلك الامم ولا وصل الدين لاعماق قلوبهم وتمكن منهم تمكن الذي ذاقه بل امتلا منه وهضمته معدته

فالاسلام اخذ علوم غيرة من الامم وبذل ما عنده بسخاء مفرط فهو ليس ضد العقل ولا العلم بحال وذلك كله يدل على مقدار العقل وعلومه في نظر الاسلام الحنيف وعلماء الاسلام الكاملين وبقي عنه ما يلصقه به اعداؤه من كونه مانعا من رقي الاسلام وهم يرون ان اهله لما كانوا متمسكين به كانوا أعلم اهل الارض وارعاهم

(يتبع)

سلسلة منحة

شاع في الاوساط التونسية قديما وحديثا انه اذا وافق يوم احد العيدين الفطر والاضحى يوم الجمعة كان ذلك العيد ثقيلا على الامير

فيتشاءمون بذلك ويتطيرون وربما طوحت طيرتهم وسوء اعتقادهم : عايم الى التعدي على المقامات الشرعية فيتهمون اهل الذكر الذين يجب الرجوع اليهم في ذلك وما اليه بانهم يتفادون ، امكنهم من اثبات احد العيدين بالجمعة تزلفا للامير وارضاء له

وهذا ما تكاثفت فيه الضلالة وتراكم به الجهالة اذ كيف يصح لدى ذي منطق صحيح وعقل رجيح تعقل ذلك والآثار الشرعية والادبية صريحة في الدلالة على خلافه
فليوم الجمعة من اليمن والفضيلة في الاسلام المنزلة المعروفة والمكانة الموصوفة ناهيك انه ببركته يدرأ العذاب وتضاعف الثواب

وهذا ما شاع في العامة ايضا (ميت الجمعة ما يتحاسبش) (١) وحينئذ اذا لابت هذا اليوم الميمون فضيلة زمانية اخرى كالعيدية والحج وما الى ذلك من الفضائل الزمانية فقد تم الحظ وتضاعفت الخيرات فحققت التهاني والبخارات (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا) فأكرم بيوم الجمعة يوم أكمل فيه الدين وأتمت نعمة رب العالمين وارتضي فيه الاسلام دينا لعباد الله المؤمنين ولهذا السبب شاع في العامة ايضا التنويه بفضيلة حجة الجمعة على ما سواها من الايام لان حجة الوداع التي توفرت فيها تكلم النعم المذكورة في الآية المتقدمة كانت حجة الجمعة ومعا يشير الى ما تقرر في اذهان المسلمين من اعتقاد شرف الجمعة على سائر ايام الاسبوع
قول الشاعر :

عيد وعيد وعيد صرن مجتمعه وجه الحبيب ويوم العيد والجمعة

وحينئذ فالمراد من ثقل يوم العيد الذي وافق يوم الجمعة على الامير انما هو الثقل الحسي الحاصل من تواصل الاعمال وترادف الاشغال على خصوص امير المؤمنين وذلك لما هو شأن عامة امراء المسلمين من القيام بامامة صلاة العيد فقبول التهاني والمعابدة من عامة الشعب والرعية فضلا للجمعة فالقيام للوافدين مباركين ومتبركين بالائمة والشفعاء على ما عليه عمل الناس في ديارنا التونسية من هرعهم الى ذلك كلما انتقل الامام من صلاة الجمعة والعيدين .

فلا جرم والحالة ما ذكر ان وردت تلك المقالة واصفة لحالة حقيقية فيها ما فيها من هذا الثقل المحسوس على امير وقتها تعارف معناها على وجه المتواضعون في تلك العصور فتلقتاها الاخلاف عن الاسلاف وتطاول الابد واختلاف الاحوال اعترها ما اعترها من التحريف عن موضعها وطلوع شمسها من غير مطلعها والله في خلقه شؤون .

الناصر الصدام

(١) قال صاحب الدر المختار من خصائص يوم الجمعة قراءة سورة الكهف وفيه تجتمع الارواح وتزار القبور ويأمن الميت من عذاب القبر ومن مات فيه أوفي ليلته أمن من عذاب القبر ولا تسجر فيه جهنم وفيه يزور اهل الجنة ربه تعالى اه وكتب ابن عابدين على قوله وبأمن من عذاب القبر الخ ما نصه قال اهل السنة والجماعة عذاب القبر حق وسؤال منكر ونكير وضغطة القبر حق لكن ان كان كافرا فعذابه يدوم الى يوم القيامة ويرفع عنه يوم الجمعة وشهر رمضان الى ان قال والمؤمن العاصي يعذب وضغط لكن ينقطع عنه العذاب يوم الجمعة وليلتها ثم لا يعود وان مات يومها او ليلتها يكون العذاب ساعة واحدة وضغطة القبر ثم ينقطع . كذا في المعتقدات للشيخ ابي المعين النسفي الحنفي من حاشية المحوي اه ملخصا بحذف وبعض تصرف

الحمد لله رب العالمين

(تابع للمنشور بصفحة عدد ٢٠٢)

فالتعريف فيه بالالف واللام تعريف الجنس لان المصدر هنا في الاصل عوض عن الفعل والفعل من قبيل المطلق عند الاصوليين او النكرة عند النحاة فلا جرم ان يكون الدال على الفعل والساد مسندة الالف الى الجنس فاذا دخل عليه حرف التعريف فهو لتعريف مدلوله فاذا كان المسمى جنساً فاللام تدل على تعريفه، والمراد من تعريف الجنس هو تمييزه من بين اجناس الافعال كلها كما في الكشف وأقول اي من بين اجناس الافعال او بين الاجناس التي تلتبس به او التي تشاركه في جنس اعلى وهو الظاهر لي فاذا قلنا الحمد لله او العجب لك فانما تعرف هذا الجنس من بين اجناس الافعال كلها او من بين ما يلتبس به كأنك تريد ان هذا الجنس معروف لديك ولدى مخاطبك لا يلتبس بغيره كما انك اذا قلت الرجل وارادت معينا في تعريف العهد النحوي فانك تريد ان هذا الواحد من الناس معروف بينك وبين مخاطبك وتعريف الجنس يسمى تعريف الحقيقة فهو في المعنى كالنكرة من حيث ان التعريف فيه ليس معه كبير جدوى اذ تعيين الجنس من بين بقية الاجناس حاصل بذكر لفظه الدال عليه لغة وهو كاف في عدم الدلالة على غيره اذ ليس غيره من الاجناس بمشارك له في اللفظ ولا متوهم دخوله معه في ذهن المخاطب فلذلك كانت اداة التعريف للجنس قليلة الجدوى بخلاف تعريف العهد الخارجي فانها تدل على واحد معين بينك وبين مخاطبك من بين بقية افراد الجنس التي يشمها اللفظ الدال على الجنس فلا يفيد هذا التعريف اعني تعريف الجنس الا تؤكد اللفظ وتقريره وايضاحه للسامع لانك لما جعلته معهودا فقد دلت على انه واضح ظاهر وهذا معنى قول صاحب الكشف « هو نحو التعريف في ارسها العراك ومثناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال » وليست لام التعريب هنا للاستغراق ولذلك قال صاحب الكشف « والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم يجهلون » غير ان حاصل معنى الاستغراق حاصل هنا لان الحكم باختصاص جنس الحمد بالله تعالى بوجود لام تعريف الجنس في الاختصاص في قوله الله يستلزم انحصار افراد الحمد في التعلق باسم الله تعالى لانه اذا اختص الجنس اختصت الافراد اذ لو تحقق فرد من افراد الحمد لغير الله تعالى لتحقق الجنس في ضمنه فلا يتم معنى اختصاص الجنس المستفاد من لام الاختصاص الداخلة على اسم الجلالة ، ثم هذا الاختصاص اختصاص ادعائي فهو بمنزلة القصر الادعائي للبالغ . ثم ان جملة الحمد جملة خبرية اصالة لانها تستعمل اخبارا تقول لمن سألك لمن الحمد ؟ الحمد لله . ثم صار للانشاء بالنقل مع تعاهد الاصل كما يراد من الخبر انشاء التحجر والتعجز في نحو قوله تعالى اني وضعتها اثني وقل الشاعر هو اي مع الركب اليمانيين مصعد البيت فيكون المقصد الاصلي هو الانشاء والعدول الى الاخبار لما يتأتى بواسطة الاخبار من الدلالة على الاستغراق والاختصاص والدوام والثبات ووجه التلازم بين الاخبار عن حمد الناس لله وبين انشاء حمد المخبر لله تعالى ان المخبر عن حمد الناس له تعالى لا جرم انه منشيء ثناء عليه بذلك وكون المعنى الاتزامي في الكناية هو المقصود دون المعنى المطابق اظهر منه في اعتبار الخبرية المحضة لما عهد في الكناية من انها لفظ اريد به لازم معناه مع جواز ارادة الاصل معه وقال جماعة من ائمة اللغة ان

جملة الحمد لله انشاءي لا اشعار له بالخبرية على انها من الصيغ التي نقلتها العرب من الاخبار الى انشاء البناء كما نقلت صيغ العقود وافعال المدح والذم اي نقلا مع عدم أمانة المعنى الخبري في الاستعمال فانك قد تقول الحمد لله جوابا لمن قال لمن الحمد او من احمده ولكن تعهد المعنى الاصلي ضعيف محتاج للقرينة وعندى ان الحق الذي لا يحيد عنه ان الحمد لله خبر مراد منه الانشاء فالقصد هو الانشائية لا محالة وعدل الى الخبرية ليمكن تحميل جملة الحمد من الخصوصيات ما يناسب جلالة المحمود بها من الدلالة على الدوام والثبات والاستغراق والاختصاص والاهتمام وشيء من ذلك لا يمكن حصوله بصيغة انشاء نحو حمدا لله او احمدا الله حمدا ومما دلني على اعتبار العرب اياها انشاء قول ذي الرمة

ولما جرت في الجزل جريا كانه سنا الفجر احدثنا خالقها شكرا

فعبّر عن ذكر لفظ الحمد والشكر بالاحداث والاحداث يرادف الانشاء لغة فقوله احدثنا خبر حكى به ما عبر عنه بالاحداث وهو حمده. (رب العلمين) وصف لاسم الجلالة فانه بعد ان اسند الحمد لاسم ذاته تعلّى تنبيها على الاستحقاق الذاتي عقب بالوصف ليكون الحمد متعاقبا به لان وصف المتعلق متعلق ايضا يؤذن باستحقاقه الوصفي ايضا للحمد كما استحققه بذاته وذلك لان في تعليق الحكم على وصف ايدانا بالعبودية وهذا الايدان مستفاد من الكلام بمعونة المقام ونسج الكلام فانه لما كان في ذكر الوصف غنية عن ذكر الموصوف لا سيما اذا كان الوصف منزلا منزلة الاسم كوصافه تعلّى وكان في ذكر لفظ الموصوف ايضا غنية في التنبيه على استحقاق الحمد المقصود من الجملة عليه ان المتكلم ما جمع بينهما الا وهو يشر الى ان كلا مداولي الموصوف والصفة جدير بتعليق الحمد به فذلك مستفاد من كيفية تركيب اللفظ والعدول عن مقتضى الظاهر . وقد اتبع اسم الجلالة هنا باربعة اوصاف وقد رتب الصفات المذكورة هنا ترتيبا لوحظ فيه غاية المناسبة اذا ابتدئ منها بالوصف الظاهر تعلقه بسائر المحدثات وذلك نعمة اليجاد وابلاغ الوجود الى غاية كماله ثم نتي بالوصف الذي به كمال ذلك وهو وصف الرحمن والرحيم على ما تقدم من بيان المراد بهما ثم ذكر ملك يوم الدين الذي بوصف العدل الذي هو سبب الثواب والعقاب لان به كمال تلك النعم الماضية لان فيه ما يجزئ عن فسادة ويجزي الصالح على صلاحه ولما كان الحمد على هذا الوصف انما يظهر بالنسبة للمؤمنين ناسب تاخيرها بالنسبة للحمد وبالنسبة لكون متعلقة مكمل تعلقات بقية تلك الصفات المذكورة قبله .

والرب اما مصدر واما صفة مشبهة على وزن فعل من ربه بمعنى ربه واساسه والترية تبليغ الشيء الى كماله تدريجا ويجوز ان يكون من ربه بمعنى ملكه والعلمين جمع عالم قالوا ولم يجمع فاعل هذا الجمع الا في لفظين عالم وباسم اسم للزهر المعروف بالياسمين جموعه على باسمون وباسمين

والعالم في الاصل ماسوى الله تعلّى مما تعارفه الناس من الحوادث اي مجموع المحدثات ويطلق على كل جنس من اجناس الموجودات . وليس هو مشتركا ولا حقيقة ومجازا لان كليهما خلاف الاصل بل هو موضوع للقدر المشترك اعني ما يدل على العلم بالخالق فتارة يقصد ذلك المعنى الموضوع من حيث الصبرة والمجموع وتارة يقصد الى نوع منه متميز عما سواه وقد بنته العرب على وزن فاعل ففتح العين وهذا البناء مختص بالدلالة على الآلة غالبا كخاتم وقالب وطابع فجعلوا العوالم لكونها آلة للعلم بالصانع او لكونها آلة للعلم بالحقائق . ولقد ابداع العرب في هذه اللطيفة اذ بنوا اسم جنس الحوادث على وزن فاعل لانه النكتة وقد قال التفتراني في شرح الكشاف العالم يطلق على ذوي العلم . وعلى كل جنس يطعم به الخالق نحو قولهم عالم الانسان عالم النبات عالم الحيوان . ولا يطلق على المجموع اي على جميع ما سواه فقال السيد ويطلق على مجموع تلك الاجناس عالم لكن الشائع انه لا يطلق على كل جنس منها الا باضافة نحو عالم الانسان عالم الملك عالم المجردات . والتعريف فيه للاستغراق اذ لا وجه لتخصيص اضافة الرب ببعض اجناس العوالم ،

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

الالقباب والنعوت الملكية

في البيت الحسيني

بقلم العلامة المؤرخ امير الامراء سيدي
محمد ابن الخوجه مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان اول القاب الملكية الحسينية هو لقب الباي معرب من لفظ بك في التركية كما تراه بالطابع السعيد ومعناه السيد العظيم وهو في اصله عندهم اي الترك من القاب رؤساء الجيش وابناء الباشوات كما ان لفظ باي برسمه هذا معناه امير في اللغة الفارسية (١) واصل دخول هذا اللفظ في الاستعمال بتونس كان باثر دخول الايالة التونسية في طاعة السلطان سليم خان الثاني سنة ٩٨١ فان الوزير سنان باشا لما فرغ من الفتوح باشر ترتيب الدولة وجعل رئاستها في ائمن : الباي لضبط الوطن وتمهيد الراحة واستخلاص المجاي والآغه للنظر في احوال الجند وكان في الحملة اربعة آلاف عسكري على راس كل مائة منهم امير يلقب بالداي واول من تولى خطة الباي بتونس هو رمضان باي في سنة ٩٨١ وتولاها بعده مراد باي في سنة ١٠٢٢ وهو اول امراء الدولة المرادية ثم ابنه محمد باي وغلب عليه اسم حمودة باشا وهو صاحب الجامع المنسوب له المجاور لزاوية سيدي احمد بن عروس تلقب بالباي في سنة ١٠٤١ ثم ابنه مراد باي الثاني في سنة ١٠٧٦ ثم ابناؤه الثلاثة محمد باي صاحب الجامع الضخم المواجه لزاوية سيدي محرز بن خلف وعلي وباي ورمضان باي باخذ ورد بينهم في الولاية من سنة ١٠٨٦ الى سنة ١١٠٨ وتخللهم عنهم محمد الحفصي باي في سنة ١٠٨٦ وصهرهم محمد بن شكر باي في سنة ١١٠٦ ثم مسراد باي الثالث بن علي باي في سنة ١١١٠ وهو آخر الامراء المراديين وقد حفظ له التاريخ من سوء السلوك ما يحمر له وجه السماء ثم ابراهيم الشريف باي في سنة ١١١٤ وقد تلقب بالباشا باي داي وهو آخر البايات قبل قيام الدولة الحسينية فكانت جملة البايات في مدة حكم الترك احد عشر بايا ولما دخلت الايالة التونسية في حكم

(١) هذا التعريف في اللغتين التركية والفارسية استفدته من صاحبتنا المرحومة الوزيرة السيد الطاهر خير الدين وحق علي تزويده بالرحمة الواسعة في هذه الآونة لما كان امدني به من التحقيقات والبيانات الشافية في مجالس متكررة بيته وبيتي اثناء ابحاثي التاريخية لضبط كثير من الحوادث التونسية التي وقعت في عهد وزارة والده رحمهما الله

البيت الحسيني سنة ١١١٧ بطلب من اهل تونس وعن طيب نفس منهم اخذت سلطة الباي في النمو والظهور واخذت سلطة الداوي في التراجع والتضاؤل بتغلب الاولى على الثانية الى ان آل امر هذه للاضمحلال والزوال وفيما بين ذلك رسخت قدم البيت الحسيني في الامارة فكان حبه ممتكنا في القلوب وسلطانهم باسطا جناحيه على كامل التراب التونسي واول من تسولي الامر منهم مؤسس بيتهم ثابت الاركان راسخ البنيان المولى حسين باي بن علي تركي في سنة ١١١٧ ثم حفيده للاخ المولى علي باي الاول بن محمد بن علي تركي في سنة ١١٤٨ ثم المولى محمد الرشيد باي بن حسين بن علي في سنة ١١٦٩ ثم اخوه المولى علي باي الثاني في سنة ١١٧٢ ثم ابنه المولى حودة باي في سنة ١١٩٦ ثم اخوه المولى عثمان باي في سنة ١٢٢٩ ثم ابن عمه المولى محمود باي ابن محمد الرشيد باي في سنة ١٢٣٠ ثم ابنه المولى حسين باي الثاني في سنة ١٢٣٩ ثم اخوه المولى مصطفى باي في سنة ١٢٥١ ثم ابنه المولى احمد باي الاول في سنة ١٢٥٣ ثم ابن عمه المولى محمد باي بن حسين باي الثاني في سنة ١٢٧١ ثم اخوه المولى محمد الصادق باي في سنة ١٢٧٦ ثم اخوه المولى علي باي الثالث في سنة ١٢٩٩ ثم ابنه المولى محمد الهادي باي في سنة ١٣٢٠ ثم ابن عمه المولى محمد الناصر باي بن محمد بساي في سنة ١٣٢٤ ثم ابن عمه المولى محمد الحبيب باي بن محمد المامون باي في سنة ١٣٤٠ ثم ابن عمه ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني في سنة ١٣٤٧ اعلى الله على الاقدار قدره. وانفذ في العالمين نهيه وامره هذا وقد نظم العلامة الشيخ محمد بيرم الثاني (١) ابياتا تضمنت ذكر جميع البابات من تاريخ

(١) كان من اعلم فقهاء زمانه ناهيك انهم سموه بابي يوسف الثاني توفي سنة ١٢٤٧ وقد نعتوه بالثاني عقب اسمه احتراماً من الالتباس بابيه الشيخ محمد بن حسين بيرم المتوفى سنة ١٢١٤ وعلى قياسه اضافوا العدد (٣) لابن الشيخ الثاني يعني الشيخ محمد بن محمد بن محمد بيرم النعوت بالثالث المتوفى سنة ١٢٥٩ ثم اضافوا العدد (٤) لابن الشيخ الثالث وهو الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن محمد بيرم النعوت بالاربع المتوفى سنة ١٢٧٨. هذا هو السبب في اشتباههم دون غيرهم من بيوت العلم بالاول والثاني الخ وقي بمحفوظي من مجلس حضرته للوزير الاكبر السيد محمد الجلولي انه ورد عليه بمشاهدي المرحوم الشيخ محمد (السلامي) بيرم ابن الشيخ الرابع في سلسلة مجدهم الاثيل انر ولايته خطة الفتوى سنة ١٣٢٥ وطلب منه الترخيص له باضافة العدد (٥) لاسمه فاذن له بذلك ولكنه لما سعى في نقش ذلك النعت على خاتمه لم تحصل الموافقة عليه من المقدس المولى محمد الناصر باي اعتبارا لكون الاعداد التمييزية المتحدث عنها انما اتخذها اسلافه بعد ولايتهم مشيخة الاسلام لا قبلها على ان رئيس جمعية الاوقاف كان الشيخ محمد بيرم ابن المحتسب الشيخ مصطفى بيرم ابن شيخ الاسلام الشيخ محمد بيرم الثالث المتقدم ذكره لما نشر كتابه صفوة الاعتبار في سنة ١٣٠٢ رسم عليه اسمه ونعت نفسه باسم محمد بيرم الخامس فيكون مبنى هذا النعت فيما يلوح هو مجرد التسمية باسم محمد في عموم السلسلة البيروية لا باعتبار تسلسل اسم محمد في عقب فرع واحد من اب لقب بشيخ الاسلام لابن له ورث عنه مباشرة هذا اللقب الممتاز كما هو المفهوم من النعوت العديدة المضافة لاسماء الشيوخ المحمدين الاربعة الذين ورنوا بتتابع خطة المشيخة الاسلامية خلفا عن سلف

الفتح العثماني في سنة ٩٨١ الى زمن أمير عصره المولى محمود باي متولي كرسي الملك الحسيني في سنة ١٢٣٠ وهذه الايات تنقلها ها اتماما للناثدة مذيبة بايات على وزنها واقايتها نظمها في ذكر بقية البايات الحسينيين من اين وقف الناظم الاول الى هذا الزمان - قال الشيخ الثاني قدس سره

فايت تونس ان ترم عدالهم	فالت مع عشراهم (١) اعداد
رمضان اولهم وثمان بعده	مولاه ذو الصيت البعيد مراد
ثم ابنه حمودة باشا النذي	ايمامه بين الوري اعياد
ثم ابنه المتيز للدايات ما	لهم من الملك الكبير مراد
ثم الثلاثة من نبيه محمد	وعلي ورمضان (٢) هم الاطواد
ولقد تخلل بين ذلك عمهم	بمحمد الحفصي الشيريراد
وكذا ابن شكر صهرهم وعتيهم	من حركته لحربها اعضاء
ومراد بن علي الآتي من ال	أسواء ما فتت به الاكباد
ثم الشريف ابراهم وبه قد اند	سقطت على من قبله الاسداد
ثم استقر حسين بن علي الذي	لم تعرفي ايمامه انكاد
من بعد ذاك علي حسين عمه	وابن الحسين محمد ويزاد
فيهم علي باي اخوه وبعده	ابن له من سعدة يزداد
حمودة الباشا المعين على النذي	فيه صلاح للوري وسداد
واخوه عثمان تلاء ودون ار	بعة الشهور ضمه الاحاد
فاتى ابن عمهما امير زمانا	محمود مقرونا به الاسعاد
لازال في حصن الحماية مرشدا	والخير في ايمامه يزداد

هنا انتهى نظم الشيخ محمد بيرم الثاني والايات التالية هي التي نظمها هذا العبد المتطفل على

ابواب الادب .

من بعد محمود حسين نجله	واخوه ذاك المصطفى المنجد
ثم ابنه لقب المشير شعاره	هو احمد والوصف جا حماد

(١) حصر الناظم عددهم في ستة عشر ولكنه اتي في الجملة على ذكر ثمانية عشر بايا صاغ عقدهم

في ايات عددها ستة عشر فليتامل القاري

(٢) هذا رمضان باي هو صاحب الطحاة المنسوبة لاسمه بمدينة تونس وهو لاقبر له حيث قتله حفيده مراد باي الثالث واحرق جثمانه ونسف رماده في اليم ورمضان هذا هو الذي اتم بناء الجامع الذي احده اخوه محمد باي جوار زاوية سيدي محرز بن خلف كان ابتداء بنائه في سنة ١١٠٤ وتمامه في سنة ١١٠٩ وتاريخ التمام مرسوم بارقام ذهبية على واجهة المنبر

وهم المتم لعشرهم في بيتهم قد كان حصنا حوله الاجناد
ثم الثلاثة من بني عم له ورثوا العلا والكل هم اعجاد
منهم ابو عبد الاله محمد وابو الوقاء الصادق المسعاد
وعلي ابو الحن الذي به يتمدي في فضله النساك والعباد
ثم ابنه الهادي المليك المرتضى والناصر اللذ صنعه الارشاد
من بعد ذا قام الحبيب المقتفي اسلافه الاقيال ممن بادوا
ثم العناية اقبلت من ربنا نحو البلاد فعمها الاسعاد
بولاية المولى الذي من اجله امسى يجر ذيوله الامداد
نعني به الباشا ابا العباس احد مد نخبة الامراء ممن سادوا
قالله يحمي ملكه ويديمه ابدا وازمان له اعياد
ثم الصلاة على النبي وآل والص. حب الذين لديه قد شادوا

هذا وقد اخبرناك فيما تقدم بتقاصر خطة الداوي ثم انقراضها في العصر الحسيني وصورة ذلك ان الداوي امتست خطته في الدولة الحسينية فاصرة على مباشرة النوازل الجارية في الدرية (١) بولاية من الباي فلما تولى المشير احمد باي وقعت في عهده ولاية الداوي كشك محمد (٢) وهو اخر الدايات

(١) في الدور الاخير من مدة الدايات غلب عليهم لقب الدولاتي الذي هو مسمى الداوي نفسه ولفظ دولاتي في اللغة التركية يقابله في الترجمة بالعربية عبارة صاحب الدولة ولكن لا بالمعنى العمومي المتلبس بهذه العبارة في زماننا هذا بل بخصره في ادارة شؤون محكمة الدرية وهذه قرية عهد منابيل ما زال اسمها موجودا في الانظمة العدلية الحالية بتونس ووجه تسميتها بدرية الدولاتي لانها كانت مجاورة لدار الداوي وهذه هي دار الطباعة الرسمية العربية في الزمن الحاضر وكان انتصابها هنالك على يدي في سنة ١٣١٩ وكان سقيفها العمومي هو ساباط الدرية حيث كان جلوس اعدوان الدولاتي والخصوم وسجن المكان وكانت وظيفة الداوي في ذلك الدور فاصرة على مباشرة النوازل الجارية كالسرقات والضرب والخنج. تشبه من قريب خطة كيمسار البوليس في هذا الزمان واليك ما جاء في حقها بالجزء الرابع من كتلب اتحاف ابناء اهل الزمان عند الكلام على ترجمة الداوي احمد اغا ونص محل الحاجة : فاعطى الخطة حقها وضبط البلاد وخافه اهل الشر والفساد وتأنس به اهل الخير والعافية اه

(٢) كان قبطانا للبحرية بحلقى الوادي وكانت له شهرة بين اهل زمنه لما اظهره في سابق خدمته من الجسارة والاقدام في القرصنة البحرية وهو الذي كان قائدا للاسطول التونسي الذي ارسله المرحوم حسين باي لمياه اليونان واحترق في جملة الاساطيل الضمانية في واقعة ناورين المشهورة ولما توفي الداوي احمد اغا دفن بمقبرة الاشرف الواقعة بطحاه القصبة وتعرف اليوم بزاوية سيدي الشريف وكان ذلك في سنة ١٢٦٨ تقدم كشك محمد الخطة الداوي ولكنه لم يقبلها الا على شروط حيث قال للباي عند عرض الخطة عليه حسبما حكاه الشيخ احمد بن ابي الضياف : نمثل امرك في كل خدمة ونعرف ما لهذه الخطة من العادات والظروف الفارغة التي منها ان تقوم الي ولا انايك الا باذن وهو اهدمها علي وان يكون الترجان هو الرسول ييني وبينك وان لا اتوجه لموضع الا باذن خاص

اعطاه التقليد بسراية للمجعية وأطلقت عند ولايته المدافع قياسا على الرسوم المسنونة من قديم ولكنه لقبه في أن واحد بوزير التنفيذ وبسط له يده فقبها وأقره على فصل النوازل الجارية بالدرية فباشرها الى حين وفاته في سنة ١٢٧٧. وبموته ماتت خطة الداي بالايالة التونسية

وفي بحر القرن الثاني عشر والقرن الثالث عشر اشتهر امر البيت الحسيني بالانقطاع القاصية والدانية فكان الملوك الحسينيون يعقدون المعاهدات مباشرة مع دول اوروبا بدون وساطة الباب العالي والدول الاروباوية معترفة لهم باستقلاليتهم الداخلية في بلادهم بحيث اصبح لقب الباي في نظر الامم علما على ماوك تونس كلقب سلطان آل عثمان ولقب خديوي اولاة مصر ولقب شاه للملوك الفرس ولقب خان لامراء التتار الى غير ذلك من الألقاب الخاصة بملوك الاسلام في الشرق والغرب - هذا تفسير معنى لقب الباي في الاصلاح السياسي فهو مساو للقب ملك لا لقب بك بالمعنى الشرقي وهل يتساوى سادة وعبيدهم اذا كان اسماء الجميع موالي

واللقب الثاني لسمو الباي هو لفظ الباشا لا بمعنى الباشوية الممنوحة في بعض الدول بالمشرق والمغرب لاصحاب الوظائف العالية المدنية والعسكرية بل هو لقب متلبس بالصيغة الملكية لانفراد صاحبه به في مملكته وازافته لنعته الاول اي للقب باي نعم ان خطة الباشوية في اصلها كانت باتيهم التقليد بها من الباب العالي ولكن بايات تونس استمروا على التلقب بها في دور استقلالهم عن الدولة العثمانية وقد كنا لنعهد قريب نسمع الخطباء في الجوامع عند صلاة الجمعة ينعتون سلطان مال عثمان « سلطان البرين وخاقان البحرين مصر والشام والروم والعرايين » مغ يكون بعض تلك البلاد المذكورة خرجت عن حكم مال عثمان منذ زمن بعيد وليست هذه الألقاب والنعوت الاسمية من خصوصيات ملوك الاسلام فقط بل هي تتناول ايضا الكثير من ملوك اوروبا فان ملك ايطاليا الحالي من جملة القابه السيادة على بلاد سافوايا منشأ اسرته وانت تعلم ان هذه البلاد جزء متمم لخريطة فرنسا وقس عليه ما كان لابراطور النمسا والمجر وما كان لملوك اسبانيا من الألقاب والنعوت المقتبسة مما كان لاسلافهم من قوة السلاطان في القرون الوسطى والتاريخ يعيد نفسه فان بعض الألقاب ينشأ ضيلا ثم يتعظم وينمو الى ان يبلغ لقمة المجد وبعضها ينشأ فخيمًا ثم يتضاءل ويتقاصر الى ان يسوول

كلنسجون الى غير ذلك فان اعفتني من هذه الامور بان اقدم اليك متى اردت واقبل يدك كبائر وزرائك واقوم معهم بين يديك واتوجه حيث شئت فاني خادمتك تضعني فيما تراه والافاني في خدمتي بحلق الوادي شاكرًا لله محسوبًا من الاعيان فقبل المشير (احمد باي) منه ذلك بسرور واذن له في التوجه حيث شاء بشرط ان لا يبيت خارج الحاضرة لان حراستها في عهده اه وكان صادق اللهجة محمود السيرة طيب السريرة عزيز النفس عالي الهمة عاب في النصيح والوفاء بالعهد واداب المعاشرة وكان مشكور الخدمة موفور الحرمة الى ان ادركه اجله في مدة المشير محمد الصادق باي سنة ١٢٧٧ ودفن جوار القاضي الشيخ احمد بن نفيس بمقبرة السلسلة رحمه الله

للاضمحلال والزوال وهذه سنة الله في خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً واللقب الثالث لسمو الباي هو «صاحب المملكة التونسية (١)» وهذا لقب حادث بالنسبة للآخرين وأول من اتخذته بالصفة الرسمية بطريقة قارة هو المشير الثاني محمد باشا باي كتبه تلو اسمه مسبوقة بلقب الباشا باي يوم تأسيسه لقانون عهد الامان وقد ختم لائحة هذا القانون بخط يده بما نصه «صح من كتابه المشير محمد باشا باي صاحب المملكة التونسية والله على ما نقول وكيل» وكان سلفه المشير احمد باي يصدر منشيرة مفتوحة بقوله «من عبد الله الخ المشير احمد باشا باي امير الايالة التونسية» واما البايات الاسبقون فانهم كانوا يختمون مراسيمهم بعبارة «والسلام من الفقير الى ربه الباشا فلان (٢) باي او عبدة فلان باشا باي» وكان المرحوم مصطفى باي يعضي احيانا مكاتيبه بقوله «مصطفى ميرميران تونس دار الجهاد» ورتبة (ميرميران) كانت تأتيهم من الباب العالي وبعضهم قلدة السلطان رتبة بيلي بك ومعناته بالبايات ومعن احرز على هذه الدرجة مفضرة الزمان الباسي حمودة باشا وبالأخر جاءهم لقب المشير من الدولة العثمانية وهو افخم الالقب في انظمة الجيش العثماني وأول من تلقب به من البايات المولى احمد باي الاول ثم المولى محمد باي ثم المولى محمد الصادق باي ولقد وقفت على بعض الاوامر العلية الصادرة اثناء الايام الاولى من ولاية المولى علي باي ختمها كتاب ديوان الانشاء بالوزارة الكبرى بعبارة «والسلام من المشير الرابع عبدة علي باشا باي صاحب المملكة التونسية» فاعيد النظر فيها والغيت عبارة المشير الرابع حيث لم تكن من النعوت الملكية الوراثية في البيت الحسيني فانت ترى كيف تطورت الالقب الملكية في العصر الحسيني الى ان بلغت في ابتهاجها وانتهاجها الذروة العظيمة والمجد والكمال كما هو مشاهد للعيان وما بعد العيان بيان .

محمد بن الخوجه

(١) رايت في بعض الرسوم العقارية بتاريخ اواسط القرن الماضي ان عدول ذلك العصر كانوا يلقبون باي زمينم وهو المولى حسين باي الثاني بلقب «صاحب كرسي تونس»

(٢) ننقل هنا وثيقة تاريخية مثبتة لما ذكرنا وناقت نظر القاري الكريم لغرابتها من حيث اعتبار ما ورد فيها من مقدار جراءة العلماء في ذلك الزمان ونصها بالنقل عن اصلها

تذكرتنا هذه بيد الفقيه الشيخ حمودة ابن الحاج علي خوجة الحنفي وانا انعمنا عليه بدرس المرحوم سي باكير الامام السني بجامع المرحوم سي يوسف داي ورجعنا له الثمانية نواصر التي كانت للمرحوم سي باكير من فاضل الاحباس على العادة تجري له من شهر التاريخ بحيث انه يقري ما شاء والسلام من الفقير الى ربه الباشا علي باي بن حسين بساي في اوائل رجب سنة ١١٨٣ هـ قلت لا جرم ان عبارة هذه الوثيقة التاريخية الصحيحة مما يحمل الكتاب على مجازاة فقهاء زمانه في تدميرهم من انخفاض مقدار ارزاقهم بالنسبة لغيرهم من اهل عصرهم وان كانت الجرايات العلمية في هذا الزمان اوفر من الجراية الواردة في تلك الوثيقة التاريخية بالآف اضعافها ولكن هذا التدمير سبقني اليه الشاعر بقوله

ورزقهم مرخم منادى ضيا سعا فيمن دعا سعادا

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٢ »

صدق العاطفة

اما الصدق فليس من شك انه وليد الفواعل المحركة والاسباب الحافزة. وهو ايضا نتيجة ما يكون من الحاج لمثيرات الاغراء والتحريض. فعلى قدر صحة الداعي وقوة السبب الخارجي وملاسته لنفس الاديب يكون الصدق. وما اكثر ما في الحياة من البواعث والمثيرات والاسباب التي ان لامست الاديب بظاهر او باطن منها تجاوزت اصداء لمسها في حنايا الضلوع واعماق القلوب وقرارات النفوس فهناك الشاعر مفتون بجمال الربيع فاذا رأى الربيع يزور الكون زورته مد اليه البصر خاشعا معجبا مستلهما مستوحيا. وتلقاه بقلبه كما تتلقاه الازهار والاوراق والخمائل والمروج والاعشاب واستقبله فرحا طروبا. فاذا ما نبه الربيع الاطيار فغنت وغردت واحلولى الغناء وطاب التغريد. واذا ما نفح الربيع الفروع والاغصان بنسمات من طيب فوجه وزكاة نشرة فانتشت وتمايلت. والتفت وتعانقت. فهناك قلوب الشعراء اكثر يقظة واشد حسا. وارهدف عاطفة وانسدى واعطر سن الازهار والاطيار والاغصان. وهم اذا ما ترقصت موجات عواطفهم وتغنوا بجمال الربيع وحسنه ونضارته. تاهت نفسك من اعجابها بقدسية هذا الجمال الفردوسي الذي اصبحت تدركه اكثر من ذي قبل. واصبحت تهواه وتعشقه اكثر من ذي قبل

وهناك الصحراء يرف فوق وهادها ونجودها الآل وترقص على مدى اطرافها وحواشيتها السراب المغري. وهناك الغابة الخرساء يتوحها الجلال. وتتعانق فوق صدرها الناهد الانهار الجارية. والاوذية المتفجرة. وتسارع في رحاب احضانها ينابيع الماء ساكنة خاشعة. هناك البحر في حلوة امنية ومראה خطيرة. هناك الحياة في لذات نعيمها. وقساوات يؤسها. في مسوح الفقر. واثواب الغناء. في مناقعها واضرارها. في الفتى الجامعة وتقاطعها البغيظ. في ظلمها وعدلها. في ذل عبوديتها وبذخ سيادتها. هناك الحياة في كل لون من ألوانها

ثم هناك المرأة. وانظر الى المرأة كيف شئت فجعلها اظهر جمال في هذا الوجود. لانه جمال حي ناطق يستلبيك ويفريك ويوقظ الحس ويذكي الشعور. وينبه العاطفة ويلهب جوعات النفس الراغبة

ثم هناك الدين والمعتقد، والمثل العليا للخير والسلام، وهناك بعد كل هذا مشيرات أخرى ربما كانت أدنى إلى النفوس من غيرها، هناك صدود الحبيب، وموت القريب، وبعد الاصحاب والاخوان، والنزوح عن الاهل والاطوان، ودروس المنازل وذكرىات العهود المواضي : وانا لذاكرونا مثالا واحدا نكتفي به في تصويرنا لصحة الاسباب وقوة الفواعل المحركة وهذا المثل من شعر ابن الرومي في رثاء ولده، وقد كان موته رزءا عظيما طغت كربته واحاطت بالنفس حسرتة فقال برثيه ويتوجع من آلام حزنه والبكاء عليه :

كان الذي خفت ان يكونا	انا الى الله راجعونا
امسى المدرجى ابو علي	موسدا في الشرى يمينا
حين انتهى واستوى شابا	وحقق الرأي والظننا
اصبت فيه وكان عندي	على المصيبات ان يعينا
دافعت الا المنون عنه	والمرء لا يدفع المنونا
اذا شككا غصة وكربا	لاحظ او راجع الاننا
يدير في رجعه لسانا	يمنعه الموت ان يينا
يشخص طوراً بناظره	وتارة يطبق الجفونا
تصرف الدهر لي صروفا	وعاد لي شأنه شؤونا
وحز في اللحم بل براه	واجتث من طالحق فنونا
اصاب مني صميم قلبي	وخفت ان يقطع الوتيننا
فالمرء رهن بحالتيه	فشدة مرة ولينا

وما دمنا نتحدث عن صدق العاطفة، فلعله يحسن بنا ان نقف قليلا مستعرضين بعض ما قاله الشعراء والنقاد القدماء، مما له صلة بما نحن بسبيل درسه، فقد سأل عبد الملك بن مروان ارطاة ابن شبيه، اتحول الشعر اليوم ؟ فقال حبيبا والله ما اطرب ولا اغضب ولا اشرب ولا ارغب، وانما يجيء الشعر عند احداهن !

وفي كتاب العمدة لابن رشيقي : وقالوا قواعد الشعر اربع - الرغبة، والرغبة، والطرب، والغضب - فمع الرغبة يكون المدح والشكر، ومع الرغبة يكون الاعتذار والاستعطاف، ومع الطرب يكون الشوق ورقة النسيب، ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد والعتاب .

وحكى الاصمعي عن ابن ابي طرفة كفاك من الشعراء اربعة : زهير اذا رغب، والناغية اذا رهب والاعشى اذا طرب، وعنترة اذا كلب، وايسر ما نستطيع استخلاصه من هذه الاقوال ان بعض النقاد والشعراء كان يدرك بحق ما لقوة السبب من الاثر في تحريض الاديبي وارغامه على الانشاد

والنغي بما يختلج في نفسه من المعاني المثيرة لمواطنه ومشاعره، فكأن الأديب المطبوع لا يستطيع الصبر على النغي والانشاد حينما تضطره ملابس الحوادث وحينما يحس في دخيلته بشيء من آثام الطرب أو الغضب أو الرغبة أو الرهبة، ويرغم من هذا فهل أحسن النقاد الاستفادة من جملة هذه الأقوال ؟ وهل توجهوا لدرس العاطفة وتحليلها ذلك ما سأسكت عنه الآن

بقى علينا ونحن بهذا الصدد أن الفت أنظاركم أيها السادة إلى طائفة غير قليلة من الأدباء أحسبهم مرضى العواطف، وهؤلاء بحق هم الذين ليسوا من الشعراء في شيء، ولا من الكتّاب في شيء، وأقوالهم ليست من الشعر في شيء، ولا من النثر في شيء، هؤلاء هم الذين أفسدوا الأدب بالتساهل اليه، وما كان اغناهم عن هذا الانتساب لولا أنهم أحسوا بالعجز يساورهم في كل عمل يقبلون عليه، وراوا أن الاستغلال بدوحة الأدب قد يكفيهم مطاردة الحياة، فعاشوا يتبعون جثث الموتى إلى المقابر، وعاشوا يزورون المدائح ويحسبون أنها من غرر القصائد، وهم في هذه وتلك كاذبون ملفقون، وهم في هذه وتلك مبطلون مخادعون، ولولا خداعهم وتزويرهم ما تكلفوا المبالغة والتحويل، ولولا ضعف معانيهم ما استجدوا ضخامة الالفاظ، ولا استعانوا بغريبها النابي عن الذوق والطبع.

هؤلاء مرضى العواطف لأنهم لا يقطعون القول من قلوبهم، ولا يستلهمون وجي قصائدهم من الطبيعة ولا من الحياة، ولا من أسرار النفس في مختلف ألوانها، وأدبهم أدب زائف مصطنع أن دل على شيء، فأنما يدل على الطمع المتغلغل في أعماق شوائبهم وغرائزهم، وعلى حبهم للملق والرياء والكذب المزري... وأظهر ميزة في أدب هؤلاء هي ذلكم الطمع العاجز الذي كان يسوقهم دائما إلى الاستجداء بالمدائح الفاترة.

وأكره الإطالة عليكم في هذا المقام بذكر الأمثلة المريضة الفاترة، وحسبي ما قاتته إلى هنا في تحديد صدق العاطفة، (للبحث بقية)

أربع كلمات صدرت عن أربعة ملوك

كانما رميت عن قوس واحد

قال كسرى ملك الفرس لم أندم على ما لم أفل وندمت على ما قلت
وقال قيصر ملك الروم أنا على رد ما لم أفل أقدر مني على رد ما قلت
وقال ملك الصين إذا تكلمت بالكلمة ملكتي وإذا لم أتكلم بها ملكتها
وقال ملك الهند عجبت لمن يتكلم بالكلمة أن رفعت ضرته وإن لم ترفع لم تنفعه
وأبلغ من ذلك كله قول النبي صلى الله عليه وسلم : وهل يكتب الناس على مآخريهم في نار جهنم إلا حصائد السنتهم اه وقال الشاعر العربي :
ولئن ندمت على سكوتي مرة فلقد ندمت على الكلام مرارا

الاستاذ الشيخ محمد الصادق النيفر

« نسه » هو الشيخ ابو الوفاء محمد الصادق ابن الشيخ محمد الطاهر ابن السيد محمود ابن السيد احمد النيفر ، وعنه تنفرع اصول هذه الاسرة كلها ، وهذا السيد شريف الابوين ينتهي نسبه الابوي الى الحسين السبط رضي الله عنه ، واما امه فممن بيت السيد الشريف الصالح الشيخ الحلفاوي الشهير دفين باب الحضراء بحاضرة تونس ، وكان من كبار التجار بسوق العطارين في الحاضرة ووجهائهم الممتازين بمائة الدين والامانة والصدق والعزوف عن الدنيا .

ولد هذا السيد سنة نيف وتسعين ومائة والف وربي تربية دينية خالصة في حجر ابيه الفاضل الحير السيد ابي الفضل قاسم فحفظ القرآن حفظا جيدا واتخذ تلاوته وردا له من صباه الى شيخوخته وتلقى من العلم الديني جملة صالحة وباشر التجارة بسوق العطارين في سن الفتوة ، وتزوج امرأة من بيت الحجام احدي بيوتات الحنفية العتيقة بتونس وفي ذيل بشائر اهل الايمان (١) ترجمة الشيخ محمد الحجام من علماء ومدرسي جامع الزيتونة في القرن الثاني عشر .

وقد انجبت هذه العيلة ستة ذكور وهم السادة محمد وصالح والصادق ومحمود وحمد ومحمد (بفتح الميم) .

اما الصادق سمي صاحب الترجمة فقد توفي عن تسع سنين ، واما سائر اشقائه فقد كبروا . سلك اكبرهم الشيخ محمد وشقيقاه الشيخان صالح ومحمد سبيل العلم فكانوا من اقطاب رجاله واعلام مذهب مالك العاملين النافعين ، وتوفي اولهم بطيبة المنورة في المحرم سنة ١٢٧٧ ودفن ببقيع الغرق وتوفي ثانيهم في ذي القعدة سنة ١٢٩٠ وثالثهم في المحرم سنة ١٣١٢ وتراجهم مدونة معروفة واما السيدان محمود وحمد فقد يسرها الله للتجارة الصادقة البارة ولثانيهما شهرة بالولاية لم يزل الصادقون من اهل تونس يتلون آياتها البينة الى اليوم وتوفي السيد محمود سنة ١٢٨٤ وتوفي السيد حمد مستهل هذا القرن .

واما والدهم فقد توفي بالقاهرة منصرفه من حجته الثالثة بعجبه ولده العلامة الشيخ صالح عاشر صفر سنة ١٢٨١ وصلي عليه بمسجد الحسين ودفن بالقرافة في بستان العلماء جوار الشيخ عبد الله الشراقي وبالسيد محمود يتصل صاحب الترجمة رحمه الله رحمة واسعة

وامه بنت العلامة الطائر الصيت الشيخ محمد الطاهر النيفر قاضي الجماعة المتوفي سنة ١٣١١ واما من بيت الوزير احدي بيوتات الاندلس العريقة الوجيزة .

« مولده ونشأته الاولى » ولد رحمه الله في جمادى الآخرة سنة ١٢٩٩ بدار جسده لايه حيث يسكن والده واعماه في حومة جامع غربال قرب جامع الزيتونة وتبناه جسده لاهمه الشيخ الطاهر فتولى تربيته بنفسه ، وحفظ القرآن الحكيم تحت اشرافه بضريح الشيخ الصالح انس المجاور لدار الشيخ رحمه الله على المعلم الشيخ محمد الزواري احد شهود المرسى اليوم .

« دخوله جامع الزيتونة وطور الاستفادة » دخل رحمه الله جامع للزيتونة الاعظم سنة ١٣١٣ فأخذ مبادي القراءات والتجويد عن المرحوم المقرئ الموثق الشيخ المولدي بن عاشور المنوفي في شهر رمضان سنة ١٣٢٥ واخذ سائر الفنون المتداولة به يومئذ عن مشهوري اساتذته من اعلام المذهبين وكان قوي العارضة صحيح الحافظة وافر العناية فعن اساتذته فضله شيخ الاسلام الحنفي في التاريخ والشيخ ابو العباس احمد ابن مراد المفتي الحنفي والشيخ ابو النجاة سالم بوحاجب كبير اهل الشورى المالكية والشيخ ابو حفص عمر ابن الشيخ المفتي المالكي والشيخ محمد التجار المفتي المالكي والشيخ حسين بن حسين المفتي المالكي والشيخ احمد بيرم شيخ الاسلام والشيخ مصطفى ابن خليل والشيخ مصطفى رضوان ووالده والشيخ عمر ابن عاشور والشيخ محمد النخلي والشيخ علي الشنوفي ، وكان معظم تحصيله وانتفاعه على الشيخ حسين بن حسين فقد حضر كثيرا من دروسه التي كانت مهبط تحقيق وتدقيق وافادة واخص من بين اترابه بمجالس بيته الخاصة التي لم تكن تقل في النفع والافادة عن دروسه بجامع الزيتونة .

وقد املا وطابه بما اخذ عن هؤلاء الاعلام وصار في مقدمة اقرانه على حدائثه وتهيأ ان يفيد وينفع بما استفاد ونفع .

« طور الافادة » التدريس والخطابة — تقدم لامتحان شهادة التطويع سنة ١٣١٨ فكان في طليعة المجلين في حلته وكانت هذه الشهادة تخول صاحبها حق التدريس بجامع الزيتونة بصفة متطوع بآثر الحصول عليها ، فشرع رحمه الله يدرس وعني بتبشئة الطبقات وترسيته وتناول الفنون المختلفة فدرس اكثر كتبها المتداولة بالجامع يومئذ دراسة نصيح وتحقيق وبأغت دروسه في اليوم الواحد الستة اوجاوزتها وكانت له عناية خاصة بالفقه والسير والحديث ، ومن اجل ما درسه من كتبها شرح التاودي على التحفة ختمه نحو من خمس مرات وشرح الدردير وسيدى عبد الباقي على المختصر والشفاء للقاضي عياض بدأه واتمه وشرع مكانه في تدريس الموطأ فأقرأ زهاء ربعة ، وشرع في تدريس العارضة شرح سنن الترمذي للقاضي ابي بكر بن العربي فأقرأ حجة سالحة منها بضريح السيد انس وكان يختار تدريس الحديث الشريف في شهر رمضان ويعني في دروسه بما يفيد العامة من حاضريه وحضر في هذا الطور طور الافادة بعض دروس الجلسة من اساتذته يقتبس من نورهم ويفتخر من بحورهم ومنهم الشيخ سالم بوحاجب والشيخ حسين بن حسين وقد اقرا متطوعا ومدرسا رسميا زهاء ربع قرن من سنة ١٣١٨ الى منتصف سنة ١٣٤١ وكانت الطبقات المتتابعة تأخذ عنه واكثرهم يزين اليوم مناصب التدريس والقضاء والفتوى ودواوين العدالة

ولاول العهد بانتصابه للتدريس خطب بجامع باب البحر نائبا عن والده فملك في الخطابة طريقة مثلى تسفر عن حكمة الشارع فيها واعتمد ما ينشئه من الخطب التي تتفق مع الاحوال الحاضرة ويخاطب فيها الناس بما يفهمون وكان لمواعظه الاثر الصالح وقد يضم الى الخطابة دروسا يلقنها بالجامع في شهر رمضان ينتفع بها العامة والخاصة

« صلته بعلماء المغرب » وفي اثناء اشتغاله بالتدريس دخلت تونس حواشي الشيخ المهدي الوزاني مفتي فاس على شرح التاردي على التحفة ولصاحب الترجمة غرام بتدريس الشرح فعني بهذه الحواشي

وأتصل بصاحبها بالمكاتبه ثم زار الشيخ المهدي تونس سنة ١٣٢٣ فنزل ضيفاً بدار صاحب الترجمة وزادت الصلة بينهما قوة وكان كل يعرف لصاحبه فضله ومكانه من العالم ثم رغب اليه الشيخ المهدي رحمه الله ان يزور المغرب الأقصى سنة ١٣٣٠ فلبى الدعوة وتعرف بكثير من اهل العلم والفضل وكان محل التجله والاعجاب ، وكان بينه وبينهم حوار في موضوعات شتى علمية وتاريخية اسفر على قوة عارضته ونهوض حجته وكتب عن هذه الرحلة مفكرات خاصة لم يسبكه على قالب مؤلف مستقل « المناصب التي تقلدها » ولي رحمه الله خطة الاشهاد بالحاضرة سنة ١٣١٨ وكانت تبعا للحصول على شهادة التطوع ، وفي ذي القعدة سنة ١٣٣١ ولي مدرسا من الطبقة الثانية ، وفي شهر ربيع الاول سنة ١٣٣٢ ولي مدرسا من الطبقة الاولى ، وفي سنة ١٣٣٩ ولي الامامة والخطابة بجامع باب البحر ورواية الحديث بمدرسة بير الحجار خلفا عن والده ، وفي سنة ١٩٤١ تم العزم على تسميته عضوا حاكما بالمجلس المختلط العقاري باحياء الخطة التي كان يتقلدها المرحوم العالم الشيخ محمد المختار شويخه وكانت موقوفة من يوم وفاته سنة ١٣٣٤ واعلمت الحكومة رئيس المجلس المختلط بهذا ووافقها وتعين ميعاد تنصيبه ولكن الحكومة تغير عزمها فقلدته قضاء الجماعة في اليوم الذي عين لتنصيبه بالمجلس المختلط وكان هذا في رجب سنة ١٣٤١ واضطلع رحمه الله بعبء القضاء فقد كان فقيها جليلا واسع الاطلاع على النصوص بصيرا بامر تنزيلها على الحوادث ماضي العزم وظل يباشرة نافذ الامر والنهي عزيز الجانب الى ان تخطى عنه في ذي القعدة سنة ١٣٤٧

« مؤلفاته » كتب رحمه الله بضعة تعاليق نفيسة على ابواب من صحيح البخاري قام بها دروسا بمدرسة بير الحجار وجامع باب البحر في مواعيد اختامها وكان يترك الكتابة في الأكثر ويكتفي بمطالعة ما يعين على فهم الحديث ثم يقوم بذلك كله درسا يفهمه العامة ولا يستغنى عنه احد من الخاصة وجرى على هذه الطريقة في ايام ولايته للقضاء لتزاحم اعماله عليه ولم يكتب في هذه المدة الا سنة ١٣٤٢ وهي السنة التي عني المقدس المولى محمد الحبيب باشا باي بحضور بعض محلس اختام الحديث الشريف فيها ، ومنها مجلس ختم الشيخ بجامع باب البحر فكتب تعليقا جليلا محررا على باب كلام الرب مع اهل الجنة من صحيح البخاري ابدع فيه ما شاء الله ان يبدع وفي اواخر سني حياته اقبل على المطالعة والكتابة وزاد شغفه بالحديث وكتبه وترك فيه تقاييد نفيسة جليلة ، وقد كتب في بضعة اعداد من المجلة الزيتونية فصولا في وضع الحديث ولم يتمها وله حاشية على التاودي قيمة

« اخلاقه » كان رحمه الله متواضعا بشوشا وفيما نصوحا وتلاميذه حب جم فيه غرسه في قلوبهم نصحه لهم واخلاصه في تربيتهم وتعليمهم عزيز النفس قوي العزيمة

« مرضه وموته وموكب جنازته ودفنه » كان رحمه الله مصابا بداء ضعف القلب منذ امد بعيد وكان اثره فيه حقيقيا ولم تظهر اماراته عليه الا في السنين الاخيرة ، وهو يغالبه بجلده وصبره ، وكان يشعر في اواخر عمره بدنو الاجل وتصرم حبل الحياة وقد كتب رحمه الله وصية بخطه عهد بتنفيذها الى بنيه وادعها ما يجب ان يكون في غسله وتكفينه وحمله وتشيعه والصلاة عليه ودفنه ولم يخرج في شيء مما اوصى به عن محيط السنة ، ومن مظاهر بر بنيه به بعد موته ان نفذوها كما عهد اليهم وكان موكب جنازته من المواكب النادرة شاركت فيه طبقات الامة كافة اسفة حزينة ولا سيما تلاميذه على وفرة عددهم وصلي عليه بالمقبرة طبق وصيته ودفن في تربة سلفه بالجلال

نسأل الله ان يتعمده برحمته ورضاه وان يجعل من بنيه خير معز عنه يقي ذكراه ويعمر بيته ان ربي قريب مجيب

تاجيل شهادة (الاهلية) من الخدمة العسكرية

نص القرار الذي اصدره وزير الحرب في ذلك

على اثر الضجة الكبرى التي وقعت في العام الماضي من تلائمة الجامع الاعظم جامع الزيتونة ادام الله عمرانه حول شهادة (الاهلية) التي هي الشهادة الاولى التي تعطىها الجامعة الزيتونية، وطلبهم من الدولة ان تمنح المحرز عليها الاعفاء من الخدمة العسكرية قياسا على الشهادة الابتدائية التي تعطى من المكاتب الدولية والتي يحرز حاملها على المنحة المذكورة - وان كان الفرق بين الشهادتين عظيما لان شهادة الجامع ارقى من شهادة المدارس الدولية من حيث الفنون التي تدرس قبل الاحراز عليها ومن حيث انسجام المدارك وسمو الثقافة - لم تجب الدولة عن هذا المطلب جوابا مبنيا على تمام المقايضة بين الشهادتين، بل ابقت الفرق ظاهرا بينهما، ذلك انها قررت ان شهادة (الاهلية) يمنح حاملها (التاجيل) لا (الاعفاء)، بمعنى ان من يحرز على شهادة (الاهلية) يؤجل اربعة اعوام ريشما يحرز على شهادة (التحصيل) فان احرز عليها في هاته المدة منح الاعفاء التام. والا فانه يطالب بالخدمة العسكرية. وقد نشرت الجريدة الرسمية قرارا من وزير الحرب يقتضي اجراء العمل بذلك، ورغبة منا في تسجيل هذا الحق وتمكين من عسى ان يستفيع به من الاطلاع على نصه اردنا نشره هنا. واليك هو :

« قرار »

ان جناب الجنرال هانوت القائد الاعلى للجيش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية (١) بعد اطلاعه على قانون التجنيد المؤرخ في ٧ فيفري ١٨٦٠ وفي ١٢ جانفي سنة ١٨٩٢ قرر ما يأتي :

الفصل الاول - التونسيون المسلمون المحرزون على شهادة الاهلية والمرسومون بجرائد التجنيد تؤجل مناداتهم اربعة اعوام ان ادلوا بما يثبت تقييدهم بالكلية الزيتونية

(١) كانت وزارة الحرب قبل نصب الحماية الفرنسية على المملكة التونسية (بمقتضى معاهدة باردو الواقعة في ١١ ماي ١٨٩١) تسند ارجال من التونسيين مثل وزارة المعارف ووزارة البحرية وممن تولى وزارة الحرب قبل الحماية الوزير مصطفى داغمة والوزير محمد خزنة دار واهل من تولوها من التونسيين الوزير سليم الفريك وقد باشرها مدة عام في اول عهد الحماية، ثم بعد ذلك بدلت الارض غير الارض وصارت وزارة الحرب ومثلها وزارة البحر ووزارة الخارجية تسند للفرنسيين، فصار وزير الخارجية هو السفير الفرنسي بتونس، وصار وزير الحرب هو القائد الاعلى للجيش التونسية (وكان يلقب بقائد جيش الاحتلال ومن منذ اربعة اعوام ابطال هذا اللقب لما فيه من التذكير بما اقتضت السياسة التلطف بتناسي ذكره) وصار وزير البحرية هو الاميرال القائد للأسطول الفرنسي الراسي بغير بنزرت. وجملة الوزارات التي بتونس ستة، الثلاثة المذكورة بيد الفرنسيين، والثلاثة الاخرى وهي الوزارة الكبرى ووزارة القلم ووزارة العدلية بيد التونسيين والله الامر من قبل ومن بعد

الفصل الثاني - الطلبة الذين يكونوا (كذا) قد حصلوا عند اقراض (كذا) الاجل المذكور على شهادة التحصيل يطرحون نهائيا من دفاتر التجنيد عملا بالفقرة ١٤ من الفصل ٣٦ من القانون المؤرخ في ١٢ جانفي ١٨٩٢

الفصل الثالث - الطلبة الذين لم يمكنهم مدة الاربعة سنوات الاحراز على شهادة التحصيل يقع انخراطهم مع اول حصة عاتية بعد انتهاء الاجل الممنوح

الفصل الرابع - ويقع العمل بهذا القرار من تاريخ غرة جانفي ١٩٢٨

تحريرا في ٢٧ تقامبر ١٩٣٧

الجنرال القائد الاعلى للجيش التونسية ووزير الحرب بالحكومة التونسية

الامضاء : هانوت

هذا ورغما عما اقتضاه هذا القرار بصريح عبارته من ان كل من يكون محرزاً على شهادة (الاهلية) وادلى بما يثبت استمراره على مزاولة الدروس بالجامع فانه يمنح (الاعفاء) فقد بلغنا انه قد وقع خلل في تاويله من طرف الادارة الحربية. حيث انها امتنعت من تطبيق هذا القرار على من احرز شهادة (الاهلية) قبل جانفي ١٩٣٨ تمسكا بالفصل ٤ كما انها ارادت جبر من وجبت عليه الخدمة العسكرية في عام ١٩٣٥ مثلاً لم يباشرها لاسباب ماذون فيها كوجود اخ مباشر للخدمة العسكرية او لمرض يمنع من الخدمة موقتا الى ان احرز على شهادة (الاهلية) فيما بعد ارادت جبر هؤلاء على مباشرة الخدمة العسكرية الآن رغما عن الادلاء بشهادة الاهلية بحجة ان مثل هؤلاء لا حق لهم في التمتع بهاته المنحة لان الخدمة وجبت عليهم من قبل

ونحن نلقت نظر جناب مدير الادارة الحربية الى ان هؤلاء جميعا يشملهم الفصل الاول من فصول القرار المذكور. لان المشترط في الاحراز على منحة الاعفاء هو التحصيل على شهادة الاهلية بقطع النظر عن ان يكون المحرز عليها اليوم لم يحل اجل خدمته الا هاته السنة او حل اجل خدمته من قبل لكنه اجل لاسباب شرعية. وعليه فجميعهم يستحقون منحة (التاجيل)

والرجاء ان تحظى ملاحظتنا هاته بالقبول لانها مبنية على نص القرار الصادر من وزير الحرب لاسيما وعدد الافراد الذين سيقع معهم هذا الاشكال قليل جدا. فلا داعي للتشدد معهم. وللتسبب في احداث مشاكل من اليسير تلافيها. على ان الصفة العلية التي لهؤلاء الافراد من شانها ان تبعث الادارة على التسامح معهم وغض الطرف عنهم وذلك بنوع من التوسع في فهم ما عسى ان يكون معارضا لما قلناه من فصول القرار المذكور.

محمد المختار بن محمود

وفاة عالمين فاضلين

في ليلة الاحد ٥ حجة الجاري (الموافق ليوم ٦ فيفري) توفي ببلدة حمام الانف العالم الفاضل الشيخ محمد بوراس المدرس المالكي من الطبقة الثانية بجامع الزيتونة بعد مرض شديد الزمه الفراش ما يقرب من عام فتعطل التدريس بالجامع كامل اليوم المذكور حدادا عليه طبق العرف الجاري به العمل في الجامع وقد حمل في مساء ذلك اليوم الى مدينة القيروان حيث دفن هناك رحمه الله برحمته الواسعة ورزق ءاله الكرام جميل الصبر رحيل الاجر



وفي ليلة الثلاثاء ٢٨ حجة الجاري (الموافق ليوم غرة مارس) توفي العلامة الجليل بقية السلف الصالح علما وعملا الشيخ سيدي حسين بن الخوجه المدرس الحنفي من الطبقة العليا بجامع الزيتونة والمفتي الشرفي عن ثلاثة وثمانين عاما قضاها في العلم والفتوى على مذهب الامام الاعظم والخطابة بجامع القصر ، ودفن في مساء اليوم المذكور بمقبرة اسلافه بالحلاز ، وقد تعطل التدريس بالجامع ثلاثة ايام حدادا عليه اغدق الله على ضريحه الطاهر سحائب جوده وفضله ، ونحن نعزي البيت الخوجي في هذا المصاب العظيم خصوصا عميد البيت امير الامراء سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة وابناء الكرام واخالة العالم الهمام الشيخ سيدي علي بن الخوجه المفتي الحنفي ونرجو لهم من الله الصبر الجميل والثواب الجزيل

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها الهيبية من بلاد الزيتونة

المجلد الثاني

تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨

الجزء السادس

شهرية وستنها عشرة اشهر

رئيس قلم تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

صاحب المجلة ومديرها :

نجيب الشاذلي التافصلي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

تتم الجزء ثلاثة فرنكات

المقال	صاحبه
٢٤٢ المدارس القرآنية	بقلم رئيس التحرير الشيخ محمد المختار بن محمود
٢٤٩ تفسير الفاتحة (٥)	« صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي
٢٥٦ شرح حديث تفاضل اهل الايمان ٢ ...	« الاستاذ الشيخ محمد الصادق المحرزي
٢٦٠ الفتاوي والاحكام	« شيخ الاسلام المالكي
٢٦٢ التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين ..	« الوزير المصلح الشيخ محمد الحجوي
٢٦٦ يوم عاشوراء	« العالم الشيخ محمد الفاضل ابن عاشور
٢٧٢ التاريخ واوليته واهميته	« العلامة الشيخ عبدالرحمان زبدان الشريف
٢٧٥ الطابع الملوكي السعيد	« امير الامراء العلامة سيدي محمد بن الخوجه مستشار الحكومة
٢٨٠ الربيع (موشج)	« الاديب الشيخ الطاهر القصار
٢٨١ العاطفة في الادب العربي ٣	« الاديب الاستاذ احمد بن المختار الوزير
٢٨٤ شهادة الاهلية تؤجل من الخدمة العسكرية	« رئيس قلم التحرير
٢٨٦ نداء الى تلامذة الكلية الزينونية وبقية المعاهد العالية	« رئيس قلم التحرير
٢٨٧ الحجاج التونسيون	» » »

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب
 وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت
 ممضاة من امين المال
 ٣٠ الاتصلي وسوريا فرنكات
 « في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠ »
 يخضع الربع للسلامة
 والمخابرات المالية لا تكون الا معه

المجلة السنوية

مجلة علمية أدبية اخلاقية
تصديقاً لآياتهم في كتابهم من قبل الله تعالى في كتابهم من قبل الله تعالى

المجلد الثاني

تونس في محرم الحرام عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨

الجزء السادس

العام الجديد

بمناسبة دخول العام الهجري الجديد - وهو العام السابع والخمسون من القرن الرابع عشر للهجرة - نبسط اكف الضراعة الى الله جل جلاله ان يجعله عاماً مباركاً سعيداً على عموم المسلمين في جميع اقطار الارض، يسترجعون فيه مجدهم، ويبدل الله فيه عسرهم باليسر، وشقاءهم بالسعادة، ويفرقهم بالاتحاد، فقد كان العام الذي فارقنا، عاماً مثقلاً بالاحداث والنكبات، لا سيما في بلادنا التونسية، فقد تعددت فيه المصائب، واهمها تفرق الاحزاب السياسية، وتشقت شملها، واختلاف الناس شيعة واحزاباً من حولها، ولا يخفى ان التفرق اعظم داء يصيب الامم المستضعفة المغلوبة على امرها، فانه يزيدها بعدا عن النجاح، ويقصيها مراحل شاسعة الى الوراء، فالتفكك هو المرجو بفضله ان يجعل هذا العام الجديد عام خير وبركة، ويمن واسعاد، لا سيما على صاحب الجلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا الثاني، حفظه الله وحفظ ملكه بسر القراءان العظيم والسبع المثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المدارس القراءانية

كيف تأسست - مهمتها - نتائجها - مدارس قراءانية للبنات
القانون الذي يراد وضعه لها -- نداء لرجال المدارس القراءانية
بقلم رئيس التحرير

—*—

ان من اهم المشاريع التي تأسست بالبلاد التونسية مشروع المدارس القراءانية ، ذلك المشروع العظيم الذي كان الغرض من تاسيسه هو المحافظة على تعليم القرآن الكريم مع ترقية اسلوب تعليمه بفتح منافذ الثقافة العامة في وجه متعلميه ، وبجعل تعليم القرآن متمشيا مع الاساليب العصرية في التعليم ، من حيث النظام وتقصير مدة التعليم ، مع المحافظة على الآداب الشرعية ونظرا لما اشيع من منذ مدة من عزم الحكومة على وضع قانون اساسي للمدارس القراءانية يحتوي على تقرير نظام عام لجميع ما يتعلق بها من اسلوب التعليم ، ومواد الدراسة ، وكيفية فتح مدارس قراءانية جديدة في المستقبل واعطاء الرخص لطالبيها الى غير ذلك مما يتعلق بها ونظرا لما طالعتنا في بعض الصحف اليومية من تجري بعض الناس على انكار فضل المدارس القراءانية والمكابرة بجهود مزيتها ، فقد اردنا ان نتحدث في افتتاحية هذا العدد عن المدارس القراءانية من جميع نواحيها ، حتى نكون قد قمنا بالقسط الواجب علينا نحو مشروع نعتقد انه من اهم المشاريع القائمة في بلادنا ، وانه يتطلب من جميع اصحاب الرأي ان يمدوا له يد المساعدة قولاً وفعلاً ، حتى يطرد نجاحه ، ويستمر فلاحه ، اذ من الغلط الذي لا يعتذر صاحبه ان يعتمد انسان الفت في ساعد هذا المشروع العظيم فيكون سببا في القضاء عليه او في تضعيف سمعته

كيف تأسست المدارس القراءانية

ان اهم ما يستدل به على رقي الامة ونهوضها اعتناؤها بالتعليم ، ذلك ان الشعب الامي الجاهل لا يمكن ان يعد في صف الامم الحية ، ولا يمكن ان يقام له وزن ، بل يبقى دائما ذليلا مستعبدا يسخر كما تسخر الدواب ، ويتفجع به ولا يحسب له حساب ، فمن اجل ذلك كان الغرض الاهم الذي يسعى اليه المفكرون للترقي بامهم هو بث التعليم بين كافة الطبقات ، حتى ترتفع عن القلوب غشاوة الجهل وحتى يغسل عنها ران ظلامه الخالك ، ومن جملة ما يدخل في الاعتناء بث العلم الاعتناء باسلوب التعليم

بل ذلك عند العقلاء هو الاجدر بالعناية ، ولا تزال امم الغرب تبكر في كل عام اساليب جديدة للتعليم تستعملها في مدارسها على سبيل التجربة حتى اذا ظهر لها ما هو خير منها ابطلت الاول وعملت بالجديد ، وفي وزارات المعارف في جميع الاقطار الراقية اقسام ليس لها من العمل الا البحث في اساليب التعليم والنظر في اي الطرق اقرب لتكوين المتعلمين تكوينا صالحا تهذيب عقولهم ، وترقية شعورهم وتقوية مداركهم ، حتى اذا ما انتهوا من التعلم وخرجوا الى ميدان العمل كانوا اكفاء لكل ما يطلب منهم . مقتدرين على التحمل باعباء كل ما ينشأ بهدتهم ، فليس الغرض من التعليم بجميع اصنافه الا تكوين الرجال العاملين لصالح اوطانهم ، الفادرين على ترفيع مستوى شعوبهم

ولما وقعت النهضة العلمية العامة في سائر بلدان العالم من نحو قرن وجدت في البلدان المتقدمة مرتعا خصيبا لنموها وازدهارها والسير بها الى ارفع مستوى يمكن ان تصل اليه ، واثارت في الامم النائمة الحاملة بواعث العمل ودوافع النشاط ، واستقرت همم رجالها لمسيرة تلك الامم الراقية ، والسعي في السير على منوالها

ولما كان الاسترسال في التحدث عن تطورهاته النهضة العلمية ، وسريانها في مختلف الشعوب ، ربما يعد بنا كثيرا عن موضوعنا فمن الخير مع قرائنا ان نجعل حديثنا اليهم خاصا بآثر ذلك في الشعب التونسي

ان للتونسيين اتصالا قديما بكثير من شعوب العالم ولا سيما بالبلاد التركية التي هي من اسبق بلدان العالم الى الرقي وتنظيم العلوم والمعارف ، فمن اجل ذلك كان التونسيون - وعلى الاخص قاداتهم والمفكرون منهم - مطلعين على حركات النهوض الواقعة في كثير من بلدان العالم ، وكانوا يتطلعون الى السير على منوالها ويحرصون على الاقتداء بها ، ولكن التطلع الى الشيء لا يكفي للوصول اليه ، بل لا بد من القيادة والارشاد ، ولا بد من وجود الرجال الذين يحملون المشاغل فيستضيء اتباعهم بنورها ، ويهتدون الى سلوك طرق الرشاد ، ومثل هؤلاء الرجال قليل عددهم على اختلاف العصور .

وقد انبتت هاته البلاد افرادا جديرين بان يخلد ذكرهم مهما طال الزمان ، حاولوا ان ينهضوا بالامة الى المستوى اللائق بها ، وصادفهم النجاح في كثير مما حاولوه ، وفي طالعة هؤلاء الرجال يجب ان يعد الوزير خير الدين رحمه الله عليه فقد توفرت فيه شروط الزعامة من الصدق والاخلاص وبعد النظر والاقدام الصرامة ، وقد قام بتأسيس عدة امور مهمة بقيت آثارها الى اليوم ، منها تأسيس المدرسة الحربية ، وتأسيس المدرسة الصادقية ، وتأسيس جمعية الاوقاف ، وترتيب اعمال العدول ، وتنظيم المحاكم الشرعية ، وتنظيم التعليم بجامع الزيتونة وغير ذلك من المشاريع العلمية والاقتصادية . وكان من اهم ما يجب الاعتناء به بالنسبة لشعب مثل الشعب التونسي التعليم الابتدائي وتنظيمه

باسلوب محكم ، حيث ان غالب الناس لا يتقدرون على تجاوزة الى التعليم الناسوي فكان من الواجب ان يقع الاهتمام به حتى توجد في المقتصرين عليه ثقافة تكفي لمسايرة الحياة ولو شيئاً ما .
 وكان التعليم الابتدائي هو التعليم الواقع في (الكتاتيب) والكتاتيب وان كان لها فضل عظيم في المحافظة على القرآن واخراج الحافظين له ، لكن نظامها ضيق جدا لانه لا يقع فيها الا حفظ القرآن من غير ان يزداد على ذلك ولو شيء بسيط من المعلومات التي لا بد منها ، فكان المنتخرج من تلك الكتاتيب لا قدرة له الا على القراءة والكتابة مع استظهار القرآن ، وحفظ القرآن وان كان شيئاً عظيماً في حد ذاته لكنه لا يغني عن تعلم مبادي العلوم الاولى التي يحتاج اليها كل انسان في حياته مثل التوحيد والنحو والتاريخ ومبادي الحساب والهندسة وما يتعلق بها من المبادي الضرورية .

وقد فكر بعض الحذاق من مؤدبي الكتاتيب من نحو اربعين عاما في ادخال بعض امور زائدة على تعلم القرآن فاحدوا يعلمون تلامذتهم بعضا من المبادي الحسابية ويحفظونهم منظومات ادبية واخلاقية ، ولما كانت الكتاتيب هيئتها المعروفة غير قابلة للاسترسال في التوسع من الناحية المذكورة فقد فكر بعض الناس في احداث مدرسة تسمى المدرسة القرآنية ليكون اسمها مشعرا بموضوعها وتكون صبغتها الاصلية هي تعليم القرآن ثم يضم اليه من مبادي العلوم ما يفي بهتذيب عقول المتعلمين وفتح ابواب التعلم في وجوههم .

وقد وجدت هذه الفكرة استعدادا من غالب اهل البلاد ، واخيرا قدر للفكرة ان تنجح ، فتأسست اول مدرسة قرآنية بحاضرة تونس ، وكان تاسيسها في نفس الدار التي لا تزال بها الى اليوم - وهي الكائنة بنهج سيدي بن عروس عدد ٥٨ -

ويرجع معظم الفضل في ابراز هذا العمل الى الوجود الى حضرة السيد الهمام الفضال خير الله بن مصطفى (١) الذي اضطلع بعبائه ، وناضل عنه ، وقاوم جميع العراقيل التي اعترضته ، وقد تكون مجلس استشاري للنظر في مصالح المدرسة القرآنية وقع انتخاب افرادة على اساس ان تمثل فيه طبقات مختلفة ، ونذكر من بين افرادة جناب الوزير الاكبر الحالي سيدي الهادي الاخوة امد الله في عمره . والسيد محمد الكعكاك احد العدول بالحاضرة ، والسيد محمد العنابي احد اعيان الوكلاء بالحاضرة ، والرحوم الشيخ

(١) كان السيد خير الله بن مصطفى في ذلك التاريخ مترجما محلفا بالمجلس المختلط العقاري ثم ترقى من بعد الى خطة مدير التشريعات ، ثم الى خطة مدير جمعية الاوقاف وقد احيل على المعاش من منذ ثمانية اعوام فانقطع عن الحياة العامة واعتكف في قصرة الذي بناه بالمرسى منقطعا الى عبادة الله مقبلا على شؤونه الخاصة ، ينظر من كتب الى حوادث الدهر وتقلبات الايام ، وغالب الظن انه مشغول بتدوين حياته التي فيها من التاريخ صفحات مطوية يجدر به ان لا يهمل تسجيلها لما فيها من الحقائق النفيسة في تاريخ هاته البلاد .

الصادق بن القاضي المدرس بجامع الزيتونة والمرحوم الشيخ عمر بن عاشور المدرس بجامع الزيتونة والمرحوم الشيخ عثمان بن الحوجة المدرس بجامع الزيتونة ، والمرحوم السيد عمر بوحاجب والمرحوم السيد عبد الجليل بن ابراهيم .

وبعد ما تبيأت الاسباب وزالت الموانع فتحت المدرسة القرآنية وكان افتتاحها في يوم السبت ١٠٤ شوال سنة ١٣٢٤ الموافق ليوم ١ ديسمبر سنة ١٩٠٦ وكلف بإدارتها السيد محمد صفر (المعلم الآن بمدرسة ترشيح المعلمين والقيم العام بها) بعد ان كان مؤدبا بكتاب نهج الحفصية . فهو اول مدير لاول مدرسة قرآنية اسست بالمملكة التونسية ، وانضم اليه بعض المؤيدين وهم السيد محمد بن نور والسيد محمد بن حسين بن عبد السلام والسيد البشير المقراني

وقد طلب مجلس المدرسة من جمعية الاوقاف ان تقوم بمصاريف المدرسة من كراء المحل والاثاث وما يتعلق بذلك فاجابهم رئيسها الهام المرحوم السيد البشير صفر بانه ليس في ميزانية الجمعية ما يقتضي القيام بمثل ذلك --- وكان يتمنى في نفسه ان يجيبهم لما طلبوه ولكن لما كانت التراتيب الادارية تفرض عليه ان يجيب بالمنع فقد اوعز اليهم ان يتشكروا منه الى الكتاب العام - فقدم مجلس المدرسة مطالبا للكتاب العام يطلب منه ان ياذن جمعية الاوقاف بالقيام بذلك فاجيب المطلب . وصدر الاذن لجمعية الاوقاف بمباشرة ذلك ، فباشرته وبقي العمل جاريا بذلك الى اليوم ، وتكلفت الجمعية زيادة على ذلك بمرتب معلم اللغة الفرنسية (وكان اذ ذاك مائة فرنك في الشهر)

وكان برنامج المدرسة في التعليم هو تخصيص غالب الوقت لحفظ القرآن وتعليم المبادئ الاولى للعلوم التي لا بد منها مع دراستها باللغة العربية ، وتخصيص ساعة في النهار لكل قسم لتعلم اللغة الفرنسية وممن باشر التعليم بالمدرسة في اول عهدها المرحوم السيد البشير صفر حيث اقرا درسا في علم الجغرافيا وكانت ميزانية المدرسة تتكون من المقدار الذي يدفعه الموسرون من التلامذة وكان مقدارا زهيدا وهو ثلاثة فرنكات في الشهر فكان المدير والمعلمون بالمدرسة يقتسمون ما يتجمع من ذلك في اخر كل شهر ،

وقد اقبل الناس على المدرسة اقبالا هائلا ، وسارت المدرسة سيرا مطردا في طريق النجاح ، وظهرت ثمرتها في وقت قريب ، فكان التلميذ يتم حفظ القرآن في ستة اعوام وتكون له مع ذلك مشاركة طيبة في فنون مختلفة ولما ظهر نجاح هذا التأسيس اراد انفكروا في مختلف بلدان المملكة تاسيس مدارس قرآنية في بلدانهم فتاسست مدرسة بالمكنين ثم بسفاقص ثم بالقيروان وهكذا اخذ المشروع ينتشر ويشهد الاقبال عليه حتى كادت كل بلاد تسعى في تاسيس مدرسة على هذا الطراز ورغما عن المنبسطات الكثيرة ، والعراقيل المتعددة ، فقد سار مشروع المدارس القرآنية دائما الى الامام وتاسست مدارس بكثير من بلدان المملكة من جربة الى بنزرت فما بينهما ، ولا تزال الامة تطالب بالتكثير من تاسيس امثال هاته المدارس لما رأوا فيها من المنافع المحسوسة ، والاثار الجليلة

مهمة المدارس القرآنية

ولا يخفى ان السر في اقبال الناس على هاته المدارس هو شرف مهمتها ، الذي فيه الجمع بين حفظ القرآن العظيم الذي يجب على كل مسلم بذل غاية الجهد في اعانة ابنه على حفظه ، وتعليم التلامذة مبادي العلوم على اختلاف اغراضها ، بأسلوب موصل ، جامع بين الافادة وقصر الوقت مع التربية الدينية ، والاخلاق الفاضلة

نتائج المدارس القرآنية

وقد كانت المدارس القرآنية عند حسن الظن بها وذلك بفضل مديريها المسلمين الصادقين ، ومعلميها الفضلاء العاملين ، الذين ضحى كل واحد منهم باعز ما عنده من الوقت والمال ، فبدلوا غاية الجهد في المحافظة على ما استست له من تعليم القرآن ، وتعليم مبادي العلوم ، رغما عن طفاة الموارد ، وقلة المناصر والمساعد ، حتى ان منهم من يدفع الاموال الطائلة من حيبه الخاص للقيام بشؤون مدرسته ، جازاهم الله احسن الجزاء ، وذلك لان الحكومة وان صارت تعطي اعانات للمدارس القرآنية لكنها اعانات قليلة بالنظر لعظم تكاليفها ، وتعدد اعمالها . والمؤمل من الحكومة التي تعودنا منها الاعانة على بث العلم ان تضاعف لها الاعانة حتى تصل بها الى الاقتدار على القيام بما يسد خلتها ، وما على الحكومة الا ان تقايس بين ما تستدعيه مدرسة ابتدائية ذات ثلاثة اقسام من التكاليف والمصاريف ، وما تستحقه مدرسة قرآنية ذات ثمانية اقسام من مثل ذلك ، فعند ذلك يظهر لها ان المدارس القرآنية جديرة بتوسيع العطاء ، وتضعيف الجزاء

وان من يتأمل في نتائج المدارس القرآنية يجدها قد انت بنتائج باهرة ، لا يكابر فيها الا من يجحد ضوء الشمس في رابعة النهار ، فتجد المتخرجين منها جامعين بين حفظ القرآن او نصيب وافر منه ، وبين المشاركة في علوم مختلفة وفنون متنوعة مع معرفة جيدة باللغة الفرنسية ، بحيث ان من يشارك من تلامذة المدارس القرآنية في امتحان الشهادة الابتدائية يظفر غالبا بالنجاح ، ومن ينخرط منهم في سلك المتعلمين بجامع الزيتونة او بالمدارس الثانوية يكون ظاهر النبوغ متميزا عن بقية الاقران .

وقد مضى علي في مباشرة التعليم بجامع الزيتونة ادم الله عمرانه اربعة عشر عاما وبالمدرسة الصادقية اربعة اعوام كنت الاحظ في خلالها حالة تلامذتي من حيث النبوغ والاستعداد فكنت اجد في التلامذة المتخرجين من المدارس القرآنية استعدادا عجبيا ، ونبوغا واضحا ، وتربية فاضلة ، واخلاقا عالية ، بحيث يكونون في الغالب متميزين عن سواهم ، لا افضل في ذلك مدرسة على مدرسة ولا مديرا على مدير فجازهم الله جميعا بما يستحقه الرجال العاملون لصالح اوطانهم

ولقد اخذ مني العجب كل ماخذ عند ما طالعت منذ ايام قريبة في جريدة (النهضة) مقالة لاحد الكتاب ابدى فيها استنقاذه للمدارس القرائية وضالة نتائجها ، والمؤمل منه ان يعيد التأمل وبمعن النظر حتى يظهر له انه مخطئ في مقالته ، فيرجع عن ضلالتة ، والا فهو جدير بان نشد عليه قول المعري

اذا وصف الطائي بالبخل مادر وعير قسا بالفهاة باقل
وقال السهي للشمس انت ضئيلة وقال الدجى للصبح لونك حائل
فيا موت زر ان الحياة ذميعة ويا نفس جدي ان دهرك هازل

وجوب احداث مدارس قرائية للبنات

ورغما عما ظهر من فضل المدارس القرائية وحسن نتائجها فانه لا توجد اليوم ولا مدرسة واحدة منها مختصة بالبنات مع ان البنات اجدر بان تؤسس لهن مدارس من هذا النوع ، لانهن اجدر بالترية الدينية ، والتثذيب الاسلامي ، والمحافظة التامة على مبادي الشرف والطهر والعفاف ، التي لا يتحقق جميعها الا في المدارس القرائية

وقد كانت وقعت تجربة من هذا النوع من منذ خمسة وعشرين عاما ، حيث اسست (بنات الفخري) مدرسة قرائية كانت تابعة لادارة المعارف ، وكانت تشغل بتعليم القرءان وبعض المبادي العلمية والصناعات اليدوية ، ونجحت نجاحا باهرا ، وكانت تتمثل فيها المحافظة والاخلاق الراقية ، حتى ان متفقد التعليم في ذلك الوقت - وهو السيد الفضال الصادق التلاتي العضو بالمجلس الكبير الآن - عند ما كان يذهب لتفقد المدرسة ، كان يسأل التلميذات من وراء حجاب ، ولكن هاته المدرسة لم تدم طويلا ، حيث اضمحلت بعد امد قصير ولم يبق لها اثر

ونحن نتمنى ان لو يفكر اولياء البنات في هذا الامر تفكيرا جديا ويسعوا من الآن سعيًا حثيثا في تكوين مدارس قرائية للبنات على نمط مدارس الذكور ، لا سيما وقد تكون اليوم عدة بنات متعلات فيهن القدرة التامة على ادارة مثل هاته المدارس بغاية الضبط والاتقان ، والمؤمل ان تعج هاته الفكرة من الحكومة غاية التشجيع

القانون الجديد الذي يراد وضعه للمدارس القرائية

اشرنا في طالعة هذا المقال الى ما اشيع من عزم الحكومة على وضع قانون جديد للمدارس القرائية ، وقد تايدت هاته الاشاعة بما تحدث به جناب المقيم العام للصحف الباريسية عند رجوعه من فرنسا من منذ شهر ، ونحن يلزونا تلقاء ذلك ان نبدي ما لنا من رأي حول ما يراد وضعه من الانظمة لهاته المدارس التي لها ارتباط واي ارتباط بجامع الزيتونة الذي نحن نتكلم دائما بلسانه

فاول ما نرجوه من الحكومة ان تكون لجنة لوضع هذا القانون يحضرها فضيلة شيخ الجامع الاعظم لما له من الاشراف على جميع انواع التعليم الذي له صبغة دينية بهاته البلاد كما يحضر بها بعض المدرسين بالجامع الاعظم وبعض مديري المدارس القرآنية ومعلميها ثم نرجو ان يراعى في وضع القانون الصبغة التي للمدارس القرآنية، والغرض الذي اسست من اجله، وذلك باحترام التعليم الديني فيها والاعتناء التام بتعليم القرآن، محافظة على الغرض الاصلي من تاسيسها، لان التونسيين لم يقبلوا على هذه المدارس ولم يرضوا بجعلها عوضا عن الكتابات الا لما التزمته من الاعتناء بالقرآن، وفي اعتقادي ان المدارس القرآنية اذا ضعف فيها الاعتناء بالقرآن وقل الاهتمام به فان غلقها خير من ابقائها، ثم نرجو ان لا يكون القانون الجديد محدثا لعراقل امام من يريد فتح مدارس جديدة، بان تتخذ فيه جميع الاسباب التي من شأنها ان تسهل ذلك

ولنا امل قوي في ان تجسنا الحكومة الى هاته الاقتراحات ويتأكد عندنا هذا الامل بماعهنا منها من احترام الاحساسات الدينية، والتعهد بالمحافظة عليها، فتتوجب بذلك شكر جميع الناس، واقرارهم لها بالجميل

نداء لرجال المدارس القرآنية

ولم يبق لنا بعد هذا كله الا ان تتوجه لاخواننا الافاضل من مديري المدارس القرآنية ومعلميها شكر الله صميمهم، واعانهم على ما اولاهم، راحين منهم ان يقضوا بغاية الحكمه على اسباب الخلاف الذي دبت عقاربهم فيما بينهم من منذ عامين، فالامانة المحمولة على عراقتهم عظيمة، والمشروع المكلفون به مشروع جليل هائل، فللقديم افضلية السبق، وللجديد صعوبة الابتكار وللهدير مسئولية الادارة، وللمعلم مشقة التعليم، فلكل واحد فضيلته التي لا تنكر، ومزيته التي لا يعقل جحودها، وليكن ما وقع بينهم فيما مضى من نزغات الشيطان، الذي ما جعل الله له على عباده من سلطان، فاذا استعبد بالله منه رجعت المياه الى مجاريها، وتضافت القلوب بعد تجافيا، وقديما نزغ الشيطان بين يوسف واخوته الاسباط فوقع بينهم ذلك الشئان العظيم، ثم حفت العناية فزال الشقاق وقال يوسف لايه : (يا ابت هذا تاويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم)

محمد المختار بن محمد



القرآن الكريم

تفسير الفاتحة

من تفسير العلامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ
محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

(٥)

(الرحمان الرحيم) اجراء هذين الوصفين العليين على اسم الجلالة بعد وصفه بانه رب العالمين لمناسبة بليغة لانه بعد ان وصف بما هو مقتضي استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين مدبر شؤونهم ومبلغهم الى كمالهم في الوجودين الجسماني والروحاني ناسب ان يتبع ذلك بوصفه بالرحمان اي الذي الرحمة وصف ذاتي له تصدر عنه اثاره بعموم واطراد على ما تقدم في الكلام على البسملة فلما كان ربا للعالمين وكان المربوبون ضعفاء كان احتياجهم للرحمة واضحا فاذا قات ان الربوبية تقتضي الرحمة لانها ابلاغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا وذلك يجمع النعم كلها فلهاذا احتيج الى ذكر كونه رحمانا قلت لان الرحمة تتضمن ان ذلك الابلاغ الى الكمال لم يكن على وجه الاعانت بل كان برعاية مما يناسب كل نوع وفرد ويلائم طرقه واستعدادة فالربوبية نعمة والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والاذى فانبع ذلك بوصفه بالرحمان تبهيا على ان تلك النعم الجليلة وصلت الينا بطريق الرفق واليسر ونفسي الحرج ولان من طرق ابلاغ المربوب الى كماله ما قد يظنه المربوب غير رحمة لما يبدو في بادى رأيه من عدم ملازمة ومن اشعثزاز وهو ضرور التكليف والزواجر فبه بالوصف بالرحمان على ان تلك رحمت عند التأمل الصادق فان التكليف غايتها حصول الملأمة عاجلا وءاجلا والزواجر والحدود ونحوها غايتها اقلاع المرتكب عن العود الى مثل تلك المفاصد المنضرة واتعاظ غيره به عن الوقوع في امثالها كما قال تعالى ولكم في القصاص حياة فمعظم تدبيرة تعالى بنا هو رحمت ظاهرة كالتمكين من الارض وتيسير منافعها ومنه ما رحمته باعتبار مثاله مثل التكليف الراجعة الى منافعنا كالطهارة وبث مكارم الاخلاق ومنها ما منفعتة للجمهور فتبعتها رحمت الجميع لان في رحمة الجمهور رحمة بالبقية في انتظام الاحوال كالزكاة والزواج

وما اتباع الرحمان بالرحيم فقد مضى القول فيه مستوفى عند الكلام على البسملة ونزيد هنا ما

هو بهذا المقام اعلق وهو ان التحميد اولى بالنص على مظهر الصفتين لقصد ان يستوعب الحمد عليهما فكان اجدر بذكرهما من مقام التسمية لان التسمية لمجرد التيمن .

(مالك يوم الدين) وصف رابع لاسم الجلالة ومعناه صاحب الحكم في يوم الجزاء وهو يوم القيامة وما يتبعه . من داري ثواب وعقاب وعندي ان اتباع الاوصاف الثلاثة المتقدمة به ليس لمجرد سرد شيء من صفاته تعالى بل هو مما اثارته الاوصاف المتقدمة فانه لما وصف الله تعالى بانه رب العالمين الرحمان الرحيم فكان ذلك مفيدا لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر اكوانهم ثم التنبيه بان جميع تصرفه تعالى في جميع تلك الاكوان والاطوار هو تصرف رحمة عند الاعتبار وكان من جملة تلك تصرفات الامر والنهي المعبر عنها بالتشريع الراجعة الى حفظ مصالح الناس عامة او خاصة وكان معظم تلك التشريعات مشتملا على اخراج المكلف عن داعية هواه الذي يلائمه اتباعه وفي نزع عنه ارغام له ومشقة خفيف ان تكون تلك الاوصاف المتقدمة في طالعة كتاب الشريعة مخففا عن المكلفين عبء العصيان لما امروا به ومشيرا لاطماعتهم في العفو عن استخفافهم بذلك وان يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائل الاعراض عن التكليف لذلك كان من مقتضى المقام وهو مقام افتتاح كتاب الشريعة وقصد اشتمال سورة الفاتحة على المقاصد المشتمل عليها الكتاب المجيد تعقيب ما تقدم بذكرانه صاحب الحكم في يوم الجزاء يوم تجزى كل نفس بما كسبت وذلك اكمال لارحة لان الجزاء على الفعل سبب في الامثال والاجتناب فالشريعة جاءت رحمة لنا لحفظ مصالح العالم واحيط ذلك بالوعد والوعيد وجعل مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة ولان كثيرا من الضالين اذا جاءتهم العظات وصموا عنها يغفروهم حسن حالهم في الدنيا فيخالون ان الله راض عنهم كما حكى الله عن بعضهم قوله (واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمر علينا بحجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) وانما يمهلهم الله في الدنيا استدراجا لهم كما قال تعالى : سنستدرجهم من حيث لا يعلمون واملي لهم بعكس ذلك قد يكون حال بعض المؤمنين المطيعين فاعلم الله تعالى في طالعة كتابه بان عقابه وثوابه انما يظهران يوم الدين ولذلك اختير هنا وصف الملك المؤذن باقامة العدل وعدم الهوادة فيه ولو قيل رب يوم الدين لكان فيه مطعم للمفسدين ان يجدوا من شأن الرب رحمة وصفحا . فان قلت فاذا كان اجراء الاوصاف السابقة مؤذنا بان جميع تصرفات الله تعالى فينا رحمة فقد كفى ذلك في البحث على الامثال والانتباه اذ المرء لا يخالف ما هو رحمة به فلا جرم ان ينساق الى الشريعة باختياره قلت المخاطبون مراتب منهم من لا يهتدي لفهم ذلك الا بعد تعقيب تلك الاوصاف بهذا الوصف ومنهم من يهتدي لفهم ذلك ولكنه ربما ظن انه في فعل الملائم لا رحمة به ايضا فربما اثر الرحمة الملائمة على الرحمة المنافرة وان كانت مفيدة

له وربما تأول الرحمة بأنها رحمة للعموم وانه انما يناله منها حظ ضعيف فثائر رحمة ترضي حظه الخاص به على رحمة ترضي حظه التابع للعموم وربما تأول ان الرحمة في تكاليف الله تعالى امر اغلبي لا مطرد وان وصفه تعالى بالرحمان بالنسبة لغير التشريع من تكوين ورزق واحياء وربما ظن ان الرحمة في المثال فثائر عاجل ما يلائمه وربما علم جميع ما تشتمل عليه التكاليف من المصالح باطراد ولكنه ملكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكل هؤلاء مظنة للاعراض عن التكاليف الشرعية ولا مثالهم جاء تعقيب الصفات الماضية بهذه الصفة تذكيرا لهم بما سيحصل من الجزاء يوم الحساب لئلا يفسد المقصود من التشريع حين تتلقفه افهام كل متأول مضيع

وقوله تعالى ملك قرىء بالالف وقرىء مالمك بالالف وكلتا القراءتين من السبعة المشهورة فالاول صفة مشبهة والثاني اسم فاعل وكلاهما مشتق من ملك فأصل مادة ملك في اللغة ترجع تصاريها الى معنى الشد والاضبط كما قاله ابن عطية ويقولون ملك بمعنى حكم وبمعنى استطاع وبمعنى احتوى وبمعنى غلب فالملك بفتح الميم وكسر اللام هو اكبر حاكم في قوم او بلد بحيث يتصرف في عموم احوالهم . والمالك هو من اتصف بملك شيء فقرأة ملك بدون الف تفيد معنى تشبيه عموم حكم الله وقدرته في يوم القيامة بتصرف الملك المعروف للمخاطبين والله تعالى هو الملك على الحقيقة ولذلك ورد في الحديث انه تعالى يقول يوم القيامة « انا الملك ابن ملوك الارض » وازدادة الملك على هذه القراءة الى يوم الدين اضافة على معنى في كما تقول ملك العصر واما قراءة مالك يوم الدين فهي خبر على وجه الحقيقة دون تشبيه وازدافته الى يوم الدين اما على معنى اللام بتقدير انه مالك شئون يوم الدين اذ الزمان لا يملك حقيقة فيكون المضاف اليه هو المفعول للملك بتديرا واما على معنى في ويكون مفعول اسم الفاعل محذوفا لقصد العموم اي مالك الاشياء كلها أو الامور كلها لان المضاف اليه على معنى في لا يصلح للمفعولية بل هو بمنزلة المفعول فيه . وقراءة ملك بدون الف ارجح لما تدل عليه من تمثيل الهيئة في نفوس السامعين على نحو ما في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى من تمثيل جلاله تعالى بعظمة الملك الجالس على العرش تقريبا لافهام الناس بمعنادهم ولان اضافته الى اليوم اظهر لان الصفة المشبهة لا تحتاج الى المفعول به بخلاف اسم الفاعل فان شان اضافته ان تكون الى مفعوله وقد علمت ان اليوم لا يصلح لان يكون مفعولا به الا بتكلف . ويوم الدين يوم القيامة ومبدأ الدار الآخرة فالدين فيه بمعنى الجزاء قال الفند الزماني (١)

(١) الفند بكسر الفاء الجبل وقد لقب به الشاعر واسمه شهل بشين معجمة وليس في اسماء العرب شهل بالشين المعجمة غيره وهو من شعراء حرب البسوس وانما لقب الفند لانه لما جاء لينصر بني بكر بن وائل في حرب البسوس قالوا ما يعني هذا الهم (اي الشيخ الهرم) فقال لهم اما ترضون

فلما صرح الشر فأمسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدو ن دناهم كما دانوا
اي حزيناهم على صنعهم كما صنعوا مشاكلة او كما حزنونا من قبل اذا كان اعتداؤهم ناشئا عن
نار ايضا وهذا هو المعنى الثمين هنا وان كان للدين اطلاقات كثيرة في كلام العرب كلها تحوم
حول معنى المعاماة والمجازاة ظاهرا او اعتقادا

(اياك نعبد واياك نستعين) لما حمدوا الله واجروا صفاته الجليلة شرعوا في المناجاة شكرا لله تعالى
وتمجيда له وعندي ان هذا استئناف انتقلوا به من غرض الى غرض وللمنتقل اليه هو المقصود الاعلى
فان مفاتحة العظماء بالتمجيد قبل الخطاب سنة عربية. روى ائمة الادب عن حسان بن ثابت قال كنت
عند النعمان بن المنذر فنادمته واكلت معه فبينما انا على ذلك معه في قبة اذا رجل يرتجز حولها يقول
اصم ام يسمع رب القبيه يا اوهب الناس لعيسى صلبه
ضاربة بالمشعر الاذبه ذات هباب في يديها خلبه
في لاحب كانه الاطبه (١)

فقال النعمان اليس بابي امامة (يعني النابغة) قالوا بلى قال فاذنوا له فدخل فأنشد قصيدته
البائية وقد قال بعض ائمة اللغة ان قول الخطباء اما بعد تقديره اما بعد دعائي لك فدلنا ذلك على ان
الخطباء لما كانوا اكثر ما يخطبون بين يدي الملوك وعظماء القوم كانوا يصدرن الخطبة بالدعاء
فقوله اياك نعبد الخ هو عندي ابتداء كلام لانه الغرض فليس استئنافا يائيا ولكنه استئناف
نحوي وقال السيد الجرجاني في شرح الكشف هو استئناف بياني جواب اسؤال يقتضيه اجراء تلك
الصفات كان سائلا يقول ما شانكم مع هذا الموصوف وكيف توجهكم اليه وقد بنى كلامه على ان
المقصود من الكلام هو الحمد لله ووصف الله تعالى بجلال الصفات وان قوله اياك نعبد تكملة لذلك
المقصود وذهب صاحب الكشف الى ان قوله اياك نعبد الخ هو بيان لصورة حمدهم وهو بناء على ان
الحمد وما بعده هو المقصود وان هذا بيان له فتكون الجملة عطف بيان او بدل اشتمال وهو وجه

ان اكون لكم فندا تأوون اليه اي معقلا ومرجعا في الراي والحرب والزمان بكسر الزاي وتمديد
الميم نسبة لبني زمان ابنه عم بني حنيفة بن بكر بن وائل

(١) تقول العرب اصم فلان ام يسمع ويريدون اسمعني ام هو في شغل عني . والصلبة بضم
الصاد القوية . والمشعر بالعين المعجمة الريح شبه به اذناها ، وروي بالمشعر بالفاء كانه يعني انها تكثر
الاكل . والاذبة صفة للمشعر او المشعر لانه اراد بالمشعر الجنس فصح نعته بالجمع وهو جمع ذبابة السيف
اي نهايته وقوله ذات هباب بباءين موحدين أي سرعة السير . والحلبة بالحاء المعجمة حلقة من ليف
تجعل في رجل البعير ليقيد بها في معطنه خشية هروبه وذلك لقوته . وقوله في لاحب متعلق بهباب
واللاحب الطريق والاطبة جمع طباب وهو الشراك يجمع به بين اديمين في الحدد

ضعيف اذ ليست العبادة والاستعانة وطالب الهداية براجعة لمعنى الحمد لغة ولا عرفا وقد تكلف سعد الدين التفتزاني لتقريره بما لا يطيل بجلبه لقلة جدواه

واعلم ان العدول عن طريقة الغيبة التي ابتدئ بها الكلام من قوله الحمد لله الى هنا والتنقل الى طريقة الخطاب في قوله اياك نعبد من افانين كلام العرب وهو الملقب بالالتفات عند علماء البلاغة وفائدة الالتفات في كلام العرب هي اظهار مقدرة المتكلم والتوسعة عليه في الكلام فان التعبير بطريق من التكلم او الغيبة او الخطاب في مقام يظهر انه اولى بغير ذلك الطريق هو اسلوب بديع يدل على صحة الذهن اذ ينتقل من الاسلوب الظاهر لغيره مع اتساق المعنى ولهذا سماه ان حني شجاعة العربية ولان نقل الكلام من اسلوب الى اسلوب تجديد لنشاط السامع وسماء السامع ترى الارواح والعبادة غاية التذلل والخضوع وفعلها عبد يعبد كنصر ويقال عبد ذلك ومنه طريق معبد اي مطروق للسابلة حتى تذلت ارضه

ثم خصصها العرف اللغوي بالخضوع والتذلل بالفعل او القول لذات معتقد الوهيته ومؤمن بها فهي اخص من مطلق الخضوع والتذلل والفرق بينها وبين مطلق التذلل عند كل قوم بحسب اصطلاحهم قرب فعل يعبد عبادة عند قوم وهو لا يعبد عند اخرين الا ترى ان السجود عند العرب عبادة فكانوا يسجدون للصنم ولم يكونوا يسجدون للملوك وهو عند غيرهم ليس عبادة فقد سجد يعقوب وابناؤه وامراته ليوسف كما حكى الله تعالى عنهم بقوله (ورفع ابويه على العرش وخروا له سجدا) والا ترى ان كلمة سبحان قد خصصها عرف العرب بان ينزه بها الالهة ولذلك قال بعض شعرائهم في الاسلام

يا عز كفرانك لا سبحانك اني رايت الله قد اهانك

والعبادة في الشرع اخص فتعرف بانها فعل او قول ما يرضي الرب من خضوع وامثال واجتناب وقال الفخر في تفسير سورة الذاريات هي تعظيم امر الله والشفقة على الخلق وهذا المعنى هو الذي اتفقت عليه الشرائع وان اختلفوا في الموضع والهيئة والقلة والكثرة فهي بهذا التفسير تشمل الامثال لاحكام الشريعة كلها الا ان الفقهاء اصطلاحوا على تخصيص اسم العبادة بنوع من الافعال التكليفية وهو ما لا حق فيه للناس ابتداء وقابلوه بالمعاملات

وقد فسر الصوفية العبادة بانها فعل ما يرضي الرب والعبودية بالرضا بما يفعل الرب فهي اقوى من العبادة وقال بعضهم العبودية الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالمسجود والصبر على المفقود وهذه اصطلاحات لا مشاحة فيها واما الحقيقة اللغوية فقد عرفتها ومراتب العبادة قال الامام الرازي ثلاثة الاولى ان يعبد الله طمعا في الثواب وخوفا من العقاب وهي درجة نازلة لانه فعل الحق وسيلة لنيل المطلوب ، الثانية ان يعبد الله لاجل ان يتشرف بعبادته والاتساب

اليه بقبول تكليفه وهي اعلی من الاولى إلا انها ليست كاملة لان المقصود بالذات غير الله . الثالثة ان يعبد الله لكونه آله خالقا مستحقا للعبادة وكونه هو عبدا له وهذا اعلی المقامات وهو المسمى بالسبودية اه قلت ولم يسم الامام المرتبة الثانية باسم والظاهر انها ملاحقة في الاسم بالمرتبة الثالثة اعني العبودية لان الشيخ ابن سينا قال في الاشارات « العارف يريد الحق لا لشيء غيره ولا يؤثر شيئا على عرفانه وتعبد له فقط ولانه مستحق للعبادة ولانها نسبة شريفة اليه لا لرغبة او رهبة اه فجعلهما حالة واحدة، هذا وما زعمه الامام رحمه الله من سقوط الدرجة الاولى ونزول مرتبتها قد غلب عليه فيه اصطلاح غلاة الصوفية والا فإن العبادة للطمع والخوف هي التي دعا اليها الاسلام في سائر ارشاده وهي التي عليها جمهور المؤمنين وهي غاية التكليف وقد قال تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء فإن بلغ المكلف الى المرتبتين الاخرين فذلك فضل عظيم وقليل بالغوها على انه لا يخلو من ملاحظة الخوف والطمع في احوال كثيرة . نعم ان افاضل الامة متفادون في الاحتياج الى التخويف والاطماع بمقدار تفاوتهم في العلم بأسرار التكليف ومصالحه وتفاوتهم في التمكن من مغالبة نفوسهم ومع ذلك لا يحيص لهم عن الرجوع الى الخوف في احوال كثيرة والطمع في احوال أكثر واعظم دليل على ما قلنا ان الله تعالى مدح في كتابه المتقين في مواضع حجة ودعا للتقوى وهذا وهل التقوى الا كاسمها بمعنى الخوف والافتقار من غضب الله . والمرتبة الثالثة هي التي اشار لها قوله صلى الله عليه وسلم لمن قال له كيف تجهد نفسك في العبادة وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال افلا اكون عبدا شكورا لان من الظاهر ان الشكر هنا على نعمة قد حصلت فليس فيه حظ للنفس بالطمع في المزيد لان الغفران العام قد حصل له فصار الشكر لاجل المشكور لا غير وتمحض انه لا خوف ولا طمع

واعلم ان من اهم المباحث البحث عن سر العبادة وتأثيرها وسر مشروعيها وذلك ان الله تعالى خلق هذا العالم ليكون مظهرا لكمال صفاته تعالى وهي : الوجود والعلم والقدرة وجعل قبول الانسان للكمالات التي بمقياسها يعلم نسبة مبلغ عليه وقدرته من علم الله تعالى وقدرته وأودع فيه الروح والعقل السدين بهما يزداد التدرج في الكمال ليكون غير قائم بما بلغه من المراتب في اوج العمران والمعرفة وأرشده وهداه الى ما يستعين به على مراده ليحصل له بالارتقاء العاجل رقي عاجل لا يضمحل وجعل استعدادا لقبول الخيرات كلها عاجلها وعاجلها متوقفا على التلقين من الرسل الموحى اليهم بأصول الفضائل ، ولما توقف ذلك على مراقبة النفس في فقراتها وشراداتها وكانت تلك المراقبة تحتاج الى تذكر المجازي بالخير وضده شرعت العبادة لتذكر ذلك المجازي لان عدم حضور ذاته واحتجابه بسبحات الحلال يسرب نسيانه الى النفوس كما انه جعل نظامه في هذا العالم متصل الارتباط بين افراده فأمرهم بلزوم آداب المعاشرة والمعاملة لئلا تفسد الارض وللمراقبة الدوام على ذلك ايضا شرعت العبادة لتذكر به على ان في ذلك التذكر دوام الفكر في الخالق وشؤنه وفي ذلك تخلق بالكمالات

تدرجاً فظهر ان العبادة هي طريق الكمال الذاتي والاجتماعي مبدءاً ونهاية وبه يتضح معنى الحصر في قوله تعالى : وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ، الأكل الى معنى ما خلقت الجن والانس الا ليعتد بهم امرهم وذلك لوقوفهم عند ما نحدد لهم من الاوامر والنواهي وهو العبادة فالعبادة على الجملة لا تخرج عن كونها محقة للمقصد من الخلق وعلته لحصوله عادة ولما كانت سر الخلق والغاية منه خفية الادراك عرفنا الله تعالى اياها بمظهرها وما يحققها جمعا لعظيم المعاني في جملة واحدة وهي جملة الا ليعبدون . وقريب من هذا التقرير الذي نحوناه وأقل منه قبول الشيخ في الاشارات « لما لم يكن الانسان بحيث يستقل وحده بأمر نفسه الا بمشاركة آخر من بني جنسه وبمعاوضة ومعارضة تجربان بينهما يفرغ كل واحد منهما لصاحبه عن مهم لو تولاه بنفسه لازدحم على الواحد كثير وكان مما يتعسر ان أمكن وجب ان يكون بين الناس معاملة وعدل يحفظها شرع يفرضه شارع متميز باستحقاق الطاعة ووجب ان يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند القدير الخبير فوجب معرفة المجازي والشارع وان يكون مع المعرفة سبب حافظ للمعرفة ففرضت عليهم العبادة المذكرة للعبود وكررت عليهم ليستحفظ التذكر بالتكرير آه » وقول الشيخ وجب يحتمل اي يريد به الوجوب العقلي على طريقة المعتزلة وهو الظاهر من حال الشيخ وسياق الكلام ويحتمل ان يريد الوجوب الشرعي الذي اخبرت به ادلة الوعد والوعيد . والحصر في قوله تعالى اياك نعبد حصر حقيقي لان المؤمنين الملقين لهذا الحمد لا يعبدون الا الله تعالى ،

اصلاح اخطاء مطبعية في الجزء الثالث

من المجلد الثاني من المجلة الزيتونية

صفحة	سطر	خطا	صواب
٩٨	٧	فيها	فيه
»	١٢	التكرارا وهو	التكرار اه اقول هو
١٠١	١٣	اللعيث	البعث
١١٢	٩	راهوية	راهوية
»	١٢	صباحا	صياما

الحديث الشريف

روي عن أبي أمامة أن سهل بن هارون سمع أبا سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما أنا نائم رأيت الناس يعرضون علي وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك وعرض علي عمر ابن الخطاب وعائيه قميص بجره قالوا بما أولت ذلك يا رسول الله قال الدين

٢

لا خلاف بين المحققين من العلماء في صحة رؤيته صلى الله عليه وسلم في المنام وإنما ليست باضغاث احلام ولا من تشبيهات الشيطان لما أخرجه البخاري عن انس رضي الله عنه قبال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من رآني في المنام فقد رآني فان الشيطان لا يتمثل بي ورؤيا المؤمن جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة والصحيح ان المرئي في المنام هو مثاله الشريف لا ذاته الكريمة بدليل انه صلى الله عليه وسلم قد يرى في مكانين لرائيين في وقت واحد وانما تثبت رؤياه صلى الله عليه وسلم لاحد رجلين صحابي رآه في اليقظة فعلم صفته فانطبع في نفسه مثاله الشريف فاذا رآه جزم بانه رأى مثاله المعصوم من الشيطان وثانيهما رجل تكرر عليه سماع صفاته المنقولة في الكتب حتى انطبع في نفسه صفته ومثاله المعصوم فاذا رآه جزم برؤية مثاله صلى الله عليه وسلم وما يظهر للرائي من بعض التغيرات في مثاله الكريم فانها من صفات الرائي واحوالهم تظهر في مثاله صلى الله عليه وسلم لانه كالمرءة لهم ولا يحدث التغير شكاً للرائي في المثال الشريف اذ كان متحققاً لصفته صلى الله عليه وسلم كمن علم ابا شيخاً فراءه في المنام شاباً وكما تظهر في مثاله صلى الله عليه وسلم بعض صفات الرائي تظهر فيه تغييرات لاحكامه الشرعية كما نقل عن الشيخ محي الدين بن العربي انه رأى في نومه انه دخل جامع اشبيلية فرأى مثاله صلى الله عليه وسلم في صورة ميت مسجى بثوب في زاوية من زوايا المسجد فاستفرغ مما رأى ولما كان بعد سنتين دخل ذلك المسجد مع بعض الفضلاء من اهل اشبيلية فاراد الشيخ ان يتنفل بركعتين فاشار عليه رفيقه بان يتنفل في تلك الزاوية فامتنع الشيخ من التنفل فيها فساله عن سبب امتناعه فقص عليه ما رأى وانه امتنع من ذلك مهابة له صلى الله عليه وسلم فاستعجب الرجل من ذلك وقال له ان رؤياك حق وسأخبرك بتأويلها وهو ان تلك الزاوية كانت بيتاً لي ولما اراد امير البلاد تفسيح المسجد سامني فيها بغير ما يرزني واخذها مني غصبا بصورة المباينة والذي رأيته في المنام لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم وانما هو شرعه مات بالنسبة لذلك

الموضع والثوب المسجى به عورة المبيعة اما الآن فاني اشهدك بانني طيبتها الله فتقدم اليها الشيخ وصلى بها فان قيل ان تعبير الرؤيا بل والمرائي نفسها ضرب من علم الغيب وقد كانت الصحابة رضي الله عنهم يسرون الرائي فتني كفلق الصبح ويعبرونها فصدق وخصوصا ابا بكر رضي الله عنه فقد كان يعبر الرؤيا بمحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد ذلك في كثير من الاحاديث ومنها ما روي انه صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر رايت كاني واياك في مرقاة فسبقتك بمرقاتين فقال له ابو بكر تنتقل للرفيق الاعلى قلبي بسنتين ونيف وكان الامر كما قال فكيف يتبع تفسيرها من غير الرسل وقد قال تعالى (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول) اذ المعنى لا يطلع على الغيب الا المرتضى الذي يكون رسولا وقد استدلل صاحب الكشف بالآية الكريمة على ابطال كرامات الاولياء قائلا ان الاولياء وان كانوا مرتاضين فليسوا بمرسلين قلت احيب عن هذا الاشكال باجوبة اظهرها فيما ارى اما بالنسبة للرائي فان الرؤيا تكون بواسطة الملك الموكل بالرؤيا ولا تقيد في الآية للرسول بالمبعوث للخلق بل هو شامل لمن يرسله الله من العباد او الملائكة واما بالنسبة للتعبير وكرامات الصالحين وكذلك المرتاضين من غيرهم فيجتمعل ان يكون بطريق الالهام من الله عز وجل على ان ما يخبر به المعبر او الولي والمرئاض لا يخرج عن كونه بطريق الظن الذي يغلب صدقه وليس ذلك من الاظهار المراد في الآية الكريمة اذ هو الانكشاف والانجلاء بوضوح وذلك خاص بالرسول عليهم السلام سواء كان ما يخبرون به في حالة اليقظة او في حالة المنام قال تعالى (وما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) كما حدث به صلى الله عليه وسلم بقوله بينا انا نائم اي بين اوقات انا نائم فيها رايت الناس اي المؤمنين بدليل ان الحديث في تفاضل اهل الايمان وقوله يعرضون علي من العرض وهو الانجلاء للشيء وقوله وعليهم قمص قمص وهو الثوب الذي يلبسه الانسان ساترا لبدنه من رقبته الى ما تحت ركبتيه وقوله منها ما يبلغ الثدي جمع ثدي واصله تدوي على وزن مفعول قلبت الواو اياء ثم ادغمت وابدلت الضمة كسرة للنسبة ومنها ما دون ذلك من جهة اسفل اي من القمص ما هو قصير جدا فيبلغ الثدي ومنها ما هو اطول من ذلك كما في رواية الترمذي منهم من كان قميصه الى سرتيه ومنهم من كان قميصه الى ركبتيه ومنهم من كان قميصه الى انصاف ساقيه وفي التعبير عن التدين بالثدي الذي هو صيغة جمع دليل لمن قال اقل الجمع اثنان لا ثلاثة وهي مسألة خلافية بين الاصوليين فرع عليها الفقهاء ان من اقر بدارهم عليه لفلان ولم يبين هل يلزمه درهمان او ثلاثة قال الشهاب الخفاجي في طراز المجالس استشكل القرافي هذا الخلاف فقال لاح لي اشكال عرضته على الفضلاء عشر بن سنة فلم يظهر لي ولهم جوابه وهو ان اهل الوصول يختلفوا في اقل الجمع هل هو ثلاثة او اثنان فان ارادوا به مدلول ج م ع لم يلزم اثباته في الجموع الاصطلاحية وهم مثلوا لها وان ارادوا ما يطلق عليه الجمع من جمعي القلة والكثرة والتكسير والسلامة لم يصح ذلك ايضا لاتفاق النحاة على ان جمع القلة موضوع للعشرة فما دونها الى

الثلاثة او الاثنين على الخلاف وجمع الكثرة لما فوق العشرة فاقله احد عشر ، وفي المفصل وغيره ان كلا منهما يستعار للاخر فلا يستقيم ما ذكر في جمع الكثرة وتمثيلهم بدراهم ونحوه يدل على انهم لم يريدوا جمع الفلة فقط . قال الشهاب واجاب عنه الاصهباني بان كلامهم على اطلاقه وجمع الكثرة يصدق على مادون العشرة حقيقة واما جمع الفلة فلا يصدق على ما فوق العشرة ، ولا يخفى ان هذا الجواب مبني على ان الجمعين متحدان في المبدأ مختلفان في النهاية والاشكال وارد على قول من يفرق بينهما مبدأ ونهاية فالجواب لا يدفع الاشكال واجيب ايضا بان كلام الاصوليين في الجمع المعرف واما المنكر فيفرق بين جمعيه في المبدأ والانتفاء ورد هذا بان تمثيل الاصوليين للجمع بدراهم الذي هو جمع كثرة منكر ياياه ثم اجاب الشهاب بما حاصله انه على فرض تسليم ما اشتهر عن النحاة هي قضية مهملة اغلبية يحتمل عليها عند الاشتباه ويصدق من فسر بها والمراد من بيان الخلاف نفي صدقه على ما دونها لا على ما فوقها ثم قال فلم يبق للاشكال مجال وانتقده بعض الشيوخ رحمهم الله بان قوله قضية مهملة اغلبية خلاف الظاهر من كلامهم اذ ظاهرة حكاية الخلاف في مدلول كل جمع وبدل عليه ذكر الاصوليين لهاته المسألة عقب الكلام على الجمع المنكر الشامل لكل جمع ثم قوله مهملة وقوله اغلبية لا يتأتى على ما تقرر عند المناطقة من ان مهملات العلوم كليات ومطلقاته ضروريات ، وبما تقرر يظهر ان قوة الاشكال فتأمل وقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث ورأيت عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره قيل بما اولت ذلك يارسول الله فقال الدين تمثيل الدين بالقميص من تشبيه المعقول بالمحسوس لان القميص يستر عورة الانسان في الدنيا وبقي جسده من الحر والقر والدين يستر عورة الجاهل وبقي المؤمن من بياض جهم وقر سقر وهو ماخوذ من القرآن العظيم في قوله تعالى وثيابك فطهر وفي قوله تعالى ولباس التقوى ذلك خير وفي وصف القمص بالطول والقصر اشارة الى ان التفاضل بين المؤمنين كما يقع بالاعمال يقع بنفس الايمان كما يدل عليه حديث اخر جوا من كان في قلبه حبة خردل من ايمان فقص القمص في المنام يسدل على ضعف دين لابس وطوله يدل على قوته ومئاته وحره له يدل على بقاء آثار ايمانه وصالح اعماله . فمن آثار عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحة للشام والعراق فقد روي ان عمر ابن الخطاب لما فتح الله عليه العراق والشام عنوة واحلى عنها كسرى وجنوده الفرس الذي كانوا افنكوها من يد بني اسرائيل وشتوهم في بقاع الارض وكانت لهم جزيرة العرب مأوى ومأمن حتى تكونت منهم شعب وقبائل كبني قريضة وبني النضير . وقسم الغنائم بين المجاهدين طلبوا منه ان يقسم بينهم الارض والاعلاج قال لهم فكيف بمن يأتي من المسلمين فيجدون الارض بعلوجها قد اقتسمت وورثت عن الآباء . ما هذا برأي فقال له عبد الرحمن بن عوف معارضاه ما الارض والاعلاج الا ما افاء الله عليهم فقال عمر ما هو الا كما تقول ولست ارى ذلك والله لا يفتح بعدي بلد فيكون فيه كبير نيل بل عسى ان يكون كلا على المسلمين فاذا قسمت ارض الشام بعلوجها وارض العراق بعلوجها فما يسد به الثغور

وما يكون للذرية والارامل بهذا البلد وبغيره من اهل الشام والعراق . فاكثروا على عمر وقالوا تقف ما افاء الله علينا باسلافنا على قوم لم يحضروا ولم يشهدوا ولا بناء قوم وبناء ابناءهم لم يحضروا وكان عمر لا يزيد على ان يقول هذا رايتي قالوا فاستش به فاستشار المهاجرين الاولين فاختلفوا فكان رايتي عبد الرحمن بن عوف ان تقسم لهم حقوقهم ورايتي عثمان وعلي وطلحة وابن عمر رايتي عمر فارسل الى عشرة من الانصار خمسة من الاوس وخمسة من الخزرج من كبارهم واشراقهم فلما اجتمعوا قال اني لم اذعجكم الا لان تشركوا في امامتي فيما حملت من اموركم فاني واحد كاحدكم ولست اريد ان تتبعوا الذي هو هواي . معكم من الله كآب ينطق بالحق فوالله لئن كنت اريده ما اريد به الا الحق . قالوا قل نسمع يا امير المؤمنين قال قد سمعتم كلام هؤلاء اليوم الذين زعموا اني اظلمهم حقوقهم واني اعوذ بالله ان اركب ظلما لان كنت ظلمتهم شيئا هو لهم واعطيته غيرهم لقد شقيت ولكن رايت انه لم يبق شيء يفتح بعد ارض كسرى وقد غنمنا الله اموالهم واراضيتهم وعلوهم فقسمت ما غنموا من الاموال بين اهلهم واخرجت الخمس فوجته على وجهه وان لي توجيهه وقد رايت ان احبس الارض بعلوجها واضع عليهم فيها الخراج وفي رقابهم الجزية يردونها فتكون فينا للمسلمين ارايتهم هذه الثغور لا بد لها من رجال يلزمونها ارايتهم هذه المدن العظام كالشام والجزيرة والكوفة والبصرة ومصر لا بد لها من ان تشحن بالجيوش وادار العطاء عليهم فمن اين يعطى هؤلاء اذا قسمت الاراضي والعلاج فقالوا جميعا الراي رايتك فنعم ما قلت وما رايت ان لم تشحن هذه الثغور وهذه المدن بالرجال وتجري عليهم ما يتقوتون به رجع اهل الكفر الى مدنها فقال قد بان لي الامر وقرر ابقاء الارض بيد اهلها وضرب الخراج عليهم وكان رايتي رضي الله عنه سديدا وسكت المخالفون اتباعا للراي الغالب ونرجو من الله تعالى ان تبقى كذلك بيد اهلها الى يوم القيامة فقد اخرج البخاري عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لانزال طائفة من امتي ظاهرة الحق الى يوم النيام قيل واين هم يا رسول الله قال بالشام وكفالك بهاته المنقبة ذكرنا المناقب عمر رضي الله عنه لما تضمنته من العدل والانصاف والراي السديد الذي اسفر عن سداد رايتي ابي بكر الصديق رضي الله عنه لما عهد له بالخلافة عند ما حضرته الوفاة وامتنع عمر من قبولها فعارضه سيدنا ابو بكر بقوله اتخبنك لها ولم نتخبها اليك ف رضي الله عنهم اجمعين والحمد لله بهم مؤمنين بجاء خاتم النبيين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه اجمعين

محمد الصادق المخرزي

اصلاح آية

وقع في الجزء الثالث صفحة ١٤٦ سطر ٥ سهو في كتابة آية وهي قوله تعالى (واذا قيل لهم اسجدوا للرحمن) حيث وضعت (ان) موضع (اذا) غلطا فالواجب اصلاحها

الفتاوى والدراسات

وردت على ادارة المجلة الاسئلة الآتية

(س ١) قد اباحت لنا الشريعة المطهرة التزوج بالمرأة الكتانية لكن هناك من الكتانيات من اصبحن شعوبيات لا دين لهن . فهل يصح التزوج بهن ام لا .



(س ٢) رجل تزوج بامرأة زواجا شرعيا ورزق منها بعدة بنين وبنات ولكنه كان يحس بنفور من زوجته وكلها هم بطلاتها خاف الاثم لانها لم تقترف ذنبا ولكن بعد بحث عن سبب هذا النفور حدثته بعض قواعد العائلة بانها اخته من الرضاع . وهنا وقعت الطامة الكبرى فما الحكم في هاته المسألة .



(س ٣) ارض وقف معين على اناس معينين يستحقون فيه عقبا خلف عقب استولت عليها الدولة واسست فيها قرية ثم اقيم بها جامع تقام فيه الجمعة . جوابكم عن الصلاة فيه هل هي صحيحة او باطلة . واذا قلتم باطلة فهل يشمل ذلك صلاة من يعلم ومن لا يعلم . وهل من صلى فيه يجب عليه القضاء او صحت بخروج وقتها .



(س ٤) ما قولكم في مشروعية قراءة القرآن جبرا يوم الجمعة قبل خروج الامام للصلاة . وهو امر شائع في سائر البلدان ومع ذلك نجد في بعض الاحاديث النهي عن الجهر بالقراءة في وقت الصلاة . من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : يا علي لا تجهر بقراءتك ولا بدعائك حيث يصلي الناس فان ذلك يفسد عليهم صلاتهم . وقوله صلى الله عليه وسلم : لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن .



الجواب عن السؤال الاول ان المرأة الكتانية هي المتبينة بدين له كتاب قد دل القراءان على ان ذلك الكتاب على الجملة منقول من الله تعالى على رسول من رسله مثل التوراة والانجيل والزيبور فالكتانية هي اليهودية او النصرانية والحق بهم الصائبة فكل امرأة تتدين باحد هذه الاديان يحل للمسلم

تزوجها . وطريق معرفة كونها متدينة بذلك الدين هي قولها واتمهاؤها الى اهل ذلك الدين ولا يضر
اعتقاد بعض فرق النصارى الثلاث والاهية عيسى عليه السلام ولا اعتقاد بعض فرق اليهود ان عزيرا
ابن لله تعالى لان الله تعالى حيث اباح للمسيح تزوج نساءهم قد علم ذلك منهم . اما المرأة التي لا تدين
بدين اي التي تكون دهرية او نحوها فلا يسوغ تزوجها اذ ليست بكتائية

والجواب عن السؤال الثاني ان المرأة التي اخبرت الرجل بان زوجته هي اخت له من الرضاع
ان كانت مطلعة على تزوجه بتلك الزوجة وعالمة بمعاشرتة لها ولم تخبره بذلك حتى يطلقها ولا رفعت
امرها الى القاضي فخبها غير ملتفت اليه لانها فاسقة بسكوته على رؤية المنكر . وان لم تكن عالمة
بالمعاشرة بين الزوجين الا حين سؤالها فاخبارها ايضا غير موجب شرعا لفسخ النكاح على المشهور
اذ يشترط في ثبوت الرضاع الموجب للفسخ ان يكون بشهادة رجلين عدلين او رجل وامرأة
عدلين او امرأتين عدلتين اذا كان قولهما فاشيا قبل العقد لكن في المشهور يستحب للزوج ان يتنزه عن
استدامة هذه الزوجة مراعاة لرواية من روى عن مالك رحمه الله فسخ النكاح بشهادة امرأة واحدة
عدلة اذا كان قولها فاشيا قبل العقد

والجواب عن السؤال الثالث ان الصلاة في المسجد الموصوف في السؤال صلاة صحيحة لانه
ان ثبت بواجب الثبوت شرعا كون الارض المبنى بها المسجد ملكا لصاحب الحبس وفرضا ان النبي
باشر بناء القرية فيها من اعوانه الدولة كان عالما بحبستها ووضع يده عليها بدون حكم ولا معاوضة فغاية
الامر ان المسجد قد بني في ارض مملوكة لغير باني المسجد بعد تقدير ثبوت ذلك فهو اعتداء على حق
الوقف ولكنه لا يؤثر في صلاة المصلين فيه على المشهور من المذهب بل صلاة المصلين فيه صحيحة
فيبقى المسجد حتى يقوم مستحقوا الوقف بنزله ويحكم لهم باستحقاق الارض فحينئذ يجري حكم
ذلك المسجد على حكم بناء المستحق منه في ارض الوقف

والجواب على السؤال الرابع ان الجهر المتوسط بقراءة القرآن في المسجد قبل صلاة الجمعة
جائز اذا لم يخش منه تشويش على متفعل بحيث يبلغ اليه صوت القاري ويشوش عليه فان كان المصلي
قريبا من القاري وخشي عليه التشويش كره الجهر حينئذ فيضاف القاري من صوته . واما الجهر
الشديد فابقاعه في المسجد مكروه عند مالك رحمه الله مطلقا واما حديث يا علي لا تجهر بقراءةك
ولا بدعائك الخ فلم أقف على اصله . وحديث لا يجهر بعضكم على بعض بالقرآن فقد رواه ابو
داود في سننه وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف ولو صح فمحمل النهي فيه على الكراهة

محمد الطاهر ابن عاشور

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصاحح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

« ٥ »

علم أصول الفقه

٢٠ - من المقرر في الاصول ان البراءة الاصلية لا يقبل اجتهاد مجتهد لم يعتبرها وهي دليل عقلي فدلائل السمعيات يثبت بها التكليف والبراءة الاصلية تنفيه اذ لم يجد المجتهد نصا على التكليف بعد البحث عنه اذ الاصل براءة الذمة فالدليل العقلي معتبر في الشرع الاسلامي

٢١ - من المخصصات المعتمدة في علم الاصول العقل قال ابو حامد الاسفراييني لا خلاف بين اهل العلم في جواز التخصيص بالعقل قال الرازي قد يخصص بضرورة كقوله تعالى الله خالق كل شيء فان الضرورة تقضي انه لم يخلق نفسه وبنظرية كقوله والله على الناس حج البيت فتخصيص الصبي والمجنون لعدم الفهم ومن خالف فيه شذوذ والخلاف لفظي يعلم من كتب الاصول وازيد بيانا فاقول غير خفي ان تخصيص العام باحد المخصصات معناه دفع التعارض بين نص فيه عام نحو اقتلوا المشركين ونص فيه خاص نحو فان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية، ونحو حتى يعطوا الجزية، فدفعنا التعارض باستثناء الآيتين الاخيرتين من الاولى فلم يبق تعارض فهو عمل بالدليلين معا لاعتبار انهما متساويان فلو رجحنا احدهما على الآخر لابطلنا واحدا منهما بدون حجة وقد نص ابن الحاجب في المنتهى على ان تخصيص دليل بدليل ليس تقديم له عليه بل توفيق بينهما وعمل بهما وهذا ما يؤكد ما بيناه من ان الدليل العقلي عند علماء الاسلام معتبر كالدليل النقلي وليس احدهما ضد الآخر

٢٢ - من المخصصات عندهم الحس نحو قوله تعالى - تدمر كل شيء - بامر ربها - عموم الآية يقتضي ان الريح التي عذب بها قوم عاد دمرت الارض كلها وغيرها والحس خص ذلك التدمير بكفار قوم عاد لمشاهدة عدم تدمير غيرهم وغير خفي ان الحس من مواد العقل وهو دون دلائل العقل، ويرى علماء المنطق ان الاوليات مقدمة على الحسيات اذ سلطان العقل اقوى من سلطان الحس اذ الحس له غلطات، فالتخصيص بالعقل احروي، فلو فرض تعارضهما لقدم العقل على الحس؛ وقد كان فلاسفة القرن الثامن عشر يرون تقديم الحس على العقل قالوا ان كل قضية عقلية لم يؤيدها الامتحان الحسي فهي ظنية فقط وبنوا ذلك على مذهب الشك والتشكيك لكن فلاسفة العصر رجحوا مذهب المناطقة القائل بان سلطان العقل اقوى من الحس

٢٣ - اتفق من يعتد به من علماء الامصار كالايمه الاربعة واهل الصدر الاول من الصحابة والتابعين الا من شذ على العمل بالقياس الفقهي بشروطه المبينة في الاصول وانه من الادلة الشرعية والقياس دليل عقلي مستند الى اصل نقلي والذي صلى الله عليه وسلم ارشد اليه والقرءان كذلك كما يعلم من مراجعة الفكر السامي في مبحث القياس وغيرها

٢٤ - اتفق الايمه الاربعة ايضا على ان القياس من المخصصات كما في المنتهى لابن الحاجب .

٢٥ - جمهور العلماء على اعتبار المعنى المناسب في باب القياس اذا كان جليا سابقا للفهم عند ذكر النص فقالوا يصح تحكيمه في النص بالتخصيص والزيادة عليه كقوله عليه السلام (لا يقضي القاضي وهو غضبان) فاعتبروا ان المعنى المناسب هنا هو التشويش فمنعوا الحكم مع جميع المشوشات الغضب وغيره واجزؤه مع ما لا يشوش من الغضب فهذا تصرف في النص على مقضى العقل بالزيادة والنقص وهناك ابحاث ومناقشات لفظية لابي اسحاق الشاطبي لا محل لها هنا .

وقد صرح هو اول المقدمة العاشرة من ج آء من الموافقات بتعاضد العقل والنقل في المسائل الشرعية على شرط ان لا يقدم العقل بل هو تابع للنقل غير ان كلامه في الفروع . وازيد انه لا بد ان يشترط ان لا يكون احدهما قطعيا والآخر ظنيا والا قدم القطعي كما سبق .

٢٦ - جزم الاصوليون بان القدح فيما دل عليه العقل دلالة قطع قدح في اصل النقل لان النقل فرع العقل كما سبق لان اصل النقل المعجزة وهي امر عقلي والقدح في اصل الفرع لتصحيحه قدح فيهما معا فوجب الاخذ بما دل عليه العقل يقينا وتاويل النص بوجه مقبول ذوقا وعريية واصولا ان لم يكن قطعيا دلالة وسندا اما معارضة قاطعين فذلك مما لم يوجد . مثلا ننظر النقل فان كان عاما فدلالة العام على بعض افراده ظنية كما علم في الاصول فنخصص العام بالعقل الذي هو قطعي جمعا بينهما ونقيده ان كان مطلقا كذلك .

٢٧ - كثير من الايمه الكبار اعتبروا التلازم بين حكمين من الادلة الشرعية .

٢٨ - كذلك اعتبروا التنافي بين حكمين منها .

٢٩ - كذلك اعتبروا المصالح والمرساة منها .

٣٠ - كذلك اعتبروا سد الذرائع منها .

٣١ - كذلك اعتبر بعض الايمه الاستحسان منها .

٣٢ - كذلك اعتبروا الاستصحاب منها .

٣٣ - كذلك اعتبروا ان اليقين لا يرفع بالشك منها .

وكل هذه ادلة للعقل فيها دخل قوي واعتبروها ادلة شرعية .

علم الحديث

٣٤ - وجدنا جملة من ايمه الحديث العظام . ابو الفرج ابن الجوزي وابن كثير والنووي وغيرهم نصوا على عرض الحديث على محك النظر وقواعد العقل القطعية التي لا مرء فيها وسلمها

الامتحان العلمي وكل ما خالف ذلك حكموا بههم رواته ايا كانوا فحكموا بشذوذ الحديث لوصح وبوضعه ان كان رواته لا اعتبار بهم ولا يبيحون العمل به او الاحتجاج بنصه

قال ابن الجوزي كل حديث خالف الاجماع او المعقول او ناقض الاصول فاعلم انه موضوع ولا تتكلف اعتباره نقله السخاوي في شرح الفية العراقي ونحوه نقله الحافظ ابن حجر عن الحافظ أبي بكر الخطيب والامام أبي بكر الباقلاني ونظمه السيوطي في الفيته

وقال بعض العلماء الكامل احكم بوضع خبر ان ينجل

قد باين المعقول او منقولا خالفه او ناقض الاصولا

وقال الزركشي في البحر كل خبر اوهم باطلا ولم يقبل التأويل اما لمعارضته للدليل العقلي او القطعي القلي وهو المتواتر عن صاحب الشرع ممتنع صدوره عنه قطعاً هـ .

وقد عد الزركشي في مختصر التقرير من الاشياء التي يعرف بها وضع الحديث مخالفته القاطم ولم يقبل التأويل . وكذلك فعل الحافظ ابن حجر في النخبة وشرحها ؛ وبناء على هذا الاصل حكموا برد احاديث

أ . حديث احمد ومسلم في صحيحه وغيرهما عن ابي هريرة اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال . خلق الله البرية يوم السبت وخلق الجبل يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين الحديث قال الزركشي هذا الحديث من غريب مسلم وتكلم فيه ابن المديني والبخاري وغيرهما وجعلوا من كلام كعب الاحبار وان ابا هريرة انما سمعه منه فاشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً . نقله المناوي في فيض القدير ونحوه لابن كثير في البداية قائلان . ان في منته غرابة شديدة وليس فيه خلق السماوات وانما فيه خلق الارض وما فيها في سبعة ايام وذلك مخالف للقرآن هـ

فرواه عدول لا يشك فيهم ومع ذلك حكموا برده وان الوهم جاء من قبل بعض الرواة حيث رفعه واكد رفعه بقوله . أخذ بيدي . وانما هو من كلام كعب الاحبار عن الاسرائيليات

ب . حديث الترمذي عن ابي بن كعب الانصاري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال . ان الله امرني ان اقرأ عليك القرآن فقرأ عليه لم يكن الذين كفروا وقرأ فيها (ان الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يفعل خيراً فلن يكفره) وقرأ فيها (لو ان لابن ادم واديا من مال لا يتقى اليه ثانيا ولو ان له ثانيا لا يتقى اليه ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب ويتوب الله على من تاب) والحديث في الصحيحين لكن بحذف ما زاد على قوله لم يكن الذين كفروا

ج . حديث مسام عن ابي موسى انه بعث الى قرآء البصرة رسولا فدخل عليه ثلاثمائة رجل فقال اتم خيار اهل البصرة وقرأوهم فاملوه ولا يطوان عليكم الامد فتقوسوا قلوبكم كما قست

قلوب من كان قبلكم وأنا كنا نقرأ سورة كنا نشبهها في الطول والشدة براءة فأنسيها غير اني حفظت منها . لو كان لابن آدم وادبان من مال لا يبغي واديا ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم الا التراب وكنا نقرأ سورة نشبهها باحدى المسبحات فأنسيها غير اني حفظت منها يا ايها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون فكتب شهادة في اعناقكم فتسألون عنها يوم القيامة هـ

وان هذين الحديثين الاخيرين مع كون اخرهما في صحيح مسلم شاذان اذ غير خفي ان العلم بصحة نقل القرآن كالعلم بوجود مكة والمدينة وملا كالعلم بالحوادث الكبار كبعثته صلى الله عليه وسلم وغزوة بدر وبوجود الكتب الشهيرة والدواعي المتوفرة على نقله وحراسته بلغت حدا لا غاية بعدة لان القرآن هو دستور المسلمين لدينهم ودنياهم يرجعون اليه في حل مشكلاتهم واخذ علومهم الادبية والدينية والاجتماعية وقد بلغ علماؤهم بل عامتهم في حفظه وحمايته ما لم تبلغه اي امة سواهم حتى عدوا حروفه وسكناته وحركاته وضبطوه الضبط الشديد وضبطوا قراءته . فادعاء الزيادة او النقص فيه مخالف للمعقول والمحسوس القطعي فكل حديث خالف هذا القطعي منبذ

وهب ان ابا موسى نسي فالصحابه الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله كانوا غير كثير او قد كان القرآن كله مكتوبا على عهد رسول الله في بيته وكان جمعه بحضرة اجماع الصحابة فكل راو روى ما يخالف هذا او يشككنا فيه فهو مشكك في الدين هادم لابيان اجماع المسلمين محمول على الغلط ان كان من اهل العدالة وعلى نية فاسدة ان كان من الشيعة او الامامية او امثالهم وكل قول من اقوال الامامية او غيرهم ناقض ذلك فهو خلف اذ الامامية يزعمون ان القرآن حذف منه سورة تتعلق بامامة علي واهل البيت وكل ذلك افتراء بلامراء فان عليا حضر البيعة وبايع ابا بكر ثم عمر ثم عثمان وكان معهم وزير او مستشارا ومعينا موصوفا بشجاعة السنان واللسان لا يهاب في مثل هذا الامر الاعظم خليفة فمن دونه وله عصبية هاشمية قوية يحمونه

وقد سئل كما في الصحيح هل ترك لكم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لا الا كتاب الله وما في هذه الصحيفة فاذا فيها الديات وفكاك الاسير او فهم اوتيه رجل مسلم وقد حضر هو نفسه جمع المصحف على عهد ابي بكر وحضر نسخه على عهد عثمان وهو راض عالم غير منكر فما يقولونه ليثبتوا به خلافته ليس الا اثباتا منهم لكفره وحاشاه من ذلك وابو موسى حضر زمن جمع المصحف في خلافة ابي بكر ثم حضر نسخه في المصاحف زمن عثمان فسكوته عن النقص مع العلم يعد قدحا في عدالته وحاشاه وحاشا عليا اذ كل منهما عدل ثقة مأمون وكل رواية اقتضت النقص (١)

فهي شاذة لا معول عليها وان كانت من رواية العدول الثقة كما هنا ولا يستغرب كونه في الصحيح وهو شاذ المتين وقد صح السند

(١) وقد اطلت هنا حيث اني في الفكر السامي لم اعلق على الحديث شيئا فوجب الاستدراك هنا

يوم عاشوراء

يوم عاشوراء هو اقدم الاعياد الاسلامية واكثرها اختلافا في العوائد بين بلدان الاسلام وقد يدرك المسلمون عموما ما فيه من العوائد والابتداعات فيجتار اغلبهم في تغليها وبيان وجه تسريها والكثير منهم لا يعام عن هذا اليوم الا انه يوم مقتل الحسين لذلك احببنا ان نلم في هذه الكلمة بمنشأ هذا الموسم وتطوراته قبل ظهور الاسلام وبعده وما لبعض الامم الاسلامية فيه من العوائد المتباينة

فقول ان اصل هذا العيد من اعياد اليهود وهو عيد الفصح الذي يقام تذكارا لنجاة بني اسرائيل من تعذيب المصريين واختراقهم البحر الاحمر تذبج فيه الشياه ويتجنب الخمر وهو المعروف اليوم عند اليهود بعيد الفطير

وقد ورد ذكره في توراتهم في الاصحاح الثاني عشر من سفر الخروج وعين لليوم العاشر من الشهر الاول من السنة العبرانية بصريح التوراة

الا ان ما ادخله اليهود على نظام سنتهم القمرية من النسيء باعد بينه وبين عيد راس السنة وقد دخل هذا العيد بلاد العرب منذ احقاب بعيدة فيما دخلها من تعاليم اليهودية وعوائدها بتكرار نزوح اليهود الى بلاد العرب

الا ان اليهود المهاجرين اصطالحوا على اعتبار هذا العيد في اليوم العاشر من الشهر الاول من السنة العربية وهو المحرم فكانوا يظهرون فيه شعائر العيد يصومونه يشهد لذلك ما ورد في صحيح مسلم عن ابي موسى الاشعري رضي الله عنه انه قال كان اهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه جلبهم وشارتهم وما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء فسئلوا عن ذلك فقالوا هذا اليوم الذي اظهر الله فيه موسى وبني اسرائيل على فرعون فنحن نصومه تعظيما له

وقد اخذ العرب في الجاهلية عن اليهود الاحتفال بهذا اليوم واجلاله فادخلوه في عوائدهم كما ادخلوا كثيرا من طقوس اليهودية والنصرانية والمجوسية والصائبة والظاهر انهم لم يسموه باسم عاشوراء الذي عرف به في الاسلام وانما هو من الاوضاع الاسلامية كما جزم به ابن الاثير في النهاية وانبثت عادة تقديس يوم عاشوراء بين العرب حتى تغلفت في قريش والحقت بشعائهم في الجاهلية ففي حديث الصحيحين عن عائشة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم من طرق ان يوم عاشوراء كان يصام في الجاهلية وان قريشا كانت تصومه وكانت تكسو فيه الكعبة وفي حديث عائشة رضي الله عنها

ان النبي صلى الله عليه وسلم صامه قبل البعثة

والاحاديث متظافرة على ان صومه لم يشرع في الاسلام الا بعد الهجرة في البخاري عن عبد الله بن عباس وابي موسى الاشعري رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سأل اليهود عن سبب صومهم يوم عاشوراء وقالوا له انه اليوم الذي نجى الله فيه بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى قال صلى الله عليه وسلم فانا احق بموسى منكم فصامه وأمر المسلمين بصيامه.

وظاهر الاحاديث ان صومه كان واجبا وهو مذهب جمهور الايمة خلافا للشافعي رضي الله عنه وقد ابتدا صومه في السنة الثانية من الهجرة لان النبي صلى الله عليه وسلم لم يدرك عاشوراء السنة الاولى اذ كانت هجرته عليه السلام في ربيع الاول بلا رب

ولما فرض رمضان في شعبان من تلك السنة نسخ وجوب عاشوراء بوجوب رمضان على قول الجمهور وخير المسلمون في صوم عاشوراء وبقي صومه مندوبا

وقد كان كثير من الصحابة يصومه وكثير منهم لا يصومه كعبد الله بن عمر رضي الله عنهما وعلى ذلك استمر هذا اليوم خافت الذكر في عصر الصحابة فلم تظفر بما يفيد لهم فيه عملا يخالف بقية الايام وبذلك يستدل لما مال اليه الامة احمد بن حنبل رضي الله عنه من انكار الحديث الذي اخرجه الطبراني في الاوسط في الحث على التوسيع في النفقة على العيال يوم عاشوراء اذ لو كان الحديث معروفا عندهم لكانوا اسرع الناس الى العمل به

وعلى كل حال فقد شاع ذلك الحديث في القرن الثاني وتقرر العمل به في عوائد المسلمين في القرن الثالث كما تدل على ذلك الايات التي كتب بها الامام عبد الملك بن حبيب الى الخليفة عبد الرحمن بن الحكم بالاندلس ليلة عاشوراء واوردها القاضي في المدارك وهي

لا تنس لا ينسك الرحمان عاشورا	واذكرة لازلت في الاحياء مذكورا
قـال الرسول صلاة الله تشمله	قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة	يكن يعيشه في الحول مجورا
فارغب فديتك خيرا فيه رغبا	خير الوري كلهم حيا ومقبورا

وقد صادف ان طرأ على يوم عاشوراء اثناء القرن الاول حادث قضى بتغيير صفته وجعل مظهرة عند الامم الاسلامية مختلفة باختلاف فرقهم وعصباتهم الاعتقادية

وذلك الحادث هو مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما سنة ٦١ يوم عاشوراء باتفاق المؤرخين ومعلوم ما كان لذلك الحادث من الاثر في الدعوة الشيعية وما اضطبغت به منذ ذلك الحين من مظاهر الحزن والتجريك للآثر

فبدأوا من اواخر القرن يلتزمون في هذا الموسم علامات من الاسف ومظاهر الحداد في حين اتخذ اعداؤهم النواصب ذلك اليوم عيداً ويوم سرور وقد ذكر المقرئ في خطبه عند الكلام على

أعياد الشيعة أن ابتداء التظاهر بإعلان السرور والفرح في يوم عاشوراء راجع إلى ما سببه الحجاج لأهل الشام في عهد عبد الملك بن مروان

إلا أن الحداد الشيعي في عاشوراء لم يتقرر رسمياً في مظهره العمومي إلا أواسط القرن الرابع ببغداد في عهد سلطنة بني بويه وكانوا هم الذين نظموا الأعياد الشيعية فوضعوا عيد الغدير (١) رمزاً إلى حقهم في الخلافة، وحزن عاشوراء رمزاً إلى انفلات ذلك الحق من بين أيديهم. قال ابن الأثير في الكامل: « وفي هذه السنة (٣٥٢) عاشر المحرم أمر معز الدولة الناس أن يغلقوا دكاكينهم ويبتلوا الأسواق والبسج والشراب وأن يظهروا النياحية ويلبسوا ثياباً بعملوها بالمسوح وأن يخرج النساء منشرات الشعر مسودات الوجوه قد شققن ثيابهن يدرن في البلد بالنوائح ويلطمن وجوههن على الحسين بن علي رضي الله عنهما ففعل الناس ذلك ولم يكن للسنية قدرة على المنع منه لكثرة الشيعة ولأن السلطان منهم اهـ »

وعلى هذا المنهج جرى عمل الدولة الفاطمية بمصر فكانوا يطلون الأعمال ويطوفون بالنواح في القاهرة ويطعمون المناحات على المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ثم صاروا يقيمونها بالمشهد الحسيني عند تاسيسه في منتصف القرن السادس

وكان يقام لذلك الحزن مجمع رسمي يشهده الوزير وقاضي القضاة وكان محل إقامته الجامع الأزهر ثم صار المشهد الحسيني ثم يقام سباط بدار الملك يشهده وجوه الدولة ويلتزم في شكل تقديمه وأنواع الأطعمة المعروضة فيه ما يدل على التقشف والحزن ويخالف سائر السماعات في الأعياد وقد فصل ذلك المقرئ في خطه عند الكلام على المشهد الحسيني

ومن أحسن ما يتجلى فيه ما بلغت إليه تلك العوائد من الاعتبار عند الشيعة أوائل القرن الخامس القصيدة الرائية التي وجهها مذهب الدين أحمد بن منير الطرابلسي الشاعر المشهور إلى الشريف المرتضى بستر جع بها مملوكه المسمى تتر ويتهده أن هو لم يرجعه بالانسلاخ عن عقيدة الشيعة ومطلعها

عذبت قلبي يا تتر واطرت نومي بالفكر
يقول فيها

بالمشعرين وبالصفاء والبيت أقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطاف به ولي واعتمر
لأن الشريف ابن الشريد ف الموسوي أبي مضر
أبدى الجحود ولم يرد إلي مملوكي تتر
والبيت آل أمية الطهر الميامين الفرر

ثم يقول عاطفا على امور ينكرها الشيعة

وحلقت في عشر المحر	م ما استطل من الشعر
ونويت صوم نهاره	وصيام ايام اخر
ولبست فيه اجل ثوب	ب للملابس يدخر
وسهرت في طبخ الحبو	ب من العشاء الى السحر
وغدت مكثلا اصا	فج من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق	ق اقص شارب من عبر

ويقول في مقابلته

واذا جرى ذكر الغدير	ر اقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا	س ما اضمحل وما دثر

وقد استتبع ما عليه الشيعة من اعلان مظاهر الحداد ان اصبح اضدادهم النواصب يتعمدوا اظهار الفرح في يوم عاشوراء ويتخذون فيه شعار الاعياد حتى اتخذوا لذلك اليوم طعاما خاصا تطبخ فيه الحبوب لم يزل معروفا عند الناس الى اليوم باسم العاشوراء واليه يشير ابن منير بقوله فيما تقدم وسهرت في طبخ الحبو ب من العشاء الى السحر وقد ذكر المقرئ ان بني ايوب لما قام ملكهم بمصر بعد الفاطميين كانوا يتخذون يوم عاشوراء يوم سرور ويظهرون فيه شعار الاعياد

وقد دامت هذه الكيفيات الثلاث في معاملة يوم عاشوراء متميزة بعضها عن بعض ما دامت المجتمعات المختلفة النحل متميزة قائمة العصبية حتى اذا بدأت العصبية الاعتقادية تتحلل بسقوط الدول الحافظة لها بدأت عوائد كل فريق تتسرب الى الآخر مسلوقة الروح ومحولة العلة واعان على سرعة تلقف هذه العوائد بين المجتمعات ما خيم على المجتمع الاسلامي منذ سقوط بغداد من الجلالة القاضية بتغلب الاوهام والخرافات والاسراع الى التعلق بالشيء لمجرد ذكرانه بركة او محلبة خير فلذلك اصبحنا نجد المجتمع الاسلامي السني منذ اواخر القرن السابع تشيع فيه عوائد خاصة بيوم عاشوراء هي خليط من عوائد الشيعة وعوائد النواصب وعوائد اهل السنة المبنية على ندب صومه وتوسيع النفقة فيه مع التزامهم ما لا يلزم في تصوير ذلك بما يغلب على الظن انهم اقتبسوه عن اليهود وقد اورد ابن الحاج الفاسي دفين القاهرة من عوائد البلاد المصرية صدر القرن الثاني في كتاب المدخل ما يتبين فيه مقدار هذا الخلط

فمن عوائدهم فيه التزام زيارة القبور واحضار الخيط والكثبان لأكفانهم وهو امر مستمد من عوائد الشيعة المبنية على ما نقلوا من الاحاديث في فضل ميت ذلك اليوم وتوسعهم في رجاء ذلك للميت الذي يترحم عليه فيه او يموت موته اليه بسبب

ومن عوائدهم استعمال النساء للحناء وهو من مظاهر الفرح وطبخ الحبوب الذي هو من شعار النواصب كما تقدم ومن عوائدهم التزام اكل الدجاج وهو في الظاهر من باب التوسعة في النفقة وفي الحقيقة اخذ من عيد احدثه اليهود تذكرا لنجاتهم من الاضطهاد الفارسي في القرن السادس من قبل المسيح يلحقونه بعيد العجاة الاكبر وهو المعروف عندهم بعيد بوريم وقد شاعت هذه العوائد مختلطة بتونس كما شاعت بمصر فنجدهم في القرن الحادي عشر يعدون طعاما من الحلواء خاصا بذلك اليوم ويلتزمون فيه اكل الدجاج كما بسطه ابن ابي دينار في المؤنس وشاع عندهم مما ذكره في المؤنس ايضا التغالي في اقتناء الفواكه وتزيين محلاتها واتخاذ آلات الطرب لصغارهم واعل في هذا وان كان اصله التوسعة نزوعا الى عادة النواصب في اظهار الفرح بيوم عاشوراء

ويضيفون الى ذلك الامساك عن اقامة الافراح كامل الشهر وترك الحناء للنساء ويلتزمون زيارة القبور وكل ذلك من العوائد الشيعية

وعلى هذا النحو من الاختلاط تنتشر العوائد المتباينة في هذا اليوم بين غالب البلاد الاسلامية حيث تسود العقيدة السنية في حين تحتفظ المجتمعات الشيعية المنحازة بفارس او الهند بعوائد خاصة بها في هذا الموسم ربما تبدو من الغرابة بمكان في نظر عموم المسلمين

وقد بلغنا عن هذه الحفلات ما ضمنه الرحالون الارباويون في القرن الثاني عشر كتبهم من الوصف المدقق لهامثل الرحالة الفرنسي موريه الذي تردد على بلاد الفرس فيما بين سنتي ١٢٢٣ و١٢٢٧ وكتب رحلتين قيمتين زودنا في كل منهما بوصف حفلة من الحفلات الشيعية تخالف احتبا والرحالة الفرنسي ايضا روسليه الذي ساج في بلاد الهند ست سنين من سنة ١٢٧٩ الى سنة ١٢٨٥ والف عن سياحته مجلدا ضخما وصف فيه حفلتين شيعيتين احدهما اقيمت في بمباي والاخرى في بهو بال

اما الحفلان اللذان ببلاد فارس فاحدهما شعبي اقامه عامة الناس خارج العاصمة وثانيهما رسمي شهده الشاه وحاشيته اقامته الدولة بتخت الملك

يتبدى الاول باعداد هيكل مزين على ربوة عالية في داخله صورة لقبر الامام علي ثم يقوم احد زعمائهم يرتل قصص آل البيت والسامعون يقاطعون بالضرب على صدورهم بانتظام ثم تحضر خشبة مزينة باعلاما صورة سيفي الامام فيطأطأ لها ويضعها على بطنه ثم على صدره ثم على فمه وهتاف الناس متصاعد من حوله ثم تظهر طائفة من الرجال تشخص للناس مقتل الحسن والحسين - والعقيدة الشائعة عند العامة في بلاد الاسلام انهما قتل في يوم واحد - وينتهي بتصوير القتل فيعلو البكاء والنحيب من

كل جانب وينصرف الناس

استقالة مدير المجلة

اشعرنا حضرة العالم الاديب الشيخ الطاهر القصار (مدير المجلة الزيتونية) بانه نظرا لاسباب خاصة يتعذر عليه الاستمرار على ادارة المجلة . وبينما كنا نحاول ان نكفه عن هذا العزم بادر بتقديم استقالته بصفة رسمية بمكتوب مؤرخ بيوم الثلاثاء ٢٧ محرم ٢٩ مارس من العام الجاري ومجلس الادارة بمقدار ما وقع له من الاستياء على مفارقة هذا الصديق الفاضل فانه يقدم اليه وافر الشكر وجزيل الثناء على ما قام به من الاعمال اثناء ادارته للمجلة ، هذا وقد وعدنا الشيخ القصار بان الظروف وان حالت بينه وبين الاستمرار على الادارة ، فانه سيستمر على نشر قصائده الرائعة في الصفحة الادبية ، ونحن نسجل على الصديق الفاضل بهذا الوعد وهذا وقد قرر مجلس المجلة في اجتماعه الاخير اسناد الادارة لصاحب المجلة بعضوية العالمين الشيخين الخطاب بوشناق ومحمود بن الطاهر وعليه فيجب ان توجه جميع المكاتبات اليه الا ما يتعلق بالمالية فانها تكون باسم امين المال بمجلس الادارة

والثانية وهي التي يشهدها الملك واعيان العلماء يقتصر فيها على سرد قصة مقتل الحسين من طرف احد مشائخهم يعرف بالمولي مصحوبة بتعجيل ما يسرد من طرف من يستمعون لذلك حتى اذا انتهوا الى الضربة القاضية احبش الحاضرون بالبكاء فيطوف عليهم رجل بقطنة يجفف بها دموعهم وتحفظ في قارورة كامل العام يستشفي بها المرضى

واما الحفلان الهنديان فكلاهما شعبي ففي بومباي يستعد للموسم اهل اليسار باتخاذ صناديق يحاكون بها التابوت المنصوب على مشهد الحسين بكر بلاء تصنع من العاج او الابنوس او الصندل واحيانا من الفضة وفي ليلة عاشوراء يعرض تلك المآة من الصناديق اصحابها بازقة البلاد ويبقي الناس يتبركون بها ويبخرون حولها ويحيطونها بتماثيل ثمينة لاشكال مختلفة ومن الغد تحمل تلك التوابيت ويسار بها في موكب صاحب بين البنود والرماح حتى ينتهي الى شاطئ باكباي فتلقى في البحر وسط الهتاف العالي .

وفي بوبال تقام سوق حاشدة من اوائل المحرم يجتمع لها الناس من كل صوب وتجري فيها من الالعاب البهلوانية ورياضات المتروحين امور مدهشة كما تقام آلاف من الدكاكين لعرض الفواكه المجففة وفي ليلة عاشوراء يحملون هياكل عظمية من الورق النخين بديعة التزيين والتذهيب تحاكي في شكلها هيكل كربلاء ويسرون بها على ظهور القبلة يعلو حولها الهتاف وطلقات البنادق ويتقدم الموكب رجل عليه اقصر الثياب واسنى الخلع يمثلون به الامام عليا حتى اذا جاء الليل اتخذ جميع السائرين مشاعل فسار بها الموكب قليلا حتى اذا انتهى الى البحيرة القيت المشاعل والهياكل وخيم السكون اذا كان الموكب قد انتهى .

محمد الفاضل ابن عاشور

التاريخ

التاريخ وأهميته وأوليته

من تحريرات العلامة المؤرخ فرع الدوحة النبوية
الشريفة سيدي عبد الرحمان زبدان نقيب السادة
الاشراف بالمغرب الأقصى وكبير العائلة المالكة

لما رايت ابناءنا البررة ، لا يدرسون التاريخ ولا يجنون ثمره ، ولا يتبينون من مقاطعه عبرة ،
ولا ينشرون في الناس حبرة ، مع انه مرآة الزمان ، واساس العمران ، ومن كان معتنيا به فله عمران
حماني ذلك على ان التي على مسامعكم هذه المسامرة التي ترغب في الاعتناء به وتبين اهميته ، وتشرح
مزيتها . وتنشئ في الناشئة نشوته ، وتحجب اليهم ندوته .

ان التاريخ وما ادراك ، هو الذي ينور الذهن ويرقي الادراك ، شأنونه كلها عجب ، تحمل
على القيام بما وجب ، والتمسك منه بكل سبب ، وكيف لا وهو المنزل من علوم العمران منزلة العقود
من اللب ، والكؤوس البلورية من الحب . ان تطلبتم ايها المصغون الامائل فائدته ، وجدوا وعائده
وجدتموه مرقيا للافكار منورا للالباب ، ومددا قويا للاطلاع على حواث الازمان والاحقاب ، فيه
ترغيب وترهيب ، وتهذيب وتشذيب ، وانذار . واعتبار ، وشغل بال وتسلية . وتخليقة وتحلية ،
وتحضيض وتحريض ، ، هو المرآة الكبرى لاستكشاف نتائج الاولين ، واثار الاقدمين ، في العلوم
والصنائع ، وبدائع الافكار الروائع . والمدرجة العظمى للوقوف على احوال القرون الشاسعة ،
واخبار الامصار الجامعة ، وما لها وعليها من الامور الضارة والنافعة ، بل هو غذاء الارواح ، ومهب
الارواح ، الملقحة للاشباح ، وخزانة اخبار السلف ، المفيدة للخلف ، وسجل اعمال الرجال في كل
مجال ، وزينة الاديب الاريب ، وعمدة الخاذق اللبيب ، الجهل به سبة ، والعلم به جميل المغبة .

ليس بانسان ولا عاقل من لا يعي التاريخ في صدره
ومن درى اخبار من قبله أضاف اعمارا الى عمره

لا يجعل فضله الاساقط الهمة ، او غي لا اهتمام له بالامور المهمة ، ان بحثتم ايها المصغون الحلة
عن بيان فضله وفضيلته وجدتموه من اشرف العلوم ، واجلها عند الخصوص والعموم ، به يزن
الانسان نفسه بمن مضى من اشكاله في هذه الدار فيتمشى على بصيرة في جميع شأنها بمقدار ، ناهيك
انه نزلت به الكتب السماوية ، منها ما ورد باخبار المججلة ، ومنها ما جاء بانبائه المفصلة ، نص في سفر
من اسفار التوراة . ما تضمن تفاصيل احوال الامم السالفة ، وورد في الانجيل . واتى الاحتجاج به في
الفرقان . قال الله العظيم : يا اهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من

بعده أفلا تعقون ؟ وهذا من لطائف الاستدلال كما قال الزين العراقي ، وقال تعالى : يسألونك عن الأهلّة . قل هي مواقيت للناس والحج . وقال : ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة وقال : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما . وقال نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك . وقال : لقد كانت في قصصهم عبرة لأولى الألباب . وفي صحيحه ، سام عن جابر بن حرب قال قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنهما : كنت تجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال نعم ، كان لا يقوم من مصلاة الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ويضحكون ويتبسمون . وأخرج البخاري في بدء الخلق من صحيحه عن ابن شهاب قال سمعت عمر رضي الله عنه يقول : قام فينا النبي صلى الله عليه وسلم مقاما فآخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه . وأخرج مسلم في صحيحه عن عمرو بن ابن الخطب قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر ثم نزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس فآخبرنا بما كان وبما هو كائن فاعلمنا أحفظنا . وأخرج الإمام أحمد في مسنده عن أبي زيد الأنصاري باللفظ إلا أنه قال صلاة الصبح بدل صلاة الفجر وفي سنن أبي داود عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا عن بني إسرائيل ما يقوم إلا لعظيم صلاة . وفي الشفا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدث مع جلسائه بحديث أولهم أي بما كان قبل الإسلام من حروبهم كيوم بعاث . وبوب للتاريخ البخاري في الصحيح .

أيها المصفون النبهاء هل كان يمكننا لولا التاريخ أن نميز بين الشرائع والأحكام ، ونعرف قصص الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وسير الخلفاء العظام ، والملوك والأمراء الفخام ، ودثار البخلاء وشعار الكرام ، وهل كان من الممكن لولا التاريخ أن نعلم ما عسى أن يوجد في الأسانيد وطرق الرواية والنقل وهي وسائل الدين من انقطاع أو عضل أو تدليس أو ارسال . أو مجاهيل أو جهال وهل كان متأتيا أن نحقق الناسخ من المنسوخ والراجح المرجوع إليه من المرجوع عنه المرجوح . هؤلاء المهاجرون والأنصار والبديون وسواهم في طبقات أخرى أكنّا نستطيع الفرق بينهم لولا التاريخ الذي دلنا عليهم ثم يتلوهم بنفس الاعتبار تمييز الصحب من التابع ، والتابع من تابعهم ومن كان فاضلا أو مفضولا ، معروفا أو مجهولا . ناهيك بأحوال الرواة وطبقاتهم وتمييز الضعفاء منهم وقدر الثقة قدرهم ومعرفة الأقوال المعمول به من المجهور والمتأخر من المتقدم والسابق من اللاحق ! ؟ أكان يتضح لولا التاريخ وأراه الفن الاجتماعي الضروري والعلم المتكبد قبل غيره لمعرفة كل شيء به وبناء كل أساس عليه ، والا لما شعرت من الخلق بذهاب ، ولا اتصل حاضر

منهم بغائب ؟ كانت تعرف المسالك والممالك ومنشأ الأمم وتطورها والادوار التي مرت بها دون ان نلجأ الى التاريخ وقروعه ، فيمدنا بكل ما نحاول ويفيض علينا نورا يهينا الارشاد والاهتداء لما نريد ؟ هذه العبادات واوقاتها والمعاملات الشرعية أكثرها منها مثلاً الامساك والافطار والحج والزكاة وعدة المرأة ومدة الحمل ووضع الحنين وحلول الدين وانصرام الآجال . أيفرض امكان ضبطها دون تقييد التاريخ ودراية التاريخ ؟ او ليس التاريخ ومدلوله يرافقنا في كل شأن من شئوننا الاجتماعية عامة او خاصة ومنه واليه نضطر في جميع ما لدينا ؟

ليس الا التاريخ - واعيد القول - انه العلم الضروري واخطر العلوم الاجتماعية شأننا السني يقدر ان يهناكل ما تقدم وسواه من معرفة انسابنا واحسابنا ودرجة اتصال الواحدة منها بالآخرى وأهميتها وتقديرها ولا ازيدكم تعريفاً بالتاريخ فقد عرفتم انه كاشف العواقب ، وناشر المناقب ، ومذيع اقدار الدول ، وعظماء الرجال ، والمبرهن عن مقاماتهم في كل مجال

التاريخ يهدي المحاكم ويرشد القضاء العادل الى تدقيق الشئون وإيضاح النوازل ، وكشف غوامض الزور والتدليس في غير قليل من القضايا الرائجة والحوادث التي تطرأ في كل وقت . يحفظ التاريخ نفسه لنا من هذا النوع ما تداوله من قضية رئيس الرؤساء التي ادلى فيها يهود خبير بمعتقد يتضمن ان النبي صلى الله عليه وسلم اسقط الجزية عنهم يوم فتح خيبر ، فلما قدم ذلك الى حافظ المشرق ابي بكر الخطيب قال هذا مزور ، لان فتح خيبر كان سنة سبع من الهجرة وسعد مات قبل ذلك يوم بني قريظة ، ولان معاوية انما اسلم سنة ثمان بعد فتح مكة ، فكيف يشهد فيما وقع قبل ذلك عند فتح خيبر سنة سبع . فزاح ببيانه التاريخي كل شبهة عن تزوير ذلك العقد ، وبطل سعي المدلي به ورد به ، ثم في سنة ثلاث عشرة ومائة والف زمن خلافة الجند السلطان ابي النصر والفدا اسماعيل الاكبر قدس الله روحه ادلى اليهود بنظير الرسم المزور مرفوعاً عليه بتاريخ غرة صفر عام ثمانية وعشرين وسبع مائة سمي مختلفه نفسه محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمان الهروي والعاطف عليه قاسم بن يحيى بن احمد بن سعادة وعلى ذلك الصك المقتل عدة افتاءات باطلاله ودحض حجة مريد الادلاء به للاحتجاج . وقد الم بذلك كله الشريف العلوي في جامع نوازل وتعدد ظهوره مرات ، اخرها عام اثنين واربعين ومائة والف على ما في طالع نشر الثاني

وفي مقدمة صحيح الامام مسلم ان الملعى بن عرفان قال حدثنا ابو وائل قال : خرج علينا ابن مسعود بصفين ، فقال ابو نعيم يعني الفضل بن دكين حاكاه عن الملعى : انراه بعث بعد الموت ؟ يعني لان ابن مسعود توفي سنة اثنين او ثلاث وثلاثين قبل انقضاء خلافة عثمان بثلاث سنين ، وصفين كانت في خلافة علي بعد ذلك بستين ، فلا يكون ابن مسعود خرج عليهم بصفين ، وهناك غيرهما وغيرهما يتبع

الطابع الملوكي السعيد

بقلم أمير الامراء العلامة المؤرخ السيد
محمد بن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الطابع الذي يختم به على الاوراق مقتبس من خاتم الاصبع والخاتم من الخاططة السلطانية والوظائف الملكية والختم على الرسائل والصكوك معروف للملوك قبل الاسلام وبعده وقد ثبت في الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم اراد ان يكتب الى قيصر فقبل له ان العجم (١) لا يقبلون كتابا الا ان يكون محتوما فاتخذ خاتما من فضة ونقش فيه « محمد رسول الله » اه من ابن خلدون وفي السيرة الحلبية انه كتب ذلك في ثلاثة اسطر محمد سطر ورسول سطر والله سطر وقراءتها من الاسفل يعني محمد بآخر سطر ورسول بالوسط واسم الجلالة في السطر الاعلى وقد اجمع كتاب التاريخ واصحاب السير على ان الخاتم النبوي تختم به ابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم ثم سقط من اصبع عثمان في بئر اريس وكانت قليلة الماء فلم يدرك قعرها بعد - هذا اصل الخاتم في الاسلام وقد اقتدى الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم من الخلفاء والملوك والسلاطين بتلك السنة النبوية فكان لابي بكر خاتم منقوش عليه « نعم القادر الله » ولعمر خاتم منقوش عليه « كفى بالموت واعظا » وخاتم عثمان منقوش عليه « لتصبرن او لتندمن » وخاتم علي منقوش عليه « الملك لله » ونقش معاوية على خاتمه « لكل عمل ثواب » وعمر بن عبد العزيز كتب على خاتمه « الوفاء عزيز » وهارون الرشيد اتخذ له خاتمين . كتب على احدهما « لا اله الا الله » وعلى الآخر « كن من الله حذرا » وابنه المأمون كتب « عبد الله يؤمن بالله مخلصا » ولعنه اتخذ هذا الرمز لتبرئة نفسه مما رموه به من القول بخلق القرآن الى غير ذلك من العبارات والرموز التي اختار الخلفاء والملوك نقشها بخواتمهم وفقا لمذاهبهم واميالهم في سياسة الامة وقد افاد التاريخ ان بعض ملوك الاندلس اتخذ لخاتمه رمزا بقي في عقبه كعبد الرحمن ابن الحكم فقد نقش على خاتمه « عبد الرحمن بقضاء الله راض » ومما نظمته الشعراء في هذا الختم

(١) ليس المقصود من لفظ العجم الجنس العجمي يعني الامة الفارسية بل المراد منه عموم الاجناس الغير العربية من اي امة كانوا لان العرب يطلقون لفظ العجم على كل من لم يكن من الجنس العربي قال الامام البوصيري

محمد سيد الكونين والثقلين والفريقين من عرب ومن عجم
اما قيصر الذي كتابه رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه للاسلام فهو هرقل الاول
انبراطور بيزنطة تولى الملك من سنة ٦١٠ الى سنة ٦٤١ للميلاد والمبعوث الذي حمل له المکتوب النبوي هو دحية الكلبي رضي الله عنه وعبارة المکتوب موجودة في الصحاح وفي كتب السير وهذه المراسلة وقعت في شهر ذي القعدة سنة ٦ للهجرة يوافقها شهر ابريل سنة ٦٢٨ للميلاد

خاتم للناس اضحى حكمه في الناس ماضي
عابد الرحمن فيه بقضاء الله راضي

قال في فتح الطيب وهو اول من احدث النقش وبقي وراثته لمن بعده من ولده اهل قتل كما هو الحال في ابيات البردة المتوارث نقشها بالطابع الملوكي في البيت الحسيني بتونس كما ستراه قريبا والمقام يقتضي الامام والاختصار لان التوسع فيه لا طائل تحته لاسيما وان بابيه طرقة الكثيرون من كتاب التاريخ بيد انا نقول ان المؤتمن على الخاتم الملوكي في عهد الخلفاء كان هو الوزير بذلك عليه ان هارون الرشيد لما اراد ان يستوزر جعفر ويستبدل به من الفضل اخيه قال لابيهم يحيى بن خالد « يا ابت اني اردت ان احول الخاتم من يميني الى شمالي » فكفى له بالخاتم عن الوزارة لان وضعه على الرسائل والصكوك كان من وظائف الوزارة لعهدهم وهكذا كان ختم السلطنة العثمانية فانه كان في امانة الصدر الاعظم حتى اذا بعث له السلطان في استرجاعه فهم وانه عزله من الصدارة ولذلك اطلق كتاب التاريخ في العصر الحسيني لقب الوزير على صاحب الطابع قبل احداث الوزارات لانه هو المكلف بختم الاوراق المعروضة على امضاء سمو الباي، ولنتقل بك لحديث الطابع السعيد في البيت الحسيني فان الباي حسين بن علي تركي جد هذه السلالة الشريفة اتخذ لنفسه طابعا يبضي الشكل نقش حول طوقه الخارجي قوله

ختمت به والله ارجو تفضلا ليسهل حسن الختم في القول والفعل

وحول طوقه الداخلي قوله « اللهم بجاه حسين بن علي احفظ عبدك » وبالوسط اسمه « حسين بن علي بك » متبوعا بتاريخ سنة ١١١٧ التي هي سنة ولايته الملك واتخذ حفيده الباشا علي باي الاول (١) طواع متعددة بين كبير وصغير اعظمها طابعه البيضي المنقوش عليه بالطوق الخارجي قوله من بردة الشيخ البوصيري

ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في اجامها تجم

ولن ترى من ولي غير منتصر به ولا من عدو غير منقضم

وبالطوق الداخلي قوله « راجي لطف الحي عبدة » وبالوسط اسمه « علي باشا وبك » (بواو العطف) متبوعا بسنة ١١٥١ وترى انه عطف لفظ بك على لفظ باشا مما يدل على انه كان محرزا على رتبته في النظام العثماني وفعلا تولى مسند الباشوية في ايام عمه المولى حسين بن علي باي ثم تقلد رتبة الباي عند تغلبه على عمه المشار اليه وكونه نقش بطابعه تاريخ العام ١١٥١ يدلنا من ناحية اخرى

(١) هو الذي غرس شجرة الفخامة الملكية بالبيت الحسيني حيث اسس محكمة فخمة بقصر باردو واقام بها كرسيا ملكيا لجلوسه ورتب مجلسا للنظر في النوازل الشرعية بحضور الفقهاء يجتمعون لديه مرة في الاسبوع واسس حوله مكتبة جامعة لعبون التصانيف بقصر باردو وهو اول من اتخذ شاوش السلام الذي كان يتقدم ركابه عند ظهور موكبهم بين الناس

على انه لم يقدم على اتخاذ هذا الطابع الملوكي قبل ذلك لانه ربما كان يحس وان قدمه لم تكن راسخة بالملك الذي اغتصبه من عمه في سنة ١١٤٨ فلما احس من نفسه قوة حبر به واتخذ له الطابع المتحدث عنه ثم اتخذ في سنة ١١٥٧ الطابع المربع المعروف بطابع الشون كتب بقلبه « علي باشا » وتحتها سنة ١١٥٧ وحول ذلك على الترييع قوله من قصيدة البردة « يا اكرم الخلق مالي - من الود به - سواك عند حلول - الحادث العمم » (١) ومذ كان بابا للامحال في عهد عمه اتخذ له طابعا بوسطه قوله « علي بك » وحوله على الترييع « الواقع - بالملك - الحي الفقير - الى الله » وتحتها سنة ١١٣٣ . ولم تقف على طابع المولى محمد الرشيد باي بن حسين بن علي ثالث الملوك الحسينيين ولكنه لا بد وانه كان بشكل طابع ابيه لان طابع اخيه علي باي الثاني رابع الملوك في السلسلة الحسينية كان يضي الشكل كطابع ابيهما الذي تقدم وصفه وكان بقدر بيض الحمام جردة بطابع اكبر منه اثناء مدته وعبارة الختمين واحدة وليس به الا طوق واحد يحتوي على سطرين في السطر الخارجي عبارة البيت المنقوش بطابع ابيه « ختمت به والله ارجو الخ » وبالسطر الداخلي قوله « اللهم بجاه علي وحسين ابن علي احفظ عبدك وبالوسط اسمه « الباشا علي بك بن حسين بن علي » وتحتها سنة ١١٩٥ ولعلها سنة تجديد الختم لان ولايته كانت في سنة ١١٧٢ وتولى الملك بعده ابنه حمودة باشا فكان طابعه ايضا اكبر من طابع ابيه بوسطه قوله « حمود باشا بك » متبوعا بتاريخ ١١٩٦ الذي هو عام ولايته الملك وبالطوق الداخلي بيت البردة « احل امته في حرز ملته » كالبيت حل مع الاشبال في اجم » وفي الطوق الخارجي قوله منها ايضا « ومن تكن يرسل الله نصرته الى قوله منقسم في آخر البيت بعده » والذي اشار عليه بنقش هذه الايات الثلاثة من البردة هو صهرا المفتي الشيخ احمد البارودي ومما يستحب التعريف به ههنا ان الايات المشار اليها اتخذها ايضا محمد علي باشا والي مصر رمزا لطابعه ولكن افضلية السبق بها كانت من نصيب باي تونس هذا وقد اتبع لي الوقوف باحدى المكاتب العمومية ببافيس على صورة من طابع آخر للباي حمودة باشا يضي الشكل كبير الحجم نشر باروبا لنحو مائة سنة ماضية ضمن كتاب في تاريخ تونس للحكيم فرانك طبيب الباي المشار اليه وعبارته غير عبارة الطابع السابق ففي الوسط قوله حمودة باشا ميرميران (يعني باي البايات) وحوله في طوق واحد قوله « اللهم دام (كذا) ملكه في دار الجهاد تونس - » ١١٩٦ « وقد اشكل امر هذا الطابع على المؤرخ هوكون الذي تعرض له في كتابه المسمى « شعائر بايات تونس » فقال انه لا يكون الا نتيجة خاطر خيالي سمح لبعضهم بصنع هذا الطابع من حجارة ثمينة كاليماني او شبهه تفخيما وتكريما لصاحبه وهذا الفهم ربما كان غير بعيد عن الحقيقة فقد رايت ضمن مجموعة نقايس تاريخه بمكتبة بعض اصحابنا من شيوخ العلم طابعا للباي المذكور من حجارة يمانية مربعة الاضلاع بشكل طابع الشون ولكن عبارته غير العبارة المتقدمة مما يدل على ان المولى

(١) نقل حضرة الكاتب صورة ما هو مرسوم على اختام الملوك بالصورة التي هي مرسومة بها من وضع الفواصل بين الكلمات مع عدم مراعات المعنى وليتنبه لئلا ذلك فيما بعد (انجلة)

حمودة باشا كان لديه طوابع كثيرة بين كبير وصغير ولكن طابعه المستعمل في الرسميات هو ختمه الموشح بآيات البردة الذي تقدم بسط حديثه في الاول . اما اخوه المولى عثمان باي الذي ورثه في ملكه ليلة عيد الفطر ١٢٢٩ فان مدته كانت قصيرة (٩٩ يوما) ومما لا ريب فيه انه اتخذ له طابعا لكنني لم تنفق للوقوف عليه والامير الحسيني الذي صعد بعده لكرسي الملك في المحرم من العام التالي هو ابن عمه المولى محمود باي وكان طابعه يضي الشكل رسم بوسطه قوله « عبد محمود باشا بك » وحول اسمه الثلاثة الآيات المتقدم ذكرها من بردة البوصيري وسنة التاريخ ١٢٣٠ منقوشة بعد قوله احل امته وقبل قوله في حرز ملته ولكن اتفق له تجديد طابعه اثناء ولايته بطابع يضي اجمل من الذي اتخذته في الاول وهكذا استمر حال الطابع الملوكي الحسيني من حيث الشكل البيضي والرمز بالآيات المتقدمة من البردة في عهد ابنه المولى حسين باي الثاني واخيه المولى مصطفى باي وابنه المشير احمد باي وابن عمه المشير محمد باي واخيه المشير محمد الصادق باي واخيها المولى علي باي الثالث وابنه المولى محمد الهادي باي وابن عمه المولى محمد الناصر باي وابن عمه المولى محمد الحبيب باي ويكون نقشه بحروف بارزة بالنسبة لاسم الباي وبحروف محفزة بالنسبة للآيات التي بطوتي الطابع حول الاسم الشريف بحيث انه عند الختم به يظهر الاسم الشريف بالممداد الاسود وآيات البردة تظهر بحروف بيضاء في محيط اسود وقد وقفت للمشير محمد الصادق باي على اثر طابع له كالسابق من حيث الشكل والكتابة الا ان نقشه كله بالتحفير بحيث ان عبارة « عبده محمد الصادق باشا بك » كانت كلها باحرف بيض كآيات البردة الثلاثة رايت ذلك بامر صدر منه في الشهر الثاني من ولايته اي في شهر ربيع (١) الاول ١٢٧٦ مما يدل على انه طابع وقي الغاية بعد تمام صنع طابعه الذهبي لانهم كانوا يصنعون لسمو الباي بدار السكة يوم ولايته طابعا وقتيا من شمع الشهد للختم به ويشما يتم صنع طابعه من معدن الذهب ورايت في تقييد مؤرخ بعام ١٢٩٠ اشتمل على بعض مصاريف هذا الباي انهم صنعوا له طابعا مربعا لطبع الكتب التي قصد تحجيسها على الجامع ولعل هذا الطابع كان من معدن غير الذهب لان ثمنه قدروه بخمسة وسبعين ريالاً في ذلك الزمان ويلوح انهم فعلوا ذلك

(١) فائدة من كتاب سمط اللآل للشيخ محمد بن علي قويسم المتوفى سنة ١١١٤ - قال رحمه الله الشهور كلها مذكورة الاجادي وليس منها شيء يضاف اليه شهر الاشهر اربع ورمضان قال الله تعالى شهر رمضان الذي انزل فيه القرآن وقال الراعي

شهر ربيع ما تذوق لبونهم الا حموضا وخمة ودويلا

فما كان من اسمائها اسما للشهر او صفة قامت مقام الاسم فهو الذي لم يجز ان يضاف لفظ الشهر اليه ولا يذكر معه ورمضان وربيعان ليست باسماء للشهور الثلاثة ولا صفات لها فلا بد من اضافة شهر اليها ورواة الحديث يرون ان رمضان اسم من اسماء الله تعالى وربيع انما هو اسم للغيث وليس الغيث بالشهر اه

احتفاظا بطابعه الذهبي حتى لا يناله السمول بتكرار الطبع الف مرة او اكثر هذا ولما آل كرسي الملك لحضرة ولي النعم سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني بلغه الله الاماني رسم بوسط طابعه السعيد اسمه الشريف « عبده احمد باش بك » متبوعا بسنة الولاية ١٣٤٧ وكتب حوله بالطوق الداخلي قوله « ومن تكن برسول الله نصرته ان تلقه الاسد في اعاجمها تجم »

وبالطوق الخارجي كتب من اعلى قوله

« وان يضيق رسول الله جاهك بي اذا الكريم تحلى باسم منتقم »

ومن اسفل قوله

« يا اكرم الخلق مالي من الود به سواك عند حلول الحادث العمم »

وهذا الطابع البيضي هو الختم الكبير الذي تطبع به القوانين والتراتيب الدولية والولايات والمخاطبات الملكية وشبه ذلك ولسمو الباي طابع اخر اسمه طابع الشون مربع الشكل بقلبه اسم الباي وتاريخ ولايته بالمداد الاسود وحوله بالتحفير قوله « يا عالم الخطايا - يا رازق البرايا - من فضلك العطايا - اغفر لي الخطايا » وهذا الطابع لم يطرأ عليه تطور بل هو بشكل واحد للجميع من تاريخ حدونه الى هذا الزمان وهو من معدن الذهب كالطابع الكبير وانما كان حجمه في القديم دون حجمه في الوقت الحاضر ويستعملونه ختم التحايس والصكوك ودفاتر المحاسبات والامثلة الهندسية وشبه ذلك واتخذ المقدس المولى علي باي الثالث اثر ولايته للملك طابعا صغيرا ذهيبا لطبع معارض الاحكام ومطالب الولايات كتب به قوله « علي باشا باي » وتحت سنة ١٢٩٩ ثم جده اثناء مدته وكتب به « عبده علي باشا بك » بدون تاريخ وعلى قياسه جرى عمل اخلافه من بعده سوى انه زيد فيه لفظ « تونس » بعد لفظ بك في مدة المولى محمد الحبيب باي وتحت لفظ تونس سنة « ١٣٤١ » وهذا التاريخ هو العام الثاني من ولايته لانه جلس رحمه الله على تخت الملك في ١٥ قعدة ١٣٤٠ واما طابع المعارض في عهد سيدنا الملك الموجود متع الله ببقائه الوجود فهو بيضي ذهبي صغير الشكل بسطرة الاول قوله « احمد باشا » وبالسطر الثاني قوله « بك تونس » وبالسطر الثالث سنة ولايته السعيدة « ١٣٤٧ » وكان المشير محمد الصادق باي يمتضي على المعارض بخط يده بعبارة نصها « صح مما ذكر » قالوا ان بعض الشيوخ التمس وجها في سلامتها من التحريف النحوي والكلام هنا مع سيوبه والعهدة فيه عليه وكان المولى حسين باي الثاني يوقع على دفاتر حسابات بيت خزندار بعبارة « صح المبين اعلا » بخط منشرح جميل ، هذا ما تيسر جمعه في هذا الباب وفوق كل ذي علم عليم ، محمد بن الخوجة

اللاب

الربيع

كلل الوسمي هامات الهضاب وشدا القمري
فاغنم ما دامت في عهد الشباب غفلة الدهر

وابتدر بهجة ايام الربيع فوق احضان الخزامى
بين ورد ووبر
تحت ظل الايك في روض بديع مع صحب وندامى
وسماع وسمير

والصبا قد البست درع الحباب صفحة النهر
فجري ينساب ما بين الرواب وسنا الزهر

دار بالمرج كعقد من جمان شع في جيد فتاة
زانها في الحد خال
كاعب وحناء من حور الجنان ان رنت فهي مهابة
او هفت فهي غزال

وشحت شطيه احقان السحاب بحلى النور
فبعدا يغري شذاها المستطاب قاله الشعر

باكر اللذة في ظل الجميله ولتدم عين الرقيب
لعيون النرجس
وارتشف من باقة الورد الجميله وجنا العطن الرطيب
كل نغم العس

فاتن المسم معسول الرضاب عاطر النشر
نزدي انقاسه العطر العذاب نكهة الخمر

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٣ »

قوة العاطفة

واما قوة التأثير فقد يكون من الواضح جدا ادراك ما بين الصدق وقوة التأثير من الملازمة
ليس احدهما يتبع الآخر ويأتي من بعده على الترتيب والتعاقب ؟ ألسنا نقول في تحقيق ما بينهما من
وثيق الاتصال هذا قول صادق لانه صادر عن احساس وشعور . وما كان كذلك فهو لا بد مؤثر ؟
ثم ألسنا نستدل بقوة التأثير على الصدق . وبالفطور والتلاشي على الكذب والتزوير ؟

وقد سبق ان قلنا ان عواطفنا لا تتخدع دائما ولكنها تتأثر وهي لا تتأثر بلعلة البريق الخادع
ولا تهتز لشيء لم يكن مصدره من القلب . واذن فوصف الصدق في العاطفة الادبية يستلزم قوة
التأثير . واذكاء الشعور . ويستلزم فوق ذلك الوحي والالهام . وهل يمتاز الادب الصحيح بشيء
سوى ايقاظنا وتنبيهنا لمعاني ما عجزت عن ادراكه عقولنا . وربط مشاعرنا بأشياء لم تكن مألوقة من قبل ؟
الادب الصحيح الملهم هو الادب الصادق المؤثر هو الادب الذي يبعث فينا من غصنة العاطفي
تيارات كهربائية فيها القوة الكأمة واليقظة البصيرة والنشاط الواعي . هو الذي يستحث العزمات
الصارمة ويحرك الهمم العالية . هو الذي يكشف امام ناظره غيب ما تحاول الطبيعة اخفاءه عنك .
الادب الصحيح الملهم هو الذي في حيويته ثورة حساسة متعطشة تدفعك دفعا الى الاستقراء
والملاحظة . وفي مادة وعنايه القدسية نور المعرفة . وهدى الخير . وسحر الجمال . واشهى وامتع ما
في الادب الصحيح هو ذاك الايمان القوي بالالهام الذي يتسرب من القلب الى القلب . هو ذلك
الانتشاء من عاطفة تهب هبوب النسمات في خفة ونشاط . او تعصف عصف الرياح في طغيان وعف
هو ذاك السحر الغنائي الذي يتغشاك ويلهم بك . سحر متمرد مصدره انسجام . قاطع الكلام . واعتدال
طواله ومخارجه مع توافي الفواصل والاقسام . ومع حدة الالفاظ وخفتها واشراقها . ويخيب الوفاء
ويتخاذل اعتقادي في شعر الشابي رحمه الله ان لم اذكر من شعرة مثالا اصور به في قلوبكم روعة الفن
الكامل والادب الصحيح . يقول الشابي في استغراق الخاشع امام مظهر عظيم من مظاهر الجمال . .

كالحن كالصباح الجديد
كالورد او كالبتسم الوليد

عذبة انت كالطفولة كالأحلام
كالسماء الضحوك كالليلة القمر

فتفتز رائعات الوجود	انت روح الربيع تختال في الدنيا
من بخطو موقع كالنشد	كلها ابصرتك عيناى تمشيـ
مر في حقل عمري المجرود	حقق القلب للحياة ورف الزهـ
مد وصوت كرجع ناي بعيد	خطوات سكرانة بالاناشيد
ن في كل وقفة وقعود	وقوام يكاد ينطق بالالحا
لفتة الجيد واهتزاز النهود	كل شيء موقع فيك حتى
وفي سحرها الشجي الفريد	انت انت الحياة في قدسها السامي
وفي رونق الربيع الوليد	انت انت الحياة في رقة الفجر
م والسحر والخيال المديد	انت دنيا من الاناشيد والاحلا
وفوق النهى وفوق الحدود	انت فوق الخيال والشعر والفن
وربيعي ونشوتي وخلودي	انت قدسي ومعبدي وصباحي

رددوا هذه الايات واستمعوا قليلا الى هذه الموسيقى الساحرة ، وتحلوا من قيود المادة وسرحوا عقولكم في متع هذه المعاني المشرقة الالامعة واتركوا الفن بعد كل ذلك يتحدث اليكم بما شاء وكيف شاء ومهما يكن من شيء فعله يحسن بنا ان نقف قليلا قبل انتهاء الحديث عن قوة التأثير . امام هذه المشكلة النفسية ، التي لم يوفق علم النفس في بيانها الى وجه يرتضيه ولم يبلغ بعد في حلها الى مكان الاستقرار والثبات ، هذه المشكلة التي يتلقاك بها الناس جميعا كلها خذت تحدثهم في شيء له صلة بالعاطفة او على الأرجح له علاقة بالفن او بتذوق الجمال وادراك متعه . فهم يقولون لك السناسة تختلف اختلافا لا حد له في تقدير درجة الفن ، ثم اليس سينما من التفاوت الظاهر في المنطق العاطفي ما يجعل الفرق جليا في تأثيرنا بالمؤثرات العاطفية ؟ والموسيقى وهي رمز الشعور الصادق تذكرنا بالعاطفة تذكيرا عجبيا فوق الالفاظ والكلمات ، ولكن نظرا لحلوها من الضبط فانها لا تكون واسطة تقارب بين مشاعر الناس وعواطفهم الا على وجه خفي مهم

« ويقول احد علماء النفس ما نص تعريبه » الافكار تشترك في المنطق العقلي حسب قواعده العامة ، واما المشاعر في المنطق العاطفي فانها تجتمع في الغالب على شكل غير ارادي وبمقتضى نظام دقيق . لم نعلم منه سوى الشيء اليسير ، فضلا عن ذلك نقول ان بعض المشاعر قد تولد لمشاعر اخرى لا تلبث ان تمتزج بها فالالم يوجب الغم والحب يورث السرور والغضب يولد حب الانتقام . ولكون قواعد المنطق العقلي مادية فانها تطبق على صورة واحدة من قبل جميع الناس الذين بلغوا شأوا بعيدا في الرقي العقلي – وهذا هو سبب اتفاقهم في جميع الموضوعات العلمية واما المنطق العاطفي فانه بالعكس يختلف باختلاف الناس اذ الناس متباينون في مشاعرهم . ولذلك تعذر الاتفاق على جميع المسائل التي تمس العواطف والمشاعر

وقل ما شئت في سبب هذا الاختلاف فهو من الواقع الذي لا شك فيه . وتأمل احوال الناس جميعا اليس منهم من يستخفه الطرب لسماعه قصيدة من قصائد الغزل والتشبيب ، ومنهم من يلتهب

حماسة لسماعه الملاحم الصاخبة ومنهم من يستلذ الزهد القانع والتشاؤم من الحياة فلا يتأثر الا من سماع تلك الشكايات الساخطة والصرخات الباكية ، تلك حال الناس في منطقهم العاطفي . واذن فمن الصعب ان يرضي الشاعر القراء على تفاوتهم ومن الصعب ان يناجيهم بتقريدة وتنغيمه وشدوه ونشيدته . ومن هنا جاز ان يداخلنا الشك فيما قرره النقاد لماحدثون . وما اجمعوا عليه من اتخاذهم نفوس القراء والسامعين ميزانا حساسا لصدق العاطفة وقوة تأثيرها

وجوابنا في حل هذه المشكلة من وجهين . اولاً ان عجز علم النفس عن وجدان قاعدة عامة الشمول في المنطق العاطفي لا يفرض علينا الرضى بفوضى الاختلاف ولا يقرر لزوم ذلك ، فهناك عالم التربية الوجدانية ، وهنالك التهذيب العاطفي . فعلى المربي الحازم ان يلمس بيده الجانب الوجداني والعاطفي من نفوس الطلاب ، وعليه ان يغذي مشاعرهم بما قد يبعث في عواطفهم اليقظة والحياة . وبما يساعد وجدانهم على النمو والترقي . وهو باستدراج لباقتيه وحذق مهارته وبكلماته الحلوة الساحرة وصوته العذب وبيانه الاصيل يستطيع ان يربط مشاعرهم بالمثيرات المتقاربة المتماثلة وبذلك يتعدون رويدا من تلك الفوضى العاطفية القاضية بتوزع الرغائب واختلاف الميول في التحسين والتقيج واذا ما استطاع المربي ان يوجه انتباه طلابه الى العناصر التي تجعل الشيء جميلا محببا فتد وفق الى تكوين جيل متعادل النزعة في تقدير درجة الفن ونوع الجمال . معتمدا في ذلك على رائد من احساساته الوجدانية المهدبة الراقية . والادب الصحيح فن ما في ذلك رب وهو اذا ما احسنا تدريسه وتلقيناه على خير وجه كان خليقا ان يشير من مشاعرنا كل ما يتناسب مع ما في ظلة كلماته من معاني الوحي والالهام

وثانياً الاديب المطبوع شاعرا ام نثرا . يشد اوتار قيثارته من صادق حسه وصادق وجدانه . من خياله وخطره . ويتغنى بالنشيد القدسي . نشيد الطبيعة والحياة . وفنه انما يطالبه بشيء واحد يطالبه بالصدق . يقول له كن صادقا ايها الاديب . واجهر بما تتلقاه في يقطاتك من همسات السر الخفي الذي سموت لادراكه بعبقريه نبوغك العظيم

كن صادق الانشاد والغناء . فانت في طائع الاحياء الذين يبشرون بالهدى والخير . ويلهموننا السلوة والعزاء .

كن صادق الانشاد والغناء والشعر . فانت انسان من لحم ودم . من الناس . ولكن في قلبك الكبير تتلقى اصدااء شكاياتهم ، وصرخات اوجاعهم . وندبات حزنهم . ورنات سرورهم ونبرات ضحكهم الداوي العريض .

كن صادق الانشاد والغناء والشعر . في شعرك الطروب جديد الاشواق . وحلو الاماني ونشوة الاحلام العذاب . في شعرك الطروب مطامح الروح وذكريات المجد الخالد . واذن فعلى الاديب

شهادة الاهلية

تؤجل من الخدمة العسكرية من تاريخ وجوب الخدمة

لامن تاريخ الاحراز عليها

نشرنا في العدد الماضي مقالة حول شهادة (الاهلية) لاحظنا فيها انه قد وقع خلل من طرف الادارة الحربية في تطبيق قرار وزير الحرب القاضي بتأجيل المحرز عليها من تلامذة الجامع الاعظم من الخدمة العسكرية اربعة اعوام افضى الى سوء تفاهم بين بعض طلبة الجامع والادارة المذكورة ، والفتنا في اخر ذلك الفصل نظر مدير الادارة الحربية الى الحل الذي يقع به ازالة سوء التفاهم وارضاء طلبة الجامع طبق ما يقتضيه قرار وزير الحرب

وبعد بروز ذلك الفصل ارسل الينا مدير الادارة الحربية احد كتاب ادارته وهو الفاضل الماجد السيد زين العابدين بن الخوجة يطلب منا الاجتماع به للتفاهم في وجوه الحل التي يزول بها الاشكال وتفصل بها المسالة على احسن حال

وتلبية لهذا الاستدعاء ورغبة في ارجاع الاطمئنان الى نفوس ابنائنا الاعزاء من تلامذة الجامع الاعظم ادام الله عمرانه ذهبنا على الساعة العاشرة ونصف من يوم الثلاثاء ٢٠ محرم و ٢٢ مارس الجاريين للادارة الحربية وتقابلنا مع مديرها ، ودار بيننا حديث طويل حول الموضوع الذي اجتمعنا من اجله فتحدثنا اولاً عن التاريخ الذي يقع منه التأجيل من الخدمة العسكرية هل يكون من تاريخ احراز الطالب على الشهادة ام من تاريخ وجوب الخدمة العسكرية عليه . فذكرت لجناب المدير ان كلمة (التأجيل) معناها اعفاء من وجبت عليه الخدمة بالفعل ، وعليه فلا ينطبق معنى التأجيل الا على التلامذة الذين وجبت عليهم الخدمة . وما دام التلميذ لم تجب عليه الخدمة العسكرية فلا يقال فيه انه متمتع بمنحة شهادة (الاهلية) بل هو في تلك الحالة متمتع بحقه الطبيعي ، فاذا وصل الى ابان

المطبوع ان يكون صادقا ، فيما يظهر به على الناس من فيض قريحته الحارة المتوهجة . وان ساء حظه ولم يجد في قومه من يحركهم تطريبه . او يرضيهم انشادة قتلك سيئة الغفلة والطبع الجامد . وما كان الناس على غرار واحد في خلق الغفلة وجود الطبع .

واذا جاز ان يهجر الاديب في جيله الحاضر ومن معاصريه . فليس يلزم ان يهجر في الاحيال المقبلة . فليست نصف التاريخ ان لم يجد سبيلا للظفر بنصفه قومه ومعاصريه

وجوب الخدمة عليه كان من حقه ان يتمتع عند ذلك بما اقتضته شهادة (الاهلية) من التاحيل اربعة اعوام ، فاقنع المدير بهاته الملاحظات ، واتفقت معه على ان اذيع بصفة رسمية على صفحات هاته المجلة ما اتفقنا عليه وهو : ان التلميذ المحرز على شهادة الاهلية يؤجل من الخدمة العسكرية اربعة اعوام اعتبارا من تاريخ وجوب الخدمة عليه لا من تاريخ احرازه على الشهادة ، وعليه فاذا فرضنا ان تلميذا احرز على شهادة (الاهلية) وعمره ستة عشر عاما ثم استدعي للخدمة العسكرية عند ما بلغ سنه العشرين ، فانه يدلي عند ذلك بشهادته ويقع تاحيله اربعة اعوام من ذلك التاريخ وعليه فلا يستدعي للخدمة العسكرية الا اذا صار سنه خمسة وعشرين عاما

ثم الفت نظره الى مسألة اخرى وهي اعفاء التلامذة المحرزين على شهادة الاهلية من الرجوع الى بلدانهم ايام وقوع (القرعة) بان يقع الاكتفاء منهم بالادلة بتلك الشهادة لدى الادارة المركزية بتونس حتى لا ينقطعوا عن مباشرة دروسهم اسبوعا على الاقل ، وقد وافق حضرته على هذا الاقتراح ولكن بشرط ان يذهب كل تلميذ يريد الانتفاع بهاته المنحة قبل محيئه عند افتتاح العام المدرسي الى عامل بلادة ويعلمه بانه محرز على شهادة الاهلية ، حتى اذا جاءت الاعلامات الرسمية من طرف العمال للادارة الحربية باسماء من وجبت عليهم الخدمة العسكرية في تلك السنة يكون اولئك التلامذة ملاحظا امام اسمائهم بانهم حاملون لشهادة الاهلية

وعليه فما على التلامذة الذين يريدون الانتفاع بالمنحة المذكورة الا ان يذهبوا قبل محيئهم للحاضرة عند افتتاح العام الدراسي الى ادارة العمل ويعلموا عامل مركزهم بانهم حاملون لشهادة (الاهلية) فاذا وقع استدعاءهم اثناء العام للحضور بالقرعة ذهبوا للادارة الحربية فتمكنهم بغاية السهولة من رخصة عدم الحضور ، ويكفون مشقة السفر ، ومضرة الانقطاع عن الدروس

وبعد ما وقع الاتفاق على حل المسئلة بما بيناه ابدينا لحضرة المدير شكرنا له على لسان عموم الزيتونيين لما توفق اليه من الاصغاء لصوت الحق والعمل بمقتضاة ، ثم ودعناه

محمد المختار ابن محمود

تنبيه

نعلم السادة القراء الافاضل ان جميع التعاليق التي تكون تابعة للمقالات التي تنشر بالمجلة انما هي تابعة لصاحب التحرير وما يكون من الادارة يختم بكلمة (المجلة)
(الادارة)

نداء

الى تلامذة الكلية الزيتونية والى تلامذة بقية المعاهد العلمية

ايها الابناء الاعزاء

اعلموا وققمكم الله ، وهداكم الى سبل الرشاد ، انكم عمدتنا في المستقبل ، ومحط آمالنا ، ومقد رحائنا ، وانتم المعول عليكم في النهوض بوطنكم العزيز ، والسير به الى ارقى ما سار به الابناء المخلصون لصالح اوطانهم

ولا يخفى عليكم ان اهم الوسائل لرقى الامم ، وترفع شانها ، واعلاء مكانتها ، وتاهيلها لاختد حقوقها كاملة غير منقوصة ، انما يكون بالعلم ، فبالعلم تترقى الامم ، وبالعلم يرتفع شانها ، وبالعلم يعلو مقامها ، وبالعلم تتمكن من الاحراز على ما لها من حقوق مضاعة ، وتسترجع ما لها من حق مفصوب

وانتم ايها الكارعون من مناهل العلم الصافية ، قد اهلككم الله لخدمة اوطانكم ، وشرفكم بالقيام باعباء اهم وسيلة من وسائل رقي بلادكم : الا وهي العلم

فاذا اردتم خدمة بلادكم خدمة صادقة ، وتعلق غرضكم بنجاحها النجاح الباهر الذي تسترجع به عزها ومكانتها بين الامم فاجعلوا هممكم العالية ، منصرفة الى تحصيل العلوم والمعارف على اختلاف انواعها وفنونها . فقد سبقتنا امم الغرب بمراحل شاسعة في العلوم النظرية والعلوم العملية ، ونحن لا نزال حيث كنا من منذ عشرات السنين ، فاذا اردتم الرقي الحقيقي ، والعمل المنتج ، فاقبلوا على العلم من جميع نواحيه ، حتى لا تكون هناك امة تفضلنا فيه

اما النزعات السياسية ، والتعصب الحزبي ، فلا يزال امامكم متسع من الوقت للاشتغال بها والتبرز فيها ، اما الآن فلها رجالها العاملون ، وابناءها المخلصون ، الذين مهما طوحت بهم اسباب

(*) وقعت في خلال الشهر الجاري عدة حوادث مكدرية بين طلبة المعاهد العلمية ، بدئت من المدرسة الصادقية حيث وقع ابعاد احد المعلمين بها وهو صديقنا الاديب الفاضل السيد علي البهلوان ، فاحتج تلامذة المدرسة على رفته لما له عندهم من المنزلة العالية ، وتطور الاحتجاج الى تشويش افضى الى صدور قرار من جانب المقيم العام بغلق المدرسة الصادقية لاجل غير مسمى ، ثم تبع ذلك تشويش عظيم وقع بين تلامذة جامع الزيتونة افضى الى وقوع منازعات شديدة ءالت الى تضارب التلامذة فيما بينهم وتداخل رجال السلطة ، وكان السبب الاصلي في ذلك كله اختلاف النزعة السياسية بين الطلبة حيث ان منهم فريقا ينتمي لحزب الدستور القديم (اللجنة التنفيذية) وفريقا ينتمي لحزب الدستور الجديد (الديوان السياسي) فظفي عليهم جانب الاحساس ، وبالغوا في التعبير عن عواطفهم بصورة افضت الى استياء عموم السكان ، وتذمرهم من وصول الشقاق الى هذه الدرجة المزعجة ، فوجها هذا النداء لعموم الطلبة ملفتين انظارهم الى ان الواجب يقضي عليهم بترك هذه التحزبات والانصراف الى جانب العلم ، كما اننا نستلفت انظار الحكومة ونضم صوتنا الى صوت اساتذة المدرسة الصادقية لاعادة الاستاذ البهلوان الى منصبه سيما وهو من المشهود لهم بقيامه بواجبه التعليمي احسن قيام

الحجاج التونسيون

بلاغ الحكومة في بيان حالة الحجاج عند السفر
احصائية في بيان عدد الحجاج من مختلف الاقطار الاسلامية

عاد الحجاج التونسيون على ظهر الباخرة (بروتانيا) في يوم الاثنين الخامس من محرم الجاري (الموافق ليوم ٧ مارس) معهم حجاج الجزائر والمغرب الاقصى وقد وصلوا الى نغر بنزرت بعد زوال اليوم المذكور . فقتلهم على الرصيف اقرارهم واحبابهم وابتهج بقدمهم جميع السكان وتوافدوا على تهنتهم بانمام فريضة الحج والتشرف بزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم الذي لا يقف شقي على قبره الشريف

وقد كانت المدة التي قضوها ما بين سفر واقامة واحدا واربعين يوما . واذا طرحنا منها اربعة عشر يوما وهي مدة السفر ذهابا وايابا . تكون المدة التي قضوها في البقاع المقدسة سبعة وعشرين يوما . وهي مدة قصيرة جدا وان كانت كافية لاداء الفريضة فهي غير وافية بتمكين الانسان من التشبع بالاقامة في تلك الربوع الطاهرة التي يشاق كل مسلم لاطالة المكث فيها والتزود من بركاتها والتمتع باسرارها وانوارها . فلذلك نعيد ما كنا لاحظناه سابقا من ان سفر الحجاج ينبغي ان يكون ابرك من الوقت الذي سافروا فيه في هذا العام . وعليه فحق السفر في المستقبل ان يكون في غرة ذي القعدة على اقل تقدير . حتى يكون للحجاج متسع من الوقت فيجمعوا بين اداء الفريضة . والتشبع بالاقامة في بيت الله الحرام ومدينة رسوله عليه الصلاة والسلام .
فنبني حجاجنا الكرام بعودتهم الى وطنهم سالمين غانمين . ونرجو من الله تعالى ان يجعل حجهم مبرورا . وعملهم مشكورا .

الاتفاق ، واستحكمت بينهم اسباب الشقاق ، فلا يزال الرجاء معقودا في اماتهم ونزاهتهم ان يرجع كل فريق لآخيه ، فيلثم الشمل ، وتحصل اللفة ، وتوحد الكلمة
على انكم ايها الابناء الاعزاء ، اذا جاز ان تكون لكم ميسول طبيعية ، واحساسات نفسانية ، تبعثكم على الميل الى فريق دون فريق ، فلا يجوز بحال ان تكون هذه الميول سببا لايقاد الفتنة فيما بينكم ، واضطراب الاحوال فيما حولكم . فتفضي الى اعتداء الاخ على اخيه ، قتشبون والعداوة مستحكمة فيما بينكم حلقاتها ، والمودة مقطوعة فيما بينكم اوصالها ، فالتناس احرار في افكارهم ومعتقداتهم ، ويجب على الانسان ان يكون واسع الصدر فلا يضيق ذرعا بمن يكون مخالف له في الرأي ، او مناقضا له في المبدأ
ايها الابناء الاعزاء

ان دينكم واحد ، وان لغتكم واحدة ، وان ثقافتكم متماثلة ، وان داءكم الذي تحسون به داء واحد ، فوحدا صفوفكم ، واجمعوا امركم ، واقطعوا اسباب الخلاف فيما بينكم ، وكونوا عباد الله اخوانا

محمد المختار بن محمود

هذا وقد ابدى لنا كثير من الحجاج استحسانهم لما كتبناه في افتتاحية العدد الاخير من المجلة في الدفاع عنهم والقات نظر الحكومة الى ما وقع لهم .
ومن جهة اخرى فقد اظهرت الحكومة التونسية اهتماما عظيما بما نشرناه في العدد الماضي عن حالة الحجاج ونشرة غيرنا في الصحف اليومية والاسبوعية . واجرت بحثا حول ما اشيع من الاساءة في معاملتهم وتكليفهم ببعض اداءات لم تكن في الحسبان . ونشرت اثر ذلك السفارة العامة بلاغا تضمن الجواب عن ذلك تنشرة هنا بنصه اتماما للقائدة

بلاغ الحكومة

(نقلت بعض الصحف اليومية صدى تشكيات ارسل بها الحجاج التونسيون اثناء سفرهم الى البلاد الحجازية من المعاملة التي قوبلوا بها من حيث الركوب في الباخرة (بروطانيا) وقد تشكوا بالخصوص من ارغامهم على دفع اداء لاجتياز قنال السويس زيادة عن المعلوم المقرر قدره خمسمائة فرنك (كذا) للشخص الواحد وقد اجري بحث مع ممثلي السلطة الذين صاحبوا الحجاج فكذبوا هذه الاشاعات تكذيبا قاطعا . واذا كان وقع بعض الارتباك في ركوب الحجاج وتنصيبهم في امكانهم في ابتداء السفر فانهم اتموا سفرهم في احسن الظروف من حيث الراحة والامور الصحية ولم يرغم اي كان ممن دفعوا معلوم الركوب الاعتيادي على دفع اداء اخرى) اه
ونحن يسرنا كثيرا ان تهتم الحكومة مثل هذا الاهتمام حتى يكون الحجاج مطمئنين في المستقبل على انفسهم واموالهم . وحتى لا يتمكن احد من ان يلحق بهم ادنى اذى

عدد الحجاج في هذا العام

وقد وقفنا على احصائية تشتمل على جملة عدد الحجاج في الموسم الاخير مع تقسيمهم على حسب اوطانهم اردنا ابناؤها هنا اتماما للقائدة :

بلغ عدد الحجاج الذين اعتلوا جبل عرفات ١٢٠ الف نسمة . ينقسمون بحسب بلدانهم كياتي
من السنغال ١٧ - ومن راس توفن ٦ - ومن الزنجبار ١٣٨ - ومن جاوة ١٦٠٨٩ -
ومن الانترك ١٧١ - ومن العراق ١٩١١ ومن فلسطين ٧٨٦ - ومن سوريا ٣٠٨٠ - ومن الهند ١٥٢٣٨ - ومن الصين ٥٥ - ومن بوتارا (كذا) ٨٩٠ - ومن التكاروة اي بلاد التكرور ٦٠٤٦ - ومن الافغان ٣٧٠٩ - ومن بلاد مسقط ٢٨٠ - ومن المصريين ١٠٠٩٦ - ومن السودان ٢٠٥٤ - ومن الصومال الطلياني ٧٧١ - ومن الحبشة ٥٠١ - ومن حضرموت وعدن ٦٠٧ -
ومن اليمن ٥٥٧ - ومن ايران ١١ - ومن اليابان ٤ - ومن يوغوسلافيا ٥٦ - ومن الاكراد ٧٢ -
ومن تونس والجزائر والمغرب الاقصى ٥٢٥٠ - (هكذا وقع جمع سكان الشمال الافريقي في عدد واحد وكان الذي وضع هاته الاحصائية وسعه ان يذكر الحجاج منفردين بالنسبة لكل بلاد حتى الستة الذين قدموا من راس توفن والخمسة والخمسين الذين قدموا من بلاد الصين وضاق عنه ان يفصل بالنسبة لكل قطر من اقطار الشمال الافريقي ولعل في هذا فال حسن بان يتوحد الشمال الافريقي لفظا ومعنى ان شاء الله وقد ذكرنا في العدد السابق ان جملة الحجاج التونسيين ٣٨١)
وجملة هؤلاء الحجاج ٦٧٢٢٤ - واذا اضيف اليهم عدد الحجاج من سكان البلاد يصير عددهم ١٢٠ الفا كما قلناه سابقا - ونحن نعيد تهنئتنا لعموم الحجاج بما تيسر لهم من اداء الفريضة على احسن وجوها والحمد لله

اصلاح خطأ في الجزء الخامس

وقع خطأ بصفحة ٢٤ سطر ٦ في القرار المتعلق بشهادة الاهلية حيث نشر هكذا : ويقع العمل بهذا القرار من تاريخ غرة جانفي سنة ١٩٢٨ وصوابه سنة ١٩٣٨

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٠٢	١٩	العارضية	العارضة
٢٠٤	٩	على الناس	على الناس
٢٠٥	١	خالقية	خالقية
٢٠٥	٦	اي يلزم وصف الملك	اي يلزم وصف الملك (اي يلزم وصف المنكر
٢٠٥	١٢	راتع	مانع
٢٠٦	٢	الكني	التكني
٢٢٥	٥	مسندة الاعلى	مسدة (الاعلى
٢٢٥	١٩	التعريب	التعريف
٢٢٥	٢٠	وهم منه	ولهم منهم
٢٢٥	٢١	في الاختصاص	في قوله الحمد ووجود لام الاختصاص
٢٢٦	١٦	يشر	يشير
٢٢٦	٣٣	بالحقائق واقد	بالحقائق بمنزلة الالة ولقد

اصلاح خطأ بهذا العدد

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٢٤١	٩	بالسير	باليسر
٢٤٢	٣	مدرس	مدارس
٢٤٥	٤	الاسباب	الاسباب
٢٤٥	٢٥	صفانص	صفاقص
٢٤٥	٢٩	راوة	راته
٢٥١	٨	تصرفات (الاولى)	التصرفات
٢٥٤	٢٤	متوقفا	متوقفا

المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية الزيتونية في تونس

المجلد الثاني

تونس في صفر الخير عام ١٣٥٧ وفي مارس ١٩٣٨

الجزء السابع

شهرية وستتها عشرة اشهر

رئيس قلم تحريرها

محمد المنحاز بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحاكم بالمجلس المختلط

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن القايني

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج الباشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٤٩-٢٦

ثمان الجزء ثلاثة فرنكات

صاحبه	المقال
بقلم رئيس التحرير	٢٨٩ الربا
» صاحب الفضيلة الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي	٢٩٥ تفسير سورة الفاتحة (٦)
» المنعم الشيخ محمد بن القاضي	٣٠١ باب ما انزل الله داء الا انزل له شفاء
» العلامة الشيخ محمد الحجوي	٣٠٥ التعاضد المتين بين العلم والعقل والدين (٤)
» العلامة الشيخ عبد الرحمان زيدان	٣٠٩ التاريخ واهميته واوليته (٢)
» العلامة المؤرخ امير الامراء السيد محمد ابن الخوجة	٣١٤ للعمامة الخضراء
» رئيس التحرير	٣١٩ اعظم مشروع للاسعاف العام
» العالم الهمام السيد خير الله بن مصطفى	٣٢٢ حول تاسيس المدارس القرآنية
» السيد محمد الطاهر الطيب	٣٢٥ سهولة الحج الى البلاد المقدسة
» الاديب الناصح السيد احمد المختار الوزير	٣٢٦ العاطفة في الادب العربي
»	٣٣٠ مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم
»	٣٣٤ خطاب شيخ الجامع بالجلسة الافتتاحية
»	مجلس الاصلاح

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصولات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠	في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠
يخصم الربع للسلامة	المخبرات المالية لا تكون الا معه

المجلة الأدبية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدرها الجمعية العلمية الإسلامية في تونس

المجلد الثاني

تونس في صفر الحير عام ١٣٥٧ وفي أفريل ١٩٣٨

الجزء السابع

بسم الله الرحمن الرحيم

الربا (*)

بقلم رئيس التحرير

أيها السادة الفضلاء

سيكون حديثي معكم في هذا المساء عن الربا، وما ادراككم ما الربا، ذلك الداء العضال الذي تقشى استعماله بيننا، وانتشر في سائر اوساطنا، ولم يسلم منه لا الاغنياء ولا الفقراء، ولا الرجال ولا النساء، بحيث لا يكاد يوجد احد غير مصاب بضربه، ومن لم يحترق بناره فهو ملتهب بشره

وهو داء قد جلبنا به بانفسنا لانفسنا، فالله تعالى قد حرمه علينا، وحذرنا منه اشد تحذير، وقال فيه القراءان ما لم يقله في شيء سواها، وقالت فيه السنة ما لم تقله فيما

(*) هذه محاضرة كنت أقيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة، ونظروا لاهمية

موضوعها، آثرت نشرها هنا تعميما للفائدة، والله الهادي الى سواء السبيل

عدلا ، وراينا ضررلا بالعيان ، وما بعد العيان بيان ، ومع ذلك فنحن لا نزال عليه مقبلين
وفي قذارته منغمسين

جاءتنا النذر فما اتعظنا ، وتليت علينا الآيات البينات فما ارتدعنا ، وتوالت علينا
المصائب والجوائح ، ووصلنا الى حالة من الفقر والافلاس جديرة بان تنشد فيها المراثي
وتنوح فيها النوائح

واذا البينات لم تغن شيئا فالتماس الهدى بهن عناء
فهل ، ان لنا ان نقلع عن هذا الغي ونرجع الى الصواب ، ثم نترقب بعد ذلك من
الله تعالى العفو والمغفرة وحسن المآب

ايها السادة

قارنوا بين الحالة التي نحن عليها الآن ، وبين الحالة التي كنا عليها - من منذ اعوام
قريبة ، ثم ابحثوا عن العلة في هذا الانقلاب الفظيع ، والاضطراب المريع ، فعند ذلك
يظهر لكم صدق ما نقول

الكبار منكم شاهدوا بانفسهم ، والصغار منكم علموا بالنقل عن آبائهم ، ان
حالتنا في الزمن الماضي كانت خيرا بكثير من حالتنا في الزمن الحاضر

كان الرجل الفلاح يخدم ارضه على قدر طاقته ، فيحراثها على ظهر المواشي ،
ويحصدها ويجمعها بواسطة الرجال والدواب ، فكانت نتيجته قليلة ولكنها محفوفة
بالبركة ، فاذا انتهى موسم الفلاحة وجد عندا من المال ما يكفي لقضاء حاجته وحاجة
اهله في بقية العام ، واذا كان من ذوي اليسار تمكن من اشتهاء شيء جديد يضمه الى
مكاسبه ، ويدخره لابنائه واقاربته ، وهو مع ذلك يعيش في رغد عيش وهناء بال ،
معتمدا على الله مترقبا فضله

فكنت ترى الفلاحين من سكان المدن والبوادي ، يعلو وجوههم البشر ، يرتدون
احسن الثياب وانظفها ، وياكلون اشهى الاطعمة والذها ، كل في دائرته التي يقدر عليها
والتي اهل الله لها اما اليوم فانك ترى الفلاحين على اسوأ حال ، وجولا مقطبة ، وافكار
مشرذمة ، واسمال متسخة بالية ، وجيوب من المال خاوية ، الاراضي تباع بابخس الاثمان ،

والديار الكبرى خالية من السكان ، والاعنياء وقفون على ابواب الفقر ، والفقراء واقفون على ابواب الموت ، لا تجد الا مشتكيا باكيا ولا ترى الا معدما عانيا

فما هو السبب في ذلك ؟

هل بدلت الارض غير الارض ، هل شجت السماء بالمطر ، هل قعدنا عن العمل ، كلا ، لم يقع شيء من ذلك ، وانما هي البركة رفعها الله عنا وحرمننا من خيرها بسبب التعامل بالربا

كان الفلاح فيما مضى لا يخرج في فلاحته عن طاقته ، فاذا كانت له ارض شاسعة وكان غير قادر على زرعها كلها زرع منها ما يقدر عليه ، فان جاءته صابة حسنة كانت اعماله ناجحة ، وان كانت صابته رديئة كانت خسارته غير فادحة ، فهو مستريح في كلتا الحالتين . اما اليوم فالفلاح قد صار لا يقنع بالقليل . وليس عندنا الا القليل - فاذا كانت له ارض وكان لا يقدر الا على زرع ربعها توسوس له نفسه بان يقترض المال ليزرع الباقي ، فيذهب الى البنوك والى ديار المرابين ، فيقترض منهم المائه - على اقل تقدير - بعشرين ثم يعني نفسه بالربح الوافر الذي يظن انه يقدر به على تخليص الديون التي ترتبت عليه وعلى استبقاء مال كثير بعد الخلاص

هذا من جهة ، ومن جهة اخرى فانه لا يقنع بادوات الفلاحة القديمة التي لا تكلفه من المصروف الا شيئا قليلا ، فيتعلق غرضه باشتراء (الماكينات) الكبيرة ، والادوات الفلاحية التي يتبعج بتسميتها عصرية ترغيبا لنفسه في اشترائها ، فيذهب الى الديار التي تباع فيها هاته الآلات ويتعاقد معها عقودا مختلفة ، ويتظاهر له النواب في هاته الديار بالتساهل في الدفع ، والحسن في المعاملة . والضحك في الوجه ، حتى يظهر له ان كل صعب قد سهل عليه ، وان كل خير قد انقاد اليه ، فيسرع باتمام تلك العقود ، وهي عقود ربوية محضه ، حيث يدفع فيها بعض الثمن بالحاضر ويؤجل له الباقي على اقساط شهرية او سنوية مع تحميل فائض باهض عليها ، وذلك هو عين الربا ، فيرجع المسكين بتلك الآلات فرحا مسرورا ، ظانا ان السعادة قد حنت به من كل جانب . وانه سيصبح من الاعنياء المترفين ؛ ولكنه يا للأسف فرح قليل ؛ يعقبه حزن طويل ؛ وبكاء وعويل

ذلك ان تلك الآلات تستدعي مصاريف كثيرة : واعمالا شاقة عليه رعية :
فهي تسير بالقاز وباللسانس ؛ وهما يحرقان المال كما تحرق النار الحطب ؛ ثم ان العمال
في تلك الآلات يتطلبون اجورا وافرة يتعذر عليه القيام بها ؛ ثم ان تلك الآلات كثيرا
ما يطرأ عليها الخلل والفساد ؛ واصلاحها يستدعي المال الغزير

والفلاح المسكين لا قدرة له على التحمل بهاته التكاليف المتعددة لانه لا مال
عنده ؛ فيلزمه حينئذ الاقتراض ؛ فيتردد على البنوك وعلى ديار المرابين من جديد ؛
ويكون بسبب اضطرابه وضيق باله حريصا على المال مهما كانت التكاليف ؛ فلا يناقش
في الفائض الذي يفرضونه عليه ؛ ويرضى به ولو ارتفع مقدارا الى حد غير معقول ؛
فتتراكم عليه عند ذلك الديون ؛ ويرجع بصفقة المغبون ؛ ويزداد همه ؛ ويشد كربه
وغمه . ثم اذا اراد ان يزرع ارضه لم يبق قانعا بان يزرع ما تيسر ؛ حيث ينظر الى ما
عنده من الآلات والى ما تهيأ له من الاسباب في الظاهر ؛ فتوسوس له نفسه بان يقترض
من جديد ليشتري ما يكفيه لزراعة ارضه كلها ؛ فيتردد مرة ثالثة على المرابين ليقرضوا ؛
فيقرضونه على الصفقة السابقة من تحميله بفائض فاحش ؛ وتقييده بشروط مرهقة ؛
وتكاليف مهلكة

فيشرع في العمل بعد ما تراكمت عليه الديون ؛ وحفت به الاخطار ؛ ونصبت له
الشراك من كل جانب ؛ فيكون عمله مضطربا ومشوشا ؛ لان عقله ينصرف الى التفكير
في تلك الديون التي غرقت فيها ذمته ؛ وكيف يعمل للخلاص منها ؛ والدين - عافاكم
الله منه - هم بالليل ومذلة بالنهار

ثم بينما هو كذلك واذا بمطالب الخلاص تتوالى عليه ؛ وتنزل اوراق اللوسيات
على راسه كاوراق الخريف . فالبانكة تطلب قسطها من الدين الذي حل اجله . والمرابي
يتردد عليه صباحا مساء لاستخلاص دينه او يطالبه بالزيادة في الفائض ؛ ونائب السدار
التي باعت له آلات الفلاحة يطلب منه الدفع او يهدده ببيع ما اشتراه ؛ وينقلب
ضحكه عند التعاقد الى شراسة ؛ وتنقلب مجاملته الى لؤم وحماسة ، فيزداد بذلك
اضطراب الفلاح المسكين . ويقضي ليله في التفكير . ونهاره في سماع البذاءة والغزير

ثم اذا تم نضج الصابنة ، وتفتحت الامال في وجه الفلاح ، واستعد لنيل وافر الارباح ، يعود له عند ذلك رشاد لا فيبوء بالخيبة والحسران ، وتصير اماله هباء تذرولا الرياح ، لانه لا يخلو حاله . فان كانت صابته حسنة دفعها كلها في تسديد بعض الديون التي وقر بها ظهره ، وان كانت ردية اصبح واقعا بين مصيبتين ، مصيبة الحسارة في نفسها ومصيبة ارباب الديون الذين ينظرون اليه كما ينظر الاسد الى فريسته ، فتقام عليه الدعاوي من كل جانب ، ويصير اسمه ملوثا في جميع المحاكم وماهي الا ايام معدودات واذا بالاحكام تصدر عليه ، وتنزل على راسه كالصواعق ثم يشرع حالا في تنفيذها فتباع اولادوات الفلاحة ، ثم المواشي ، ثم الارض . فان وفي ذلك كله بالدين فيها ، والا فتباع دار سكناها ، فيلقى بالاثاث على قارعة الطريق ، وتشتت نساؤه وبناته في كل ناحية ، ويصير عاجزا حتى عن قوت يومه ، فينقلب الى سائل في الطرقات ، يبيع ماء وجهه بفواضل الصدقات ، وبعد ما كان يرفل في الدمقس والحريز ، يصير راغبا فيما تجريه الحكومة لامثاله من اوقية من الزيت ومائتي قرام من الشعير

هذه هي حالة الفلاحين ايها السادة ، ولا اراني قد قلت في وصفها الا ما هو مشاهد لجميعكم فما الذي اوصلنا الى هاته الحالة السيئة ؟ وما الذي افضى بنا الى هذا التعاسة الكبرى ؟ وما الذي اوقعنا في هاته الضائقة التي لم نشاهد مثلها من منذ ازمان ؟

لا شك ان السبب في ذلك كله هو الربا

فقد نهانا الله عنه فما انتهينا . واندنا سوء عاقبته فما ارتدعنا . وشاهدنا فتكه بنا فما تجنبنا فهل نحن الآن عنه منتهون ، والى طريق الهداية راجعون

ايها السادة

كيف يمكن للفلاح ان يترقب النجاة ويرجو الفلاح ، مع انه يخون شريكه ، ويعصي خالقه ومليكه

ايها السادة

ان الفلاحة كعقد شركة يقع بين العبد وخالقه ، يكون العمل فيها من جانب العبد ، والنجاح فيها بيد الله . فكيف يمكن للفلاح ان ينجح في عمله وهو مخالف في

جميع حركاته لما امر لا به الله فارضه التي يزرعها حرام . والحب الذي يزرعه حرام .
وآلات فلاحته من حرام وماله الذي يتصرف فيه انجر اليه بوجه حرام
فكيف يترقب من الله ان ينجح اعماله . ويبلغه آماله
ايها السادة

ان ما حدثتكم به في جانب الفلاحة . يقال بعينه في بقية ما يقع بيننا من المعاملات
والتجارات . وفيما نقوم به من الحركات . فحالة الجميع متساوية . وكلنا نسير الى
طريق الهاوية . ما دمنا نتعامل بالربا ولا نراعي حرمة الدين . ولا نقرأ حسابا لكتاب
الله جل جلاله . فالتاجر يستصغر بضاعته فيتعامل بالربا لتوسيع نطاقها . ومن يريد ان
يزوج ابنته يتعامل بالربا ليقاخر بجهازها . ومن يريد ان يختن ولدا يتعامل بالربا
ليقيم الاحتفالات . ويتظاهر بالبدخ حتى يعد من الوجهاء الاعيان . ومن يسكن بدار
لا ترضيه يتعامل بالربا لتشيد قصر فخيم واقامة بناء شاهق عظيم
وهكذا بقية الاصناف . ممن لا يدفعهم الى التعامل بالربا الاحب الترف والمبالغة
في الاسراف . فمن اجل ذلك ذهبت ثرواتنا . وبيعنا اراضيها . واخرجنا من ديارنا .
واصبنا فقراء اذلاء عالة نتكفف في الطرقات . نمثل الذل والهوان . ونشج فلا يرثي
انسا انسان وما ذلك الا من الربا الذي هو داء مهلك . ومرض قاتل دخل بيتا الا
واخرها ودمرها ، نعوذ بالله من دائه العضال . وجرثومته الفتاكة
(يتبع)

محمد المختار بن محمود



القرآن الكريم

تفسير الفاتحة

للعامة الامام صاحب الفضيلة الشيخ محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المكي

٦

(واياك نستعين) جملة معطوفة على جملة اياك نعبد وانما لم تفصل للاشارة الى حظور الفعلين جميعا في ارادة المتكلمين بهذا التخصيص اي نخضع بالاستعانة ايضا مع تخصيصك بالعبادة ، والاستعانة بطلب العون ، والعون والاعانة تسهيل فعل شيء يشق باعداد طريق تحصيله كاعارة آلة او مشاركة فعل البدن كالحمل والقود او بقول كالارشاد والتعليم او بمال كدفع المخرج ، والمقصود هنا الاستعانة على الافعال المهمة كلها التي اعلاها تلقي الدين وكل ما يعسر على المرء تذليله من توجهات النفوس الى الخير وما يستتبع ذلك من تحصيل الفضائل ، وقرينة هذا المقصود افتتاح كتاب الشريعة ووقوع التخصيص بالاعانة عقب التخصيص بالعبادة فلذلك حذف متعلق نستعين الذي حقه ان يذكر مجرورا بعلى وقد افاد هذا الحذف ايهام عموم الاستعانة المقصورة على الطلب من الله تادبا معه تعالى فالحصر المستفاد من تقديم المعمول في قوله واياك نستعين حصر ادعائي لعدم الاعتداد بالاستعانات غير المهمة ويفيد هذا القصر تعريضا بالمركبين وبرائة من صنعهم فقد كانوا يستعينون بآلهتهم ومن ذلك الاستقسام بالازلام الموضوع عند الاصنام ، ووجه الاتيان بضمير المتكلم المشارك في نعبد ونستعين الدلالة على ان هذه المحامد صادرة من جماعات ففيه اغاضة للمركبين اذ يذكرون ان المسلمين صاروا في عزلة ومنعة ولانه ابلغ في الثناء من اعبد واستعين لثلاث تخلص المناجاة عن ثناء ايضا بان المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله وقريب من هذا قول النابغة في رثاء النعمان ابن الحارث الفسائي

قعوداله غسان يرحجون اوبة وترك ورهط الاعجمين وكابل

فكان الحامد لما انتقل من الحمد الى المناجاة لم يغادر فرصة يقتص منها الثناء الا اتمتها ، واعيد لفظ اياك في الاستعانة من دون ان يعطف فعل نستعين على نعبد مع انها مقصودان جميعا كما انبأ عنه عطف الجملة لثلاث يتوهم عدم قصد الحصر فيها وان كان بين الحصرين فرق فالحصر في اياك نعبد حقيقي والحصر في اياك نستعين ادعائي

(اهدنا الصراط المستقيم) تهيأ لأصحاب هذه الحاجة ان يسعوا للحصول حظوظهم الشريفة من طلب الهداية فانهم لما حمدوا الله ووصفوه بصفات الجلال ثم اتبعوا ذلك بقولهم اياك نعبد و اياك نستعين الذي ظاهره خبر وفيه تعريض بالطاب لان الحمد لا حظ فيه للجماد بخلاف قولهم اياك نعبد الخ ففيه ثناء على الله تعالى بانه المخصوص بالعبادة والاستعانة وفيه حظ العبد بانه عابد ومستعين وانه قاصر ذلك على الله تعالى فكان ذلك واسطة بين الثناء وبين الطلب انتقلوا به من ثناء الى واسطة حتى اذا راوا الاقبال متوفرا افضوا الى سؤالهم فاذا كان الصراط المستقيم وهذا الوجه هو المناسب لكون الفاتحة دياحة القراءان وهو انما جاء ليهدي الطالبين لاهدي والرحمة فقلوه اهدنا الصراط المستقيم هو حظ للطالب خاصة وشروع في طاب ما ينفعه عاجلا وءاجلا

والهداية الدلالة بتلطف ولذلك خضت بالدلالة لما فيه خير المدلول لان التلطف يناسب من اريد به الخير والفعل هدى واختلف فيه هل هو معتد للمفعول الثاني وهو المهدي اليه بالحرف او بنفسه والاستعمالان واردان وقد جمعهما في الاساس فقل ان لغة الحجاز تعديه بنفسه ولغة غيرهم تعديه بالحرف . وقيل اصله التعدية بالحرف بانلام او الى واما تعديته بنفسه فعلى التوسع المعبر عنه بالحذف والايصال الى هذا ذهب صاحب الكشف . وقيل الفرق بين المعتدي وغيره ان المعتدي يستعمل في الهداية لمن كان في الطريق ونحوه ليزداد هدى ومصدره حيثئذ الهداية واما هداة الى كذا اولكذا فيستعمل لمن لم يكن سائرا في الطريق ومصدره هدى والذي اراد ان التعدية والقصور ليسا من الاشياء التي تصنع باليد او يصطلح عليها احد بل هي جارية على معنى الحدث المدلول للفعل فان كان الحدث لا يقوم بمعناه لا بتصور من قام به فهو الفعل القاصر وان كان لا يقوم الا بتصور من قام به ومن وقع عليه معا وهو المعتدي الى واحد او اكثر فان اشكت افعال فانما اشكلها اعدم انتضاح تشخص الحدث المراد منها لان معناها يحوم حول معان متعددة ، وهدى متعد الى واحد لا محالة وانما الكلام في تعديته الى ثان فالحق انه ان اعتبر فيه معنى الاراءة والابانة تعدى بنفسه كما هنا وان اعتبر فيه مطلق الارشاد والاشارة فهو متعد بالحرف كما في قوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم فحالة تعديته هي المؤذنة بالفعل المنتضمن له ، والهداية انواع تندرج كثرتها تحت اربعة اجناس مترتبة الاول اعطاء القوى المحركة والمدركة التي بها يكون الاهتداء الى انتظام وجود الذات ويندرج تحتها انواع تبتيدي من الهام الصبي التقام الثدي والبكاء عند الام الى غاية الوجدانيات التي بها يدفع عن نفسه كادراك هول المهلكات وبشاعة المنافرات ويجاب مصالحة الوجودية كطلب الطعام والماء وذود الحشرات عنوصك الجلود واختلاج العين عند مرور ما يؤذي عليها ونهايتها احوال الفكر وهو حركة النفس في المعقولات اعني ملاحظة المعقول لتصحيح المجهول في البدييات وهي القوة الناطقة التي انفرد بها الانسان المنتزعة من العلوم المحسوسة . الثاني نصب الادلة الفارقة بين الحق والباطل والصواب والخطا وهي هداية العلوم النظرية .

الثالث الهداية الى ما قد تقصر عنه الادلة ويفضي اعمالها في مثله الى مشقة وذلك بارسال الرسل وانزال الكتب وموازين القسط واليها الاشارة بقوله تعالى في شان الرسل وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا. الرابع اقصى اجناس الهداية وهي كشف الحقائق العاليا واطهار اسرار المعاني التي حارت فيها الباب العقلاء اما بواسطة الوحي او الالهام الصحيح او التجليات وقد سمى الله تعالى هذا هدى حين اضافه للانبيا فقال اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده ولا شك ان المطلوب بقوله اهدنا الملقن للمؤمنين هو ما يناسب حال الداعي بهذا سواء دعا به داع خاص او طائفة خاصة عند ما يقولون اهدنا او هو انواع لهداية على الجملة باعتبار توزيعها على من تاهل لها بحسب اهليته ان كان دعاء على لسان المؤمنين كلهم المخاطبين بالقرءان وعلى كلا التقديرين فبعض انواع الهداية مطلوب حصوله لمن لم يبلغ اليه وبعضها مطلوب دوامه لمن كان حاصله خاصة

والصراط الطريق وهو بالصاد والسين وقد قرئى بهما في المشهور وكذلك نطقت به بالسين جمهور العرب الا اهل الحجاز نطقوا به بالصاد مبذلة عن السين لتصد التخفيف في الانتقال من السين الى الراء ثم الى الطاء قال في لطائف الاشارات عن الجعبري انهم يفعلون ذلك في كل سين بعدها غين او خاء او قاف او طاء وانما قبلوها هنا صاداً لتطابق الطاء في الاطباق والاستلقاء والتفخيم مع الراء استئقالا للانتقال من سفلى الى علو اه اي بخلاف العكس نحو طست لان الاول عمل والثاني ترك. وبعض العرب قلبت السين بين الصاد والزاي وهي لغة قيس. ومن العرب من قلب السين زايًا خالصة قال القرطبي وهي لغة عذرة وكلب وبني القين وهي مرجوحة وقد قرأ باللغة الفصحى جمهور القراء وقرأ بالسين ابن كثير في رواية قنبل وكذلك قرأ رويس عن يعقوب وابن محصن حشما وقع في القراءان وقرأ خلف عن حمزة باشعاع الصاد زايًا في كل القراءان وقرأ خلاد باشعاع الصاد في خصوص قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم دون بقية ما وقع في القراءان وقيل في خصوص الصراط المستقيم صراط الذين وقيل كل صراط وقع معرفا دون المنكر والمشهور عنه هو اول الاقوال والقراءة بالصاد هي الراجحة لموافقتها رسم المصحف وكونها اللغة الفصحى. ولم يقرأ احد بلغة عذرة سوى ما نقله ابن عطية عن الاصمعي انه روي عن ابي عمرو قراءته بالزاي الخالصة. فان قيل كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين قلت احبب عنه بعد كون القراءة بالسين مرجوحة بان الصحابة كتبوها بالصاد تنبيها على الاقصح فيها لانهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب فالذين قرأوا بالسين تاولوا ان الصحابة لم يتركوا لغة السين لانهم يعلمون ان لغة السين هي الاصل فاعتمدوا على اعتداء الناس الى ذلك ولو كتبوها بالسين مع انها الاصل لثوهم الناس عدم جواز العدول عنه لانه الاصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بان اصله السين، والمستقيم المستوي مطاوع قومته فاستقام ومعنى المستقيم الذي لا اعوجاج فيه والمراد بالصراط المستقيم الدين الحق التام وهو

هنا دين الاسلام فانه قد امتاز بهاته الصفات من بقة الاديان قال تعالى وما جعل عليكم في الدين حرج وقال يريد الله ليبين لكم وقال ان الدين عند الله الاسلام اي هو الموصل للغاية ولا يكون المطلوب في اول سورة من كتاب الاسلام الا الاهتداء للدين الاقوام الاوضح وليس غير الاسلام وقيل الصراط المستقيم اريد به خصوص دين الاسلام او بعض الاديان المقدمة قبل نسخها

(صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم بدلا مطابقا وانما سلك طريق البدل دون ان يجعل صراط الذين انعمت هو المفعول ثم يوصف بالمستقيم على الاصل في كون الصفة تابعة للموصوف لفائدتين الاولى ان المقصود من الطلب ابتداء هو كون المهدي اليه وسيلة لنجاة وسيلة واضحة سهلة واما كونها سبيل الذين انعم الله عليهم فامر عارض الفائدة الثانية ما في طريقة الابدال من التقرير للصراط وتحقيق مفهومه عند السامع لانه يكون قد عبر عنه بعبارتين فحصل مفهومه مرتين في الذهن فهو شبيه بالتوكيد اللفظي والمعنوي ولو قدم صراط الذين انعمت عليهم واردف بقوله المستقيم لتعين عدم اعادة لفظ الصراط لان الصفة مغنية عن اعادته بخلاف هذا الاسلوب. ثم ان في اختيار وصف الصراط المستقيم بانه صراط الذين انعمت عليهم دون بقة اوصافه ما في ذلك من تعميم بساط الاجابة فان الكريم اذا قلت له اعطني كما اعطيت فلانا كان ذلك انشط لكرمه كما قرره الشيخ الجدد قدس سره فيما ورد الهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم فيقول السائلون اهدنا الصراط المستقيم الصراط الذي هدي اليه عبيد نعمك مع ما في ذلك من التعريض بطلب ان يكونوا لاحقين في مرتبة الهدي باولئك المنعم عليهم وتوطئة لما سيأتي بعد من التبري من احوال المغصوب عليهم والضالين فنضمن ذلك تفاؤلا وتوذا. وانعمت عليهم اي اعطيهم النعمة بالكسر مشتقة من النعيم بمعنى راحة العيش وملائم الانسان والترفع لان بناء الفعل بالكسر للهيئات ومتملئ النعمة للذات الحسية ثم استعملت في اللذات المعنوية العائدة بالنفع ولو لم يحسها صاحبها قال النابغة.

فسكنت نفسي بعد ما طار روحها والبستني نعمى ولست بشاهد (٢)

فالمراد من النعمة في الآية التي لم يشبها ما يكدرها ولا تكون عاقبتها سوءا من خيرات الدنيا الخالصة من العواقب السيئة وخيرات الآخرة وهي الهم فيشمل النعم الدنيوية كسبها وهو هويها ويشمل النعم الاخرية . والنعمة بهذا المعنى يرجع معظمها الى الهداية لانها الهداية الى الكسبي ومن الدنيوي والى الاخري كله ظاهرة ولان الموهوبي من الدنيوي وان كان حاصلا بلا كسب الا ان الهداية معلن بحسن استعماله فيما وهب لاجله فالمراد من المنعم عليهم الذين افيضت عليهم النعم

(٢) يخاطب النعمان بن جبلة الجلاحي من رؤساء جيش النعمان بن الحرث الغساني حين سبي سبا من مرة رهط النابغة وفيهم عقرب ابنة النابغة فلما علم بها اطلقها واطلق سبي مرة كلهم لاجل النابغة وكان النابغة غائبا حينئذ .

الكاملة ولا يخفى تمام المناسبة بين المنعم عليهم وبين المهيدين حيثذ فيكون في ابدال صراط الذين من الصراط المستقيم معنى بديع وهو ان الهداية نعمة وان المنعم عليهم بالنعمة الكاملة قد هودوا الى الصراط المستقيم فالموصول والصلة لظهار ان النعمة حصلت حيث كانت الصلة فعلا ماضيا وللتعرض بالثناء والذكر الجليل لمن سبقونا بالايمان واتباع فضائل الاديان .

فان قلت كيف يلثم كون المسئول طريق المنعم عليهم فيعاضى وكونه هو دين الاسلام الذي جاء بعدهم ؟ قلت انما امرنا ان ندعو الى حصول دين قويم يكون في استقامته كصراط المنعم عليهم فاجبنا بدين الاسلام وقد جمع استقامة الاديان الماضية وزاد عليها فالقصد الهداية الى صراط كامل ويكون هذا الدعاء محمولا في كل زمان على ما يناسب طرق الهداية التي سبقت زمانه والتي لم يبلغ الى نهايتها والقول في المطلوب من اهدنا على هذه التقادير كلها كالقول فيما تقدم من كون اهدنا لطلب الحصول او الزيادة او الدوام والجواب عن استعمال الامر في حقيقته ومحاذة الجواب

(غير المغضوب عليهم ولا الضالين) يجوز جر غير ونصبه وقد قرىء بهما فالجر على الصفة للذين والنصب على اعتبار غير واقعا موقع المستثنى بالا

وفائدة الوصف بغير المغضوب عليهم التعود من سوء العواقب التي عرضت لبعض المنعم عليهم بالهداية فما رعوها حق رعايتها والتبرؤ من ان يكونوا مثلهم في بطر النعمة وسوء الامثال وفساد التاويل وتغلب الشهوات الدنيوية على اقامة الدين حتى حق عليهم غضب الله تعالى وكذا التبرؤ من حال الذين هودوا الى صراط مستقيم فما صرفوا عنايتهم للحفاظ على السير فيه باستقامة فاصبحوا من الضالين بعد الهداية اذ اساءوا صفة العلم بالنعمة فانقلب هدايتهم ضلالا . والغضب هنا غضب الله تعالى وهو عكس الرضى وفسر الغضب فينا بانه كيفية تعرض للنفس تتبعها حركة الروح الى الخارج وثورانها فتطلب الانتقام فهو سبب لطلب الانتقام فطلب الانتقام سبب لحصول الانتقام ولذلك فسر جمهور المفسرين غضب الله بارادة الانتقام من المغضوب عليه والذي يظهر لي ان ارادة الانتقام ليست من لوازم الغضب الملازمة لماهيته ولكنها قد تكون من اثاره وان الغضب هو كيفية للنفس تعرض من حصول ما لا يلائمها فترتبت عليه كراهية المغضوب منه وكراهية فاعاه وتلازمه امور اشهرها الاعراض عن المغضوب عليه ومنع الاحسان اليه وقد يقضي ذلك الى طلب الانتقام منه فلذلك يختلف الحد الذي يحصل عنده الغضب باختلاف احتمال النفوس للمنافرات وباختلاف العادات واباية الضيم وضيق الراي واكبار الجريمة . فيكون غضب الله كناية عن ابعاد المغضوب عليه عن العناية والاحسان الناشيء عن العناية . والمراد من المغضوب عليهم والضالين جنسا فرق الكفر والفسوق فالمغضوب عليهم جنس للفرق التي تعمدت ذلك واستخفت بالديانة عن عمد او عن تاويل بعيد جدا والضالون جنس للفرق التي اخطأت الدين عن سوء فهم وقلة اصغاء وكلا الفريقين مذموم مواب لاننا مامورون باتباع سبيل الحق

وصرف الجهد الى اصابته ولعل اليهود من جملة الفريق الاول والنصارى من جملة الفريق الثاني كما يعلم من الاطلاع على تاريخ ظهور الدينين فيهم وليس يلزم اختصاص اول الوصفين باليهود والثاني بالنصارى واما ما ورد في الاثر مما ظاهره تفسير المغضوب عليهم باليهود والضالين بالنصارى فهو من قبيل التمثيل باقصى الفرق التي حق عليها هذان الوصفان

واعلم ان الغضب في اصطلاح حكماء الاخلاق مبدا من مجموع الاخلاق الثلاثة الاصلية التي يعبر عن جميعها بالعدالة وهي الحكمة والعفة والشجاعة والغضب مبدا الشجاعة الا ان الغضب يعبر به عن مبدا نفساني لاخلاق كثيرة متطرفة ومعتدلة فيلقبون بالقوة العصبية ما في الانسان من صفات السلبية وهي حب الغلبة ومن فوائدها دفع ما يضره ولها حد اعتدال وحد انحراف فاعتدالها الشجاعة وكبر الهمة وثبات الثبات في المخاوف وانحرافها ابا بالزيادة فهي التهور وشدة الغضب من شيء قليل والكبر والعجب والشراسة والحقد والحسد والقساوة او بالتقصان فالجبن وخور النفس وصغر الهمة فاذا اطلق الغضب لغة انصرف الى بعض انحراف الغضبية

وقوله ولا الضالين معطوف على المغضوب عليهم كما هو متبادر فكانت لا غير محتاج لزيادتها في المعطوف اذ لا يتوهم عطفه على غير ما قبله فما نقله ابن عطية عن مكى ان دخول لا لدفع توهم عطف الضالين على الذين انعم الله عليهم توجيه بعيد فالحق ان لا مزيدة لتأكيد النفي المستفاد من غير على طريقة العرب في المعطوف على ما في حيز النفي نحو ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير قال السيد في حواشي الكشف لثلاثتهم ان المنفي هو المجموع فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما كانت غير في معنى النفي اجريت عادة المعطوف على المنفي في المعطوف عليها وليست زيادة لاهنا كزيادتها في نحو ما منعك الا تسجد اذ امرت كما توهمه بعض المفسرين لان تلك زيادة لفظا ومعنى اذ المعنى على الاثبات والتي هنا زيادة لفظا فقط والمعنى على المنفي. والضلال المشي في غير الطريق المراد عن خطأ سواء علم بذلك فهو يطلب الطريق ام لم يعلم ومنه ضلالة الابل وهو مقابل الهدى واطلاقه على الخطا في الدين والعلم استعارة كما هنا والضلال في لسان الشرع مقابل الاهتداء والاهتداء هو الايمان الكامل والضلال ما دون ذلك وله عرض عريض ادناه ترك السنن واقصاء الكفر وقد فسرنا الهداية فيعما تقدم انها الدلالة بلطف فالضلال عدم ذلك ويطلق على اقصى انواعه الحتم والطبع والاكثة

وقد التفت عن الخطاب الذي في قوله انعمت عليهم الى الغيبة في غير المغضوب عليهم لان الفعل المبني المجحول يقدر له فاعل غير معين فهو في حكم الغائب اذ تقديره الذين غضب غضب عليهم وهو من قبيل الغائب كما هو ظاهر وفائدة الالتفات هنا تجنب اسناد الغضب الى الله تعالى اكارا لامر غضبه تعالى حتى لا يجري لنظرة على اللسان وهذه بكنة خاصة لهذا الالتفات على ان الالتفات حسن الموقع في الكلام مطلقا كما تقدم في قوله تعالى اياك نعبد لا سيما اذا اشتمل على لطيفة وانما قدرنا المتلفت اليه اسما ظاهرا في الفعل المبني للنائب بناء على ما قدمناه من عدم تخصيص الالتفات بالضمائر بل الاسم الظاهر مثل ضمير الغائب يلتفت منه واليه لانه طريق من طريق الغيبة .

الحديث الشريف

باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء^(*)

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أنزل الله داء إلا أنزل

له شفاء »

قد تقرر وان الطب نوعان طب جسد وهو المراد هنا وطب قلب ومعالجته خاصة بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ان طب الجسد منه ما جاء في المنقول عنه صلى الله عليه وسلم (٢) ومنه ما جاء عن غيره وغالبه راجع للتجربة

التداوي وتركه قال حجة الاسلام الغزالي ان الذين تداووا من السلف لا ينحصرون ولكن قد ترك التداوي ايضا جماعة من الاكابر فقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه انه قيل له لـ دعونا لك طبيا فقال الطبيب قد نظر الي وقال اني فعال لما اريد وقيل لابي ذر وقد رمدت عيناه لـ داويتها قال اني علمها مشغول وقيل لابي الدرداء ما نشككي قال ذنوبي قيل فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعو لك طبيا قال الطبيب امرضني وقد ظهر من هذه المرويات وامثالها ان من السلف من ترك التداوي وراهه ومنهم من كرهه وربما يظن ان ذلك قصان لانه لو كان ترك التداوي كمالا لتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ لا يكون حال غيره في التوكل اكمل من حاله بل هو سيد المتوكلين الصوارف عن التداوي قل حجة الاسلام ولا يتضح الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه

وسلم وافعالهم إلا يحصر الصوارف عن التداوي ثم اخذ في حصرها وبيان اسباب ترك بعض السلف للتداوي بما لا يخالف سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخشية الاطالة نذكر هنا من الاسباب ما به الحاجة. السبب الاول ان يكون المريض من المكشفين وقد كوشف بانه انتهى اجه وان الدواء لا ينفعه ويشبه ان يكون ترك الصديق رضي الله عنه للتداوي من هذا السبب لانه كان من المكشفين فانه قال لعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها في امر الميراث انما هما اخواك واختاك وانما كان لهما اخت واحدة وهي اسماء ولكن كانت امراته حاملا فولدت له ام كلثوم فعلم انه قد كان كوشف بذلك فلا يبعد ان

(*) ملخص من درس الحديث الذي القاها العلامة الشيخ محمد بن القاضي المدرس من الطبقة الاولى الحنفية ونائب الدولة لدى النظارة العلمية سابقا وذلك في رمضان عام ١٣٣٨ بجامع حمودة باشا حسب عاداته السنوية

(٢) لابن خلدون ها هنا كلمات لا أتعرض اليها وارجو الله ان يسامحه فيها

يكون قد كوشف أيضا بانتهاء اجله او ان الدواء لا ينفعه والا فلا يظن به انكار التداوي وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى وامربه ، السبب الثاني ان يكون المريض مشغولا بحاله وبخوف عاقبته واطلاع الله تعالى عليه فينسيه ذلك الم المرض فلا يتفرغ قلبه للتداوي شغلا بحاله وعليه يدل كلام ابي ذر اذ قال اني عنهما مشغول وكلام ابي الدرداء اذ قال انما اشتكى ذنوبي فكان تالم قلبه من ذنوبه اكثر من تالم بدنه بالمرض ويكون هذا كالمصاب بموت عزيز من اعزته او كالحائف الذي يحمل لملك من الملوك ليقتل اذا قيل له الا تاكل وانت جائع فيقول اني مشغول عن الم الجوع فلا يكون ذلك انكارا لكون الاكل نافعا من الجوع ولا طعنا فيمن اكل .

مذاهب الايمة في التداوي - مذهب الامام الاعظم قال النسفي : المروي عن ابي حنيفة ان التداوي مؤكد حتى يداني به الوجوب وفي الملتقى ان من ترك الاكل والشرب حتى هلك فقد عصى لان فيه الفاء النفس الى التهلكة وانه منهي عنه في حكم التنزيل بخلاف من امتنع عن التداوي حتى مات اذ لا يتيقن بانه يشفيه وفي رد المحتار انما لم يكن التداوي فرضا لانه ظني في حصول الشفاء

ومذهب امام دار الهجرة رضي الله تعالى عنه اشار له الشيخ ابو محمد بن ابي زيد في الرسالة فقال : ولا بأس بالتعالج وشرب الدواء وعادته ان ياتي بلا بأس في موضع ويستحب غالبا قال النووي في شرح مسلم ان فعل التداوي افضل من تركه وذلك مذهب الشافعي وجمهور السلف وعامة الخلف وفي شرح منظومة الآداب جزم في الاقناع والمنتهى بان مذهب احمد ان ترك التداوي افضل وانه لا يجب ولو ظن نفعه والعلاج رخصة وتركه اعلا درجة منه لما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يدخل الجنة من امتي سبعون الفا بغير حساب هم الذين لا يسترقون ولا يتطربون ولا يكتون وعلى ربهم يتوكلون قال في الافصاح الذي ذهب اليه اكثر فقهاء الحنابلة ترجيح افضلية التداوي واحيب عن الحديث بانهم كانوا في الجاهلية يسترقون الرجل بالكلمات الحبيثة فيؤهمه الراقي في ذلك وفي الكي انهما يمنعا من المرض ابدا فذلك الذي منع منه رسول الله صلى الله عليه وسلم

ادلة افضلية التداوي - قال في الافصاح الحجة سنة وهي اقوى دليل على فعل التداوي واورد احاديث كثيرة تدل على ان فعل التداوي اولى من تركه فقد قال صلى الله عليه وسلم عباد الله تدأوا فان الله لم يضع داء الى وضع له شفاء او دواء الا داء واحدا قالوا يا رسول الله وما هو قال الهرم رواه ابو داود والترمذي وصححه وفي مسند الامام احمد عن عروة ابن الزبير عن خالته عائشة الصديقة رضي الله عنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثر اسقامه فكان يقدم عليه اطباء العرب والعجم فيصفون له فنعالجهم وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مرض احد من اهله نفث عليه بالمعوذات فلما مرض مرضه الذي مات فيه جعلت انفث

عليه وامسحه بيد نفسه لانها اعظم بركة من يدي ومن الادلة ايضا ما اخرجه امام دار الهجرة في الموطا عن زيد بن اسلم مرسل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجلين ايكما اطب قال يا رسول الله وفي الطب خير قال انزل الداء الذي انزل الدواء ومنها حديث الباب وهو قوله صلى الله عليه وسلم من انزل الله داء الا انزل له شفاء

شرح حديث الباب قال العلامة العيني وهو رد على الصوفية في قولهم ان الولاية لا تتم الا اذا رضي بجميع ما نزل به من البلاء ولا يجوز له مداواته قال في الكواكب شرحا للحديث اي ما اصاب الله احدا بداء الا قدر له دواء او المراد بانزاله انزال الملائكة للموكلين بمباشرة مخلوقات الارض من الدواء والداء قال الشهاب القسطلاني فعلى الاول المراد بالانزال التقدير وعلى الثاني انزال ذلك على لسان الملك للنبي مثلا او الهام لغيره وقال ابو يحيى زكريا الانصاري المراد بالانزال التقدير وبالشفاء الدواء لانه سببه فهو من اطلاق المسبب على السبب وبه عبر في خبر مسلم

وقد اجمع الكتاتيبون على ان الحديث ليس على عمومته فقد استثنى منه المسوت والهرم واختلفت الاصوليون في العام بعد التخصيص هل هو حقيقة في الباقي او مجاز فذهب جمهور الحنفية والحنابلة الى انه حقيقة مطلقا وهو الذي جنح اليه ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات وذهب الجمهور من الاصوليين الى انه مجاز واختاره ابن الحاجب في الاصول .

العام المخصوص حجة قال ابن السبكي في شرح المنهاج من يقول ان العام المخصوص حقيقة احتج به لا محالة واما الخلاف في الاحتجاج به فهو مبني على القول بانه مجاز ومثل هذا نقله عنه الجلال المحلي قال العلامة في الآيات وفيه نظر لان المعنى الذي تمسك به من نفي الحجة مطلقا من انه يشك فيها يراد منه لاحتمال ان يكون قد خص بغير ما ظهر موجود بتقدير كونه حقيقة ايضا ولا يخفى ان ظاهر كلامهم ان الخلاف جار على القول بانه حقيقة وبانه مجاز

ومجمل هذا الخلاف ان الشافعي يقول ان العام المخصوص حجة ظنية وهو ما اختاره صدر الشريعة في التوضيح وقبل حجة قطعية كما كان قبل التخصيص وقيل لا يبقى حجة وتفصيله في الاصول

اشكال الشاطبي قال ابو اسحاق الشاطبي في الموافقات يلزم على هذا الاختلاف خطر عظيم لان غالب ادلة الشريعة وعمدها العمومات فاذا عدت مسألة كون العام حجة بعد التخصيص من المسائل المختلف فيها صار معظم الشريعة مختلفا فيه هل هو حجة اولا ومثل ذلك لا يليق

مذهب الشاطبي في العام ثم اختار في العام مذهبا مختزعا وبناء على اعتبار الوضع الاستعمالي في العام ويحتاج الى تمهيد مقدمة وهي ان الشارع لما كان قصده ضبط الخلق بالقواعد العامة وكانت العوائد اكثرية لا عامة وكانت الشريعة موضوعة على ذلك الوضع كان من الامر الملتفت اليه اجراء

القواعد على العموم العادي لا على العموم الكلي التام الذي لا يتخلف عنه جزئي ما ولا كلام في ان للعموم صيغا والنظر فيها مخصوص بعلماء العربية وانما النظر في الاصول الى امر آخر وهو ان نقول ان للعموم الذي تدل عليه الصيغ نظرين احدهما ما تدل عليه الصيغة في اصل وضعها على الاطلاق . والى هذا جنح الاصوليون ولهذا يقع التخصيص عندهم بالعقل والحس والثاني بحسب المقاصد الاستعمالية التي تقضي العوائد بالقصد اليها وان كان اصل الوضع على خلافها وهذا الاعتبار مقدم على اعتبار اهل الاصول لما تقرر في العربية من ان الاصل الاستعمالي اذا عارضه الاصل القياسي كان الحكم للاستعمالي

اطلاقات العرب للعام ويان ذلك ان العرب تطلق الفاظ العموم بحسب ما قصدت تعميمه مما يدل عليه معنى الكلام دون ما تدل عيه تلك الالفاظ بحسب الوضع الافرادي كما انها قد تطلقها وتقصد بها تعميم ما تدل عليه بحسب اصل الوضع وكل ذلك مما يدل عليه مقتضى الحال

وذلك لان المتكلم قدياتي بلفظ عموم مما يشمل بحسب الوضع نفسه وغيره وهو لا يريد نفسه ولا يقصد انه داخل في مقتضى العموم كما في قوله من دخل داري اكرمه فليس المتكلم بمراد وقد يقصد صنفا مما يصاحب اللفظ له في اصل الوضع دون غيره من بقية الاصناف كما في قولنا اكرمت الناس او قاتلت الكفار والمقصود له من لفي منهم وقد يقصد ذكر البعض في لفظ العموم ومرادة من ذكر البعض الجميع كما في قولنا فلان يملك المشرق والمغرب والمقصود له جميع الارض ومنه قوله سبحانه وتعالى رب المشرقين ورب المغربين وقوله جل اسمه (وهو الذي في السماء الاله وفي الارض الاله) وعلى هذا لا يدخل شيء من صفات الباري تعالى تحت الاخبار في نحو قوله جل وعلا خالق كل شيء لان العرب لا تقصد ذلك ولا تنويه وكذلك قوله سبحانه وتعالى والله بكل شيء عليم لا يدخل عليه بنفسه وصفاته وان كان عالما بهما لان الاخبار انما وضع عن جميع المحدثات وعليه بنفسه وصفاته شيء آخر والدليل على صحة هذا المعنى هو انه لا يصح الاستثناء في هذه المقامات فلا يقال من دخل داري اكرمه الا نفسي ولا قاتلت الكفار الا من لم اقه منهم وانما يصح استثناء غير المتكلم ممن دخل الدار وممن لقيت من الكفار وهو الذي يتوهم دخوله لو لم يستثن وهذا هو كلام العرب في التعميم وهو بنفسه جار في عمومات الشريعة

ملخص مختصر الشاطبي والحاصل ان العموم انما يعتبر بالاستعمال ووجوه الاستعمال كثيرة ولكن ضابطها مقتضيات الاحوال التي هي ملاك البيان فان قوله سبحانه وتعالى تدمر كل شيء بامر ربها لم يقصد به انها تدمر السماوات والارض ولا الجبال ولا المياه ولا غيرها مما هو في معناها وانما انها تدمر كل شيء مرت عليه مما من شأنها ان تؤثر فيه على الجملة

معنى الحديث على ما تقدم قلت وبناء على ما قررناه يمكن ان يقال ان المراد من الداء في حديث الباب الداء الذي من شأنه ان يؤثر فيه الدواء عادة فلا يعم الموت والهرم وما قضت العادة بان لادواء له ثم رايت الحافظ ابن حجر قرر هذا المعنى الا انه اثبت من غير هذا الطريق فانه قال في جواب سؤال حاصله ان عموم الحديث يشمل الداء القاتل الذي اعترف حذاق اطباء بانه لادواء له واقرؤا بالعجز عن مداواته يمكن ان يكون في الخبر حذف تقديره ما انزل الله داء يقبل الدواء الا انزل له شفاء . يتم

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقام العلامة المصاحح الامام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريفة

٦

٣٥ - علم التفسير

نص الامام الفخر الرازي على ان تفسير الآلة اذا كانت غير مطابق للعقول فانه مردود على صاحبه وكيف لا والقراء انما أقام الأدلة على خصوصه والجهم بالعقل (١) وقد تكرر فيه - افلا تعقلون - بضع عشرة مرة وقال وما يذكر الا اولوا الالباب وقال كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون فكيف يمكن ان يخالف المعقول . هذا كلامه وقد علمت ان المراد بالمعقول ما قامت عليه ادلة قاطعة مسلمة لا إمكان للطعن فيها وليس المراد بالمعقول ما ترجح في عقل فرد او جماعة لما اعتقدوه دليلا ربما لا يسلمه لهم غيرهم ولا تنهض به حجة قاطعة او تتغير الفكرة بتغير الازمان فذلك من قبيل المظنون وان تيقنه فرد او جماعة

٣٦ - الفروع الفقهية

إنني قد استقرأت كثيرا من الفروع المتفق عليها ومن فروع المالكية وغيرهم فلم أجده فرعا واحدا يناقض العقل ويصادمه بل اما أن تجد العقل يدل عليه كما دل عليه الشرع ايجابا او تحريما كطاعة اولى الامر في المعروف وبرور الوالدين وتحريم قتل النفس بغير حق . أو تجده غير معارض فيه كالصلاة فإن الدين يوجبها والعقل لا يعارض في ذلك بل مهما علم انها في كل ركعة تذكر في اليوم الاخير الذي يشأ عن الايمان به كل فضيلة ندب اليها واستحسنها ، وكذلك فان الشرع اوجبها والعقل ندب اليها لما فيها من الرفق بالانسان والرحمة به وتسكين ثورات الفقراء ضد الاغنياء وتقليل ذوي البؤس والبطالة وهكذا كل ما اوجبه الشرع من صوم وحج او ندب اليه كالنكاح الذي هو تكوين العائلة النزيهة والوقوف على الوجوه الخيرية وغير ذلك الا وتجد العقل بعد اطلاعه على الحكمة التي قصدها الشارع استحسن ذلك ولم يعارض فيه كما ان كل ما منعه الشرع كالزنا وشرب الخمر وأكل الخنزير والربا والحرق والغصب والخيانة والحراة والبغي كل ذلك يمنعه العقل اذا اطلع

(١) وقد نهى الله في القرآن الى التمسك بالعقل الصحيح تسعة واربعين مرة بقوله وما يعقلها الا العالمون . لو كنا نسمع أو نعقل . وامثالها هذا بلفظ العقل او ما اشتق منه ونهنا في آيات اخر الى معناه بنحو قوله (افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب افقار) . (افلم يدبروا القول) . (ليدبروا آياته) وليتذكر اولوا الالباب) وغيرها كثير

على حكمته : وتشيع ذلك محله كتب الفروع فاذا تعبت ذلك وجدته كله جاريا على هذا الاصل فاما ان يحكم العقل بنفس الحكم الذي يحكم به الشرع أو بما يقاربه ولا يعارضه ولا يضاده ؛ وليس هذا من التحسين والتقيص في شيء اما القسم الثالث وهو ما يوجب الشرع ويحرمه العقل القاطع أو العلم الصحيح او يعارضه فيه فهذا ما لا يوجد بحال بل المعارضة تامة والشرعية ملئى من احكام فيها خير كثير للمجتمع لا توجد في شرائع اخرى كالنظافة التي في الطهارتين والسواك وستر العورة وابعاد مجتمعات النساء عن مجتمعات الرجال وغير ذلك

دفع ما يوهم المعارضة لهذا الدليل

١ - حرمة الربا - زعموا انه لا غنى لامة عنه وانه من اسباب التقدم والبرقي وان الامم المتعدنة ما توصلت الاعمال الكبيرة الا بالبنوك . ونحن نقول قد تبين بالكشف أن مضاره أربت على منافعها كالحجر الضار بالمال والعقل والتناسل والاخلاق والبدن مع منافعها ، وقد خربت ديار وأفلس كثير من الاغنياء في العالم بسبب الربا ولولا ذلك كانوا في حالة متوسطة وغنى ليس بالفرط ولا فائدة في تقدم سريع ثم هبوط سريع والاسلام اختار قاعدة الاعتدال في جل الشؤون وهل اوجب الازمة السوداء الحالة بالعالم الا ان الانتاج فوق الاستهلاك بسبب كثرة رؤوس الاموال بالبنوك والربا والاوراق المالية وفي امكان المسلمين ان يتوصلوا الى كل الاعمال النافعة كيفما كانت مع تجنب الربا ولو اتفق العالم كله على تركه ما وقع في مشاكله المظلمة الحالية

ب - حرمة الخنزير - قالوا الخنزير حيوان كالنعم لكن تبين طبيا ان تحريمه من نعم الله على المسلمين والاسرائيليين لذلك لا توجد بينهم امراض لا انفكاك عنها لمن يأكله

ج - الختان - تبين طبيا ان فيه مصلحة كبرى نظافة وصحة يتمتع بها المسلمون والاسرائيليون لا توجد عند من لا يفعله على انه عند اكثر المسلمين سنة للذكور مستحب في البنات ويفعلونه في سن الطفولية مع التسهيلات الطبية العصرية فلا يوجد فيه اي ضرر أو تمثيل او خطر غالبا فلو فرضنا ان طبيا اشار على من به مرض بتجنبه ما الزمته به قواعد الشرع لانه تكميل ولم يثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم امر سلمان الفارسي بالختان ولا فيروز ولا غيرهما من أبناء فارس أو النصارى الذين أسلموا على عهده صلى الله عليه وسلم وهم كبار السن لكونه سنة فقطط واما اعتراضهم بانه مثله فهو مما يوجب عدم الالتفات

د - تعدد الزوجات - قد تبين ان منافعها اكثر من مضاره بكثير حتى ان كثيرا من الامم تربد إدخاله في تشريعها وانما يمنعهم الخروج عن المألوف اذ به يقل الزنا والموبقات الناشئة عنه ويكثر النسل ويقل الايامى والعوانس . ثم الاسلام ما ألزم احدا بالتعدد نعم اباحه بشرط العدل وقد قال

في العدل ولن تستطيعوا ان تعدلوا بن النساء ولو حرصتم فهو وان أباحه فقد حذر مما يشأ عنه وما أباحه الا لما عسى ان تدعوا اليه الضرورة كعقم الزوجة او مرضها او كراهيتها لكثرة الوقاع مع قوة الزوج او كبر سنهما وصغر الزوج . ثم البوادي هم في اضطرار اليه لتعاون الازواج على شئون البادية من حلب الماشية والطحن والحطب وغير ذلك لعدم توفر المرافق الحضرية فتجد الزوجة تمنى ان تكون لها ضرات تعاونها وقد كاد تعدد الزوجات ان يضمحل من مدن الاسلام وانما هو منتشر بالبوادي حيث انعدمت الغيرة من نسائهم لجريان العادة به تقريبا . فالذين اعترضوه ليس اعترضهم من جهة أمر عقلي اتفقت الامم والعقول على استهجانها وانما اعترضوا بما اعتادوا . وكثيرا ما ياتي الغلط من جهة العادة يعتادها الانسان حتى يظن أن أحدا لا يخالفه فيها وان العقل يحكم بها وليس الا العادة فليذهبوا للبادية ليعلموا . وعلى كل حال الشريعة فتحت باب الجواز لما عسى أن تدعو اليه الضرورة ولا سبيل لنا الى تغيير الشرع وسد الباب في وجه محتاج

هـ - الطلاق - كذلك تبين أن مصالحه اكثر من مضاره ولا سيما اذا لم تتوافق اخلاق الزوجين وهو ايضا انما ايسح للضرورة لراحة احد الزوجين او هما وقال فيه عليه السلام ابغض الحلال الى الله الطلاق

و - الحجاب - ليس من مبتكرات الاسلام بل كان عند امم قبلنا فتناساه احفادها الرومان واليونان بمثل ما عندنا الآن أو أكثر قبل الاسلام بنحو الف سنة وقد شاهدنا ما فيه من مصالح اربت على مضاره ونسأؤنا والحمد لله راضية به متمسكة بشريعته على ما وقع فيه من التطرف وزيادة التضييق في المدن باحتجاب المرأة عند الخروج كلها الا قليلا منهم لاعتيادهن ذلك ولو كانت من القواعد اللاتي رخص الله لهن في تركه (١) ولما فيه من الصون والعفاف وراحة الضمير عند الرجال والنساء معا مع سدل حجاب الهيبة والحرمة وقلة الجرائم المنسوبة عن السفور لان النساء محل الشهوة وابداء زينتهن مئارها وهبيح لها ورفع حجابهن موجب لكل مشكلة وقع فيها من رفوة وان كان الوجه والكفان قد اتفق من يعتد به على انها ليسا بعورة ولا يجب سترهما الا من امرأة يخشى عليها الفتنة عند من ياخذ بسد الذرائع كالكاف وقد تركه البوادي لعدم الفتنة غالبا بعد ما بين الديار وعدم التزاحم الذي في المدن وليس الحجاب بمانع للمرأة من العلم والتهذيب ولا هو السبب في وصول المرأة المسالمة الى هذه الدرجة التي هي فيها من الانحطاط الفكري وانما هي العوائد . ولم تكن هكذا في صدر الاسلام . وكان الحجاب مسدولا باعتدال وكانت المرأة تضاهي الرجل في المعارف وتشاركه في السياسة

(١) قال تعالى والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا فليس عليهن جناح ان يضعن

نقابهن (الآية)

والغزو والاقتصاد وكفى بسيرة ازواجه صلى الله عليه وسلم الطاهرات اذ كن مرجع العلم والراي .
والاجماع على ان المرأة في اخذ العلم مع الرجل سواء والمسألة لها بسط في كتابي - تعليم الفتاة لاسفور
المرأة - وقد نشر مرة بعد اخرى ثم ان خروجها لطلب حقوقها والتصرف في شؤونها وطاها للعيش
ولتجارتها كل ذلك لا يمنعها منه احد وانما الواجب حفظ الكرامة وعدم التبرج مع الصون والعفاف .
وبالحيلة لا ينازع العاقل في ككون الحجاب اصون للنسل وارقى حالا في شرف العائلة لاكتنا
نعترف بان التطرف فيه الى حد منع المرأة من العلم والتهذيب مضر وليس من الشرع في شيء ونعلم
ان جل التطرف وقع من النساء أنفسهن اوجبت العادة وحب المحمدة والتحري لديهن والورع
وجزاهن الله خيرا ليتنا تركناهن وشأنهن . وهما هم دعاة الاباحة والفسق والسفور يتطرفون في
رفعه لا نامت اعينهم . ونقول ايضا الاسلام لم يعامل المرأة معاملة المجرم بالسجن كلال بل في البخاري
ومسلم مرفوعا ان الله اذن لكن ان تخرجن لحاجتكن وفيه - لاتمنعوا امام الله مساجد الله - فهي غير
مسجونة وانما في الاسلام حجب لها عن الفاحشة وصون الاخلاق ان تسقط فيما يفسد النسل او يدخل
الرب او يفسد السمعة ويشين الاعراض وان يرث الاب من ليس ابنا له بل المرأة المسلمة في امورها
المالية اكثر حرية من المرأة الاروية يعلم ذلك طلبة الحقوق ولو نفذت وصايا الشرع واحكامه في المرأة
على وجهها لكنت اسعد من نسوة جميع الامم فكثير مما يشاهد من التضيق على المرأة نشأ من العوائد
الخارجة عن نطاق الشريعة او من آراء مذهبية مستندة الى افكار خاصة ولا مسؤولية على القراء ان
كما ان طلب تحرير المرأة وقع من الرجال المحبين للاباحة اما نساؤنا فهن راضيات عن الحالة الحاضرة
ولقد ندم المتدينون من دعاة السفور في مصر والشام وغيرهما وعلا الصراخ بالتضايق من المنكرات
وان المرأة اعطيت سلاح السفور لتتقدم نحو الفضيلة فتاخزت نحو العهر والاباحة وانتحلل الرابطة
العائلية التي هي امتن من روابط جميع الامم وندم الدعاة ولات حين مندم وارجو ان لا يقع المنرب
في زلة المشرق المقلد لاروبا المتضايقة من جور نساها

ز - اعطاء نصف الميراث لغالب النسوة هذا شيء لا يعارض فيه العقل لانا رأينا كل امة تدين
بالعقل تختار في تشريعها ما يوافق عقليتها فالاسلام جعل المرأة ربة البيت وحاكمته والقيمة على الاولاد
ومحل النسل الطيب لتتكون امة طيبة راقية ووجب على الرجل شيئا كثيرا من الانفاق والتكاليف
فجعل له في الميراث ما يكون في مقابلة ما مكلف به من ذلك ومن الدفاع في الحرب والقيام بالامور
العسكرية ونحو ذلك فليس هناك ظلم على المرأة اصلا والله يقول ولا تمنعوا ما فضل الله به بعضكم
على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن

يتبع

التاريخ

التاريخ وأهميته وأوليتي (٢)

من تحريرات العلامة المؤرخ فرع الدرجة النبوية
الشريفة سيدي عبد الرحمان زيدان نقيب السادة
الاشراف بالمغرب الاقصى وكبير العائلة المالكة

اولا التاريخ لم تنكشف هذه الحقائق ، ولولا لم يبلغنا ما كانت عليه الامة العربية التي
نمت اليها بصلة الوصل من الشفوف وبعد النظر واصالة الراي ، ولولا ما ادر كنا شيئا من نعوتها
وكالاتها الجمعة ، ولولا لم نطلع من اخبارها على نظير ما حكاها الجافظ الكلاعي في اكتفائه والحافظ
ابو الفرج ابن الجوزي في كتاب الاذكياء والقاضي ابو الحسن الماوردي في كتاب اعلام النبوة من ان
جد العرب اليمنية وهو نزار بن معد بن عدنان كان له اولاد اربعة : مضر وربيعه وايد وانمار . فلما
حضرته الوفاة اوصاهم وعين لهم ما يحوزة كل واحد مما يخلفه من المال حيث قال لهم : يا بني هذه
القبة الحمراء وما يشبهها من مالي هي لمضر ، وهذا الحباء الاسود وما يشبهه لربيعة ، وهذه الخادمة وما
يشبهها لايداد ، وهذه البدرية والمجلس وما اشبههما لانمار ، فان اختلفتم في شيء من ذلك فعليكم
بملك نجران وهو الافعى الجرهمي . ثم لما مات اختلفوا في ذلك فتوجهوا الى ملك نجران ليفصل
بينهم ، فبينما هم يسرون اذ راي مضر كئافا قد رعي فقال ان البعير الذي رعى هذا الكلاء لاعور .
وقال ربيعة هو أزور . وقال ايداد هو ابتر . وقال انمار هو شرود . فلم يسروا الا قليلا حتى لقيهم
رجل فسالهم هل رأوا بعيرا له فقال مضر هو اعور ؟ فقال الرجل نعم ، وقال ربيعة هو أزور ؟
فقال الرجل نعم ، وقال ايداد هو ابتر ؟ فقال الرجل نعم ، وقال انمار هو شرود ؟ فقال الرجل نعم
هذه والله صفات بعيري فدلوني على محله ، فقالوا والله ما راينا . فقال قد وصفتموه بصفاته ، فكيف
تقولون انكم لم تروه ، فارتفع معهم الى ملك نجران ليفصل بينهم وبينه في بعيره الذي وصفوه
وانكروا رؤيته . فلما نزلوا على الملك ناداه صاحب البعير وقال هؤلاء اصحاب بعيري وصفوه لي
بصفاته وقالوا لم نره ، فقال لهم الملك : كيف لم تروه وانتم قد وصفتموه ؟ فقال مضر رايته يرعى
جانبا ويترك آخر فعرفت انه اعور ، وقال ربيعة رايته احدى يديه ثبته الاثر والاخرى فاسدة
الاثر فعرفت انه افسد بشدة وطنه لازورارة ، وقال ايداد رايته بعيرة مجتمعا فعرفت انه ابتر اذ لو
كان ذبالا لمصع به ، وقال انمار رايته يرعى المكان الملتف ثم يتخطاه لغيره فعرفت انه شرود .

فلما سمع الملك أجوبتهم هذه قال للرجل أنهم ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه في غيرهم ، ثم سألمهم عنهم فاخبروه أنهم بنو نزار ، فقال اتحنأجون الي واتم كما أرى ؟ ثم دعى لهم بطعام وشراب فاكلوا وشربوا ثم قال مضر : لم ار كاليوم خرا أجود لولا أنها نبتت على قبر . وقال ربيعة : لم ار كاليوم لحا اطيب الا انه ربي بلبن كلبة ، وقال انمار : لم ار كاليوم خبز الولا ان التي عجنته حائض ، وقال اباد لم ار كاليوم رجلا اسرى لولا انه يدعى لغير ابيه . وكان الملك قد وكل بهم من يسمع كلامهم فاخبره بما سمع ، فدعا الملك صاحب شرابه وقال له الحمرة التي جئت بها ما قصتها ؟ قال من كرمه غرسها على قبر ابيك ام يكن عندنا شراب اطيب من شرابها . ثم دعى الراعي فسأله عن الشاة التي اكل لحمها ما قصتها ؟ قال هي شاة ماتت امها فارضعناها من لبن كلبة ولم تكن عندنا شاة اسمن منها . ثم دعا عاجة الحنن فاخبرته انها حائض . ثم سأل امه عن ابيه فاخبرته انها كانت تحت ابيه الذي يدعى اليه وهو ملك لا ولد له فكرهت ان يذهب الملك من دارها بموته فلمكنت رجلا من نفسها كان نزل به فحملت منه فهو ابوه . فعجب الملك اذ ذاك مما اهدى اليه ضيوفه ابناء نزار فدرس اليهم من سألهم عن علمهم بما قالوا ، فقال مضر علمت انها خر قبر من كون شان شرب الحمر ذهاب الغم وهذه ادخلته علينا بشرها . وقال ربيعة علمت انها شاة رضعت لبن كلبة لان شان لحوم الانعام ان يكون الشحم فوق اللحم والكلب بخلاف ذلك . وهذا اللحم وافق الكلب في ذلك فعلمت انه اكتسب ذلك من اللبن وقال انمار علمت انه عجين حائض من عدم انتفاشه حين فت وشان الحبز الذي لم يعجنه حائض الانتفاش حين يفت ، وقال اباد علمت ان الرجل يدعى لغير ابيه لاني رايته صنع لنا طعاما ولم ياكل معنا فعرفت ذلك من طباعه لان اباه لم يكن كذلك فرفعت أجوبتهم الى الملك فازداد عجبه ثم دعاهم وقضى بينهم فيما اختلفوا فيه وانصرفوا .

فلهاذا وشبهه مما استفيض من قوة ذكاء العرب ورجحان عقولهم قضى لهم على غيرهم غير واحد من غير اهل جلدتهم كباقة الفرس الاسلاميين ابن المقفع المشهور بكمال المعارف والاعتدال اذ قال : ان امة العرب اعقل الامم لانها حكمت على غير مثال مثل لها اذ هم مع كونهم اصحاب ابل وغنم وسكان شعر وادم يجود احدهم بقوته ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسورها ومعسورها ، ويصف شيء يعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ما شاء فيحسن ، ويقبح ما شاء فيقبح ، ادبتهم نفوسهم ، ورفعتهم همتهم . واعلمتهم قلوبهم والسنتهم . فعن وضع حقهم خسر ومن انكر فضلهم خصم

ولتقتصر الآن على هذا القدر من فضل العرب التاريخي لئلا يقال مادح نفسه يقربك السلام . على ان ذلك لا يقال . فيما هو كالتاريخ مجرد انقال . فالتاريخ مادة كبرى تمتد المعتين بقوة النقد والادراك وتهديم الى الاتيان بالمستدركات الادبية والفوائد الخاصة التي ترقى حواشي الانسان وتهبه

معرفة أخبار الماضين وتلقنه دروس الذكاء والعبرة المزدوجة بحوادث من تقدمه فيضيف بذلك كما قيل - وأومانا إليه - أعماراً إلى عمره فتراه يشارك في المعرفة من تقدمه بآلاف السنين كأنه حاضر معهم في كل حين .

إذا عرف الإنسان أخبار من مضى توهمه قد عاش من أول الدهر وتحسبه قد عاش آخر دهره إلى الخشرات أبقى الجعيل من الذكر كان كتبه التاريخ ومدونوا أسفاره القديمة يقسمون التاريخ تقسيماً يرجعون أصوله إلى نشأة أمم قديمة كالعرب والفرس والروم والقطب ، ولكن نهضة العلوم الاجتماعية وتوفر البحث في أصول الأمم ودرس مسائلها وتطوراتها أسدل ذيلاً وارفاً من كثرة الاطلاع وفيوض المعرفة على علم التاريخ ، فامست التقاسيم وهي أكثر ما تكون اتساعاً وضبطاً وترتيباً ، وبات التاريخ البشري وهو فن متحد ترجع إليه الأمم كلها على اختلاف مللها ونحائها في الاستنشاء بانوارها ، كل على قدر حظه من العلم ونسبته من التاريخ نفسه ومن شئونه المتفرعة عنه وحوادثه التي تكثر وتقل بحسب الأدوار التي لعبتها الأمة تقدمًا وتقهقراً .

هذا التاريخ عند العرب - وإليه يساق الحديث - قد استمد نظامه الأول من القراءان مادة كل شيء وأصل كل فن وعلم ، ففيه : ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض ، وهي المعروفة باسمائها العربية التي أولها المحرم وأخرها ذو الحجة ، وعلى ترتيبها وعدم الزيادة والنقص فيها استمر الحال إلى أن رسم سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام الحج في عاشر ذي الحجة فصارت العرب بعد ذلك تقف في حجها عند حد ما رسمه إبراهيم عليه السلام ، وكان الحج لأجل ذلك يأتي في الفصول كلها فيجد أهل مكة على ما هم عليه من الحصاصة وضيق المعيشة حرجاً ، فكانوا لأجل ذلك يتضررون بآتيان الحج في غير أبان الغلال والميلاء فنشأ من ذلك أن قامت العرب بشورى فيما بينهم أشار عليهم فيها رؤسهم وخطيبهم إذ ذاك بتخصيص وقت الحج بفصل وجود الغلال والميلاء من كل سنة .

وكان أول من أنشأ الشهور من مضر مالك بن كنانة ، وكان آخر ناسي منهم أبو تمامة جنادة ابن عوف بن أمية بن عبدكمك للآزرق نقلاً عن الكلابي ، وكان ذلك من جملة تعاليم أمليته رعونات الجاهلية فاقدموا عليها وزحلّقوا الشهور عن محالها فاخبروا المحرم إلى صفر وصيروا صفر إلى أول الربيعين وهكذا ، فهذا أصل نسيئهم إلى تأخيرهم بعض الشهور أو زيادتهم في عددها المنبى على نعيه عليهم وذم صدورهم منهم في قول الله تعالى : إنما النسيء زيادة في الكفر الآية ، واستمر حالهم على هذا مدة من مائتين اثنتين وعشر سنين أو عشرين سنة إلى سنة حجة الوداع وهي العاشرة من الهجرة النبوية فاتفق فيها رجوع الحج إلى ما كان رسمه فيه الخليل عليه السلام وهو عاشر ذي الحجة فقام

فيها نبينا صلى الله عليه وسلم خطيباً منها على رجوع الحج لصله وعلى تغييره بعد بقوله : الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض .

هذا وغنى عن القول ان تاريخنا بتدريء مادته العامة من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم من مكة الى المدينة وقد كانت العرب تؤرخ ايامها ووقائعها كالامم القديمة بالحوادث والحروب . واذا عرض لنا بحث اياها السادة المستمعون في اول من ارخ فاولاد آدم عليه السلام لصلبه كما نقله ابن عساکر في تاريخه عن الشعبي وذلك انه لما هبط آدم من الجنة واشتر بنوه في الارض ارخوا من هبوطه فكان ذلك هو التاريخ حتى بعث الله نوحا فارخوا من بعثته الى ان كان الطوفان وغرق من غرق ونجا نوح ومن معه فارخوا من حادثة الطوفان . ثم لما كثر بنو اسماعيل وافترقوا ارخ بنو اسحاق من نار ابراهيم الى مبعث يوسف ومن مبعثه الى ملك سليمان ومن ملكه الى مبعث عيسى ابن مريم ومن مبعثه الى مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وارخ بنو اسماعيل من نار ابراهيم الى بناء الكعبة المشرفة الى ان تفرقت معد فكان كلها خرج قوم من تهامة جعلوا التاريخ من خروجه . ومن بقي تهامة يؤرخ من خروج سعد ونهد وجهينة بني زيد من تهامة . ثم ارخوا من موت كعب بن لؤي الى عام الفيل ومضى التاريخ على ذلك الى ان ارخ عمر بن الخطاب من الهجرة وذلك سنة سبع عشرة او ثمان عشرة من الهجرة . وعن ابن عباس قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وليس لهم تاريخ ومضت ايام ابي بكر واربع سنين من خلافة عمر على هذا ثم وضع التاريخ . وروى الحاكم في الاكلیل من طريق ابن جريج عن ابي سلية عن الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة امر بالتاريخ فكتب في ربيع الاول . وهذا معضل والمهشور خلافة كما في الفتح . ونحوه للاياري نقلا عن المحب الطبري واختلفوا في سببه قال ميمون بن مهران وقع الى عمر صك في شعبان يعني غير معين فقال عمر : اي شعبان ؟ اهذا الذي مضى او الذي هو اذ الذي نحن فيه ؟ ثم جمع الصحابة من المهاجرين والانصار وقال لهم ضعوا للناس شيئا يعرفون به سنينهم وبعد تبادل اراء وافكار وانظار اتفقت كلمتهم على ان يكون من الهجرة . وفي رواية عن سعيد بن المسيب ان الذي اشار على عمر بالتاريخ بالهجرة هو علي ابن ابي طالب كرم الله وجهه ، كما اجمعوا على ان يكون فاتحة العام المحرم لكونه منصرف الناس من حجهم ، ولان ابتداء العزم على الهجرة كان في المحرم اذ البيعة وقعت اثناء ذي الحجة وهي مقدمة الهجرة ، ولانه اول الاشهر الحرم . واختاره ايضا علي كرم الله وجهه وقال : لانه اول السنة . وفي الفتح انه يستفاد من الآثار ان الذي اشار بالمحرم عمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وكان ذلك لسنتين ونصف من خلافة سيدنا عمر وكان وقوع اختيار الصحابة رضوان الله عنهم على التاريخ بالهجرة لانه وقت استعلاء الاسلام ومبدا توالي فتوحه للانام والتفرقة بين الحق والباطل . وقد اهدتوا باشارة القرءان في قوله تعالى : لمسجد اسس على التقوى من اول يوم احق

ان تقوم فيه ، وهو يوم قدومه صلى الله عليه وسلم مهاجرا المدينة . فلتقتصر الآن عليه طبق ما شرطناه
ومما سبق تعلمون ان اهمية التاريخ عظيمة لها المحل الاقصى من بين العلوم العمرانية التي بها
حياة البشر حياة منظمة ، واحر بالاشياء اذا لحقها نظام ان يكون حليفها الاسعاد والتمام .

واوجه كلتي الخالدة الى عموم شعبنا العزيز وعلى الاخص الشباب : الشباب الذي هو عماد المستقبل
ومحور دائرة النهوض ، الشباب المتوقد حماسه واشربا بالى العلا والامام . الشباب المتحمل لابعاء الاجتهاد
والدؤوب ، الشباب العربي المغربي الذي ورث العزة والشرف عن اجداده الاكرمين . الى هؤلاء اوجه
كلتي حائلا لهم على درس التاريخ المجيد ليضيفوا اعمارا عزيزة الى اعمارهم وليكرعوا من حياض السمو
ما يكفلهم النجاح حتى اذا علوا وانهلوا من هذا المذهل الزلال رفعا وعقيرتهم وتاهوا فوق عرش الخلود !
فلو تدبر النشء المغربي ورجع بصره الى قرون سلفت لالفت الفحول الافذاذ من المحدثين

والفقاء والادباء وغيرهم من طبقات العلماء ، علاوة على ما حصلوا عليه من مختلف الفنون لا يستغنون عن
التاريخ . اذ كيف يكون محدثنا وهو غير مؤرخ غير عالم بسيرة سيد البشر صلى الله عليه وسلم وبجياة
الخلفاء وعظماء الرجال وطبقات الرواة والمحدثين ؟ وكيف يكون فقيها وهو غير مؤرخ . غير متقن
لسبقية هذا على ذاك مما يؤهله لان يكون في مصاف المفتين ؟ والاديب . لا يكون ادبيا بحق لا يكتب له
اسم بين اسماء الادباء ما لم يتشبع بالتاريخ وجزئياته وما لم يركض ركض المجلى الخبير ، - ايها السادة -
بدرسنا للتاريخ تتجلى لنا فضائح فظائع صدرت من اجلاء انتجت لهم عن تأخرهم في درس التاريخ .
ولكن الشيء الذي يجب التنبيه له : انكم تعلمون ان التاريخ مادة كجميع المواد لعبت فيها

الايدي ما شاء لها الغرض . فهناك مترجم هضم حقه وزحزح عن مرتبته بسبب جرة قلم قضت
عليه بالموت التاريخي والسقوط المبين . وهناك مؤرخ لم يراع الا ولا ذمة فسود صحائف كما سولت له
نفسه فورثها عنه الخلف بدون ترو ولا امعان ، فالاغراض الشخصية لعبت دورها الواسع الزحج في
هذا . ومن هنا اخترع علم النقد الذي يميز الزائف من الحيد . فينبغي للشباب ان يقيس بقسطاس
مستقيم وان لا يدفع اندفاعا يورده اقبح الموارد . ولا يبتك مثل خبير .

ثم على الشباب الناهض ان يعكف على مآثر الاباء من العلوم والفنون الاسلامية النافذة التي تقدمه
شوطا بعيدا وترفعه عاليا ، وعليه ان يدم جانبازائف القول وبرجة الحديث مثل اشتغاله بما يقهره حالا
ومثالا كالسياسة وماليها مما تكون عاقبته وخيمة . وليجعل نصب عينيه وهجيراه في هذا قول الشيخ
الامام الاستاذ محمد عبدة رحمه الله : ما دخلت السياسة في شيء الا افسدته . هكذا قال هذا النقاد
البصير الذي خبر الامور وعجم الزمان حتى لفظ بهذه الكلمة الخالدة وتركها عبرة للمتبصرين !!

واخيرا لعل الظروف تساعد على لقاء سلسلة محاضرات عن نهضة العلم في عصر العلويين الى
العصر المحمدي الكريم والى العودة ان شاء الله والعود احمد . والسلام عليكم ورحمة الله .

القيت بتحويل بالمذيع المغربي في العاصمة الرباطية سنة ١٣٥٥

العمامة الخضراء

بقلم امير الامراء العلامة المؤرخ سيدي محمد
ابن الخوجة مستشار الحكومة التونسية

ظهر في عالم الطبع لمدة قريبة رحلة بالقلم الفرنسي قام بها لنحو مائة سنة فارطة رجل عسكري من ضباط بلاد سويسرة وقد على تونس في صدر دولة المشير احمد باي الاول تضمنت شتى الاخبار المفيدة من احوال المملكة التونسية التي شاهدها ذلك السائح الاروباوي اثناء زيارته لهذه الديار ومن الامور التي استلفتت نظر المؤلف في جملة مشاهدته يومئذ من العوائد والازياء التونسية انتشار العمامة الخضراء المتوجة لرؤوس الكثيرين من الشيوخ كناية على التحاقهم بالنسب الزكي وعنوانا على ثبوت شرفهم في نظر العامة لذلك احببنا في هذه المرة تخصيص نبذة تاريخية شهرية بحدث هذه العمامة وهو حكمها في الشريعة ومتى كان ظهورها في الاسلام لاسيما وان اللون الاخضر مما تشرح له الصدور وهو في عرف اهل اروبا رمز لارحاء وامال الخير وعندنا معشر المسلمين انه من لبوس اهل الجنان قال تعالى « عليهم ثياب سندس خضر » ولنشرع في المقصود فنقول :

لبس للعمامة الخضراء اصل في الشرع الاسلامي ولم تكن معروفة بين المسلمين في القرون الاولى واول ظهورها كان بمصر على عهد الملك الاشرف ابي العالي زين الدين شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون وكانت في البداية عبارة عن مجرد علامة خضراء تضاف لعمائم الاشراف قال في بدائع الزهور للمؤرخ محمد بن ابياس : ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة وفيها رسم السلطان (شعبان بن حسين بن السادة الاشراف قاطبة يجلون في عمامتهم شطقات (١) خضر حتى يمتازوا عن غيرهم وتعظيما لقدرهم فنودي لهم في القاهرة بذلك فامتثلوا امره المتدارك اه وفي ذلك يقول الشيخ شمس الدين محمد بن ابراهيم بن المزبن الدمشقي

اطراف تيجانات من سندس	خضر كاعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها	شرفا لتعرفهم من الاطراف
وقال الشيخ بدر الدين بن حبيب	
عمائم الاشراف قد تميزت	بخضرة رقت وراقت منظرا
وهذه اشارة ان لهم	في جنة الخلد لباسا اخضرا

وممن لم يستحسن مشروعية هذه البدعة عند ظهورها الشيخ شهاب الدين بن جابر الاندلسي وفي ذلك يقول

جعلوا لابناء النبي علامة ان العلامة شان من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم يعني الشريف عن الطراز الاخضر

ويلوح ان الداعي لتمييز الاشراف بشطفة خضراء في عمامتهم انما اقتضته الظروف في هاتيك الازمان لان مدة الملك الاشرف شعبان بن حسين الذي تولى السلطنة في الثانية عشرة من عمره تخللها هرج عظيم بين ولاية الاتراك بجهات المملكة وكان زعيم تلك الحركة الاتاكي يلغا القابض على رقبة ذلك السلطان الفتى فلمعله فعل ذلك سياسة منه لتنفيذ مقاصده باستمالة الاشراف لجانبه فيلتفت الناس حوله لمناصرته على اعدائه ولذلك ميزهم باسم السلطان بالعلامة الخضراء المتحدث عنها كي لا يمسهم احد بسوء - وبالتالي تطورت تلك العلامة واستوعبت كامل العمامة واستمر على اختصاصها بالبيت وانتشرت بين اشراف الافاق في الشرق والغرب واذا تدبرنا ما كان للسادة الاشراف من الخطوة والاعتبار (١) في انظار عامة المسلمين سهل علينا فهم السر الجليل الذي كان مخبوءا في طيات العمام الخضر المتوجة بها رؤوس حاملها من الاشراف ثابتي النسب

هذا وقد اختلفت انظار اهل الشريعة في حكم هذه العمامة الخضراء فبعض الفقهاء لم يرها بدعة مباحة ولم يمنع من ارادها من شريف وغيره بناء على ان الناس مضبوطون بانسابهم الثابتة وبعضهم استروح استحسانها من كلام شيخ الاسلام ابي السعود العمادي لانه يراها تميزا للشريف عن غيره خوفا الانتقاص وعدم الاحترام بين العامة لان الشريف قد يجهل ولان الانساب لا يلزم ان تكون مشهورة بين الناس كما سيأتي بيانه بالقوى الصادرة منه في ذلك

اما ظهور العمامة الخضراء بالديار التونسية فيلوح ان ذلك كان حوالي المائة العاشرة ولا سيما بعد استقرار حكم التترك وترتيب الدواوين بها في القرن الحادي عشر اذ التترك كانوا اصحاب عقيدة صميعة وحب رسيخ في آل البيت فقد كانوا يقدقون عليهم بالاحسان والمنح والاقطاعات وجعلوا لنقيب الاشراف حق الحضور مع اهل المجلس الشرعي عند اجتماع الفقهاء للنظر في النوازل بحضرة الباي ومما لا خلاف فيه ان العمامة الخضراء كانت كثيرة الانتشار بتونس واعمالها في القرن الثاني عشر ولا سيما بالمدن المعروفة بكثرة الاشراف كبلد ماسكن وعلى قياسها بلد صفاقس التي لم يزل لها تعلق وثيق بالعمامة الخضراء لهذا الزمان - اما في اواسط القرن الثالث عشر فقد حكى لنا السائح السويسري المشار اليه في طليعة هذه النبذة ان العمامة الخضراء كانت بتونس من الاشياء المستلفتة للانظار

(١) انظر عبارة التوقيع بولاية نقيب الاشراف في صحيفة ١٦٣ بالجزء الحادي عشر من كتاب صبح الاعشى للقلقشندي

بكثرة انتشارها بين الناس وبالتالي اخذ امرها في التقاصر والتراجع الى ان صارت من اللبوس النادرة حتى في الاوساط المعروفة بصحة النسب الزكي بحيث ان حاملها بتونس كانوا يهدون على الاصابع في مبادي هذا القرن الرابع عشر وممن ادركنا من الشيوخ المتوجة رؤوسهم بالزمالة الخضراء (١) الشيخ الشاذلي بن صالح الجبالي كبير اهل الشورى المالكية المتوفى سنة ١٣٠٨ فانه كان شريفاً من جهة امه بنت الشيخ الحاج علي دمدم المشهور الشرف بتونس وكان الحافظ الشيخ احمد بن عبد الكريم يؤم المصاين بجامع محمد باي المرادي وعلى راسه زمالة خضراء تسر الناظرين وهذا الفاضل من قرابة الشريف الشيخ محمد بن عبد الكريم الذي كان في جملة المحمدين الاربعين من آل البيت الذين انتخبهم المشير احمد باي الاول باشارة القاضي الشيخ مصطفى يرم للاجتماع بجامع الزيتونة والدعاء بتفريج الكرب عند اشتداد الطاعون بتونس في سنة ١٢٦٦ وقد تضمن تاريخ الوزير الشيخ احمد بن ابي الضياف اسماء هؤلاء السادة الاربعين وكلامهم ممن اشتهروا في تونس بلشرف المطهر وكان اكثرهم يحمل العمامة الخضراء وكان نقيب الاشراف يومئذ الشيخ محمد يرم الرابع ولكن لم يتخذها شعاراً له فيما نعلم ولقد تأصل تعاقب بعض الاشراف بالعمامة الخضراء لحد تنويع ضريحه بعد موته بمشهد تعاوة زمالة موشاة بالطلاء الاخضر كما لم تزل من ذلك بقية لهذا الزمان بمقبرة الجبلان التي ضمت تربتها السونا كبيرة من آل البيت رحم الله الجميع

واعلم ان اشهر بيوت الشرف لهذا الزمان بهذه الديار هم آل بيتي الشريف ومحسن ائمة جامع الزيتونة وكان سلفهم ممن يهتم بالعمامة الخضراء وكلامهم من ذرية الشريف الشيخ حسن الهندي الذي كان نقيباً للاشراف بتونس في سنة ١٠٢٣ كما استفيد ذلك من بعض الرسوم القديمة وفيهم يقول القاضي الشيخ احمد بن الخوجة الاول وفيه اشارة لاصلام الهندي

الا ان نور الله بعد محمد بنو بنته الاطهار من وصمة الحقد

وكلام سيف فرندة لامع ولكنما الاسياف اشرفها الهندي

وانت تعلم ما لسيوف الهند من الحد القاطع ناهيك بما وصفها به كعب بن زهير بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس حافل بالمهاجرين والانصار في قصيدته الخالدة

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متمائم ائرها لم يفد مكبول - الى ان قال

(١) الزمالة عبارة عن عمامة ذات لف وتركيب منتظم يدوم زمناً طويلاً وهي في زماننا هذا من خصوصيات الائمة واهل العلم وهي من اوضاع البلاد الشرقية وكانت معروفة بالفرس في الزمن البعيد فقد رايت بمتحف مدينة بوردو رسماً بالدهن يمثل مجلساً فارسياً يرجع للامة الاولى من التاريخ المسيحي اشتمل على مشيخة من الفرس معتمة رؤوسهم بزمامات كزمامات قهاتونس نصتوا

ان الرسول سيف يستضاء به (١) مهند من سيوف الهند مسلول

قال بعض شراحها ان النبي صلى الله عليه وسلم قطعه عند ذلك بقوله « بسل من سيوف الله » فاعاد كعب قراءتها قائلا « مهند من سيوف الله مسلول » وبهذا التعديل النبوي تناقلتها الالسن والافلام في القرون السابقة واللاحقة

ولنرجع بك لبيت القصيد يعني العمامة الخضراء موضوع الحديث فقد قدمنا لك ان الامام ابا السعود العمادي ممن استحسن ابتداعها ولقد سئل في ذلك فاجاب بما يعتمد في الموضوع مع الفتوى بصحة الشرف من جهة الام واليك نص السؤال والجواب

السؤال - هل ثبوت الشرف من جهة الام صحيح ام لا وهل هو بمنزلة الشرف من جهة الاب ام لا وهل لمن شرفه من جهة الام ان يضع العلامة (العمامة الخضراء) التي يتميز بها عن العامة ام لا وما دليله وما تعليقه افنونا ما جورين

الجواب - نعم ثبوت الشرف من جهة الام صحيح معتد به شرعا واجب قبوله شرعا وعرفا فان ثبت لامرأة انها شريفة صحيحة النسب كان اولادها لبطنها ذكورا او اناثا اشرافا نابتا شرفهم من قبلها مع قطع النظر عن آبائهم وان كانوا ارقاء او عتقاء لا يضرهم ولا يمتنعهم من ثبوت سيادتهم من جهة والدتهم ويثبت لهم من اليادة ما ثبت لها وتعين تمييزهم على غيرهم ممن لا شرف لهم بوضع العلامة خوفا من انتقاصهم وعدم احترامهم بين العامة فمن كان امه شريفة ثبت الشرف له ولاولاده ونسله وعتبه وانتظم في سلك الاشراف والادلة على ذلك كثيرة يضيق عنها المقام ويكفي الاشارة الى بعضها وهو ان جميع الاشراف الموجودين الآن (المائة العاشرة) في مشارق الارض ومغاربها انما ثبت لهم الشرف من جهة والدتهم فاطمة الزهراء من جهة السيدين الجليلين الحسن والحسين وهما انما ثبت لهما الشرف من جهة والدتهما رضي الله عنهما لا من جهة سيدنا علي والا كان اولاده من غيرها كابن الحنفية اشرافا فليس خفيا ان علماءنا جعلوا في ذلك قياسا منطقيا من الضرب الاول من الشكل الاول مركبا من صغرى وكبرى وبيان صغرها من عشرة اوجه واما كبراه فلم تحتج الى بيان وتحرير نظمه ان الولد بضعة من الام والام بضعة من ابيها فكيف لا يثبت له ما ثبت لها ولهذا حكمنا بشرف الحسن والحسين وقد افردت هذه المسألة بالتصنيف وحظيتها بالتأليف وفيه كفاية اه

(١) قال الشيخ الباجوري لما وصل كعب في قراءة قصيدته الى قوله « ان الرسول لسيف الخ » رمى صلى الله عليه وسلم برده الشريفه عليه وبذل له فيها معاوية عشرة الاف درهم فقال كعب ما كنت لاوثر بنوب رسول الله صلى الله عليه وسلم احدا فلما مات كعب بعث معاوية الى ورثته عشرين الفا واخذها منهم اه وبالتالي انتقلت هذه البردة الشريفه من يد لاخرى الى ان آلت الى الشريف بركات فلما استولى السلطان سليم خان الاول على مصر ودخلت بلاد الحجار في طاعته طلب من الشريف بركات ان يوافيه بالانار النبوية وفي جلستها البردة المتحدث عنها فارسلها اليه مع ابنه الشريف ابي تمي فامر بحفظها بمرأية طوب قبو عدا البردة الشريفه فقد وضعها بمكان قرب جامع السلطان محمد الفاتح وما زالت هناك الى انقراض الخلافة من ال عثمان في سنة ١٣٤٢ ويقال انها لم تزل محفوظة حيث هي هكذا افادنيته المرحوم صاحبنا الوزير السيد الطاهر خير الدين

ولقد وقفت بكناش بعض الافاضل على نادرة لطيفة مضمونها ان الشيخ ابراهيم الرياحي قال له ابنه « يا ابت لماذا لم تشهر نسبك الشريف بين الناس كما فعل فلان وفلان فاجابه يابني لان فاطمة البتول ستعرف وحدها ابناءها يوم القيامة قلت هذا كلام صحيح لا غبار عليه ولكنه لا ينافي كون سيدتنا فاطمة ستعرف ايضا في جملة ابناءها من يتحدث بنعمة الله عليه بانسابه للعترة النبوية المطهرة. ولذلك ثبت هنا عبارة وثيقة تاريخية في ثبوت شرف اهل البيت الخوجي منه من الله وفضلا. نقوله من خط نقيب الاشراف الشيخ محمد يوم الثالث ومختمة بطابعه ونصها وبحروفها

الحمد لله ثبت شرف الشيخ العلامة السيد محمد بن الخوجة القاضي الحنفي بتونس وعملها في التاريخ واعلم بذلك العبد الفقير الى ربه محمد بيرم الثالث نقيب الاشراف بتونس في التاريخ الواضع ختمه بالمحول في ٢٧ حجة الحرام متمم شهور عام سبعة وخمسين ومائتين والاف اه

بقي علينا البحث في مسألة العمامم الخضراء التي ليس لها من آثار الشرف غير اللون الاخضر وهذه ربما كانت كثيرة في الزمن الماضي وانما قصت عليها الظروف بالاحتجاب تبعا لناموس التطور الذي تناول العمامم من كل لون ورجع بها القهقري وقد كان المتطفلون عليها يتخذونها ذريعة اما للتمشيخ الفارغ واما للنصب والاحتبال فقد اتفق ان رجلا من المقيف افضى به الحال للتقدم بصفة عكاشة (١) في صف احدى الجماعات العيساوية وعندها انخذله عمامة خضراء فخيمة جسيمة ليست من الشرف في شيء وكنت سمعت من المرحوم السيد العربي بيس وهو ممن طاف البلاد الشرقية في الطول والعرض ان سألني العيس لما يكتري الحاج منهم راحلة لقطع درب الفاصل بين مكة المشرفة والمدينة المنورة يخفض صاحب الدابة كتفه للحاج ليسهل عليه مهمة الصعود لذروة الجبل فلها يضع الحاج قدمه على كتف الجمال يرفع هذا صوته قائلا : رفقا بال بيت يا اخي فقد اوجعت عنقي - وبذلك يصبح الحاج في حيرة لا اعتقاده ان صاحبه من آل البيت الاطهار ويسترضيه بالزيادة في اجرة الركوب وليس هو غير نصاب محال من قطاع الطريق لا يملك من الشرف مقدار حنة من خردل بدمه . هذا ما كتبه القلم المحتار وربك يخلق ما يشاء ويختار محمد بن الخوجة

(١) لقب عكاشة المعروف بين اهل الطريقة العيساوية مقتبس من الصحابي سيدنا عكاشة ابن محصن فانه لما بشره النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة رقص لذلك واهتز فرحا قالو ان اهتزازا في تلك الآونة هو الذي تشبه به اهل الطريقة العيساوية واطلقوه على زعيم اهل الحضرة وسموه عكاشة هكذا سمعت من بعض الشيوخ الماضين والعهدة عليه والشيء الصحيح الوارد في كتب تراجم الاصحاب ككتاب الاستيعاب هو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لاصحابه « سبعون الفا من امتي يدخلون الجنة بدون حساب » وهم الذين لا يسترقون ولا يكتون ولا يتطيطرون وعلى ربه يتوكلون قال له عكاشة بن محصن يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال انت منهم ودعا له فقام رجل آخر - وكان من المنافقين - وقال يا رسول الله ادع الله ان يجعلني منهم فقال له « سبقك بها عكاشة » ولولا نفاقه لدعا له لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يكاد يمنع شيئا يساله اذا قدر عليه ومن هذه الحكاية الواقعية ترى وان عبارة « سبقك بها عكاشة » التي جرت مجرى الامثال الخالدة هي من مبتكرات النبوة فما احسن وقها عند وضعها بمحلها

اعظم مشروع للإسعاف العام الجمعية الخيرية الاسلامية بتونس

فهل هي آخذة لحظها من غناية التونسيين؟

الجمعية الخيرية بتونس مؤسسة عظيمة اقيمت لغرض من اشرف الاغراض وانفسها ، وهو مد يد الاعانة للمحتاجين المنكوبين ، خصوصا اصحاب العائلات الذين مدت عليهم الفاقة اجنحتها واناخت عليهم بكل كلها فاصبحوا عاجزين عن القيام باود حياتهم وحياة من تحت كفالتهم . من نساء عاجزات واطفال صغار وكان الحياء يمنعه من ان يتكففوا الناس ويمدوا ايديهم لاعطاء حمارا ، فقامت الجمعية الخيرية لاسعاف مثل هذا النوع بالخصوص ، حتى تجمع لهم بين سد الضرورة وصون ماء الحياة . واي شيء يجب صونه مثل ماء الحياة ؟

وكان من جملة الاغراض التي استت لها الجمعية الخيرية تكوين ماجيا للاطفال الصغار تحفظهم فيه وتقوم بتربيتهم وتعليمهم واطعامهم واكسائهم ، ثم يبيتون فيه تحت اشرافها ، ثم تبقى محافظة عليهم حتى يقوى ساعدهم وبشد كاهلهم فعند ذلك يخرجون للمجتمع وهم رجال مثقفون اصحاء العقول والاجسام .

ومن اجل ذلك لم تقتصر الجمعية الخيرية على مد يد الاعانة للفقراء ، بل است مدرسة ابتدائية على نمط المدارس القرآنية - التي تحدثنا عنها وعن فوائدها في افتتاحية العدد الماضي - ليتعلم فيها الاطفال الموضوعون تحت كفالتها ، ثم وسعت في نطاق هاته المدرسة فقبلت فيها عدة تلامذة احرار اقبلوا على التعلم فيها لحسن نظامها ، وظهور اتاجها ، وكانت نعم المنقذ لعدة تلامذة وقع رقبهم من المدارس الدولية لتجاوزهم للسن القانوني المفروض على من يريد الدخول في سلك المتعلمين بها ، وبذلك حفظ مستقبل عدة شبان اذكاء ، اولاهها لحاب فيهم الامل ، وحشروا مع العمل

وقد ظهرت نتائج الجمعية الخيرية ظورا واضحا لا يمتري فيه احد سواء من ناحية الاسعاف ، ام من ناحية كفالة الاطفال ، ام من ناحية التعليم ، ولولا النهي عن اتباع الصدقة بالاذى لذكرنا عدة افراد اشتهرت الجمعية الخيرية من الهلاك ، ومدت لهم يد المساعدة حتى صاروا من الافراد الذين يزينون المجتمع التونسي في هذا اليوم ، والذين لا نشك في ان الواجب يفرض عليهم ان يمدوا لها بدورهم يد المساعدة ، وان يكونوا لها اعوانا صادقين ، ودعاة امانه

ان الملوك اذا ما استيسروا ذكروا من كان بالفهم في المنزل الحسن

ولم تكنف الجمعية الخيرية بهذا العمل الجليل بل ارادت ان تشارك في الاسعاف بصورة اعم

واشمل ، فاسست من منذ خمسة اعوام مطعما شعبيا يتناول منه الفقراء الطعام بثمن بخس - وهو نصف فرنك - وقد انتفع من ذلك على الخصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم
هذه الجمعية الخيرية ، وتلك اثارها الباهرة ، وتائجها الظاهرة ، فما هو حظها في نظر التونسيين ؟ وهل هم قائمون بالواجب عليهم نحوها ؟ حتى يمكن لها الاستمرار على القيام بما تاسست لاجله من ناحية ، وحتى يمكن لها ان تتوسع في طرق الاسعاف من ناحية اخرى
وسنتترك الجواب عن هذا السؤال لحضرة رئيسها الماجد الهمام الشيخ السيد البشير معاوية ، الذي قام باعبائها - والحق يقال - قيام الرجل الحكيم ، وحنى عليها حنو الممرضعات على الفطيم ، ولم يشغله عنها واجبه القضائي الشديد المراس

فقد سمعنا من هذا الرئيس الفاضل خطبا اذاعه في الراديو عشية يوم الجمعة ٧ صفر ٨ افريل المنصرمين ، ندد فيه على التونسيين الذين لم يقوموا بالواجب نحو مشروع يجب على جميع الناس ان يلتفتوا حوله ويمدوا له يد المساعدة كل على حسب طاقته ، وقد ذكر ان عدد الاطفال الذين هم الآن في كفالة الجمعية الخيرية مائة وخمسون ، وهي توشك ان تصبح عاجزة عن القيام بشؤونهم وعن الاستمرار على مشاريعها الاسعافية التي فصاها طالعة هذا الفصل بسبب ضعف حالتها المالية ، ثم تعرض لموارد الجمعية وذكر انها تتكون من الاعانة الدولية ومن بعض الاحباس ومن امسوال الزكاة ومن صدقات بعض المحسنين ومن الاشتراكات ، ولما ذكر (الاشتراكات) اطنب فيها القول ، فذكر ان الاشتراك في الجمعية الخيرية مقداره زهيد جدا وهو فرنكان في الشهر ، وقد عين بهذا المقدار الطفيف حتى يكون جميع الناس قادرين على التحمل به من غير ادنى كلفة ، لان فرنكين في الشهر لا يتقلان حتى على فقراء الناس فضلا عن اصحاب اليسار منهم ، واذا فرضنا ان يكون عدد المشتركين في الحاضرة فقط مائة الف : فيكون مدخول الجمعية من الاشتراكات في الشهر مائتي الف فرنك - اي مليونين واربعمئة الف فرنك في العام - ولكن اتعلمون ما هو مدخول الجمعية من الاشتراكات فعلا ؟ ان مدخولها من ذلك عشرون الف فرنك لا في الشهر بل في العام ، اليس هذا امرا موجبا للخجل والاسف في وقت واحد ؟ اليس في هذا دليل على ان التونسيين لم يعاملوا هذا المشروع بما يجب له من الاهتمام والاعانة ؟ ثم استمر في هذا العتاب المر ببارات كلها صدق واخلاص نحو المشروع الذي خصص حياته لاجله ، والذي يشعر اكثر من كل احد بان الخطر اخذ يهدده : وبان اختلال الميزان يكاد يقضي عليه

ولقد حصل لنا تأثر شديد من هذا الخطاب ، واشفاق على هذا المشروع الذي ان لم يقع تداركه بسرعة فانه ايل للاحالة للاضمحلال ، لاسيما في هذه الايام التي ارتفعت فيها الائمان بصورة فاحشة فاذا لم يقف التونسيون وقفة رجل واحد لاتقاذه فانه سيضمحل في امد قريب لا قدر الله

لذلك فانا نتوجه الى ابناء وطننا الكرام ، راجين منهم ان يهتموا بهذا المشروع اهتماما عظيما وان يسارعوا بالاشتراك فيه ، وان يقوم كل منهم بدعاية لانقاذ هذا المشروع بين اقاربه واصدقائه حتى يتوفر في وقت قريب مقدار عظيم من المال تنعش به الجمعية الخيرية ويشد به ساعدها في هذا العام العصيب ، فافضل عمل يقدمه الانسان بين يديه هو الصدقة ، التي جعلها الله تعالى كقرض يقدمه الانسان اليه ، ووعده عليها بمضاعفة الجزاء في ايات كثيرة من كتابه العزيز منها قوله تعالى (ان تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم) وقال النبي صلى الله عليه وسلم (الخلق عيال الله ، واحبهم الى الله اشفقهم بعباله)

هذا وان لنا اقتراحين نقدمهما الى مجلس الجمعية الخيرية مدفوعين في تقديمهما بوازع الاخلاص لهذا المشروع العظيم ولعله ينتج عن العمل بهما خير كثير

الاقتراح الاول - ان تستأذن الجمعية من الحكومة في القيام باكتتاب عام بعنوان (انقاذ الجمعية الخيرية) ، ثم تقع له الدعاية الكافية في الصحف وبالمسامرات وبجميع طرق الاشهار ، من غير ان يكون على طريق اليانصيب او غيره من الوجوه غير المشروعة ، ثم يعين رجال يجمعون بين الحزم والامانة فيقومون بجمع المال من الناس ، فيحصل بذلك - ان شاء الله - خير كثير ، ولعل احسن صورة لتنفيذ هذا الاكتتاب هي ان يعين يوم بعنوان (يوم الخيرية) ويعين المقدار الذي يؤخذ من كل فرد - وهو فرنك او فرنكان مثلا - ثم يقع جمع المال بهذه الصورة من عموم الناس

الاقتراح الثاني - هو تنظيم امر الاشتراكات بكيفية مضبوطة ومدققة من حيث التعميم ومن حيث قبض مقدار الاشتراكات ، حيث قد ظهر لي بعد التمتع ان كثيرا من الناس لم تطلب منهم الجمعية الاشتراك فيها ، مع انهم مستعدون غاية الاستعداد للاشتراك ، بحيث لو خوطبوا في ذلك لما بخلوا ، كما ان كثيرا من المشتركين لا يذهب اليهم الخلاص عدة اشهر فاذا تجمع عليهم مقدار كثير ثقل عليهم الوفاء . وهناك حقيقة واقعية لا سبيل لانكارها وهي ان غالب الناس لا يعطون - حتى المقدار القليل - الا بعد الطلب والالحاح فيه .

لذلك فانا اقترح على مجلس الجمعية ان يكون اولا تجاردها اسماء جميع السكان مع عناوينهم . ثم ينتخب عدة افراد ويكلفهم قبض المال بانتظام تام ، بحيث يشكف كل واحد بخمسمائة مشترك مثلا يوزعونهم على الشوارع توزيعا منظما ، وتنتخب الجمعية افرادا يقومون بوظيفة الرقابة على هؤلاء الخلاصة وتعين لهم على ذلك اجورا وافرة ، لان الانسان لا يعمل بدون اجر كما هو الواقع ، وتخصص كتابا للقيام بمحاسبة هؤلاء الخلاصة في كل يوم ، وبمجرد ما يظهر التقاعس من فرد منهم فانها تبعده وتعوضه بغيره ، واعتقد انه اذا تنظم امر الاشتراكات بهذا الاسلوب فانه يتكون منها دخل وافر للجمعية ولا تخشى الفاقة بعد ذلك ابدا بحول الله

واني رغما عما عرفه في رجال مجلس الجمعية الخيرية وخصوصا رئيسهم الفاضل من الصدق والحزم والخبرة فاني لم ارماعا من تقديم هذين الاقتراحين بصفة تذكير لا بصفة ارشاد ، وان كانت اعمالهم ومقرراتهم لا تخرج دائما عن دائرة السداد .

واعيد قبل الانتهاء توجيه النداء لعموم التونسيين بان يقدرُوا مشروع الجمعية الخيرية حق قدره ، ويقصدوا - ولا سيما اصحاب اليسار منهم - في بعض ملذاتهم ويعطوا ما يقتصدونه للجمعية الخيرية حتى يعود لها ازدهارها ونضارتها ، وحتى تستمر على اغاثة فقرائنا ، وكفالة ايتامنا في اوسع نطاق ، والله الموفق لما فيه الرشاد ، والهادي الى طرق السداد .

محمد المختار بن محمود

حول تأسيس المدارس القراءانية

نشرنا في افتتاحية العدد السابق مقالة عن المدارس القراءانية وتاريخ تأسيسها . ألمنا فيه بتاريخ التأسيس باختصار واشرنا الى ما لحضرة الشيخ الوقور السيد خير الله بن مصطفى . من الأعمال القيمة لانجاز ذلك المشروع وابرازه لوجوده . وقد افتتأثر بنشر ذلك رسالة لطيفة من حضرة المؤسس المذكور تعرض فيها لبسط بعض تفصيلات حول فكرة التأسيس وبسط ما وقع اجماله مما لم نطلع عليه ونحن انتماماً للفاودة نشر هاته الرسالة شاكرين فضل مرسلها الهام على اعتناؤه بهذا المشروع اولاً وءاخراً . ونرجو منه ان يجعل هذا التحقيق الذي ارسله كعربون لفصول نشرها له من بعد يكشف فيها اللثام عن بعض الحقائق التي لا يعرفها الا هو وامثاله ممن مارسوا العمل في هاته البلاد من فجر هذا القرن واليك نص الرسالة المشار اليها

ابني الاعز الشيخ سيدي محمد المختار بن محمود دامت عافيته وسعاده ، اما بعد اتم التحية فاني اطلمت بالعدد الاخير للمجلة الزبونية على مقالتهكم الافتتاحية في المدارس القراءانية فلاح لي وجوب مراجعتكم فيما يخص تاريخ التأسيس احتراماً وحفظاً للحقيقة التاريخية

ان فكرة اصلاح التعليم الابتدائي العربي خمرت عقلي منذ كنت معلماً بفرع المدرسة العلوية فحاولت تطبيق المبادي البدائية على تعليم القراءة والكتابة في كتيب سميت به « معين الصبي على تعلم القراءة والكتابة باللسان العربي » - وسلمته الى مدير المعارف في التاريخ الماسوف عليه لوزير ماشويل فاستحسنه وابقاه عنده ولما سافر لقضاء الراحة الصيفية بفرانسا طبعه بالمطبعة الحجزية بخط يده ثم وزعه على المدارس الدولية فظهر فضله على الاسلوب العتيق

فاخذت اتحدث في المجالس على وجوب اصلاح التعليم الابتدائي بالكتاتيب ولكن سرعان ما حصل لي اليقين بانه يصعب بل يستحيل ادخال اي تحسين بها لاسباب مختلفة منها ما يتعلق باستعداد جل المؤدين ومنها ما هو خاص ببيئة الكتاب واختلاف درجات المتعلمين

فعمزت على تأسيس مدرسة خاصة يتبع فيها برامج واساليب ابتكرتها باعانة صديقي سيدي العزيز الحيويني ذي الثقافة المتسعة والآراء السديدة

فوجهت الى جناب الكاتب العام في التاريخ الماسوف عليه (روى) وقررت له فكري والتمست منه الاعانة فكان يصغي ولا يبدي استحياساً ولا انكاراً وغاية ما حصلت عليه الوعد بالنظر

وبعد قليل وجه لي بطاقة بخط يده يستدعيني لمقابلة البرون دانتوار المعتمد بالسفارة فاجبت الدعوة وقررت فكري باطناب مع بيان ما اخاله ينتج من الفائدة لمواطني وللدولة الحامية فكان جوابه ان سألني : هل انت من رجال العمل ام من المفكرين فقط ؟ فقلت له : « لا يليق باحد ان يحتقر

نفسه « فاشار علي بالمفاهمة مع رئيس جمعية الاوقاف في شان اعانة مالية لابرار الفكرة في اقرب وقت من حيز النظر الى حيز العمل .

فتوجهت الى الجمعية ووجدت رئيسها سيدي البشير صفر تغمدة الله برحماته - على علم من المسألة وهو يرعد ويرق خوفا على اموال الاوقاف من الضياع ويهددني بسوء العاقبة في الدارين اذا تماديت على فكري هذا وقد كنت ملازما للسكوت لما كان بيني وبينه من الاخوة الصداقة المبنية على الاحترام والاخلاص من طرفي وعلى الود من طرفه ولعلمي متانة وطنيته وتيقني انه لم يتصور مرمى المشروع وانه متى تصوره لا يلبث ان يمد اليه يد المساعدة قلبا وقالبا .

خرجت من الجمعية بخفي حنين غير غضبان وغير آيس من رجوع الرئيس الى الصواب طال الزمان او قصر .

وما كان غير بعيد حتى ارسل الي من اعلمني باستعدادة لدفع كراء المحل عدد ٥٨ من نهج سيدي ابن عروس وثمان تائشه ومرتب معلم اللغة الفرنسية

فاتتبت لادارة المدرسة السيد محمد صفر من حذاق متخرجي المدرسة التاديبية الذي عمل بنشاط واقطاع لنجاح المؤسسة وله الفضل وحده في بث الفكرة بواسطة من تمرن بمدرسته على تطبيق الطريقة الجديدة وايضا بواسطة ما الفه من الكتب الابتدائية المفيدة

فتحت المدرسة يوم ١٤ شوال عام ١٣٢٤ فاقبلت التلاميذ من سائر الطبقات ووقع توزيعهم على الاقسام بالاختبار وشرعت في لقاء الدروس بنفسي لتدريب المعلمين على تنفيذ البرنامج واستعمال الاسلوب المبتكر

هذا وقد سافر سيدي البشير صفر الى مصر ويوم رجوعه كنت في مقدمة من وفد لتهنئته بسلامة القدوم وبمجرد نزوله من الباخرة اقبل علي وجذبي اليه وقبلني يمينا وشمالا وقال لي باعلى صوته : « سر في طريقك فاني من اليوم في اعانتك بجميع ما في وسعي لاني رايت الكتابيب بالقاهرة واقسم انها دون مشروعك بمراحل »

فبادرت الى استثمار هذه العاطفة الجديدة وعرضت عليه تأسيس مجلس يتولى البحث عن وسائل التحسين فاستصوب الفكرة وقبل برئاسة المجلس الذي تركب ممن ارتضاة من بعض الاعيان فاجتمع المجلس مرة اولى للاطلاع على ماموريته ثم اجتمع ثانيا لتبادل الافكار في شانها فما راينا الا ان راينا احد الاعضاء وكان من اهل العلم قدم لنا تقريرا ضافيا سطر فيه برنامجا جديدا للمدرسة احتوى على جميع مبادي العلوم من دينية وعصرية والفنون وبعض الصنائع وعند فراغ الشيخ رحمه الله من سرد تقريره اقتصر الرئيس على وعدة بالنظر ولم يجتمع المجلس بعد

هذا ما رايت من واجبي عرضه عليكم لاعلامكم وقراء المجلة بحقيقة تاريخ تأسيس المدرسة القراءانية العصرية

والسلام من ودودكم معظمكم خير الله بن مصطفى لطف الله به في ١١ صفر ١٣٥٧

سهولة الحج الى البلاد المقدسة

ان فريضة الحج المقدسة لا يحتاج الكاتب في تقريرها الى بيان مفصل يسد في الأدلة والبراهين ولكنه امر مفروغ منه - انما الذي يحتاج الكاتب الى بحثه هو ناحية هامة من نواحي البحث في وسائل هذه الفريضة واركانها هذه الناحية هي مسألة الامن واستتبابه وما يتعلق بهذا من الصحة والرفاهية وسهولة طلبات الحاج في مدة اقامته بالحجاز - فالمفروض ذهنيا نظرا لخلو بقاع الحج من وسائل الحضارة الحديثة ان الحاج لا بد ان يلقى المشاكل والعراقيل في سبيل اداء مهمته الدينية المقدسة وهذا الفرض ككل فرض جدي لا يصعب علينا تفنيده لانه لا يستند على حقيقة من واقع او من منطق - فاتهام هذه البلاد بانها تخلو من وسائل الحضارة الحديثة اتهم لهذه الحضارة نفسها بانها بطيئة السير او عاجزة عن ولوج بلاد يكنفها بحران البحر الاحمر من غربها والمحيط الهندي من شرقها وهي قبل هذا وبعده بلاد مطروقة سنويا ولا بد ان يستمر طروقها الى مدى الدهر وهذه الفكرة وحدها كفيلة بحمل ولاية امورها على ايجاد ما يجب وجوده فيها من ناحية رفاهية القادمين

اضف الى كل هذا جهود هذه الاقئدة من الناس التي تهوي اليها من شتى اقطار الارض المكتنزة بالحضارات - فلهذا كله يكتفي المرء البعيد عن هذه البلاد بالحكم لاول وهلة انها آهلة بوسائل الراحة والرفاهية

نحن سكان هذه البلاد المقدسة نشعر قبل كل احد بتحول حالة بلادنا العمرانية في مدى عشر سنوات او اقل تحولا ملموسا في شتى المرافق والنواحي - اذ ترى السيارات على اختلاف انواعها الجيدة تشق قفار الحجاز قبل مدنه - وفيضان مياه العيون والآبار في كل بقعة من بقاعه - وتعداد نشاط دور الاستشفاء المجهزة بآلات العلاج وعقاقيره وكل لوازمه على طول الطرق من جدة الى مكة فعرقات وهكذا في طول طريق المدينة علاوة على الفنادق المجهزة بكل وسائل الراحة لراحة الحجاج في مختلف الطرقات

هذه لمحة موجزة ألممت فيها ببعض ما يهم المسلمين الوقوف عليه في الحرمين الشريفين - وأما حالة الامن واستقراره فليسال عنه كل من زار الحجاز من الوافدين فانهم شهود صادقون وسيحدثونك ايا القاريء عن كل ما لمسوه من كل ما ذكرناه آنفا

مكة المكرمة الفقير الى ربه تعالى : محمد طاهر الطيب

العاطفة في الأدب العربي

هي المحاضرة التي القاها الاديب النابغ السيد
احمد بن المختار الوزير في قاعة المحاضرات بقصر
الجمعيات تحت اشراف هيئة التعليم العربي العمومي

« ٤ »

تنوع العاطفة

واود ان أتبع ما سبق لنا من قول في تعريف العاطفة الادية وبيان صدقها، وقوة تأثيرها بهذا
النصل، وقد خصصته لدرس ناحية اخرى للعاطفة، خصصت هذه المرحلة لدرس تنوع العاطفة وتفاوت
مراتبها في الرفعة والانحطاط، والنقاد المحدثون لا يختلفون في تنوع العاطفة وترتيبها حسب درجاتها
المتفاوتة، فمنها السامي النبيل، ومنها الداني الحقير، ومنها الخير، ومنها الشرير، منها العابد الناسك، ومنها
الفاجر الفاتك، ومن الطبيعي ان يتفق النقاد وان يجتمع رأيهم على صحة هذا التقسيم والترتيب، والا
فهل يجوز ان تتحد عاطفة نبيلة تثير الخير وتدعو ملحة الى الاخاء والتعاون والسلام بعاطفة اخرى
تقدس زناد الشر وتحرص على القطيعة الصارمة والتناكر البغيض؟ وهل يمكن ان تساوي بين عاطفة
الكرم السخي في عامة صورة وبين عاطفة البخل الضنين في اضييق صورة

والادب في هذا يساير علم النفس الى حد بعيد، وعلماء النفس يضعون عاطفة الدين في اسمى
درجات الرقي، ويضعون بعدها عاطفة الخلق الفاضل النبيل، وبعد هذه وتلك تاتي عاطفة محبة الجمال
ثم ما شئت من العواطف الاجتماعية والقومية

وفي درس النقد الادبي تتلقات كل هذه الانواع على ما بينها من تفاوت في الترتيب، وعلى ماهي
عليه من التصاعد العالي في مدارج الرفعة، ومراقي الكمال، وخليق بناها هنا ان تبادر بذكر امثلة
منوعة نوضح بها ما نقول، فمن غرر القصائد الدينية واصدقها هذا القصيدة من شعر حسان بن ثابت
يفاخز وفد تميم بقوم النبي صلى الله عليه وسلم، اذ يقول :

ان الدوائب من فهر واخوتهم	قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته	تقوى الاله، وبالامر الذي شرعوا
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم	او حاولوا النفع في اشياهم نفعا
سجية تلك فيهم غير محدثة	ان الخلائق، فاعلم شرها البدع
ان كان في الناس سباقون بعدهم	فكل سبق، لادنى سبقهم تبع

اعفة ذكرت في الوحي عفتهم لا بطمعون. ولا يزري بهم طمع
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم وان اصابوا فلا خور. ولا جزع

وحسان معروف بريق عاطفته الدينية، معروف باخلاصه الشديد لعقيدته الجديدة، ولولا ذلك ما كان يستطيع مقاومة الشعراء في مكة. ولقد علم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك منه، وعلم ما للشعر من الاثر العظيم في نفوس قريش، فحين تصدى شعراء مكة لهجوة وابطال ما جاءهم به من دعوات الحق والهدى والخير، قال النبي عليه السلام ما يمنع القوم الذين نصرنا رسول الله بسلاحهم ان يناصروه بالسنتهم، فقال له حسان وقد احس بعاصفة ثائرة طاغية متعردة، تغلج في قرارة نفسه، وتنشئ متراوحة في جنبات صدره، انالها، واخذ بطرف لسانه قائلاً: والله ما يسرني به مقول بين بصرى وصنعاء، ومن كلام النبوة في تحريضه وتأييده، شن الغارة على بني عبد مناف، فوالله لشعرك اشد عليهم من وقع الحسام في غلس الظلام، وقد كان حقاً ما قالته النبوة، فشعر حسان الصادح بمفاخر النبي وصحابته، المسادح لدينه، المؤيد لدعوته، اذاق المشركين في مكة وخاصة تلك الفئة الهاجية للرسول، المهجنة لدعوته، مرارة آلام طاولا يتقلبون من ضرها على النار المتضربة، اللاذعة، وما كانوا على احتمالها من الصابرين.

وحسبي ما تحدثت به اليكم عن العاطفة الدينية في هذا القصيد، ويسير جدا ان يجد الباحث امثلة اخرى تصور مكنون المشاعر الدينية، وتحدث عن خفاياها الغامضة، على اننا جميعاً ما زلنا نتظر بشوق النتائج القيمة التي سينتهي اليها الباحثون الذين خصصوا كل ما في وسعهم من المجهود المدخر لدرس العاطفة الدينية التي لعبت ادواراً خطيرة جداً في تاريخ البشرية، من عهود غابرة وازمنة دائرة واغلب الظن ان الادب هو الذي سيكون موضع عنايتهم وهو ما سيكون مادة دروسهم وبحوثهم ومنه يستنبطون ما يعين لهم استنباطه من النتائج والآراء الصحيحة الثابتة

ومن امثلة العاطفة الخلقية اللامعة الاشراف الخاطفة الضياء الملهمة الفضائل، هذه الايات من شعر «معن بن اوس» التي قالها مترقفا بالمسيء، ملاطفاً من ثقلت عليه وطأة ذنوبه وآثامه، مقتفراً اوزار لثيم كاشح، وماكر قادم، اذ يقول:

وذي رحم قلت اظفار ضغفه بخلي عنه وهو ليس له حلم
يحاول رغمي لا يحاول غيرة وكلمت عندي، ان يحل به الرغم
فان اعف عنه، اغض عينا على قذى وليس له بالصفح عن ذنبه علم
وان انتصر منه اكن مثل راءش سهام عدو يستهائز به العظم
صبرت على ما كان بيني وبينه وما تستوي حرب الاقارب والسلم
ويشتم عرضي، في المغيب جاهداً وليس له عندي هوان ولا شتم

إذا سمته وصل القرابة سامني
قطيعتها . تلك السفاهة والاثم
ويسعى إذا ابني ليهدم صالحي
وليس الذي بيني . كمن شأنه الهدم
يود لو اني . معدم ذو خصاصة
واكره جهدي ان يخالطه العدم
ويعتد غنما في الحوادث نكبتني
وما انت له فيها سناء ولا غنم
فما زلت في لبني له وتعطفى .
عليه . كما تحنو على الولد الام
وحفزي له مني الجناح تألفا
لتدنيه مني القرابة . والرحم

من لنا بشاعر كمعن بن اوس . يسمو بارواحنا ويخلق بها في آفاق بعيدة عن دنيا الرذائل
وشرور الآثام . بعيدة عن سفاهة الفساد وظلمات المكر والخداع . بعيدة عن شرارة الطمع وجوعات
الشهوة النافرة . وعن ضلال الاحقاد والفتن الطاحنة الباغية .

من لنا بشاعر كمعن بن اوس نقاح بالخيرات ينعش الارواح باعطار الفضيلة . والطهر والعفاف .
وينير غاشية القلوب . وغاشية الابصار .

من لنا بشاعر كمعن بن اوس . تهذب نفسه الشاعرة بالوحي الحكيم . وتكاملت فضائل روحه
العبقري بالدين . فنشأت في اعماق قلبه هذه العاطفة الخلقية في اقدس مثلها العالية السامية . عاطفة
محبة الانسان لانه انسان . فاصبح لا يود له الا الخير . ولا يريد له الا السلام وبعد فليس لنا من
سبيل ونحن ندرس العاطفة في الادب العربي . وندرس بوجه خاص هذه العاطفة الخلقية التي اظهرت
امامكم من تقديسها واجلالها وتمجيدها ما كاد يخرج بي الي مقام الوعظ والارشاد ويبعدني
عن النقد وعن حديث النقاد . كاني قد نسيت تلك القضية التي اشتد فيها النزاع الى ابعد حد . واشتدت
فيها الخصومة الى ابعد حد كاني قد نسيت تلك القضية التي كانت تشغل العقول من عهد بعيد وما زالت
تشغل العقول الي هذا اليوم الاخير . كاني قد نسيت ما بين النقاد من الاختلاف العظيم في تحديد
الصلة بين الفضيلة والادب . وفي الحق انكم ايها السادة تعلمون من تفصيل ذلكم الاختلاف وادلة
المتخالفين . مثل ما اعلم . ومع ذلك فقد يضطري الوفاء للموضوع وبطالبي ملحا بذكر جملة المذاهب
في شيء من الاجمال تسمحون به .

ومهما يكن من شيء فقد انقسم النقاد القدماء والمحدثون امام هذه القضية الادبية الاخلاقية
القديمة الجديدة الى طائفتين وان شئت الى طوائف ثلاث . طائفة تجل الفضيلة وتجعلها مقياسا
لرقي الادب وانحطاطه فالادب الذي يناصر الفضائل ويمجدها ويكبرها اكبارا ويشير
عواطف الخير في الانسان هو الادب السامي النبيل . والادب الذي لا يحرص على الفضيلة ولا يقيم
لها وزنا وانما يشير مشاعر الشر والفجور ويتهاقت على دنيا الرذائل تهافتا صريحا هو الادب
الساقط النازل .

وطائفة اخرى تمنح الادب الحرية الكاملة المطابقة في التعبير والتصوير . لانه فن . والفن لا تظهر ميزاته الا اذا اتسعت حدود آفاقه وامتدت طروح مراميه . فالاديب له ان يتحدث بما شاء وكيف شاء عن الخير وعن الشر . عن الفضيلة وعن الرذيلة . وليس عليه في نظر هؤلاء ان يراعي حقوق الاخلاق والتقاليد الصالحة المرضية . كما ان الفن ليس عايمه ان يحافظ على المبادئ الاخلاقية مهما كانت . عظيمة . محترمة . مقدسة .

وهناك طائفة اخرى ثالثة . تحرص على الفضيلة . وتحرص على حرية الادب والفن . تجل الفضيلة وتحترم الاخلاق . وتجل حرية الادب . وتحترم حرية الفن في ابعاد حدودها . واقصى مراميا . وهذه الطائفة للمتوسطة بحسب الظاهر . المتطرفة على التحقيق . انما تطالب الاديب بشيء واحد تطالبه بصدق التعبير والتصوير . وهي تقول . يكفي ان يصور لنا الشاعر او الناصر تصويرا قويا حادا الرذيلة وما قد جناه من اضرارها وما قد لحقه من آلام ويلاتها المنكرة وكوارثها الفادحة الجارحة . ففي هذا التصوير مانع اي مانع للنفوس من التعلق بالردائل بل في هذا التصوير اخاد للنزعات الشريرة المركبة في طبع الانسان وما في هذا الراي من الاعتدال الظاهر وحسن التعليل قد يجعله مقبولا الى حد ما مؤيدا الى حد ما .

ولست ادري كيف اصف لحضراتكم هذه الحيرة التي اجدها في نفسي وانا انظر الى هذه القضية من بعيد ومن قريب ، انظر اليها وانا اردد اسئلة مملوءة بالحيرة والريب المريب

وهكذا مازلت اقول هل عجزت الحياة عن مناصرة الخير ؟ هل تخاذلت فلم تقو بعد على تأييد الفضيلة ؟ ثم هل ضعفت الانسانية فتعاضم خوقها من اشباح الشر ، ومن الفن ان يهدم بمعول حريته ركن الاخلاق الفاضلة ، وقد شيدت دعائمه على اسس الاديان والتقاليد الصالحة المحترمة ؟ مازلت اردد هذه الاسئلة وكلها حاولت تكوين راي صريح اعتد به واطمئن اليه شعرت بالحيرة تساورني من جديد وتعاضم الشك في نفسي من جديد وهكذا سينتهي حديثي بينكم ولا اكاد اصارحكم بشيء اثق به او اطمئن اليه وما دام الخلاف في هذه القضية وليد القرن الثالث او الرابع قبل الميلاد فمن الخير ان يعنى به المولعون بالبحث في القضايا الانسانية التي سيطول الزمن ويبعد العهد ويمتد ، وهي مازالت جديدة الحدوث والخصومة ، كما كانت من قبل جديدة الحدوث والخصومة

وأما عاطفة حبة الجمال والتغنى بملاحة الجميل ، فكثيرة جدا مظاهر ذلك في الشعر العربي كثرة مطلقة لا يدركها التحصيل ، ولا يحيط بها الحصر ، ولست مبالغا في شيء اذا ما قلت ان هذه العاطفة كانت تلتهم التهايا في قلوب عامة ادباء العرب ، فمعظمهم حام حول الجمال . وتهافت عليه وأحبه حبا صريحا عنيفا حادا وتغنى به ، وقد اعذر بينكم ان لم اذكر لهذه العاطفة غير مثال واحد لشاعر سحره جما . نجد ، فقال يصفه وصفا جامعا لكل مظهر من مظاهره المملوءة بفتنة البادية ،

وسحرها المحبوب ، لعل اعذر بينكم ، ولولا ضيق الزمن الذي اخشاه وانوقعه ، لما اكتفيت بهذه
الابيات القلائل ،

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
الا يا حبذا نفحات نجد ورثا روضه غب القطار
وعيشك . اذ يحل القوم نجدا وانت على زمانك غير زاري
شهور يقضين وما شعرنا بانصاف لهن ولا سرار
فاما ليلهن فخير ليل وأقصر ما يكون من النهار

وسأترك الشعر يتحدث اليكم بما فيه من عاطفة الاعجاب والدهشة والحب الصحيح لكل شيء
في نجد وسأنتقل بكم بعد هذا الى ذكر آخر مثال لهذه الالوان العاطفية . وهو مثال العاطفة القومية
وسأختار هذا المثال من النابغة الذبياني . والنقاد المحدثون يعنون عناية فائقة تامة بشعر النابغة الدال
على شدة اخلاصه ووفرة حبه لقومه ، اذا كان النابغة لا يشغله المدح والهجاء . عن شؤون البادية . وما
كانت تشتمل عليه حياة القوم يومذاك من حركات الحرب . وسكنات الصلح . وعقد عهود التحالف .
ومدرايات الاحتماء . كان النابغة اذن يلاحظ بكل دقة تقلبات الحياة الجاهلية وكان يخشى او قل
يشفق ان يصح هذا التعبير ان تنال الاحداث الكارثة قبيلة ذبيان بشيء من مكروه الاذى والضرر
فاستمعوا له يدي خالص نصحه لقومه ويحذروهم من حرب التعمان وشره اذ قد ابوا الاحتماء
بحمايته في وادي ذي اقر فذكروهم بهذا القصيد بما قد تتأذى منه الحرائر من ارهاق الاسر وصغار
الغلبة وظلم الجائرين .

لقد نيت بني ذبيان عن « اقر » وعن تربهم في كل اصفار
فقات يا قوم ان الليث من قبض على برائته للعدوة الضاري
لا اعرقن ربنا حورا مدامها مردفات على اعقاب اكوار
خلف المضاريط لا يوقين فاحشة مستمسكات باقتاب واكدار
يد ين دما على الاشفار منحدر يأملن رحلة حصن وابن سيار
وعيرتي بنو ذبيان خشيتهم وهل علي بان اخشاك من عار

الى هنا ينتهي حديثي عن العاطفة في الادب العربي . ولعل في غناء عن التماس المعاذير من
حضر انكم ايها السادة . اذ ربما اجمت حيث يحمد البسط واختصرت حيث يحمد الاطناب . وربما
اكتفيت بوحى الاشارة والتلميح . اعتمادا على حسن تصرفكم في التاويل والتفسير . وربما فاتني التعرض
لشيء كان يحسن في التعرض له . واخيرا ربما قصرت عن بلوغ الغاية التي حاولت جهدي بلوغها فاذا

كان شيء من ذلك فلعل اعذر بينكم. ثم لعل اجد من اخلاص خاصة الادباء الحضور ما يتفضلون به علي من النصيح والارشاد الى مواضع النقص ومواطيء الضعف

واذنوا لي يا سادتي الفضلاء، ان اجعل خاتمة حديثي بينكم هذه الكلمة التي املتها علي صراحة شعوري بعاطفة طساغية، تعالج في سحيق من قرارة نفسي وتهتز سائرة في باطن من صميم قلبي، اسمحوا لي ان اجاهر بينكم بهذه الاصداء الهاتفة، والكلمات الصارخة، فخليق بمن توفر لدرس العاطفة في الادب العربي، ان يجعل نهاية حديثه بحث عاصفة راغية لا قرار لها الا في رجفات القلوب مهما كانت القلوب لاهية عابثة

اني - والله يعلم - من اخاص الداعين لتأييد هذه النهضة القومية المباركة، وليس يفتر عزمي، ولا اتخاذل في جهاتي بالدعوات الصادقة الى تأييدها، تأييدا مؤيدا بما شئت من قوة الاخلاص وقوة الايمان، مؤيدا بما شئت من قول وعمل، وبما شئت من روح فنية متوثبة ونفس طامحة راغبة، ولكنني اخشى كل الخشية واحذر كل الحذر، ان تكون نهضتنا هذه نهضة عرجاء قاصرة، وفي ذلك الضلال والويل، اخشى ان تكون نهضتنا عرجاء قاصرة ان لم تقدمها نهضة ادبية زاهرة عاطرة نقاحة منسقة فيها هزات الشعور، وفورات العاطفة، فيها نزعات الرغائب، وطموح الآمال، فيها الحداد العنيف الذي يشجينا ترديد انشاده وتسحرنا ارجاع نعماته، فيها قوة الحياة الكاملة، تلك القوة التي تستحسنا بتجربتها وتسوقنا بهديتها، وتنتهج بنا نهج الفلاح والخير

الا ان للادب سحرا سرمديا خطيرا في تاثيره على مزاج النفوس والعقول، وما كانت نهضات الامم والشعوب في الدنيا الا وليدة الادب الفياض

أليس الادباء هم عشاق الطبيعة، وعشاق الحياة، وعشاق الخلود، وعشاق الكمال، وعشاق الحرية المعاميد؟ اليس الادباء هم الذين احسنوا كل الاحسان لبني الانسان ففكوا الانسانية بسحر خيالهم وخواطهم وافكارهم ومشاعرهم من قيود الفباوة والجهل، وهم الذين حججوا عن الابصار والاسماع كل ما في الحياة العابسة، من غضاضة وهوان وهزيمة ومضض كربة؟ أليس الادباء هم الذين آمنوا وصدقوا، ثم آمنوا وصدقوا، بالترقي والكمال، وهم الذين اسكرتهم نشوة الطموح فتراموا على قدسية المثل العالية، وفتحوا للناظرين ابواب النعيم، قفاهت الرجاء، وشاع في القلوب بارق التاميل؟ واذا ما تمت رسالة الادب القيم، واجتازت الابصار والاسماع، وبافت الصميم من القلوب الحامدة، فايقظتها من غمرات سكونها، ونهبتها من غفلات قنورها، واسمعتها صوت الطبيعة الناطقة دائما بصادق الوحي، وصادق الالهام، فنهالك ستظهر في سعيها الجديد عزبة عظمى، وارادة صارمة لا تعرف التخاذل، والتردد، ولا تعرف التواني والتقصير، وامانة هذا الجيل للاجيال المقبلة هي رسالة

احمد المختار الوزير

الادب الخالد لانها رسالة، من القلب الى القلب

مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم

يجتمع لأول مرة بانضمام عدة افراد لعضائه الرسميين
لننظر في المطالب الزيتونية

—:—

ان قانون التعليم بجامع الزيتونة ادام الله عمرانه - المؤرخ يوم ٤ من ذي الحجة سنة ١٣٥١ الموافق ليوم ٣ مارس سنة ١٩٣٣ - احدث مجلسا جديدا بعنوان (مجلس الاصلاح) . وقد اقتضى الفصل ٦ من القانون المذكور ان هذا المجلس يتركب من وزير القلم والاستشارة بصفته رئيسا ومن شيخ الجامع الاعظم بصفته كاهية ومن شيعي الاسلام الحنفي والمالكي (وصدر امر علي فيما بعد ابطل عضوية شيعي الاسلام وعوضهما بمفتين حنفي ومالكي من المجلس الشرعي الاعلى بالحاضرة) ومن القاضيين الحنفي والمالكي . ومن مدير جمعية الاوقاف . ومن مدرسين من الرتبة الاولى احدهما حنفي والآخر مالكي يعينان لمدة ثلاثة اعوام مع امكان تجديد انتخابهما ومن متوظف مسلم من طرف الادارة العامة للداخلية (التي صارت للكتابة العامة حيث ابطلت الادارة الداخلية بالمرّة) وهؤلاء بصفة اعضاء . وقد حدد الفصلان ٨٥٧ مهمة هذا المجلس وترتيب عمله . حيث ذكرنا ان مهمة المجلس المذكور البحث عن الوسائل الصالحة لتنمية وتحسين التعليم بالجامع الاعظم وقرعوه . وانه لانجاز الغرض المذكور يعرض على الحكومة جميع الوسائل التي يراها مناسبة وينظر في المسائل التي تجيها عليه الحكومة ويؤدي رأيه فيها . كما اوجب الفصل ٩ انعقاد المجلس مرتين على الاقل اثناء كل سنة دراسية باستدعاء من رئيسه واعتبر الفصل ١٢ ان مقررات المجلس لها صبغة رسمية وانما يتوقف تنفيذها على موافقة المولى الوزير الاكبر . ومن العجيب ان هذا المجلس لم يقع عقده من يوم تأسيسه اي من منذ ستة اعوام . رغما عن الاسباب الكثيرة التي كانت توجب انعقاده . حتى كدنا نظن ان الحكومة قد عدلت عنه .

ثم من منذ عامين اخذت المطالب والاقتراحات تتوالى على الدولة من طرف جميع الهيئات بجامع الزيتونة . فلمشيخة تطالب بتنقيح عدة فصول اظهرت التجربة عدم صلاحيتها . والمدرسون يطالبون باحداث قانون كافل بحفظ حقوقهم التي اهلل القانون المشار اليه امرها رغما عن كونه تعرض لجميع الواجبات المفروضة عليهم . والمتطوعون والمحصلون يطالبون بالالتفات اليهم نظرا لاهمية مايقومون به من الاعمال . والتلامذة يطالبون بحفظ مستقبلهم وتقرير مميزات ذات قيمة لشهادات الجامع . وقد وقعت عدة مقابلات من طرف الهيئات المذكورة مع رجال الدولة سيما مع جناب المولى الوزير الاكبر او جناب المقيم العام او جناب الكاتب العام . وكانت دائما تقابل بالمواعيد المطمنة التي لاينقصها الا الانجاز . وتلقاء تلك المطالب المتوالي والمقابلات المتعددة قررت الدولة تكوين مجلس للنظر في تلك المطالب والبت فيها ليقع انجازها في وقت قريب بحول الله

وقد تكون هذا المجلس من اعضاء مجلس الاصلاح الرسميين وهي اول مرة يعقد فيها منذ تأسيسه مع انضمام افراد آخرين اليهم روعي في انتخابهم تمثيل كافة الهيئات التي يهمها امر التعليم بالجامع فانتخبت الدولة اثنين من كل طبقة من طبقات التدريس الاربعة بالجامع الاعظم احدهما حنفي والآخر مالكي ، واثنين من المتطوعين المباشرين للاقراء بالجامع كذلك ، واثنين من اعضاء المجلس الكبير ومستشار الحكومة التونسية وشيخ المدينة واحد المحامين . واسندت رئاسة المجلس لجناب وزير القلم والاستشارة الذي هو رئيس مجلس الاصلاح

ورغبة من الحكومة في اظهار اهتمامها بهذا المجلس ومقرراته فقد وقع افتتاحه بمحضر جناب المولى الوزير الاكبر و جناب المقيم العام و جناب الكاتب العام و جناب مدير الادار العامة والجهوية مع انباعم واعوانهم وقد انعقدت الجلسة الاولى لهذا المجلس على الساعة الثالثة من مساء يوم الاثنين في ٣ صفر وفي ٤ افريل بالقاعة الكبرى المعدة للاجتماعات الرسمية بدار الباي وقد جلس افرادها على الصورة الآتية

جلس في الوسط جناب المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة و جناب المقيم العام م . ارمان فيون ممثل الحكومة الفرنسية ، وعن يمينها فضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط المفتي المالكي بصفته استاذ مالكي بالجامع الاعظم ، والسيد محمد قاسم رئيس القسم الاول بصفته احد لاعضاء الرسميين لمجلس الاصلاح ، والسيد البشير البكري بصفته عضوا بالمجلس الكبير والشيخ محمد الزغواني المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح ، والشيخ الشاذلي بن القاضي المدرس الحنفي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم بصفته مدرسا وجلس عن يسارهما جناب وزير القلم والاستشارة الشيخ سيدي احمد بن الرايس بصفته رئيس مجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي احمد بن مراد المفتي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح وفضيلة الشيخ سيدي بلحسن النجار المفتي المالكي مثله و جناب شيخ المدينة السيد مصطفى صقر والسيد مصطفى الكعاك احد نبغاء المحامين بتونس ، والشيخ محمد المختار بن محمود المدرس الحنفي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم والشيخ التهامي الزهار المدرس المالكي من الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم

وجلس مقابلا لجناب المقيم العام جناب م . كارترون الوزير المفوض المعتمد بالسفارة الفرنسية والكاتب العام للدولة التونسية وجلس عن يمينه فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح الملقبي بصفته نائب رئيس مجلس الاصلاح م . وم . سوماتي مدير الادارة العامة والجهوية والشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح والسيد محمد سعد الله مدير جمعية الاوقاف مثله والشيخ الصادق المحرزى الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم مثله - والشيخ محمد الفاضل ابن عشور المدرس المالكي من الطبقة العليا بالجامع الاعظم . والشيخ احمد شلي المدرس الحنفي من

الطبقة الثالثة بالجامع الاعظم . وجلس عن يساره فضيلة الشيخ سيدي محمد دامر جي القاضي الحنفي بصفته عضوا رسميا بمجلس الاصلاح . وجناب السيد محمد بن الحوجه مستشار الحكومة التونسية والسيد الصادق التلاتي بصفته عضوا بالمجلس الكبير . والشيخ محمد الصالح بن مراد الاستاذ الحنفي بالجامع الاعظم . والشيخ معاوية التميمي المدرس المالكي من الطبقة الثانية بالجامع الاعظم . والشيخ الصادق ابو السرور المتطوع المالكي بالجامع الاعظم

وجلس في طرف المنضدة من اليسار الشيخ عبد العزيز بن شعبان المكلف بامور التعليم بالجامع الاعظم بالوزارة الكبرى بصفته كاتباً للجلسة . وعن يساره السيد محمود بن عثمان المترجم بالوزارة الكبرى بصفته معاوناً له

وتخلف عن الحضور الشيخ محمد النقاش المتطوع الحنفي بالجامع الاعظم السني طلب اعفائه من الحضور بهذا المجلس فوق تعويضه فيما بعد بزميله الشيخ علي التريكي

وقد وقع افتتاح الجلسة على الساعة الثالثة بالتدقيق بخطاب القاه جناب المقيم العام . ارماني قيون باللغة الفرنسية . وبعد ما انتهى منه تقدم الشيخ محمود المسعودي احد اعيان المنظوعين بالجامع الاعظم والحليفة المحقق بالوزارة الكبرى فاقى ترجمة ذلك الخطاب باللغة العربية وكان خطاباً رفيعاً من نوع الخطب العلمية الادبية تعرض فيه للثناء على الجامع الاعظم ومتخرجيه وما تسديه هاته الكلية العلمية الكبرى للمملكة التونسية من بث الثقافة الاسلامية وعلوم اللسان العربي . وذكر ان الحكومة مهتمة بامر هاته الكلية غاية الاهتمام وانها لا تزال تسعى لارضاء متخرجي هذا المعهد العظيم ، واطلب بالخصوص عند الكلام على مطالب المدرسين المتعاقبة باقرار حالتهم بصفة رسمية وضمان حقوقهم فذكر ان على المدرسين ان يقايصوا بين الحالة التي كانوا عليها سابقاً والحالة التي هم عليها اليوم فعند ذلك يظهر لهم شدة اعتناء الدولة بهم وحرصها على ارضائهم . وانهم لو نظروا الى حالتهم قبل عام ١٩١٤ وحالتهم الآن . والى حالة بقية المتوظفين قبل ذلك العام وبعده لظهر لهم ان حالتهم احسن نسبياً من حالة بقية المتوظفين . الخ

وبعد الانتهاء من ترجمة الخطاب المذكور القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم كلمات شكر بها جناب المقيم العام على ما صرح به في خطابه من اهتمام الدولة بالجامع الاعظم ومتخرجيه وطلب الاستمرار على هذا الاعتناء حتى يترقى التعليم بالجامع الى اقصى الغايات . ويتحقق لمتخرجيه جميع ما لهم من التمنيات . وقد ترجم كلامه الى اللغة الفرنسية جناب شيخ المدينة

ثم طلب الكلمة الشيخ محمد المختار بن محمود فذكر لجناب المقيم العام ان المدرسين بالجامع الاعظم وان كانوا يعترفون بمزيد السرور بما اسدته الحكومة اليهم من اصناف الاكرام والتبجيل وبالخطوات التي خطوها الى الامام لا سيما في الاعوام الاخيرة . لكنهم عند المقايسة بين حالتهم وحالة غيرهم من

المتوظفين يجدون ان حالة غيرهم احسن من حالتهم بكثير . ويكفي تدليلا على ذلك ان نذكر ان المدرسين محرومون من جميع المنح التي ياخذها سائر المتوظفين على ان الدولة عند ما تقايس بين ما يكلفها التعليم بالمدارس الدولية من المصاريف وما يكلفها التعليم بالجامع الاعظم تجد ان مصاريف الجامع قليلة جدا بالنظر لغيره من معاهد التعليم لا سيما اذا نظرت الى فوائد الجامع سواء في بث العلوم والاخلاق العالية او في تكوين المتخرجين الذين يقومون بسائر الوظائف في الادارات العامة وقد اجاب جناب المقيم العام عن هاته الملاحظات بجواب محكم حيث قال (لو كانت الامور قد تمت بالجامع على غاية المراد وتم انجاز جميع المطالب والرغبات لما احتاجت الدولة لعقد هذا المجلس) وبالاتهاء من هاته الكلمات بارح الجلسة كل من جناب المولى الوزير الاكبر وجناب المقيم العام والكتاب العام ومدير الادارة العامة والجهوية وبقي افراد المجلس المعينين رسميا للنظر في المطالب وعند ذلك القى فضيلة شيخ الجامع الاعظم خطابا بليغا تعرض فيه الى تحقيق مهمة الجامع واوما فيه الى المبادي العامة التي ينبغي ان يسير عليها المجلس عند النظر في تلك المطالب وبالاتهاء منه وقع الخوض في كيفية العمل وترتيبه ثم تلى كاتب الجلسة جملة المطالب المقدمة للدولة من مختلف الهيئات بجامع الزيتونة وانتهت الجلسة على الساعة السادسة على نية عقد الجلسة الثانية في يوم السبت ١٥ صفر ١٦٠٠ افريل الجارين على الساعة الثالثة ونصف . ولكن لاسباب ادارية تاخر عقدها عن ذلك الموعد وانا لندرجو من اعمال هاته اللجنة خيرا كثيرا بحول الله لا سيما وهي متكونة من علماء الجامع ومتوظفي الدولة ممن نرجو ان يتحقق على ايديهم الرقي بالتعليم الى المستوى اللائق وانجاز المطالب المفيدة التي يتحتم انجازها

وقد طلبنا من فضيلة شيخ الجامع خطابه فسلمه الينا في اقرب وقت ونحن ننشره شاكرين له فضله وعنايته بالمجلة امد الله في عمره

خطاب فضيلة شيخ الجامع الاعظم

قبل الخوض في الموضوع والنظر في المطالب الموما اليها يلزم اللجنة ان تتحقق مهمة المعهد الزيتوني وفروعه وما هي وظيفته التي يلزم ان يقوم بها نحو الامة التي تعتبره كعبة الشمال الافريقي والحافظ لدينها وللفتها وقيامه بهاته المهمة والمحافظة عليها حل منها بالمنزلة التي هو عليها اليوم كما تتحقق اللجنة ما هي وظيفة المتخرج منه وما يحتاج اليه من متخرجيه في المجتمع

المعهد الزيتوني مؤسسة جامعة لحفظ علوم الشرع ووسائلها بتوسع وعلوم اللغة العربية والآداب بتوسع ايضا فوكلية علوم الدين واللغة مع تثقيف تلامذته بصفة لزومية بما تأكد معرفته من العلوم الرياضية ونحوها بقدر ما تدعو الحاجة اليه من غير اخلال بعلومه الاصلية كما افصح به الفصل ٢٠ من قانون الاصلاح الحالي

ومتخرج المعهد عالم شرعي او اديب لغوي مع معرفته بما يحتاج اليه من العلوم الرياضية ونحوها محرز على شهادات تخوله تسنم المراتب العالية وتبوأ الخطط الشرعية والادبية على اختلاف انواعها من عدالة خاصة وعامة وتدريس واستاذية وقضاء وقتيا وكتابة وانشاء بدواوين الحكومة وتعليم بمدارسها وسائر الخطط بدوائر المحاكم العدلية التونسية وبالجملة وظائف القلم العربي من كل ما لا يتوقف على القلم الفرنسي

فهاهنا مهمة المعهد ونتائجه المحتاج اليها في المجتمع مما لا يستغنى عنه ولا حاجة بنا اليوم الى تعداد ما اخرجته هذا المعهد من اساطين الفقهاء والعلماء ومن يشار اليهم ممن ملات سمعهم الآفاق وافعمت بهم بطون التواريخ ووجهتنا اليوم المحافظة على ما له من مجد تالد وذكر خالد

ولقد كان لأول اجتماع انعقد لتحرير لائحة القانون الحالي وكان العبد من جملة اعضائه ان صرح جناب مدير الداخلية لذلك العهد الذي حضر الجلسة الاولى بقوله اننا اجتمعنا اليوم للنظر في اصلاح قانون الجامع الاعظم الزيتوني ولكن يلزمنا قبل كل شيء المحافظة على صبغته الدينية وسمعته القديمة، يشير بذلك الى عدم الخروج به عما اسس له وعما يراد منه مما بينا انفا وهو ما تعلق عليه الامهءاء، اذا تمحضت لدينا مهمة المعهد وما يراد منه فننقل النظر الى العلوم التي تدرس به اليوم مما جاء به قانون الإصلاح حتى نعلم هل من الممكن مضايقتها او الاجحاف بها باعطاء العلوم التكميلية به من الوقت ما للعلوم الاصلية وهو ما يحاوله اليوم بعض طالبي الإصلاح

جاء في الفصل ٢٣ من قانون الإصلاح ان العلوم التي تدرس بالمعهد الزيتوني من شرعي ولغوي ورياضي وما يتبعه تبلغ زهاء اربعين علما وجاء في الفصل ٢٤ منه ان ساعات التعليم توزع على الدروس بحسب اهميتها ويكون اكثر الوقت للعلوم الشرعية

واليكم بيان العلوم المذكورة موزعة على الاقسام الثلاثة

العلوم الشرعية

القرارات رواية - القراءات دراية - الرسم التوقيفي - التفسير - التوحيد (علم الكلام) - الحديث الشريف - المصطلح - أصول الفقه - الأصول القرية - الفقه عبادات ومعاملات (اي علم الحقوق) - مقاصد الشريعة (اي حكمة التشريع وفلسفة الاحكام) - تاريخ التشريع الاسلامي - الفرائض علما وعملا - التوثيق - الاقضية والشهادات (منه القضاء) - الاجراءات الشرعية (ومنه اصول المرافعة) - علم الاحلاق - السيرة النبوية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التسليم

العلوم العربية وآداب اللغة

النحو - الصرف - البلاغة - العروض - اللغة (متن اللغة) - نقد الشعر - الانشاء - الخطابة - الرسم القياسي - الخط

العلوم الرياضية وما الحق بها

الحساب والجبر - الهندسة والمساحة - الهيئة والميقات - الجغرافيا - التاريخ - المنطق - آداب البحث - مبادي الكيمياء والطبقة - مبادي حفظ الصحة - فن التعليم

التعليم بالمعهد يتقدم الى ابتدائي وثانوي وعال حسب صريح الفصل ٢١ من قانون الاصلاح فالاول مقدمله اربع سنوات زيادة عما يتقدمه من مباديه وهو التعليم المكتبي لتعلم القراءة والكتابة وحفظ جانب من القراء ان العظيم قدر باحزاب ١٥ حسبما جاء بالفصل ١٥٧ وينتهي التعليم الابتدائي بشهادة الاهلية والتعليم الثانوي مقدر له ثلاث سنوات بعد الحصول على شهادة الاهلية وينتهي بالاحراز على شهادة التحصيل

والتعليم العالي مقدر له ايضا ثلاث سنوات ومنه يتبدى التخصص بالنوع الشرعي او الادبي فيباشرة المحرز على شهادة التحصيل وينتهي بالاحراز على شهادة العالمية في احد القسمين المذكورين ونتائجها ما اسلفناه وهي ما يحصل عليه متخرجوا المعهد الزيتوني

ولفن القراءات ترتيب خاص كما له شهادة التحصيل وشهادة العالمية في الفن المذكور

وقد سادت اخيرا فكرة في بعض التلامذة الزيتونيين ضمنوها في جملة مطالب اصلاح التعليم لا تتفق مع اصول وضعية المعهد وهي طلب مساواة العلوم التكميلية به للعلوم الاصلية واعطوها نصف ساعات التدريس الامر المجحف بعلوم المعهد الاصلية والمخالف لما اقتضاه الفصل ٢٤ من قانون الاصلاح على خط مستقيم يملكون ذلك بان شهادة التحصيل التي هي نتيجة التعليم الثانوي تساوي شهادة البكالوريا المدرسية وحيث ان هاته الاخيرة تؤهل لتعاطي العلم العالي المدرسي باحدى الكليات الاروئية للاحراز على شهادة محام او طبيب او مهندس فاذا وفر حظ العلوم الرياضية في شهادة التحصيل واعطيت نصف زمن الدراسة واتقن التليذ لغة اجنبية خارج المعهد يمكنه بذلك مزاولة التعليم العالي المدرسي ويمكن لمتخرج الجامع الاعظم الاحراز على شهادته الموما اليها

ولا شك ان مجاراة هاته الفكرة مما يقضي على علوم المعهد التي اسلفناها وبشأ عنها تشتيت فكرة التليذ ويخسر معها كلتا الصفتين

ولقد نشاعن هاته الفكرة لبعض التلامذة زهدهم في علوم المعهد الاصلية واستخفافهم بها واحترارهم نتائجها حيث لم تؤهلهم لنتائج التعليم المدرسي الذي يرومون ان يلجوا اليه من طريق تعليم المعهد ونحن نسلم أن شهادة التحصيل تساوي شهادة البكالوريا المدرسية في الاعتبار ولكن لا نسلم انها هي فشهادة التحصيل بكالوريا لعلوم المعهد تؤهل للتعليم العالي به والبكالوريا المدرسية تؤهل للتعليم العالي المدرسي ووظيفة كل لا تقوم بها الاخرى فهما غايتان مختلفتان مقصدا ووسائل ومحاولة ولوج احدهما من طريق الآخر من الغلط البين والله الهادي الى سواء السبيل سبحانه (انتهى)

اصلاح اخطاء مطبعية في الجزء السادس من المجلة

ص	سطر	خطا	صواب
٢٤٩	٩	فاذا	فان
»	١٠	لانا ابلاغ	لان الربوية ابلاغ
»	١٢	وطرقه	وطوقه
٢٥٠	١	عليها	كليهما
»	٨	تلك تصرفات	تلك التصرفات
»	١٣	غاييل	غائلة
»	٢٠	بعكس ذلك	وبمكن ذلك
»	٢٧	انه في فعل الملايم لا	انها في فعل الملايم له
٢٥١	٢٠	تمثل	تمثيل
٢٥٢	١٠	لغير	لعين
»	٢٩	في الحدد	في الحدر
٢٥٤	١٣	للتقوة وهذا وهل	للتقوي وهل
٢٥٥	٩	يخفظها	يحفظهما
»	١٢	يحتمل اي	يحتمل ان
٢٦١	١	هي	هو
»	١٥	اعوانه	اعوان
»	٣	حيث	حين
٢٦٢	٩	بضرورة	بضروريه
»	١٥	ونظرية	ونظريه
٢٦٤	١٥	المدنى	المدني
٢٦٥	٥	ءاخرهما	اخيرهما



المجلة الزيتونية

مجلة علمية أدبية أخلاقية
تصدايقها المجلدات من قبل الزيتونية

الجزء ٨-٩-١٠	شهرية ومشتها عشرة اشهر	المجلد الثاني
--------------	------------------------	---------------

رئيس قلم تحريرها .

محمد المختار بن محمود

المدرس بجامع الزيتونة والمدرسة الصادقية
والحكم بالمجلس المختلط

صاحب المجلة ومديرها :

محمد الشاذلي بن القاوي

المدرس بجامع الزيتونة والخطيب الثاني بجامع
حمودة باشا

المراسلات :

ترد باسم مدير المجلة بمحل الادارة

الادارة :

نهج باشا رقم ٣٣ بتونس - تليفون ٢٦-٤٩

تونس عام ١٣٥٧ - ١٩٣٨

ثمان الجزء خمسة فرنكات

المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ بتونس

الى قراء المجلة الافاضل

ان المجلة تختم عامها الثاني بهذا السفر الذي احتوى ثلاثة اجزائها الاخيرة وقد لاقى في سبيل انجاز ما قامت به في هذا العام الشدائد وكثرت مصاعب لم تكن متوقعة الامر الذي قضى بتأخير بروز بعض الاعداد متأخرا عن موعده الشهري والسبب في ذلك يرجع الى ثقل تكاليف الطبع ووفرة نفقاته مع اهمال قسم عظيم من السادة المشتركين لدفع اشتراكهم حتى ادى ذلك الى صرف ما خصص لها من الاعتمادات المالية التي دفعها مؤسسوها في عامي المجلة وتهاون الباعة في خلاص ما بنمتهم حتى تخلد بلعة بعضهم جانب عظيم من المال بل ان قسما منهم لم يحاسب من العدد الاول .

فالرجاء من السادة المشتركين والباعة ان يسدوا ما تخلد بنمتهم من مال للمجلة حتى تساعد على المحافظة على هذا المشروع الجليل الذي طالما حملنا اوزارا في عدم القيام به من قبل وحتى تتمكن من السير بالمجلة على نحو ما يبتنى لها كل من يقدر قيمة هذا المشروع العلمي العظيم

وهيئة المجلة تعد قراءها الافاضل انها نحو الكمال دائبة في سبورها بمجلتهم والرقى بها الى حد المستطاع وان ما حدث في هذا العام نرجو الا يتكرر وفقنا الله تعالى وامدنا باعائه على ما فيه صالح المسلمين

(الادارة)

الاشتراك

عن سنة بالحاضرة وبلدان المملكة والجزائر والمغرب	وصلوات الاشتراك لا تعتبر الا اذا كانت ممضاة من امين المال
الاقصى وسوريا فرنكات ٣٠	
في الخارج غير البلاد المذكورة فرنكات ٤٠	
يخصم الربع للسلامة	

محمد بن القاسم

الادارة نهج الباشا رقم ٣٣ - تونس

المجلة العلمية أدبية اخلاقية

تصديقاً لهذا المبدأ العلمي والأدبي الأخلاقي
تصديقاً لهذا المبدأ العلمي والأدبي الأخلاقي

الجزء ٨ و ٩ في الربيعين الاول والثاني ١٣٥٧ وفي ماي وجوان ١٩٣٨ المجلد الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المولد النبوي

بمناسبة حلول يوم ولادة اشرف الكائنات ، وافضل المخلوقات ، ومنبع السعادات والكمالات ، ومطلع التجليات والفتوحات سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم نتقدم الى عموم المسلمين بالتهنئة ، ونرجو من الله تبارك وتعالى ان يجعله يوماً يسترجع فيه الاسلام قوته ، ويستعيد فيه المسلمون عزتهم وسطوتهم ، ونخوتهم وسلطانهم . فقد طال الامد ، وعيل الصبر ، والى الله المرجع والمآب ، نعم المولى ونعم النصير ونهني بطلعة هذا اليوم السعيد على الخصوص صاحب الجلالة سيدنا ومولانا احمد باشا باي الثاني صاحب المملكة التونسية ، اطال الله بقاءه ، واجرى الخير على يديه وبلغه في امته ما يرجو لا كل ملك صالح لرعيته

الربا^(*)

بقلم رئيس التحرير

أيها السادة

سيقول بعض الناس : اننا نشاهد افراد يتعاملون بالربا وهم في حالة حسنة ، ولم يصابوا بما ذكرته من المصائب ، بل قد نمت ثرواتهم ، وتوفرت املاكهم ، وهم في بصوحة من العيش ، فما هي العلة في ذلك ؟ وما هو السر فيه ؟

وهذه شبهة جديرة بان نعطيها حظها من البيان والكشف ، حتى لا يبق بعد ذلك ريب لمريب ، وتقطع جهينة قول كل خطيب ، ويتميز طريق السلامة عن طريق الردى ، ويزيد الله الذين اهتمدوا هدى ، فنقول :

قد جرت سنة الله في خلقه بان الحاق العقاب بالمذنبين منهم يكون على انواع نوع يلحقه العقاب في الدنيا من غير امهال ، فيجازى عن ذنبه اثر عمله

ونوع يمهله الله تعالى زمنا طويلا ، ثم يصيبه بجزاء ذنبه في الدنيا ، فيكون مصابه عظيما ، وخطبه جسيما

ونوع لا يجازيه الله تعالى بذنبه في الدنيا ، وانما يؤخر جزاءه الى يوم الحساب . (يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدابعيدا) وهذا النوع هو اشد الانواع عقابا ، وافظهم عذابا ، وقد تعرض القرءان للتحذير من الاغترار بهذا النوع ، لانه مظنة ان يشتبه امره على كثير من الناس ، فيقدموا على المعصية اقدام الآمن من عقابها ، فيكون جرمهم عند الله عظيما ، فقال الله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين) (١)

تمت المحاضرة التي كنت القيتها في حفلة جمعية الشبان المسلمين بمدينة باجة
(١) المراد بالاملاء لهم تخليتهم وشانهم وهو مستعار من قولهم املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف يشاء . وفسر الاملاء بوجه اخر وهو الامهال واطالة العمر . والمعنى ولا يحسبن الذين كفروا ان الاملاء خير لهم من منعهم او من قطع اعجالهم اذ انما وقع الاملاء لهم ليزدادوا اثما يوم القيامة

وقال الله تعالى (ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار) * مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء * وانذر الناس يوم يأتيتهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك وتتبع الرسل او لم تكونوا أقسمتم من قبل ما لكم من زوال * وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال * وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال * فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام) (١)

وقال الله تعالى (لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد * متاع قليل ثم ماواههم جهنم وبئس المهاد) (٢)

(١) قوله (ولا تحسبن) خطاب لكل من يصلح ان يكون مخاطباً على عادة القراءان في مثل هاته المقامات . وقوله (اليوم تشخص فيه الابصار) اليوم هو يوم القيامة وشخص الابصار عدم استقرارها في امكانها لشدة هول ما ترى . وقوله (مهطعين) اي مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع معناه ان تقبل بصرك على الشيء وتديم النظر اليه . وقوله (مقنعي رؤسهم) اي رافعين رؤسهم وقوله (لا يرتد اليهم طرفهم) اي لا يرجع اليهم طرفهم بحيث تبقى عيونهم مفتوحة محدودة من غير تحريك للاجفان . وقوله (وافئدتهم هواء) اصل معنى الهواء هو الخلاء الذي لم تشغله الاجرام ثم صار يوصف به فيقال قلب فلان هواء اذا كان جباناً لا قوة في قلبه ولا جرأة . ويقال للاحق ايضا قلبه هواء . وعليه قول زهير من الظلمان جثوة هواء . لان النعام يضرب به المثل في الجبن والحق . والمعنى في الآية كما قال ابن جرير ان افئدتهم صفر من الخير خاوية منه وقوله (وقد مكروا مكرهم) اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم وهو الكفر بالله وعصيانه بفعل ما نهى عنه . وترك ما امر به وقوله (وعند الله مكرهم) فيه وجهان لانه اما ان يكون من اضافة المصدر الى فاعله أي المكر الصادر منهم وعليه فالمعنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو يجازيهم عليه بمكرهم اعظم منه . او من اضافة المصدر الى مفعوله اي المكر الذي سيقع عليهم بالمعنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه ياتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وقوله (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) اي وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة حتى ضرب له المثل بزوال الجبال منه وذلك لتفاقمه وشدة . وفسر بوجه آخر وهو جعل إن نافية والسلام مؤكدة لها والمعنى عليه ومحال ان تزول الجبال بمكرهم . على ان الجبل مثل لايات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتاً وتمكناً . ويؤيد هذا الوجه قراءة ابن مسعود (وما كان مكرهم) وقوله (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) اي ما وعدهم به من انه ينصرهم ويغلبهم على اعدائهم في قوله (انا لننصر رسلنا) وقوله (كتب الله لاغلبن انا ورسلي)

(٢) قوله (لا يغرنك) خطاب لكل من يصلح للخطاب كما تقدم اي لا تنظر الى ما عليها الكفار من سعة الرزق واصابة حظوظ الدنيا ولا تقتتر بظاھر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد وقوله (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو القلب في البلاد . وقد اراد به

قد ظهر لكم من هذه الآيات ان من يعصي الله ويكوث على حالة حسنة في الظاهر يجب على العاقل ان لا يغتر به ، وان لا يجعل من حسن حالته الآن دليلا على حسن عاقبته فانه سيجازى بما قدمت يداها ، وسيحاسب حسابا عسيرا على كل ما فعل في دنياه ، ولعذاب الآخرة اشد وابق

وحيث قد كشفنا لكم عن هذه الشبهة التي ربما تساور بعض النفوس ، والتي نرى من الواجب ان نكشف عنها ، فلنرجع الى اتمام موضوعنا فنقول :

هذا آثار الربا ، وهذه نتيجة الاقدام على التعامل بالربا ، فهل من سبيل الى اصلاح حالتنا ، وعلاج هذا الداء العضال المحيط بنا ؟

نعم اصلاح الحالة سهل ، وعلاج الداء ممكن ، وامر ذلك موكلو الدنيا ، لكن بشرط وجود العزائم الصادقة ، والتصميم الصحيح ، فاذا توفر هذا الشرط امكثنا ان نعالج انفسنا بانفسنا في اقرب وقت

واني لا تعجب من كثير من الناس يستنجدون بالحكومة لتقاوم الربا ، فهل الحكومة دعيتهم الى التعامل بالربا حتى يطلبوا منها مقاومته ، ام هم الذين اوقعوا انفسهم فيه ، جريسا مع الشهوات ، واذا كانوا هم الذين اوقعوا انفسهم في خطر الربا فلماذا الاستنجاد بالحكومة ، وهلا كان الاولى بهم ان يستنجدوا بانفسهم على انفسهم ، فيصروا على ترك التعامل بالربا مهما كانت حاجتهم واضطرارهم ، وفي المثل : من لم يكن له من نفسه واعظ ثم تنفعه المواعظ ، اذ ليس من المعقول ان يوقع الانسان نفسه في الخطر ثم يلوم الناس على عدم انجادهم له عند وقوعه فيه

اذا فلتكن لنا عزيمة صادقة نتقي بها هذا الشر وندفع بها هذا البلاء العظيم ، الذي كان سببا في ضياع ثروتنا ، وبيع اراضيها ، والذي صيرنا فقراء اذلاء ممتهين ونحن في

قلته بالظن لما فاتهم من نعيم الآخرة . او بالنظر لما اعد الله للمؤمنين من الثواب . او انه قليل في نفسه لا تقضائه وكل زائل فهو قليل . والآية نزلت في فريق من المؤمنين كانوا يرون ما كان عليه الكفار من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد . فرد الله بان ذلك متاع قليل ثم يكون ما لهم جهنم وبئس المهاد

عقر ديارنا ، اذ ليس هناء يضعف الامم ويظهرها بمظهر الذل والاحتقار مثل الفقر ، فعلينا جميعا ان نقاوم الربا بتجنبه والتحذير منه

فالفلاح الذي يملك ارضا تبلغ مساحتها مائة ماشية وليس له من المال الا ما يقدر به على زرع ماشية واحدة فليقتصر عليها

والتاجر الذي يريد ان يزاحم ديار التجارة الكبرى وليس له من المال الا ما يكفي لتعمير حانوت عطار فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يجهز ابنته كبنات الامراء والاغنياء وليس له من المال الا ما يقدر به على شراء كسوة واحدة تدخل بها يوم الزفاف فليقتصر على ذلك

والرجل الذي يريد ان يختن ابنه ويريد ان يقلد الاغنياء في البذخ والاسراف مع انه لا يملك الا اجرة الخاتن يجب عليه ان لا يقترض لاجل ذلك

وهكذا بقية اصناف الناس على اختلاف رغباتهم وتباين مقاصدهم ، يجب على كل واحد منهم ان يصمم على ان لا يفعل الا ما يقدر عليه ، ولا يتعامل بالربا حتى في مائة فرنك واحدة

فاذا صحت هذه العزيمة ، ووقع السير على هذا المنوال ، خرجنا من هذا الداء سالمين ، وتحققت الآمال بحول الله

ولما كان رأس المال الفردي مهما كان واسعا لا يمكن أن تقام عليه حياة اقتصادية متسعة النطاق فينبغي لنا ان نفكر في تكوين رؤس اموال وافرة تتمكن بها من القيام بالمشاريع الاقتصادية الكبرى التي ترفع من قدر الامة وتعلي شأنها ، ونتمكن بها من انشاء المعامل والمصانع وديار التجارة الكبرى التي نضاهي بها اكبر الامم الاروبية ، التي ابتزتنا بمصنوعاتها لوافوة ، ومنتجاتها العجيبة فصرنا عالة عليها في كل شيء حتى من الابرة نخطط بها ما يتمزق من ثيابنا ، اذ ليس من الحكمة ولا من سداد الرأي ان يكون منتهى غرض الامة ان ياكل افرادها أكلا لذيذا ويشربوا شرابا سائغا ويناموا نوما هنيا ، بل لا بد لها من اعمال تظهر بها امام غيرها من الامم ، ولا بد لها من تكوين المشاريع التي تفاخر بها غيرها ، ولا بد لها من ايجاد الابتكارات التي ترفع بها راسها عاليا

الى عنان السماء، ولا شك ان ذلك كله يتوقف على المال الغزير، فهل نحن في حاجة الى التعامل بالربا لتكوين هذا المال الغزير؟ وهل الشارع عند ما حرم على الناس ان يتعاملوا بالربا شرع لهم ما يغنيهم عنه؟ وبذلك يحصل الجمع بين الرقي الاقتصادي الذي لا بد منه، وبين اتباع الشرع الذي هو امر واجب لا محيد عنه

ايها السادة

ان الشارع سبحانه وتعالى حكيم . وهو بعبادة رؤف رحيم ، لم يحرم علينا الا ما لا مصلحة لنا فيه ويمكن لنا الاستغناء عنه ، ومن جملة ذلك الرباء فقد حرمه الله علينا لاننا في استغناء عنه بما شرعه لنا مما يغني عنه ، وليس فيه ضرر ، ففي الشريعة الاسلامية التي هي شريعة جامعة بين الرقي الديني والاخروي عدّة مشاريع لتكوين الاموال لوافرة وتنميتها ، ولسنا الان بصدد ان نتعرض لكل ما جاء في الشريعة من هذا القبيل وانما يهمنا ان نتعرض لمشروعين فقط يعتبران من اهم الاسباب لتكوين الاموال وتحسين الحالة الاقتصادية للامة وهما الشركة والقراض

فالشركة فهي عبارة عن ان يتفق اثنان او اكثر على وضع مال معين يدفعه كل واحد منهما بعد ما يقع الاتفاق على القرض الذي يستعمل فيه وعلى كيفية صرفه وعلى الربح الذي يقرر لكل واحد

وبذلك تتمكن من تكوين رؤس اموال كبرى تقدر بالملايين ، وتقدر بها على تكوين المصانع والمعامل التي تفي بحاجتنا شيئا فشيئا حتى يمكننا الاستغناء عن الغير

وام تترق الحياة الاقتصادية في روبا ، ولم تتسع فيها الحياة المالية ، ولم تات بهاته العجائب التي نشاهدها كل يوم في نمو الافضل الشركات اذ الرجل وحده لا يقدر على القيام بالاعمال الكبرى ، ولا على النهوض بالمشاريع الهائلة ، فاذا اتحدت ، الهمم ، واجتمعت العزائم ، وتوزعت الثقة في الافراد ، واطمان الناس بعضهم لبعض امكنهم ان ياتوا بالعجب العجيب

واما القراض فهو عبارة عن ان يتفق رجلان مثلا ، احدهما له مال ولا يقدر على العمل ، والآخر فقير وله خبرة بفنون التجارة وطرق الاكتساب ، فيكون على الفني

المال وعلى الفقير العمل على النسبة التي يتفقان عليها في الربح وعلى الوجه الذي يتفقان عليه في الاتجار بذلك المال ، وبذلك ينتفع الغني بفائدة ماله الذي لولا ذلك العامل لبقى ماله مخزونا عند لا ينقص ولا يزيد ، وينتفع الفقير بفائدة خبرته ومهارته في فنون التجارة ولولا ذلك الغني لبقى عاطلا لا يجد قوت يومه

فاذا نظرنا هذين المشروعين العظميين ، وهما أنا أنفسنا للانتفاع بهما ، بسلوك مسلك الجد في العمل ، والتشبع بالامانة والثقة ، والوقوف في حدود العقود التي وقع التزامها امكنا ان نحصل على سعادة الدارين ، ونفوز بكلا الحسنين

ايها السادة

قد اشرت فيما سبق الى مسألة الثقة وانها الشرط الاصلي لنجاح جميع المشاريع واريد الآن ان اعود للخوض فيها فاصرح بغاية الجلاء بان اهم الاسباب في انحطاط الحياة الاقتصادية عند المسلمين هي انعدام الثقة ، وهذه حقيقة ولكنها مرة ، اذ قد اينا الكثير منا عند ما تناط بهم بعض المشاريع الاقتصادية يعثون بها ، ويسئون التصرف فيها ويستيحون اموالها فنشاع ذلك احجام الناس عن تقديم اموالهم لتكوين الشركات وتأسيس المشاريع النافعة ، خوفا على اموالهم من ان تعبت بها ايدي السفهاء ولذلك لا تكاد تجد اليوم شركة اهلية يديرها التونسيون ويتكون راس مالها من جيوب التونسيين لان الشركات التي كانت تاسست من قبل ، ال امرها الى ما قلناه وضاعت فيها اموال اليتامى والارامل والعاجزين من الرجال

لذلك يجب علينا قبل الشروع في تكوين هذه المشاريع الاقتصادية ان نقضي على هذا الخلق السافل الذي تخلق به الكثير منا ، بان تعود على الامانة واحترام حقوق الناس ، وبذلك تصير هناك ثقة متبادلة بين جميع الناس ، حتى اذا قام بمذالك رجل مصلح يدعو الى تكوين الشركات وتأسيس المشاريع الاقتصادية النافعة وجد النفوس على استعداد لاجابته ومد يد المساعدة اليه ، فيحصل لنا عند ذلك رقي اقتصادي باهر تنهض به الامة من كبوتها ، وتسترجع شيئا من عزتها ، وما نجحت المشاريع الاقتصادية في اوروبا على اختلافها الا بفضل امانة القائمين عليها وحسن ادارتهم وانتظام اعمالهم

اما بقاءنا على ما نحن عليه من الفوضى والاضطراب ، واختلال طرق الاكتساب والعبث بالمشاريع العامة ، واكل اموال الناس ظلما ، والاقدام على المحرمات مع الاصرار عليها ، وانعدام الوازع الديني ووازع المروءة ، فذلك امر سيفضي - لا قدر الله - الى سوء العاقبة والسير السريع في طريق الانحطاط

هذا وانتابصفتنا مسلمين كان من الواجب علينا ان تكون الثقة من ابرز الصفات التي نتحلى بها ، لان القرءان اوصى كثيرا بالمحافظة على الثقة ومراعاة الامانة واحترام حقوق الناس ، ومن اهم الاسباب التي نجح بها المسلمون في فجر الاسلام ما كانوا عليه من الثقة والامانة والجد في العمل .

فاذا اردنا اليوم ان نسترجع تلك المنزلة السامية التي كانت من حقوقنا فعلينا بالتخلق بالثقة والامانة . فعل الاب ان يجتهد في تكوين الثقة في ولده من حين نشأته وعلى المعلم ان يحرص على ايجاد الثقة في تلميذ له من وقت صغره وعلى الصاحب ان يعود صاحبه على ذلك ومهما وجدنا رجلا عديم الثقة نحتل الامانة وجب علينا ان نقاطعه وان نهجر معاملته حتى يتكون بيننا جو كله ثقة وامانة وعند ذلك تكون الاسباب قد تهيأت لنعمل عملا جديا صالحا في ميدان الرقي الاقتصادي الذي هو الميدان الحقيقي لرقى الامم .

محمد المختار ابن محمود



القرآن الكريم

(سورة البقرة)

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد
الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ

هذه تسميتها بلفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عصر السلف فقد ورد في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة كفتاه أخرجه البخاري ، وفيه عن عائشة لما نزلت الآيات من آخر البقرة في الربا الخ . نزلت سورة البقرة بالمدينة بالاتفاق ثم قيل هي اول ما نزل في المدينة وحكى في فتح الباري الاتفاق عليه وقيل نزلت سورة المطففين قبلها ولا شك ان سورة البقرة فيها فرض الصيام والصيام فرض في السنة الاولى من الهجرة لان النبي صلى الله عليه وسلم صام تسعة رمضان اولها رمضان من العام الثاني من الهجرة فتكون سورة البقرة نزلت في اواخر السنة الاولى من الهجرة او اوائل الثانية

(آلم) لقد تحير المفسرون في محمل هاته الحروف المقطعة الواقعة فواتح لبعض سور القرآن واخلق بها ان تكون مثار حيرة ومصدر اقوال متعددة وابحاث كثيرة والذي يستخلص من اقوال العلماء فيها بعد حذف متداخله وتوحيد متشاكله يؤول الى عشرين قولاً تضبطها ثلاث تنويعات التنويع الاول يرجع الى انها رموز اقتضت من كلم او جمل فكانت اسراراً يفتح غلقها مفاتيح اهل المعرفة ويطلق اقوال هذا التنويع كلها ان القراء انما نزل للافهام عامة فلا يجوز ورود ما لا يشترك البينان في فهم ظاهرها ولا ما يراد منه معنى لادليل عليه فما ظنك بورود ما لا تتفق الافهام على تلاويله ولا تجمعها الضوابط ويوشك لو كان هذا هو المقصد من هاته الحروف ان يقول كل احد فيها بما يحب وكيف يزعم زاعم انها واردة في معان غير معروفة مع ثبوت تلقي السامعين لها بالتسليم من مؤمن ومعاقد ولو انهم فهموا منها معروفا دلت عليه القرائن لسأل السائلون وابتهج المعاندون قال القاضي ابو بكر بن العربي « لولا ان العرب كانوا يعرفون لها مدلولاً متداولاً بينهم لكأنوا اول من انكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم بل تلى عليهم حم فصلت وص وغيرهما فلم ينكروا ذلك مع تشوفهم الى

عشرة وحرصهم على زلة « قلت وقد سالوا عن اوضح من هذا فقالوا وما الرحمن . التنوع الثاني يجمع الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف وضعت بتلك الهيئات اسماء او افعالا قال جماعة . من فحول العلماء والمتكلمين هي اسماء للسور التي وقعت فيها قاله يزيد بن اسلم ونسب للخليل وسيبويه ونسبه صاحب الكشف للاكثر وهو قول وحيه وبعضه وقوع هاته الحروف في اوائل السور فتكون هاته الحروف قد جعلت علامات على تلك السور وسميت بها كما تقول الكراس ب وكا وقع في تسمية رسوم المدونة بكلمات وقعت فيها نحو رسم الكباش ورسم الصبرة ورسم طلق ابن حبيب قال القفال قد سمت العرب بالحروف اسماء كثيرة كما سموا لاما الطائي ابا حارثة وسمو الذهب عينا والسحاب غينا والحوت نونا والجل جافا وعلى هذا الاعتبار قال شريح بن اوفى العنسي أو العنسي :

يذكرني حاميم والرمح شاجر فهلا تك حاميم قبل التقدم (١)

يريد بحاميم سورة الشورى

وقال جماعة انها اسماء للقرآن اصطلاح عليها قاله الكلبي والسدي وقناة وبطله انه قد وقع بعد بعضها ما لا يناسب لو كانت اسماء للقرآن نحو آلم غلبت الروم وآلم احسب الناس .

التنوع الثالث تدرج فيه الاقوال الراجعة الى ان هاته الحروف حروف هجاء مقصودة باسمائها لاغراض داعية لذلك ف قيل ان هاته الحروف اقسام الله تعالى بها كما اقسام بالقلم تنويها بها لانها عنصر الكتب المنزلة واسماء الله تعالى واصول التخاطب والعلوم قاله الاخفش وهو لطيف وقد وهن هذا القول بانها لو كانت مقسما بها لذكر حرف القسم اذ لا يحذف الا مع اسم الجلالة وبانها قد ورد بعدها في بعض المواضع قسم نحو ن والقلم وحم والكتاب المبين قال صاحب الكشف وقد استكرهوا الجمع بين قسمين على مقسم واحد حتى قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلّى ان الواو الثانية هي التي تضم الاسماء للاسماء اي واو العطف لا واو القسم وانا احيب عن هذا بان اختصاص الحذف باسم الجلالة مختلف فيه بين النحاة وان كراهية جمع قسمين تندفع بجعل الواو التالية لهاته الفواتح واو العطف على انهم قد جمعوا بين قسمين قال النابغة

والله والله لنعمم الفقى حارث لا النكس ولا الحامل

وقيل هي للتهجي بتكيتها للمشركين من العرب وتعجيزا لهم وانحاء عليهم بان هذا الكتاب الذي اعجزتهم معارضته مؤلف من حروف كلامهم كاله يغريهم بمحاولة المعارضة ويستأنس لانقسام بالشروع في ذلك بتهجي الحروف ومعالجة النطق تعريضا بهم بان حالهم كحال من لا يعرف تقاطيع اللغة فلذلك

(١) الضمير في يذكرني راجع لمحمد بن طلحة السجاد بن عبيد الله القرشي من بني مرة بن

كعب واراد بحم سورة الشورى لان فيها قل لا اسالكم عليه اجرا الا المودة في القربى فكانت دالة على قرابة النبي صلى الله عليه وسلم لقريش الذين منهم محمد السجاد

يجب ان يلقنها ويتجاهها وقد ذهب الي هذا القول المبرد وقطرب والفراء ورجحه صاحب الكشف وجمهور المحققين وهو الذي أختاره للتعليل الذي ذكرته وتظهر مناسبة وقوعها في فواتح السور بان كل سورة مقصودة بالاعجاز لان الله تعالى يقول فاتوا بسورة من مثله فانسب افتتاح ما به الاعجاز بمثل التانيس لمحاولته ابلاغاً في التحدي ويؤيد هذا القول ان التهجي ظاهر في هذا المقصد فلذلك لم يسألوا عنه لظهور امره وان التهجي معروف عندهم للتعليم فاذا ذكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقام غير صالح للتعليم عرف السامعون انهم عوملوا معاملة المتعلم لان حالهم كحالهم في العجز عن الاتيان بكلام بليغ بقرينة الخطاب بالتهجي لمن ليس من شأنه ان يكون مراداً تعليمه الكتابة حينئذ يتعين ان المقصود من ذلك الاتيان التعريض به كما يقول المتكلم لمن لم يفهم مرادة «ألسنت أنكلهم بالعربية» وربما عضد هذا الوجه تعقيب هاته الحروف في غالب المواقع بذكر القراءان الا في كهـص وآلم احسب وآلم غلبت الروم وقيل انها علامة لاهل الكتاب وعدوا بها ليعلموا صفة القراءان وهو انه يفتح بحروف مقطعة

وحكم النطق بها ان ينطق بها موقوفة على حكم الاسماء المسرودة اذ لم تكن معمولة لعوامل ولكن الناس قد يجعلون فاتحة احدى السور كالاسم لها فية ولون قرأت حاميم السجدة كما يقولون قرأت قفانك وبانت سعاد فحينئذ قد يعامل جملة الحروف الواقعة في تلك الفاتحة معاملة كلمة واحدة فيجري عليها من الاعراب ما هو لنظائر تلك السورة من الاسماء فلا يعرف حاميم كما قال الكميت

قرأنا لكم في ءال حاميم آية تأولها منا فقيه ومعرب

ولا يعرب كهـص اذ لانظير له في الاسماء افرادا ولا تركيبا واما طسم فيعرب اعراب المركب المزجي نحو حضرموت وذلك مختار صاحب الكشف وان كان خلاف قول سيويه في طسم وقد قال سيويه انك اذا جعلت هود اسم السورة لم تصرفها فتقول قرأت هود للعلية والتانث قال لانها تصير بمنزلة امرأة سميتها بعمرؤ ! ولك في الجميع ان تأتي به في الاعراب على حاله من الحكاية ، واما اعراب هاته الفواتح مع ما يليها فاذا جعلتها حروفا للتهجي تعريضا بالمشركين وتبكيثا لهم فظاهر انها حينئذ محكية لا تقبل اعرابا فلا إعراب لها مع ما يليها ولا معنى للتقدير بالمؤلف من هذه الحروف اذ ليس ذلك الاعلام بمقصود لظهوره وانما المقصود ما يحصل عند تعدادها من التعريض وان قدرتها اسماء للسور او للقراءان او لله تعالى او مقسما بها أخذت احكاما مع ما يليها من الاعراب بعضها يحتاج للتقدير الكثير . فلندع الاطالة بها فان الزمان قصير . وهاته الفواتح ليست بثبات على المختار من مذاهب جمهور القراء وروي عن قراء الكوفة ان بعضها آيات وبعضها ليست بثبات ولم يظهر وجه التفصيل حتى قال صاحب الكشف ان هذا لا دخل للقياس فيه وقيل جميعها آيات وهو اللائق بصاحب هذا القول اذ التفصيل تحكم والدليل مفقود ، والصحيح انها ليست بثبات اذ لا يتعلق بها الاعجاز ولا تصور

فيها المطابقة لمقتضى الحال ولا يعجز المتحدون عن الاتيان بكثير من امثالها فان قلت لو اتى احد بما يماثل ايتين بالغتين حد الاعجاز وضم اليها حروفا مثل فوانج السور هل يكون ذلك معارضة نافعة قلت لا لان التحدي وقع بسورة من مثله لا بثلاث آيات فاما ان ياتي المعارض بقصر سورة وهو ثلاث آيات ليس فيها من هاته الفوانج شيء لان اقصر سور القرآن لم يقع فيها هذا النوع واما ان ياتي بمثل سورة اطول فان اتى فيها بمثل هذه الفوانج لم يضره لان الاعجاز حصل بالباقي

« ذلك الكتاب » اذا كان آلم تهجية حروف لتسجيل عجز المشركين عن المعارضة فالاشارة الى المعنى الحاصل من التهجي اي تلك الحروف بجنسها هي الكتاب فما اعجزكم عن معارضته فاسم الاشارة مبتدا والكتاب خبر وان كان آلم غير تهجية فالاشارة الى القرآن المعروف بديهم يومئذ واسم الاشارة مبتدا والكتاب بدل وخبره لا ريب فيه والمراد الكتاب المعروف وهو السور المتقدمة على سورة البقرة لان كل ما نزل من القرآن فهو المعبر عنه بانه القرآن وينظم اليه ما ألحق به فيكون الكتاب على هذا الوجه اطلق حقيقة على ما كتب بالفعل وهو غائب واتي باسم الاشارة للبعد لان مثل هذا المقال يجوز فيه الاتيان باسم البعيد واسم القريب قال الشيخ الرضي « وضع اسم الاشارة للحضور والقرب لانه للمشار اليه حسا ثم يصح ان يشار به الى الغائب فيصح الاتيان بلفظ البعد لان المحكي عنه غائب وبقل ان يذكر بلفظ الحاضر القريب فتقول جاءني رجل وقلقت لذلك الرجل فقلت لهذا الرجل وكذا يجوز ذلك في الكلام المسموع عن قريب ان تشير اليه بلفظ الغيبة والبعده كما تقول والله وذلك قسم عظيم لان اللفظ زال سماعه فصار كالفان ولكن الاغلب في مثل هذا الاشارة بلفظ الحضور فتقول وهذا قسم عظيم اه والشيخ ابن مالك في التسهيل سوى بين الاتيان بالقريب والبعيد في الاشارة لكلام متقدم اذ قال « وقد يتعاقبان (اي اسم البعيد والقريب) مشارا بهما الى ما وليا » ومثله في الشرح بقوله تعالى بعد قصة عيسى ذلك نلوة عليك من الآيات والذكر الحكيم

ثم قال ان هذا هو القصص الحق ، فاشار مرة بالبعيد ومرة بالقريب وكلامه اوفق بالاستعمال اذ لا يكاد يحصر ما ورد من النوعين فدعوى اكثرية احدهما دعوى عريضة واذ كان كذلك كان حكم الاشارة الى الغائب غير الكلام مثل الاشارة الى الكلام في جواز الوجدان لكثرة كليهما ايضا كثرة تربو عن دعوى التوازن فاذا كان الوجدان سواء كان ذلك الاستعمال مجالا لتسابق البلاغة ومراعاة مقتضيات الاحوال ونحن قد رايناهاهم يتخيرون في مواقع الاتيان باسم الاشارة ما هو اشد مناسبة لذلك المقام فدلنا على انهم يرمون الى اغراض لا قبل لتعرف المخاطبين ايها الا اذا

كان الاستعمالان سواء في اصل اللغة ليكون الترحيح لاحد الاستعمالين دالا على معنى قال خفاف بن ندبة (١)

اقول له والرمح يأطر متنه تأمل خفافا انني انا ذلك (٢)

فانه اشار بذلك الى لفظ خفاف المشهور لدى الاقران والدائع الصيت بين الشعجان يقول له انا ذلك المسمى فجاء باسم البعيد للتعظيم ولولا ذلك لكان الاتيان باسم القريب اجدر لانه حاضر فالاشارة في الآية بلفظ البعيد مقصود منها الاهتمام بالكتاب وانه لعظم شأنه كانه مما لا تتناوله الانظار بسهولة وقد شاع في العرف عند العرب ضرب اللشل للامر العسير المنال بالشيء البعيد يقولون هو بمنط الثريا وابن الثريا من الثرى فالكتاب هنا لما ذكر في مقام تسجيل عجزهم عن معارضته على احد الوجهين المتقدمين كان حاله بالنسبة لتناولهم معارضته كحال الشيء البعيد عن الانظار او هو في مقام نفي الرب عنه على ثاني الوجهين المتقدمين بمحل البعد الاعتباري وهو الرفعة وعظم الشأن فهو بعيد عن يتناوله بهجر القول وهذا بخلاف مقام قوله تعالى وهذا كتاب انزلناه مبارك ونحوه فهو للاشارة الى الكتاب باعتبار كونه بين يدي اعله وحملته لترغيبهم في العكوف عليه والاعتاظ باوامره ونواهيه ، وكان صاحب الكشاف قد بنى على مثل ما بنى عليه الرضي فلم يعد في قوله تعالى ذلك الكتاب تنبيها على التعظيم فانه در صاحب المفتاح اذ لم يغفل ذلك فقال في تعريف المسند اليه بالاشارة (وأن يقصد بعده تعظيمه كما تقول في مقام التعظيم ذلك الفاضل واولئك الفحول وكقوله عز وجل آلم ذلك الكتاب ذهبا الا بعده درجة اه)

فانقصر على احد وجهين في نكتة الاتيان باسم الاشارة البعيد ، ثم انه على تقدير ككون اسم الاشارة خبرا لحروف آلم او كونه مبتدأ والكتاب بدل فليس في التركيب حصر لانه على تقدير كون ذلك خبرا فهو خبر عن جنس الحروف فلا قصد للحصر وان صح اعتباره اذ الكتاب لا يتجاوز كونه مؤلفا من جنس الحروف ، والكتاب فعال بمعنى المكتوب كاللباس والعماد واشتقاقه من كتب بمعنى جمع وضم لان الكتاب تجمع اوراقه او حروفه ومنه سميت الكتيبة

(١) خفاف بضم الحاء وتخفيف الفاء هو خفاف ابن عر واه ندبة بفتح النون وسكون الدال امة سوداء وخفاف احد فرسان العرب وشعرائهم ممن لقب بالغباب واغربة العرب سودانهم وهم خمسة جاهليون وثمانية مسلمون فاما الجاهليون فهم عنترة ، وخفاف ، وابو عمير بن الحباب ، وسليك بن السلكه ، وهشام بن عقبة بن ابي معيط ، وخفاف وهشام ادركا الاسلام وعدا في الصحابة وشهد خفاف فتح مكة وابلى البلاء الحسن ، واما الاغربة المسلمون فهم تأبط شررا والشنفرى عمر ابن فراقه ، وعبد الله بن حازم ، وعمير بن ابي عمير وهمام بن مطرف ومنتشر بن وهب ومطر ابن ابي اوفى وحاجز بجاء ثم جيم ثم زاي معجمة غير منسوب

(٢) يأطر مضارع أطر كنصر وطرب بمعنى أحن وكسر

كثيرة وتسمية القراءان بالكتاب مشيرة الى وجوب كتابته لحفظه فلذلك امر النبي صلى الله عليه وسلم كتابة كل ما ينزل من الوحي وجعل للوحي كتابا

(لا ريب فيه هدى للمتقين) حال من الكتاب على الوجه الاول في موضع جملة ذلك الكتاب او خبر على الوجه الثاني فالريب هنا الشك ، واصل الريب القلق واضطراب النفس وفي الحديث انه راي طيبا في الحمى فقال لا يربه احد بشيء وريب الزمان وريب المنون نوائهما ولما كان الشك يلزمه اضطراب النفس وقلقها اطلق عليه الريب فصار حقيقة عرفية يقال رابه الشيء اذا شككته فهو متعدد ويقال ارا به كذلك اذ الهمزة لم تكسبه تعدية زائدة فهو مثل بان وابان وقد قيل ان اربا اضعف من راب لان ارا به بمعنى قربه من ان يشك قاله ابو زيد وعلى التفرقة بينهما قال بشار.

اخوك الذي ان ربه قال انما اربا وان عاتبته لان جبايه (١)

وفي الحديث دع ما يريك الى ما لا يريك اي دع ما يقربك من الشك في الحرمة الى ارتكاب الامر الذي لا يتطرق اليه احتمال الشك . وقد نفى الريب بلا النافية للجنس وقرئ بفتح ريب وضمه وكلاهما نفي للجنس الا ان الفتح نفي له على سبيل التنصيص والرفع نفي له بلا تنصيص فان كانت الاشارة في قوله ذلك الكتاب الى التهجي المستفاد من حروف آلم على طريقة التعريض بالمتحدين وكان قوله الكتاب خبرا لاسم الاشارة فقوله لا ريب نفي لريب خاص وهو الريب الذي يعرض في كون هذا الكتاب مؤلفا من حروف كلامهم فكيف عجزوا عن معارضته فنفي الجنس فيه حقيقة وليس بادعاء فيكون قوله لا ريب منزلا منزلة التاكيد لمفاد الاشارة في قوله ذلك الكتاب وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون المجرور وهو قوله فيه متعلقا بريب على انه ظرف لغو والظرفية المستفادة من في ظرفية مجازية اي لا ريب يحف به فيكون الوقف على قوله فيه ويجوز ان يكون قوله فيه خبرا للبتدا الواقع بعده وهو هدى للمتقين فيكون الظرف ظرفا مستقرا والظرفية ظرفية عرفية قريبة من الحقيقية ويكون خبر لا محذوفا لظهوره اي لا ريب موجود كما هو مستعمل كثيرا في امثاله نحو قالوا لا ضير وقول العرب لا بأس وقول سعد بن مالك

من صد عن نيراننا فانا ابن قيس لا براح

اي لا خفاء في ذلك وهو استعمال مجازي فصيح فيكون الوقف على قوله لا ريب ، وقد ذكر في الكشف ان ناعما وعاصما وفقا على قوله ريب وان كانت الاشارة الى الكتاب المعهود وكان قوله الكتاب بدلا من اسم الاشارة فالمجرور في قوله فيه ظرف لغو متعلق بريب والظرفية ايضا مجازية وخبرة محذوف على الطريقة الكثيرة في مثله والوقف على قوله فيه . ومعنى نفي وقوع الريب في

(١) اي ان فعلت معه ما يوجب شكك في مودتك راجع نفسه وقال انما قربني من الشك ولم اشك فيه اي التمس لك العذر

الكتاب على هذا الوجه نفى الريب في انه كتاب منزل من الله تعالى لان المقصود خطاب المرتابين في صدق نسبته الى الله تعالى وذلك بتسريال اربابهم منزلة العدم لان في دلائل الاحوال ما لو تأملوه لزال اربابهم فنزل ذلك الارتياب مع دلائل بطلانه منزلة العدم قال صاحب المفتاح « يقلبون القضية مع المنكر اذا كان معه ما اذا تأمله ارتدع فيقولون لمنكر الاسلام الاسلام حق وقوله عز وجل في حق القرآن لا ريب فيه وكلم من شقي مرتاب فيه وارد على هذا » يعني فيكون المركب الدال على النفي المذكور للريب مستعملا في معنى عدم الاعتداد بالريب لمشابهة حال المرتاب في وهن ريبه بحال من ليس بمرتاب أصلا على طريقة التمثيل ومن المفسرين من فسر قوله تعالى لا ريب فيه على تقدير كون المجرور ظرفا مستقرا وجعل الظرفية المستفادة من حرف في ظرفية عرفية قرينة من الحقيقة بمعنى انه ليس فيه ما يوجب اربابا في صحته اي ليس فيه اضطراب ولا اختلاف فيكون الريب هنا مجازا في سببه ويكون المجرور ظرفا مستقرا خبر لا فينظر الى قوله تعالى افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا . وهو تفسير بعيد لان اطلاق الريب على ما يوجب الريب غير معروف عندهم وبهذا البيان يظهر وجه العدول عن تقديم المجرور بان يقال لا فيه ريب اي بخلاف غير القرآن من كتب أهل الكتاب ومخالفة طريقة قوله تعالى لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون اي بخلاف خمور الدنيا إذ ليس الحصر في قوله لا ريب فيه بمقصود لان المقام خطاب للعرب المتحدين بالقرآن لا لاهل الكتاب على ان مثال المفاد من الحصر حاصل هنا بطريق آخر غير طريق الحصر لان قوله ألم رد على العرب المنكرين كونه من عند الله بما يناسب حالهم وهو العجز عن معارضته مع انهم اهل الفصاحة والبلاغة وقوله ذلك الكتاب لا ريب فيه مؤذن بكماله وبلوغه الدرجة القصوى من بين نظائره فيكون تعريضا باهل الكتاب المكذبين كونه من عند الله وقوله لا ريب فيه تعريض بما يلهجون به من كتبهم المحرفة على وجه يستنزل طائر مكابرتهم للنظر في تتبع آياته هل يجدون فيها ما يدعو الى الارتياب ويستطير جائم اعجابهم بما بين ايديهم من كتبهم حتى يتأملوها على بصيرة فيعلموا تناقضها واضطرابها فان الشك في الحقائق رائد ظهورها والفجر الكاذب بين يدي طلوع الشمس بشير سفورها .



الحديث الشريف

ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء (رواه بخاري)

٢

الدواء من الاسباب

قال في الفتح وحصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب والتداوي لا ينافي التوكل كما لا ينافيه دفع الجوع والعطش مع اعتقاد ان ذلك باذن الله وتقديره وانها لا تتجع بذواتها بل بما قدره الله سبحانه فيها قلت وهذا صريح في ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله وذلك مذهب بعض السلف قال في روح المعاني مذهب السلف ان الاسباب مؤثرة بقوة اودعها الله فيها ولكن باذنه واذا لم يأذن وحال بينها وبين التأثير لم تؤثر كما يرشد لذلك قوله تعالى وما هم بضارين به من احد الا باذن الله ولو لم يكن في هذه الاسباب قوى اودعها العزيز الحكيم لما قال سبحانه وتعالى يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم اذما الفائدة في القول وهي ليس فيها قوة الاحراق وانما الاحراق منه تعالى بلا واسطة

مذهب الاشاعرة

اما الاشاعرة فالمشهور عنهم انها اسباب عادية في امثال هذا الموضع فلا تأثير للماء عندهم في الري اصلا وانما المؤثر هو الله تعالى عند الاسباب لا بها قالوا ومن اعتقد ان الله تعالى اودع قوة الري فيها مثلا فهو كمن اعتقد ان السبب مؤثر بنفسه فالواجب ان يعتقد المكلف ان الري جاء من جانب ابتدا القياض بلا واسطة وصادف حبيته شرب الماء من غير ان يكون للماء دخل في ذلك بوجه من الوجوه سوى الموافقة الصورية

الاسباب مع التوكل

قال الشهاب القرافي في الفرق السابع والحسين بعد المائتين المحققون على ان الاحسن ملازمة الاسباب مع التوكل للمقول والمقول اما المنقول فقوله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

الحلّيل فامر بالاستعداد مع الامر بالتوكل في قوله جل اسمه وعلى الله فليتوكل المؤمنون ، رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المتوكلين وكان يطوف على القبائل ويقول من يصحني حتى ابلغ رسالة ربي وكان له جماعة يحرسونه من العدو حتى نزل عليه قوله جل وعلا والله يعصمك من الناس واما المعقول فان الله تعالى رتب ملكه على عوائد ارادها واسباب قدرها وربط بها ، اثار قدرته ولو شاء لم يربطها فجعل الشيع بالاكل والشرب والاحراق بالنار والحياة بالتنفس فمن طلب من الله تعالى حصول هذه الآثار بدون اسبابها فقد اساء الادب مع الله تعالى بل يلتبس فضله في عوائده

الخلق ثلاثة اقسام

ثم قال الشهاب وقد انقسمت الخلائق في هذا المقام ثلاثة اقسام قسم عاملوا الله تعالى باعتماد قلوبهم على قدرته مع اهمال الاسباب والعوائد فهؤلاء حصل لهم التوكل وفاتهم الادب مع الله تعالى وهم جماعة من العباد احوالهم مسطورة وقسم لاحظوا الاسباب وأعرضوا عن التوكل وهم عامة الخلق وشر الاقسام وربما وصلوا بملاحظة الاسباب والاعراض عن المسبب الى الكفر والعياذ بالله تعالى والقسم الثالث اعتمدت قلوبهم على قدرة الله تعالى وطلبوا فضله في عوائده ملاحظين في تلك الاسباب مسبها وميسرها فجمعوا بين التوكل والادب وهؤلاء النيبون والصديقون وخاصة عباد الله تعالى والعارفون بمعاملته جعلنا الله منهم فهؤلاء خير الاقسام والادب التماس فضل الله تعالى في عوائده ولذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامر بالدواء والحية

اشكال وجوابه

قلت يرد على هذا ان كثيرا من السلف الصالح المقطوع بكماله وفرط ادبه مع الله تعالى اعرض عن الاسباب تصحيحا للتوكل فقد روي عن الامام احمد بن حنبل انه يكون به علل ولا يخبر بها الطبيب ويقول احب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وحكى القاضي عياض عن الحسن بن نصر السوسي من فقهاء المالكية ان ابنه قال له في سنة غلا فيها السعر يا ابت اشتر طعاما فاني ارى السعر قد غلا فامر ببيع ما كان بدارة من الطعام ثم قل لابنه لست من المتوكلين على الله وانت قليل اليقين كان القمح اذا كان عند ابيك ينجيك من قضاء الله تعالى عليك من توكل على الله كفاة

والجواب من وجهين اولهما يوخذ مما قرره شيخ الاسلام في كتاب مدارج السالكين من ان العبد يعرض عن الاشتغال بالسبب لتصحيح التوكل بامتحان النفس لان المتعاطي للسبب قد يظن انه حصل التوكل ولم يحصله لثقتة بمعلومه فاذا أعرض عن السبب صح له التوكل وكانما يشير لهذا الامام احمد

بقوله احب لمن اعتقد التوكل ترك التداعي من شرب الدواء وغيره . نعم هاته الطريقة صارت فتنة لطافتين طائفة ظنتها طريقا ومقاما فعملوا عليها فمنهم من انقطع ومنهم من رجع ولم يمكنه الاستمرار عليها بل اقلب على عتبيه وطائفة قدحوا في اربابها وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل ومدعين لانفسهم حالا اكمل من حال رسول الله صلى عليه وسام واصحابه اذ لم يكن منهم احد قط جعل ذلك ولا اخل بشيء من الاسباب والحوادث الثاني يؤخذ مما قرره الشيخ ابواسحاق الشاطبي حيث قال الدخول في الاسباب والالتفات الى المسببات له ثلاث مراتب احداها ان يدخل فيها على ان السبب فاعل المسبب ومولد له فهذا شرك او مضاه له والعباد بالله تعالى الثانية ان يدخل في السبب على ان المسبب يكون عنده عادة ومحصله طلب المسبب عن السبب لا باعتقاد الاستقلال بل من كونه موضوعا على انه سبب لمسبب فالسبب لا بد ان يكون لمسبب لانه معقوله والالم يكن سببا فالالتفات للسبب من هذا الوجه ليس بخارج عن مقتضى عادة الله تعالى في خلقه ولا مناف لكون السبب واقعا بقدرة الله تعالى الثالثة ان يدخل في السبب على ان المسبب من الله تعالى لانه المسبب فيكون الغالب على صاحب هذه المرتبة اعتقاد انه مسبب عن قدرة الله تعالى وارادته من غير تحكيم لكونه سببا وحاصله يرجع الى عدم اعتبار السبب في المسبب من جهة نفسه واعتباره فيه من جهة انه مسبب وذلك صحيح

حكم الدخول في الاسباب

ثم الدخول في الاسباب لا يخلو اما ان يكون منها عنه او لا فان كان منها عنه فلا اشكال في طلب رفع التسبب وان كان غير منهي عنه فلا يطلب رفع التسبب في المراتب الثلاث اما الاولى فاذا فرضنا ان نفس التسبب مباح او مطلوب على الجملة فاعتقاد المعتقد لكون السبب هو الفاعل معصية قارنت ما هو مباح او مطلوب فلا يبطله واما الثانية فظاهر ان التسبب صحيح لان العامل فيها اذا اعتمد على جريان العادات وكان الغالب فيها وقوع الاسباب غن مسيبتها وغلب على الظن ذلك كان ترك التسبب كالقاء بيد الى التهلكة او هو هو وكذلك اذا بلغ مبلغ القطع العادي فواجب عليه ان يتسبب ولاجل هذا قالوا ان المضطر اذا خاف الهلكة وجب عليه السؤال والاستقراض او اكل الميتة ونحوها ولا يجوز ان يترك نفسه حتى يموت ولذلك قال مسروق رضي الله تعالى عنه من اضطر الى شيء مما حرم الله عليه فلم يأكل ولم يشرب حتى مات دخل النار واما الثالثة فالتسبب فيها ايضا ظاهر لا غبار عليه

نظر الشاطبي

قال الشاطبي رحمه الله تعالى بعد هذا التقرير وبسطه والذي يظهر لي في المسألة نظر آخر وهو ان الواجب على كل مؤمن ان يعتقد ان الاسباب غير فاعلة بنفسها وانما الفاعل مسيبتها سبحانه

وتعلي لكن عاداته في خلقه جارية بمقتضى العوائد المطردة وقد يخرقها اذا شاء لمن شاء فمن حيث كانت عادة اقتضت الدخول في الاسباب ومن حيث كانت الاسباب فيها بيد خالق المسببات اقتضت ان للفاعل ان يفعل بها وبدونها وقد يغلب على المكلف احد الطرفين فان غلب الطرف الاول وهو العادي فهو ما تقدم وان غلب الثاني فصاحبه مع السبب او بدونه على حالة واحدة وكل واحد فقيه نفسه ، قلت فمن انس من نفسه انه من اهل المرتبة الثانية فهو من التطب والتداوي في حل ومن كان من اهل المرتبة الاولى فعليه بالتداوي والطب لا محالة وكل احد في المقام الذي اقامه الله فيه ففي حكم ابن عطاء الله « ارادتك التجريد مع اقامة الله اياك في الاسباب من الشهوة الخفية و ارادتك الاسباب مع اقامة الله اياك في التجريد انحطاط عن الهمة العلية »

الطب نوعان

والطب نوعان نوع لا يحتاج الى فكر وتطويل فطر الله على معرفته الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش ونوع يحتاج الى الفكر والنظر كدفع ما يحدث في البدن مما يخرج عنه حد الاعتدال ومداره على ثلاثة اشياء حفظ الصحة والاحتماء عن المؤذي واستفراغ المادة الفاسدة وقد اشير الى الثلاثة في القرءان فالاول من قوله تعالى فمن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر وذلك ان السفر مظنة النصب وهو من مغيرات الصحة فاذا وقع فيه الصيام ازداد فايح الفطر ابقاء على الجسد وكذا القول في المرض والثاني وهو الحمية من قوله سبحانه وتعالى ولا تقتلوا انفسكم فانه استنبط منه سيدنا عمرو بن العاص حواز التيمم عند خوف استعمال الماء البارد عليه واقرة صلى الله عليه وسلم والثالث وهو استفراغ المادة الفاسدة من قوله تعالى او به اذى من راسه ففدية فانه اشير بذلك الى حواز حلق الراس الذي منع منه المحرم لاستفراغ الاذى الحاصل من البخار المحقق في الرأس ، وفي العجائب للكرماني قال طيب نصراني لعلي بن الحسين بن واقد العلم علما علم الابدان وعلم الاديان وليس في كتابكم من علم الطب شيء فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية قال وما هي قال كلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر عن رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في الفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله صلى الله عليه وسلم المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباء ، وما نسبه للنبي صلى الله عليه وسلم لم يصح رفعه اليه بل هو من كلام الحرث بن كلفة طبيب العرب ، وفي الاحياء مرفوعا البطنة اصل الداء والحمية اصل الدواء وعودوا كل جسد ما اعتاد وتعقبه العراقي قائلا لم اجد له اصلا وفي روح المعاني اخرج في الدر المنثور عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها وهي تشكي فقال لها يا عائشة الازم دواء والمعدة بيت الادواء

وعودوا البدن ما اعتاد ولم يتعقبه احد وعلى كل حال فلا حادث البصحية متصافرة في دم الشعب وكثرة الاكل وذلك الطب كله

الطب علم وعمل

قال العلامة العيني الطب علم وعمل فالعلم معرفة المرض المقصود وهو موضوع في الفكر الذي به التدبير والعمل هو خروج ذلك الموضوع في الفكر الى المباشرة بالحس والعمل باليد . قلت وهو مشروط بان لا يكون منها عنه فلا يبي داود من حديث ابي الدرداء ان الله جعل لكل داء دواء فتداووا ولا تتداووا بحرام . وقد اختلف علماؤنا الحنيفة في التداوي بالمحرم وظاهر المذهب المنع كما في كتاب الرضاع من البحر وفي الحاوي قيل يرضخ اذا علم فيه الشفاء ولم يعلم دواء اخر كما رخص الحمر للعطشان وعليه الفتوى وهو الذي انفصل عليه في الخانية واختارة صاحب الهداية في التجنيس قال سيد المحققين المولى ابن عابدين قد اشترطوا في التداوي بالمحرم العلم بكونه شفاء ولم يعلم دواء اخر وصرحوا بان قول الاطباء لا يحصل به العلم والظاهر ان التجربة يحصل بها غلبة الظن خاصة دون اليقين ولعلمهم أرادوا من العلم غلبة الظن وهو شائع في كلامهم ومما يؤيدان الحاصل انما هو غلبة الظن ان المريض يتداوى من داء فيبراً ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فلا ينجع قرب مرضين تشابها ويكون احدهما مركباً فلا ينجع فيه ما ينجم في الذي ليس بمركب فيقع الخطأ من هنا وقد يكون متحداً ولكن يريد الله ان لا ينجع فلا ينجع ومن هنا تخضع رقاب الاطباء والحاصل ان حصول الشفاء بالدواء انما هو كدفع الجوع بالاكل والعطش بالشرب وهو ينجع في ذلك في الغالب وقد يتخلف لما نعلم نعم الاسباب تختلف بقدرة الله تعالى قوة وضعفاً

كلام الله شفاء

ومن اقوى الاسباب كلام الله تعالى قال جل شاناه ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فقد ذهب بعض اهل التفسير الى ان من للتبويض واختير في توجيهه انه باعتبار الشفاء الجسماني وهو من خواص بعض الآيات دون بعض كالفاتحة وآيات الشفاء والآثار في ذلك كثيرة وقد قال صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاء الله

وفي التذكرة ان من الامور والرقى ما يشفي بخاصية روحانية وهو ما نص عليه الاندلسي في مفرداته وقال ان من ينكر ذلك لا يعبأ به فقد اعترف به حذاق الاطباء

لا بأس بالرقى

وروي عن امام دار الهجرة رضي الله عنه انه لا بأس بتعليق الكتب التي فيها اسماء الله تعالى على اعناق المرضى على وجه التبرك قال في شرح منظومة الادب وعنى بذلك انه لا بأس بالتعليق

رجاء الفرج كالرقى التي وردت السنة بها من العين التي هي من أعظم الامراض فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم انها تدخل الرجل القبر والجل القدر قال العلامة الالوسي ومما يدفع ضررها قراءة قول الله تعالى وان يكاد الذين كفروا ليزلقونك بابصارهم لما سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو الا ذكر للعالمين (وازافة الضرر للعين باعتبار ان النفس تتأثر بواسطتها غالبا وقد يكون التأثير بلا واسطتها بان يوصف للعائن شيء فتوجه اليه نفسه فتفسد قال المناوي وقد يصيب الانسان عين نفسه ومن هنا يعلم فساد ما قاله بعض اصحاب الطبائع من انه ينبعث من العين قوة سمية تتأثر فيما نظره لانه لا يتم فيما لم يره ولا يقتل الصل سمه

التنويم المغناطيسي

نعم لا ننكر ان في النفوس قوة تشبه في تاثيراتها المعروفة اليوم بالقوة الكهربائية فقد صح ان بعض الناس يكرر النظر الى بعض الاشخاص من رأسه الى قدمه فيصرعه كالغشي عليه وربما يقف وراءه جاعلا اصابعه حذاء نقرة رأسه ويوجه نفسه اليه حتى تضعف قواه فيغشاه نحو النوم ويتكلم اذ ذاك بما لا يتكلم به في وقت اخر بل ربما اخبر بما هو غائب عنه وقد شاهدنا شيئا من ذلك والله في خلقه اسرار تتحير فيها العقول

الصدقة والدعاء

ومن الاسباب القوية ايضا الصدقة والدعاء فانهما الزريق المجرب للشفاء ورفع البلاء واني شاهد صدق نجعهما وأثر من آثار بركتهما الا ان الاجدر بذى الهمة الرفيعة ان يتحرى بهما محالهما ويقوم بهما كما وصف في الشريعة واجدر محل بالصدقة الفقير الضعيف كما ان ارجى محل لاجابة الدعاء يت الله ومجلس الحديث الشريف فلنهرع للدعاء راحين من الله تعالى لاجابة ولنقل بصدق واخلص وانا به

الدعاء

يا الله يا من لا اله الا انت سواك انا نحمدك ونشكرك على نعمك الضافية . ونخص من بينها نعمتي الاسلام والعافية . ونستهديك افضل الصلاة وازكى التسليم . على عين الرحمة وصاحب الخلق العظيم . وعلى آله واصحابه اجمعين . وكل من تبعهم الى يوم الدين . اللهم ابدل عسرنا باليسر . وانشر على الاسلام اعلام العز والنصر . فقد ضاقت بنا الارض وليس لنا عدة . فاذقنا بمحض فضلك حلالة الفرج بعد الشدة . اللهم اننا بسطنا اليك اكف الضراعة خاشعين . فارحم ابناءنا وسلفنا ومشائنا وجميع المسلمين . اللهم اختم لنا بالسعادة . وبلغنا فيما يرضيك اماننا وزيادة . بجاه نبيك الكريم المقدس لك بقوله سبحانه الله وبحمده سبحانه الله العظيم

دفع اشكال

في حديث نبوي



سألني احد ابناهي الافاضل من شيوخ العلم بجامع الزيتونة عن تأويل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (سألت ربي ان لا يسلط على امتي عدوا من سوى انفسهم) هل هو حديث صحيح او لا وكيف اذا ظهر صحيحا يستقيم معناه فانا نرى ونسمع ان المسلمين قد تسلط عليهم غير مرة اعداء من غيرهم مثل ما حل بالمسلمين في بلاد الاندلس وهل يستقيم ان تؤوله بان العدو ما سلط على الامة في كل مرة الا بمعونة خيانة من المسلمين انفسهم وخذلان بعضهم بعضا فيكون ذلك التسليط في المعنى من انفس المسلمين

فأجبت حين السؤال بما حضرني بما يدفع الاشكال ، وذلك بعض ما يشتمل عليه هذا المقال ، ثم بدالي ان ازيد بيانا وتحقيقا ، ليكون فهم هذا الحديث فهما وثيقا ،

سند هذا الحديث هو حديث صحيح رواه مسلم وغيره واللفظ الصحيح هو ما في مسلم عن ثوبان مولى رسول الله قال قال رسول الله « ان الله زوي لي الارض فرايت مشارقتها ومغارها وان امتي سيلغ ملكها ما زوي لي منها واعطيت (وفي رواية واعطاني) الكنزين الاحمر والابيض (يعني الذهب والفضة وقيل اراد الشام والعراق) واني سألت ربي لامتي ان لا يهلكها بسنة عامة وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم وان ربي قال يا محمد اني اذا قضيت قضاء فانه لا يرد واني اعطيتك لامتك ان لا اهلكهم بسنة عامة وان لا اسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من باقطارها او قال من بين اقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضها وبسبي بعضهم بعضا) ورواه ابو داود والترمذي واحمد بن حنبل وابن ماجة وابن حبان عن ثوبان بأطول من هذا يزيد بعضهم على بعض . وهذا الحديث مع اشكاله لم يتناوله شراح الحديث عياض والنووي والابن من شراح مسلم وابن العربي في شرح الترمذي والخطابي في شرح كتاب ابني داود بما يستحقه من البيان بل تراهم اعرضوا عن بيان المراد منه وموافقته لما ظهر من الحوادث وقصدنا الاقتصار على محل الاشكال من رواية مسلم

معناه الذي أرى ان هذا الحديث مسوق للبشارة والتحذير معا وانه جاء على نسق سنن البلاغة النبوية بايجاز بديع وانه يدل على ان رسول الله دعا ربه دعوة استجبت له فاراد ادخال السرور بها على امته ليعلموا كرامتهم على الله ويزدادوا معرفة بقدر رسولهم وقد دل على ان الدعوة مستجابة قوله

في اخر الحديث فيما يرويه عن ربه واني اعطيت لامتك ان لا اسلط عليهم عدوا الخ وفيه تحذير مما يخشى وقوعه بين المسلمين من القتال وله نظائر في التحذير كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض والتسليط في كلام العرب هو الغلب قال الله تعالى ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم واشتقاقه من السلاطة وهي الشدة يقال فلان سليط اللسان اي خبيث القول ومنه اشتقت السلطة والسلطان وقد اريد بالتسليط هنا الشدة وهو تسليط الاهلاك والاستئصال بدليل حجيء فاء التسبب الحجيي عقبه في قوله فيستبيح يضتهم فيعود الكلام الى معنى وان لا يستبيح عدوهم يضتهم والنكته في ابتداء الدعاء بنفي التسليط ثم تعقيبه بنفي الاستباحة هي التأديب باسناد الفعل المطلوب الى الله تعالى وان العدو اذا لم يسلطه الله لا يستطيع استباحة بيضة المسلمين والسين والفاء في الاستباحة للضرورة مثل قولهم استقام الامر اي صار قيعا فالمعنى فتصير بيضة المسلمين مباحة لهذا العدو المسلط والاباحة في الاصل الممكنة قال الشاعر

ابحضا حبيهم قتلا واسرا خلا الشمطاء والطفل الصغير

وضدها الحرمة وهي المنع ومنه وصف البلد بالحرام ومعنى صيرورة البيضة مباحة ان لا يبقى لها من القوة والعزة ما يمنع العدو من تناولها والتمكن منها والبيضة هنا الجامعة واصل البيضة لامة الحرب التي تلبس على الرأس لتقيه ضرب السيوف مثل المغفر ثم اطلقت على العزة مجازا مرسل لانها سبب العزة في الحرب للابسا ان يكون امانا من تلاف نفسه ثم اطلقت على الامر الذي تجتمع عليه الامة وبه قوامها وبقاؤها ومن ذلك قول العلماء من شرط الخليفة ان يكون قادرا على حماية البيضة والجامعة في اعتبار الاسلام هي جامعة الدين فلا تنفك الى القبائل والاحياء ولا الى الاوطان والامم لكن الجامعة الاسلامية لما كانت حاصلة في جماعة المسلمين وكانت جماعة المسلمين لا غنى لها عن الاستقرار في مكان فوطن الاسلام وبلاد الاسلام هو الارض التي يقطنها طوائف من المسلمين فالتأم من معنى الكلام ان الرسول سأل الله ان لا يسلط العدو على الامة تسليطا يتمزق به اهابة الجامعة الاسلامية فليس المراد ان لا يسلط العدو على بعض المسلمين في بعض الاقطار او في بعض الايام لان سنة الله في هذا الكون ان الدنيا دول والحرب سجال وان الامور موكولة الى اسبابها وعوارضها فقد هزم المسلمون في زمن الرسول في بعض الوقائع كما قال تعالى هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا وانما المراد ان لا يسلط عدوا على جميع الامة فيستاصلها بقرينة قوله قبله ان لا يهلكهم بسنة عامة اي بقحط يعم جميع بلاد الاسلام حتى يستاصلهم فلا يمنع ذلك من حصول قحط في بعض الجهات يهلك طوائف من الناس فقد كان قحط عام الرمادة في خلافة عمر رضي الله عنه وكان غير بعيدة ونظير هذا ان رسول الله سأل ربه غير مرة دعوات مرجعها الى حماية هذه الامة من اسباب الاستيصال فقد امن الله امة محمد من الحسف ومن الهلاك بالريح ونحو ذلك مما اهلكته به الامم البائدة ومن حديث

البخاري ان رسول الله قال سألت ربي ان لا يهلك امتي بعذاب من فوقهم او من تحت ارجلهم فاستجاب لي وسأله ان لا يلبسهم شيئا ويذيق بعضهم بأس بعض فاستجاب لي .

وفي الصحيح انه لما نزل قوله تعالى قل هو القادر على ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم . قال رسول الله أعوذ بسبحات وجهك الكريم . او يلبسكم شيئا ويذيق بعضكم لباس بعض . قال رسول الله هذه اخف فالرسول عليه السلام حريص على ان لا يصيب الامة شيء يستاصلها لان ذلك يقطع اعظم شيء عند الرسول وهو توحيد الله وعبادته الا ترى قوله يوم بدر وهو في العرش اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض . وذلك ان الامم الماضية اصابهم الاستيصال بانواع الملكات من نحو الفرق اقوم نوح والريح لعاد والحشف لاهل سدوم والصاعقة لثمود وسيل العرم لسبا والصيحة لمدين فباد جمعهم وهلكوا والاستئصال بالسيف لبني اسرائيل على ايدي السريان في مدة بختنصر ثم على ايدي الرومان في زمن طيطس حتى استبيحت بيضتهم وزالت جامعهم الى اليوم والمراد بالعدو المعادي اي المخالف الحق وهو هنا عدو الدين بقرينة مقابلته بمجموع الامة الاسلامية وقوله من سوى انفسهم اي من غير قومهم لان الانفس في مثل هذا المقام يراد به الصميم والقوم والمراد هنا القومية الدينية لا القبلية فيجوز ان يكون هذا الوصف لقوله عدوا وصفا كاشفا اذ العدو لا يكون الا من غير القوم اي عدوا من غير المسلمين وحينئذ فليس فيه ما يقتضي ان يسلط على المسلمين عدو منهم يستاصلهم ويجوز ان يكون وصفا مقيدا لقوله عدوا معاديا لهم من انفسهم فيكون المعنى على تاويل عدو لبقيتهم اي فريق من المسلمين يكون عدوا لبقيتهم فيكون رسول الله دعا الله دعوة لاحظ فيها حق الادب مع الله لان سنة الله في خلقه ان لا تسلم امة من عدو يناوئها فسال الله ان يسلبها من عدو شديد العداوة يستاصلها وبينها لان غلبة العدو التام العداوة غلبة مشتملة على اهانة بخلاف غلبة العدو الذي له بالمغلوب صلة واقتراب فانها لا تخلو من رحمة وتجنب للاهانة كما قال البحرني

وفرسان هيجاء تجيش صدورها باحقادها حتى تضيق دروعها

تقتل من وترأ عن نفوسها عليها بأيدي ما تكاد تطيعها

اذا احتربت يوما ففاضت رماؤها تذكرت القربى ففاضت دموعها

وكما قال الحماسي لما اراد القود من اخيه حين قتل ابنه ثم القى السيف من يده وقال

اقول للنفس تأساء وتعزية احدي يدي اصابني ولم ترد

كلامها خلف عن فقد صاحبه هذا اخي حين ادعوا وذا ولدي

وعليه فليس المراد من تسليط العدو الذي هو من انفس الامة تسليط الاستيصال لان ذلك غير متوهم في العرف ان يصدر من متسلط من انفس القوم وبدل لذلك قوله في اخر الحديث حتى

يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا والحديث على هذا البيان لا ينافيه شيء مما حدث من احوال المسلمين في التاريخ فقد تسلط العدو على طوائف من المسلمين غير مرة بعضها كانت تسلطا معتادا كالحروب الصليبية وبعضها كان فوق المعتاد كتسلط التتار والمغول على المسلمين في المشرق سنين طويلة أهلكت الحرث والنسل الى ان اعتنقوا الاسلام وصاروا اخوة لمن كانوا اعداءهم وكتسلط القرامطة على بلاد العرب وتسلط النصارى على المسلمين في مصر والشام في اواخر القرن السادس واوائل السابع وكتسلط الجلائقة على المسلمين في المغرب ببلاد الاندلس حتى انتجى عنها المسلمون وأصبحت أرض كفر ولكن المسلمين الذين كانوا بها حلوا في ديار أخرى وانضموا الى جامعهم فلم يكن ذلك استيصالا لهم بل ان يكون استيصالا لسائر الامة وتمزيق جامعها وسلطانها وقد اقتلت فرق المسلمين غير مرة قتالا معتادا او اشد من المعتاد وحسبك منه قتال الخوارج الذي دام سنين طويلة ولم يفض الى تفانيهم واستيصال بعضهم بعضا وعلى هذا فقوله في حكاية جواب الله تعالى « حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا » غاية لانتفاء تسليط بعضهم على بعض ليست من جنس تسليط العدو عليهم وشرط المعطوف بحيث ان يكون بعضا من المعطوف عليه فتعين ان يكون في الكلام ايجاز حذف دل على عظم فضل الله تعالى على رسوله اذ استجاب له بأكثر مما سأله فانه سأل ان لا يسلط عليهم عدوا من غيرهم يستبيح بيضتهم فاستجاب له بذلك وان لا يسلط عليهم من أنفسهم أيضا مسلطا في كون من الاكوان وحال من الاحوال الى الغاية التي يكون بعضهم فيها يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا وهذا الاسلوب يشبه ان يكون من تأكيد الشيء بما يشبه ضده اذ يوهم بظاهرة ان تلك الغاية نهاية لقوله وان لا يسلط عليهم عدوا من سوى انفسهم وهي في الحقيقة ليست غاية لذلك فان ذلك منتفأ ابدا الى غير غاية وانما هو غاية لمحتوف وهو ما اشرت اليه انفا .

ويجوز أن يكون المراد من قوله حتى يكون بعضهم يهلك بعضا الخ غاية لنفي تسليط العدو من غير تقييد ككون العدو من غير أنفسهم اي تسليط بعض المسلمين على بعض تسليطا يستبيح بيضتهم ويفني جماعتهم فيكون ذلك اخبارا عن غاية من الزمان تحصل فيه فتن عظيمة فيرتد فريق من المسلمين عن الاسلام ويكون مساويا للفريق الباقيين على الاسلام في العدم او نزول منهم حرمة احكامه فيقتل بعضهم بعضا قتل استيصال حتى لا يبقى من يقول الله الله كما ورد في الحديث لا تقوم الساعة الا على شرار الخلق وذلك بان يسلط بعض المسلمين على بعض ويسلب الغاليين رشدهم فيهلكوا البقية نظير ما سلب الله (نيرون) سلطان الرومان من العقل حتى صار يلذ له ازهاق نفوس قومه واحراق غاصمة سلطانه فيكون هؤلاء قد بدلوا نعمة الله كغرا واحلوا قومهم دار البوار وهي غاية بعيدة المدى . ما بقيت في المسلمين مسكة من هدى . نسأل الله ان يعيد الامة من هذه الحالة ببركة رسولها عليه السلام .

قاله محمد الطاهر ابن عاشور شيخ الاسلام المالكي

الفتاوى والفتاوى

حكم وضع الاسنان المصنوعة في الفم

بقلم العلم الهمام شيخ الاسلام الحنفي

السؤال

ما قولكم في وضع الاسنان المصنوعة في الفم عوض الاسنان الساقطة بالصفة التي شاع استعمالها في هذا العصر هل هو جائز او ممنوع؟ وهل تطهير السن المجوف من اثر السوس وملوؤه بالفضة ثم تغليفه بالذهب حتى لا ينقرض كما هو الشايع الآن يمنع صحة الاغتسال بناء على ما ذكر في الكتب الفقهية من ان الاصح عدم صحة الغسل اذا كان السن المجوف ممثلاً بشيء صلب لا ينفذ الماء الى تحته؟

الجواب

ان وضع الاسنان المذكورة بالصفة الشائعة الآن جائز بلا خلاف لان تلك الاسنان المصنوعة وما هي مشدودة به كلاهما طاهران احدهما مما يسمى بالكوتشو والآخر نوع من الطين كما اخبرنا بذلك بعض أهل هذه الصناعة من المسلمين ولاشك أن وضع الطاهر غير المضر في الفم مباح خصوصاً اذا كان لحاجة كالانسان التي بها المضغ الذي هو اول مراتب الهضم فهو حيثنذكر وضع سن الشاة المذكاة عوض السن الساقطة المنصوص على جوازها في المذهب قال الكرخي اذا سقطت ثنية رجل فان أبي حنيفة يقول لا يبيدها ويشدها بذهب او فضة لانها كسن ميتة بل يأخذ سن شاة ذكية يشدها مكانها وخالفه ابو يوسف وقال لا بأس باعادتها ولا يشبه سنه سن ميتة وفي الترخانية قال بشر قال ابو يوسف سألت أبو حنيفة عن ذلك في مجلس اخر فلم ير باعادتها بأساً اه وذلك يدل على انه لا خلاف بين ابي حنيفة وابي يوسف في جواز وضع سن من الشاة المذكاة عوض السن الساقطة وانما الخلاف بينهما على رواية الكرخي في اعادة السن الساقطة وبذلك يتبين جلياً ان وضع الاسنان المصنوعة بالصورة المعروفة الان جائز باتفاق ابي حنيفة وابي يوسف ولم نغتر على النقل عن محمد في سن الشاة المذكاة والظاهر انه لا يخالف الامامين في الجواز لطهارة السن وبذلك يتبين لنا القول بان تعويض الاسنان الساقطة بالاسنان

المصنوعة بالصفة المذكورة معملا خلاف في جوازه بين أئمتنا الثلاثة هذا كله في تعويض الساقط من
الاسنان اما شد السن المتحرك بالفضة فجايز بالاتفاق وبالذهب منعه ابو حنيفة وجوزة محمد وابو
يوسف قيل مع ابي حنيفة وقيل مع محمد قال في الدر المختار ولا يشد سنه المتحرك بذهب بل بفضة
وجوزهما محمد اي جوز الشد بهما اه ولا يخفى ان الخلاف في الذهب انما هو بالنسبة للرجال دون
النساء فيجوز لهن الشد بالذهب عند الجميع لجواز التحلي بالذهب لهن فضلا عن الحاجة الداعية لذلك
وفي الصحيح ان النبي صلى عليه وسلم خرج وباحدى يديه حرير وبالاخرى ذهب وقال هذان محرمان
على ذكور أمتي حلال لائانهن واما تطهير السن المجوف من اثر السوس وحشوه بالفضة ثم تغليفه بالذهب
لئلا ينقرض فان كان ذلك لضرورة دفع الالم الحاصل او المتوقع حصوله بدخول الهواء او الطعام في جوف
السن فذلك لا يمنع صحة الغتسال وان لم يصل الماء تحت الحشو والغلاف لضرورة التداوي كشد
السن المتحرك لضرورة دفع الالم الحاصل بالتحريك فكما لا يمنع الشد لا يمنع السد للضرورة والخرج
المرفوع بالنص وفي شرح المنية ما يشعر بذلك كما ياتي وقصاراه ان يتنزل الحشو منزله الجزء السني
ذهب من السن والغلاف منزلة ظاهر السن فيكفي وصول الماء الى ظاهر الغلاف كظاهر المشدودة به
السن المتحرك او كآثر الحناء والصنع وما اشبه ذلك مما هو معلل بالضرورة وان اختلفت جهتها واذا
اردت زيادة الايضاح فاستمع لما نقصه عليك قال في الدر المختار ولا يمنع ما على ظفر صباع ولا طعام
بين اسنانه او في سنه المجوف به يفتى وقيل ان صلبا منع وهو الاصح اه وكتب المولى ابن عابدين على
قوله به يفتى ما نصه صرح به في الخلاصة وقال لان الماء شيء لطيف يصل تحته غالبا ومفاده عدم الجواز
اذا علم انه لم يصل الماء تحته اه وكتب على قوله وهو الاصح ما نصه صرح به في شرح المنية وقال
لامتناع الماء مع عدم الضرورة والخرج اه اي لامتناع وصول الماء تحت الطعام الصلب مع عدم الضرورة
ابقائه وعدم الخرج في ازالته وفيه اشعار بان ما كان للضرورة والخرج لا يمنع صحة الغتسال كما اشرنا
اليه سابقا ثم قال ابن عابدين وهذا التصحيح لا ينافي ما قبله فافهم اه يعني لان مفاد كلام الخلاصة على القول
الاول عدم الجواز اذا علم ان الماء لم يصل تحت الطعام واذا تصلب الطعام للزوجة بشدة المضغ حتى صار
كالعلك لا يصل الماء تحته فالقولان حينئذ متحدان ولا اثر للخلاف في المعنى وبما نقلناه وقررناه يتجنى لك
ايها السائل ان مسألة الطعام الصلب المذكورة في الكتب الفقهية غير حادثة السؤال لان الطعام لا ضرورة
لبقائه ولا خرج في زواله بخلاف الشيء الصلب الموضوع للتداوي لمكان الضرورة والخرج كما اسلفناه

محمد بن يوسف

الاخوة في الاسلام

ان الكلام على الاخوة في الاسلام او الاخوة الاسلامية يستدعي القاء نظرة بعيدة على منشاء هاته الاخوة وما لا يسها في عصور الاسلام الاولى وما طرأ عليها في العصور المظلمة الحديثة لنصل الى حقائق ذات شان عظيم في تكوين أمتنا المحمدية وما كانت عليها من القوة والعز وما داخلها من انحلال وتشتت ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يتصل نسبه الشريف بأخ وعاش مع والدته التي لم تتزوج بعد بعلمها عبد الله والد الرسول الاكرم . وبعث صلى الله عليه وسلم بالرسالة الاسلامية ودعا الى توحيد الله سرا وجهرا ولم يشد عضده أخ ولم يؤزره في دعوته أخ واشتغل عنه اقاربه بوظائفهم القرشية خوفا أن ينفذ العرب من حولهم ولم يوقنوا برسالته ولا آمنوا بما جاءهم به من توحيد الرب العظيم خالق السماوات باسط الارض مجري الانهار مصور الانسان على أحسن تقويم ممدد بروح الحياة كسائر المخلوقات مميزة بجوهرة العقل الذي استكمل به وامتاز عن سائر الحيوان . وما أشد وقع هذا الاعراض على الانفس البشرية سيما اذا كان من العشيرة والآل والحال أن لا أخا يشتكي له من هذا الصنيع الممقوت يبدأها النفس الطاهرة الزكية المرتاضة بالخلق الملكية المتأنسة بالروح الامين المتعلية بوانك لعل خلق عظيم - فلم يقتصر صلى الله عليه وسلم الى اخ يشد عضده او يؤنس في وحدته عند ما كان الدين غريبا وكذلك بدأ هذا الدين غريبا . فشد الله عضده بمن آمن به وصدق رسالته وآنس باخلاصهم له صلى الله عليه وسلم لا كالاخلاص المتعارف بين الاخوة في الرحم وما ذاك الانور حل في نفوس المهتدين من نور الرسالة المحمدية فأثروا عليه الصلاة والسلام على نفوسهم وآثروا دين الحق على كل ما سواه فصغرت في نفوسهم الاوطان والمال والولدان وهاجروا الى ارض الامان وفارقوا أرض الكفر والضلال .

ولما استقر بهم النوى واستقبل أهل يثرب الرسول وأصحابه استقبل البررة الاوفياء هنالك كانت الظاهر الاسلامية العظمى وتأسست الاخوة الاسلامية ونادى داعي البشارة بالحبور اليكم يامعشر المهاجرين يامن فارتقم الاوطان في سبيل الاسلام . يامن فارتقم ابناءكم وبناتكم في سبيل الاسلام . يامن فارتقم اخوانكم واقاربكم واصحابكم وأهل مودتكم في سبيل الاسلام . يامن تركتم أرزاقكم لعدوكم في سبيل الاسلام . يامن فارتقم جواركم البيت الحرام في سبيل الاسلام . يامن تتأهبون للقتال فتفارقون الحياة الدنيا في سبيل الاسلام . ابشروا بأن لكم من ربكم في الآخرة الجنة ولنعم دار المتقين ولكم من مولاكم في هاته الدار اخوة اسلامية لا تعادلها صلة النسب بالابن ولا بالاباء ففوزوا ببيعكم الذي بايعتم به ربكم . وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينفذ تعاليم الرحمن فأخبا بين المهاجرين والانصار ووصف

القرءان المجيد هذا الخلق في الانصار حيث يقول : (والذين تبوءوا الدار والايمان من قبلهم . يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون) هذه هي الاخوة الاسلامية وذلك منشؤها فان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما الف بين قلوب أصحابه وأزال الوحشة التي ربما تلبس نفوس بعض المهاجرين بهذا التأخي مع الانصار أهل يثرب الاعلام . رتب على هاته الاخوة الاسلامية ما يترتب على الاخوة النسبية من التوارث فأصبح بنعمة أخوة الاسلام المهاجر يرث الانصاري أخاه في الدين . قسم صلى الله عليه وسلم من هاجر معه على الانصار وتسابق اهل يثرب لكفالة اخوانهم وانزلوهم المقام اللائق بهم فطاب المهاجرين المقام ولم يحسوا بالفرقة ووحشة الغربة وأمنهم الله في هذا البلد الطيب ولما اعز الله المسلمين وانتصروا في غزواتهم واجتمع الشمل وزالت عن المهاجرين تلك الوحشة أطلع الله ذلك التوارث الذي هو أثر من آثار الاخوة الاسلامية في مبدئها . ونزل قوله تعالى وهو اصدق القائلين واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض) وزواله لزوال موجهه وابقى ماسواهم الآثار وقد ذكره ذلك عليه الصلاة والسلام في قوله (ترى المؤمنين في تواددهم وتراحمهم وتعاطفهم كممثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) فمثل رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الصفات الثلاثة التي هي التوادم والتعاطف والتراحم بالجسد الذي يشعر كلها اصاب منه عضوا ضرر أحس باله الجسد . وسعى في دفعه عنه كلها وجد لذلك سبيلا وكذلك شأن المؤمنين اذا ناب قسما منهم نائبة أحس بألم باقي المسلمين وسعوا بما ارتكز في نفوسهم من عاطفة الاخوة الاسلامية لدفع الضر عن اخوانهم ونظروا اليهم بعين الرحمة ومدوهم بنفوسهم واموالهم . فيكون (المؤمن للمؤمن كالبنیان يشد بعضه بعضا)

وشرح عليه الصلاة والسلام الاخوة الاسلامية في قوله : (المسلم اخ المسلم لا يظلمه . ولا يسله . ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته . ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عليه كربة من كرب يوم القيامة . ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة) فكما ان الاخ شأنه ان لا يظلم أخاه . كذلك الاخوة الاسلامية تمنح المسلم أن يصدر منه ظلم المسلمين في اموالهم ونفوسهم واعراضهم . وبذلك يسود الامن وتنتشر الفضيلة لان الظلم مصدر كل شر . جالب للنقم . قال عليه الصلاة والسلام : الظلم ظلمات يوم القيامة .

والاخ لا يسلم أخاه ويخذله . ويتركه لعدوة ينكل به ويبعث بمصلحه وحقوقه كما شاء واراد . بل يحم اخاه المسلم وينصره ظلما او مظلوما . ينصره ظلما بمنعه من الظلم . وينصره مظلوما بكشف الضر عنه

والاخ شأنه ان يكون في حاجة أخيه يعين اخاه المسلم على ما استصعب عليه ان يناله ويسهل عليه

مرافق الحياة سواء أكانت مالية او اجتماعية او علمية وبذلك ينال مرضات الله والله لا يضيع عمل عامل . وقد تكفل من له مفاتيح السماوات والارض لمن يسعى في قضاء حاجيات المسلمين أن يكون له في حاجته . والاخ شانه ان يكون باذلا ما في طاقته لكشف الكروب عن اخوانه يفرج عن المسلم ما يصيبه من مصيبة فيعمل في سبيل ذلك ببذل ماله . وحث اخوانه المسلمين على المعونة . والبحث على اسباب الارتزاق لـ اخوانه البطالين . ومعالجة المرضى بنفسه ان كان يحسن ذلك . او يجلب لهم من توفرت فيه شروط اللياقة . واعانة المشاريع التي بها تتكون المصالح العامة العائدة بالفائدة على الفرد والجماعات . والاخ شأنه ان يستر زلات اخيه ولا يعمد الى نشر عورات المسلمين فتشأ عن هذا الكشف المذموم الضغائن والاحقاد ويصبح الناس كل واحد يبحث عن عورات أخيه ليظهرها للناس كما فعل هو به وفي ذلك من الفساد شيء عظيم ووعد الله ذلك السائر بالستر عليه يوم القيامة كما وعد من فرج عن أخيه كربة انه يفرج عنه كربة من كرب يوم القيامة . وكذلك بين الشارع الاخوة الاسلامية وآثرها وما ترتكز عليه من الصفات

وما فقيء صلى الله عليه وسلم ينمي في نفوس أصحابه معنى الاخوة الاسلامية ويذكرهم في مجالسه ما ارتضى لهم الله في هذا الدين القويم من صفات الانسانية الكاملة . ويحذرهم مما يقفك عري تلك الاخوة ويصحبها عداوة وبغضاء . قال عليه الصلاة والسلام : (اياكم والظن . فان الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا . ولا تنافسوا . ولا تحاسدوا . ولا تباغضوا ولا تدابروا . وكونوا عباد الله اخوانا كما أمركم . المسلم اخ المسلم لا يظلمه . ولا يخذله . ولا يحقره . التقوى ههنا . ويشير الى صدره » بحسب امرئ من الشر ان يحقر اخاه المسلم . كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله) فكل هاته الصفات تقر منها الشارع الحكيم لعله أن الاخوة لا تتفق معها ولا تثمر ثمرها المطلوب فحذر المسلم أن يظن بأخيه المسلم السوء وذلك مدعاة الى تكوين العداوة وما ينجر عنها من الفساد كما حذره من التجسس وأنه خلق لا يليق بالمسلم أن يكون عليه سيما اذا كان التجسس لفائدة العدو لما فيه من الوقعة بالمسلمين والاخ لا يسلم أخاه كيفما كانت الحالة ولا يعطيه فريسة لغيرة في مقابلة منفعة يرتجىها لنفسه ولا ينافسه المنافسة التي تنشأ عنها العداوة والبغضاء وتقطع بها صلة الاخوة التي كونها لهما الاسلام ولا يحسد على ما انعم الله به عليه قال تعالى (ام يحسدون الناس على ما اناهم الله من فضله) بل يرتجي ممن انعم عليه أن يمدد هو بانعامه ويسعى في سبيل ذلك كما سعى أخوة من قبل ولا يضر له البغض في نفسه حتى اذا صدرت منه زلة عفا وأصفح عنه ومن عفا وأصفح فاجرة على الله ويعمل لازالة الاسباب الداعية لذلك ولا يعرض عنه اذا لاقاه لحقد يجده عليه في نفسه ولا يحقره بما فضله به الله عليه فان الشر كل الشر في هذا الاحتقار المشين الذي يقسم المسلمين الى فرق لا تهتم كل فرقة بشان أختها وتنتظر

كل واحدة منها الى الاخرى بعين ملؤها التكيل وفي ذلك من القوضى ما لا يخفى فتستباح دماء واعراض واموال حرمها الله وأصى برعايتها بموجب تلك الاخوة

وابلغ ما يرشدنا الى مقاومة داء الاحتقار ما شرعه الله من فريضة الزكاة التي فيها حق للفقير من مال الغني فيعطي الاخ الغني اخاه الفقير المسلم مما اعطاه الله فتسمنو مودة الاخوة الاسلامية بينهما كما يسمي الله للمعطي رزقه الذي جعل فيه حقا لآخيه السائل والمحروم وما مشروعية الزكاة الا ظاهرة أخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية وأثر من ، اثارها تؤخذ من اغنياء المسلمين بقدر معلوم في وقت معلوم وتعطى لفقراء المسلمين من غير تعد ولا ظلم وهذا الاثر اعتبره الاسلام وحكمته ظاهرة لك من ازال الله عن قلبه غشاوة المكابرة ، وهداه الحجة البالغة . وهو نظام ضمن السعادة لكافة طبقات الامة كل يستفيد من ثروتها . الغني يستفيد مما انعم الله عليه . والفقير يستفيد من فواضل كسب الغني الذي يزكو به ماله ، زيادة عما ينتجر لجميع من المنافع فكم من مصلحة نالها الغني بسبب ذلك الانعم وكم من مهمات يسدها الفقير لمن احسن اليه وهو لا يشعر

كذلك كون الرسول الاعظم ، والمربي الاقوم ، والمرشد الافخم . المسلمين على هاتاه المبادي السامية ، وروض نفوسهم على الاخوة الصادقة ، فسهل عليهم اقتحام المشاق وما يعجز عنه الفرد تتحملة طائفة من المسلمين فجهزوا الجيوش ونشروا الاسلام بين الانام ، وفتحوا الامصار ودوخوا الجبابرة وملكوا عرش الاكاسرة وبلغوا في نشر تعاليم الاسلام أقصى بلاد الصين شرقا وجبال البريني بل والاطلانطيك غربا واصبح خليفة المسلمين يخاطب السحاب ويقول له بر حيثما شئت فخر ارجك راجع الينا . وحكموا على الكافة بالشرعية المحمدية التي لا تفرق في احكامها بين الراعي والرعية والمفضل والفاضل الكلك امام العدل سواء . الناس كلهم عباد الرحمن . لا فضل لعربي على أعجمي الا بالتقوى . وتلك يعلمها الله وجزاؤها يوفي به الله يوم الجزاء الاكبر وما المساواة في الحقوق الا ظاهرة اخرى من ظواهر الاخوة الاسلامية . (له بقية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اوصاف العلماء

العلماء ورثة الانبياء ، العلماء اعلام الاسلام ، العلماء في الارض كالنجوم في السماء ، العلماء غرباء لكثرة الجهال ، زلة العالم كانهكسار سفينة تفرق ويفرق معها خلق كثير الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك . الجاهل صغير وان كان كبيرا والعالم كبيرا وان كان صغيرا . مثل علم لا ينفع ككنز لا ينفق منه . ازهد الناس في عالم حيرانه ، لو سكت من لا يعلم لسقط الخلاف ، مات خزنة الاموال وهم احياء وعاش خزان العلم وهم اموات ، المتواضع في طلب العلم اكثرهم علما كما ان المكان المتحفظ اكثر البقاع ماء ، من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا ، ما صين العلم بمنزل بذله لاهله

التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين

بقلم العلامة المصلح الهمام الشيخ محمد الحجوي
وزير معارف الحكومة المغربية الشريف

٧

ح - وجوب دية القتل على العاقلة - استكرر هذا الحكم كثير من المتفرنجين قائلين كيف يغرم من لم يذنب ؟ وجوابه ان هذا الحكم وجده الاسلام عند العرب وأن من قتل قتيلا خطأ أدى الدية عنه قبيلته وتلك اعانة عائلية ليس فيها ما يستنكر بل هي اصل الاكتسابات عند الاروبيين وفي الحقيقة ليس هناك ذنب حتى تقول كيف يغرم من لم يذنب وانما هي نفس ضاعت بفعل القاتل خطأ ولم يقصد القتل فرأى العرب ان يحقنوا دماء بعضهم بعضا بهذا التعويض الذي اصطالحوا على تسميته دية وجعلوه على اغنياء القبيلة يتعاونون بجمعه لئلا يكون مثقلا لهذا القاتل وربما كان سبب افلاسه وفقره وربما كان مفلسا قبل القتل فتضيع الدية ويقع العدوان فرأى أن حقن الدماء والهدؤ تتمتع به القبيلة كلها لذلك اوجب الدية عليها وجعل لها نظاما محكما فلا ظلم عليها . وعلى كل حال ان مصلحة هذا الحكم ظاهرة يسلمها العقل ولا سيما ان القاتل نفسه ملزوم بدفع واجب في دية اخرى وجبت على غيره من افراد قبيله فهي كسلف معاونة : وكما هو جار الآن في هدايا الاعراس ونحوها فان القبيلة تقدم هدايا للعروس كاعانة وسلف ثم يردها لكل من جعل عرسا منهم فهل في هذا شيء ينكره العقل والعلم

ه - تضييق الشريعة ابواب المعاملات - هذه الشبهة يوردها بعض المتفرنجين ايضا وقد اجبت عنها في ذيل الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي بان التضييق انما نشأ من بعض الاراء المذهبية واكثرها من المتأخرين واما أصل الشريعة فلا تجد فيها تضييقا ولا حرجا كتابا ولا سنة قاض ناسرا (ما جعل عليكم في الدين من حرج) وانما هو الاغراق في القياس والاستحسان وسد الذرائع ونظر الشرع في المعاملات هو حفظ مصالح المتعاملين والمصالح يختلف كثير منها وتغير حسب الزمان والمكان والاحوال ولهذا قال الاصوليون ان اصل المنافع بعد ورود الشرع الاباحة واصل المضار التحريم . وبالجملة من شاء التوسع في هذا الباب فليرجع الى كتابنا المشار اليه في بحث القياس واسرار التشريع وترجمة ابي حنيفة والجزء الرابع منه ولا سيما الذيل من العدد ٣٠٥ / ٣١٧ ولا بد من الرجوع الى المطولات من كتب الفقه والخلافات

ي - رجم المحصن وقطع يد السارق - ان هذين الحدين طالما تشدق المتفرنجون بانهما

مخالفان للعقل ومثلهما لم يات في شرع لما فيهما من تعذيب انسان تعذيباً فظيعاً اكثر من جرمه، وكل تهويلهم مبني على تهاونهم بامر الزنا وميلهم الى الاباحة وتهويلهم للسرقه ولو انهم نظروا بالعين التي ينظر بها الشرع الاسلامي للزنا وفضاعته وافساد النسل بل افساد الامة جمعاء وما يتولد عن ذلك من السفك والفساد ما استعظموا الرجم ولو انهم نظروا في الشروط التي جعلت لهذا الحد لما انتقدوه لانه حد لا يجب الا بعد شهادة اربعة يقولون رأينا كذا في المكحلة لا اختلاف بينهم ولو وقع بينهم اقل اختلاف لسقط حد المتهم ووجب حد القذف على الاربعة الشهداء اما اذا أقر المتهم فهو الذي ورط نفسه ثم له ان يرجع فيسقط الحد كل هذا يبين لنا انه سياسة شرعية مقصود بها حسم مادة الزنا ارباباً والستر على من زل .

وأزيدكم بياناً ان مبدا الشرع الاسلامي ان الزنى زلة عظيمة وافساد للنسل الذي هو اساس العائلة التي تتكون منها الامة النبيلة ذات الاخلاق الفاضلة لتنشأ امة الفضيلة ذات مروءة وصلة نسب شديد الاحمة وله حرمة في نظر الشعب فالزنى في نظر الشرع افساد للمجتمع لذلك تجد احكامه مبنية على شدة التوقي منه لما ينشأ عنه من الجرائم قتل وغيره فلذلك احتاط الشرع منه بايجاب الحد منه وايجاب الحد على من رمى به غيره دون حجة وأوجب الحجاب صوتاً للاعراض واباح تعدد الزوجات لان ضرره من أخف من ضررها كما اباح الطلاق أيضاً اذ فساد العشرة قد يكون سبباً فيه وفيما هو افظم منه فلو ان المنتقدين أمعنوا النظر في حكمة احكام القرءان ما انتقدوا بل لو استقصوا التشريع البشري الذي عليه الامم المتقدمة لوجدوا فيه من النقد ما هو أعظم فلذلك تجدهم كثيراً ما يغيرون احكامهم . وما من أمة الا ولها شريعة توافق ذوقها وعقليتها وتخالف غيرها وليس من الانصاف أن يعترض على شريعة هذا مبدؤها القويم بمبدأ بني على التهلك واستهوان الفسق والاباحة والتعشق للخلاعة ولا يبالي بضياح النسل وافساد العائلة، وكفى عبرة أنه ما من امة اسلامية الا ونسلا في الازدياد على قلة اعتنائهم بمطاربة الامراض . ومجموع الامم غيرهم لا يلحقهم في ذلك مع إطباق الامم على وصفهم بالحشمة والنزاهة والطهر والعفاف سوى أمم منهم خلعت رسوم الشريعة حديثاً فدمت على ما فعلت .

ان الانتقادات على الشرع الاسلامي ناشئة عن الجهل به كما ان قولهم لم يكن حد الزنى في شرع اخر جهل بشريعة اليهود .

اما قطع يد السارق فكذلك أيضاً له شروط ربما تتمنر فيدراً الحد بأدنى شبهة، على أن قطعها سببه مهانتها ونذالة السارق وأن تطهير المجتمع من هذه الموبقات ليس بالامر الهين ولا بد فيه من صرامة شرعية وقد رأينا ان المجتمع الاسلامي كان طاهراً زكياً لما كانت الحدود تقام فيه على وجهها وفي الحقيقة لما كان الحناة مهدين باقامتها عليهم فكانوا منزعجين رغماً عن صعوبة توفر الشروط

الموجبة لقدرة اقامتها، وحيث وقم التهاون بها وايقنوا بسد الباب دون اقامتها فسد حال المجتمع واستهتر الحنأة، كم راينا عند الاروبيين نظاما محكما وضبطا وزيادة رقابة ومع ذلك تكثر الجرائم والفضيحات المالية البالغة حد الشناعة في نفس رجال الدول المتقدمة ولم يقم ذلك مقام الحدود الاسلامية. ولما رجع الامام ابن السعود في الحجاز الى اقامتها صلحت الاحوال وأمن السواد الاعظم العربي من أهل نجد والحجاز والحجاج شر طائفة النهابين الذين كانت السرقة والنهب مورد قوتهم الوحيد على عهد الدولة قبله التي كانت لا تقيم الحدود ولم يحتاج لكثير رقابة وحرس وصار أمن الحجاز مضرب أمثال في اوربا واميركا التي اصبحت مركز الصوصية في نيويورك وفي واشنطن وغيرهما

وان التظاهر برحمة الحنأة غلطة كبرى في التشريع الاروبي عادت برزايا يشكو منها سوادهم ولذا قال الله تعالى في اقامة الحدود ولا تأخذكم بها رافة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين. من العجب اني سمعت محكمة زعموا انها حكمت على رجل مسلم دخل دارا ليلا بنية السرقة بسجن ثلاثين سنة والغالب انه سجن أطول من عمرها فعجبت للمتقدمين يجعلون هذا العقاب الذي هو اعدام بل شر منه على نية السرقة ويستبشعون قطع اليد على فعلها

التعبدية ومعقول المعنى

يقول الاصوليون والفقهائ ان احكام الشرع منها تعبدية ومنها معقول المعنى وهو الاكثر والثاني ما ظهرت حكمته الامر به كالزكاة لسد خلة الفقراء والنهي عنه كالخمر صونا للمال والعقل والعرض والاول ما خفيت حكمته ككون عدة المطلقة ثلاثة قروء والمتوفى عنها زوجها اربعة اشهر وعشرا ورمي الجمار في الحج وغير ذلك .

والاصح ان هذا موجود بجعل جمهور أهل العلم التعبدية ما خفيت حكمته مع وجودها دون أن يقولوا ما لا حكمه فيه كما يقول داود الظاهري واصحابه ذلك دليل ان جانب العقل مراعى في الاحكام الشرعية اذ الاحكام لها علل وكل علة لها حكمه ظهرت وخفيت كتحريم الخمر لعله الاسكار وحكمتها حفظ العقل والمال والعرض فتبين ان الاحكام مراعى فيها موافقة للعقل وانها لا تكون ضده بحال لان تلك الاحكام راجعة منفعتها الينا ومصلحتها عائدة علينا والحق سبحانه متعال عن ان يصله نفع او ضرر من أعمالنا كما أنه منزّه عن العلة والغرض وانما الاحكام ربطت بأوصاف سميت عللا شرعية لا عقلية، ووجه بذاتها وتلك العلل بحسنا فوجدنا لها حكما ومصالح راجعة الينا ظهرت او خفيت وبالجمله فالشرعية معقولة المعنى لا تنافي للعقول أصلا .

الدين الاسلامي جاء لحخير الناس ورفيهم الذي هو ابدال حالهم بافضل منها فالدين مكمل وعسن للمجتمع العام لذلك كان ابديا ولا ينسخ لانه متمش مع المصالح المتجددة حافظ لها لا يكون

ضدها وإذا كان كذلك فلا يكون ضد العقل ولا ضد العلم الا خير المجتمع ومصالحه لا يكون مخالفا للعقول ولا لما تقتضيه معارف البشر الصحيحة القطعية والا كان ضد النفع العام وليس من المعقول ان يرسل الله نبيا يهدى (١) الناس ويرشدهم لما هو ضد العقل والعالم كله له ناموس خاضع لمقتضى العقل ولا يعتبر ما خرج عن مهيته بل يسمى غير المتمسك به معنوها .

ثم اني انما خصصت الدين الاسلامي بالمواقفة للعقول مسابقة لنصوصه وللادلة السابقة أما بقية الاديان كالمسيحية فان علماءها نصو على مخالفتها للعقول وجعلوا الدين فوق العقل كما سبق واظن أن العقلاء من سائر الاديان يصعب عليهم أن يسلموا بان الله يرسل رسولا للبشر الذي ركب فيه العقل والهمة الاهتداء بنوره . بما هو ضد العقل أو العلم وانما هو قلب أو ابدال أو غلط .

الدين الاسلامي منذ نشأ تمشى مع الحضارة والرقى سواء التي هي من نصوص الدين وواجباته وقد سبقت جملة منها أو مما وجدته عند الامم قبله ، فقد أخذ من حضارة اليونان وعلومهم والرومان والفرس والمصريين وغيرهم ولم يجمد ولا أنكر علماءه شيئا من الحضارات النافعة التي تقيد ولا رد الا ما لا ينطبق على أصوله وكل ما رده لا تتوقف عليه حضارتنا ولا حاجة بنا اليه . وقد جمع الاسلام تلك الحضارات الى حضارته التي جاء بها الاخلاقية الادبية والدينية والاعتقادية والعملية فتكون من الجميع حضارة ارقى الحضارات التي عرفها التاريخ واخذتها عنه الامم الاخرى فلو كان ضد العقل او العلم ما أمكنه ذلك والتاريخ شاهد عدل بما بلغه الاسلام في بغداد ودمشق وقرطبة ومصر والقيروان وفاس وسمرقند والهند وفارس وغيرها من الممالك الواسعة وكلها تمشى مع الحضارة وأخذ كل بلد بقسطه لم يجمد واحدة منها ولا أحجبت عن السير الى الامام الا الامم التي نزل بها سن الهرم . فالعقل والعلم رفيقان للدين وهو ماش بينهما مستعينا بهما وهما عضداه ونصيراه والحكمة صاحبة الشريعة واختها الرضيعة تجاذبتا بالطبع حتى اتحدتا بالعقل والسمع .

٤٠ — علماء المسلمين الكبار المشار اليهم بالتدين التام عقدا وعملا والمتفوقون في علومه ورياسة امامته تجد نخبتهم فلاسفة متبحرين في العلوم العقلية مطبقين لها على نصوص الدين غير رافضين لها الا الحامدون وهم قل من كثر أما غير الحامدين المعادين للعقل وعلومه فانهم زادوا تمكنا واطلاعا على العلوم العقلية الا وزادوا تمكنا في دينهم كالكندي والاشعري وابن سينا والغزالي والرازي وابن رشد ومن لا يحصى كثرة قال بعض المستشرقين: في الاسلام وحدة تجدد اتحاد الدين والعلم فهو الدين الوحيد الذي يوحد بينهما فتجد فيه الدين ماثلا متمكنا في دائرته وترى وجهة الفيلسوف ووجهة الفقيه متعاقبتين فهما واحدة لا اثنان ولا تجد في الاسلام سدا يمنع الثقافة الغربية عنه بل ترى ان له استعدادا غير محدود لقبول كل ثقافة

٤١ — كان المسلمون عموما موصوفين بالتمسك بالدين المتين وكانوا متمسكين بالعلوم العقلية

يترجمونها عن الغير ويتكرونها ما لم يكن لمن قبلهم وينمون ويمهدون ويهدون على عهد الدولة العباسية ببغداد والاموية في الاندلس والفاطمية في مصر وحين تأخروا وقع التأخر في الامر بين معا فقينا في خلف مذهب الدين من حيث العمل بأوامره ونواهييه جاهل بالعلوم زاعم أنه تباعد منها تدينا والحالة أن ذلك عجز وجهل فقط . فهذا مما يدلنا على أن العقل والعلم والدين متعاقدون ففي زمان زهرة العلوم العقلية في بغداد ودمشق ومصر وقرطبة وغيرها وكونها معاقل العلم والعقل كانت معاقل الدين ايضا وكانوا أسمح أهل الأديان مع العلم لان دينهم أسمح الأديان وكانوا حماة العلم والدين معا في أن واحد من لدن كان العلم جنينا وصيبا مرضعا وهم يحنون عليه حتى شب وترعرع في حضنهم . وكان من اضطهد من أهل العلم لحماً إلى الحصن الاسلامي متواريا عن الكنيسة خوف أن يحرق ولولا احتضان الاسلام للعلم لقضت الكنيسة على علوم الاوائل ولما حصل هذا التقدم الموجود الان الى هذه الدرجة المشاهدة التي لولاها لا تكون الا بعد المئين من السنين

٤٢ - من أدلة بناء الدين على اصول العقل اعتباره للاسرة وبنائة أصوله وفروعه عليها فالدين يكون عائلة طاهرة زكية فأوجب في النكاح أركاناً وشروطاً ليكون في نظره صحيحاً ليكون عائلة متينة من شهود وصادق ووكيل للزوجة من أقرب الرجال اليها ليختار من يكافئها وقرز النفقات والحقوق المترتبة على ذلك ثم لحق الولد او انتقاءه باعدام الاصول التي بنى عليها النكاح . ورتب على اللحق الارث ثم قسمه قسمة عادلة تناسب الاصول التي بنى عليها التشريع فان الذكر حامل اعباء الدفع بالسلاح وتحمل بالنفقات . ولرغبته في حسن العشرة وعدم التأذي رخص في الطلاق وهكذا لا تجد فروع الدين الا وهي مبنية على مراعاة هذه الاصول مراعاة دقيقة منضبطة منتظمة سالكة سبيل الامر المعقول ولذلك حرم الزنى وأوجب الحد عليه وجعل سداً دونه بسدل الحجاب ومنع التبرج والاختلاط بالنساء .

ومن أدلة بناءه على أصول العقل اعتباره للملكية الشخصية فثبت لكل مالك حقوق ملكيته وأسسها على اعتبارات معقولة معتدلة ولكن جعل هناك شركة للفقراء مع الاغنياء بالزكوات والكفارات وذلك اصل الاشتراكية المعتدلة والديموقراطية الحرة الحقيقية وبالجملة لا تجد اصلاً من اصول الشريعة أوفر عاماً الا وهو ملائم لما تقتضيه غرائز العقول السليمة لا يناقضها بحال وذلك كاف في اثبات ما أصلناه من كون العقل والعلم أصلاً من أصول الشرع الاسلامي غير ملغى

غلط بعض المستشرقين

ان بعض المستشرقين غلط فنسب للدين الاسلامي ما هو براء منه من كونه ضد العلم والعقل ومن هؤلاء صاحب كتاب مصطفى كمال المتقدم صدر هذا التحرير .

اسباب الغلط

- أ - الجهل بالدين الاسلامي جهلا فادحا كما وقع لصاحب الكتاب المذكور .
- ب - الغرض الذي يعمي ويصم كما وقع لبعض المبشرين بالانجيل ولصاحب الكتاب المذكور أيضا
- ج - القياس على الاديان الاخرى التي هي ضد العقل والعلم
- د - الحكم بحال المسلمين المعاصرين على الاسلام الحقيقي وهو من نوع القياس أيضا فتجدهم يقولون ما تأخر المسلمون وهم يناهزون الاربعمئة مليون في اقطار الارض تأخرا بينا وضاع مجدهم وفشلت ريحهم الا بتمسكهم بدينهم ولو لأن دينهم ينههم عن العلوم العقلية ما تركوها حتى كان تركها سبب تاخرهم وهذا من القياس الفاسد المبني على مقدمات عنكبوتية جهلوا الدين وجهلوا حال المسلمين حيث ظنوا أنهم تابعون لاوامر دينهم والحال أنهم عصاة ثائرون على الدين الحقيقي غير تابعين له ولو تبعوه لآخذوا بكل ما يفيدهم في الحياتين معا ويصلح أمرهم ويحمي بيضتهم ويصون مجدهم ولو لم يكن فيه الاية « ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الارض » لكان كافيا في تفنيد المفتريين لكن نبذوا أوامره فخرسوا وحين يرجعون لاوامره ويعملون بها تقبل ريحهم وتزدهر أيامهم كما كان سلفهم
- وليس معنى هذا أن من لم يتمسك بهذا الدين لا يكون له تقدم ولا محد في الدنيا حتى يعترض علي باوربا واميركا والجايون كلا . فاولئك لهم اصول دنيوية عملوا بها ونبذوا دينهم أو آخذوا ببعضه فتقدموا ونحن لا ننكر المحسوسات والمسلمون لهم دين يامرهم بالتقدم فخالقوه وتأخروا وحين كانوا ممثلين له كانوا متقدمين . وماضي الاسلام الماجد شاهد عدل لما قلناه . ولسنا نبالغ ونقول انه لا يمكن التقدم لاي دولة الا بالتمسك به . بل مقصودنا ان نثبت ان التمسك بهذا الدين من اسباب التقدم في الدنيا والاخرة معا تقدما أمجد من اي تقدم كان وليس سببا للتأخر أصلا فأهله فرطوا في الامرين معا فضاعوا وخسروا الصفتين ، نعم الاسلام أخره اهله حتى اصبحت الامم تسيء الظن به وتنسب له التأخر وليس الاسلام بمؤخر لاهله بل لو تمسكوا به لتقدموا كل التقدم وحفظوا مجدهم فالتمسك به لا يكون سببا الا في التقدم والمجد الحقيقي ولا يتصور أن يكون سببا للتأخر بحال فالاسلام ربي المسلمين تربية صحيحة بأخلاق عالية اوصلتهم لاعلى قمة المجد التي لم تصلها أمة قبلهم ولن تصلها واعطاهم حرية تامة في تفكيرهم وأخذ العلوم التي تنفعهم ولم يمنهم قط من شيء نافع ومفيد ومنعهم مما هو بضر ذلك والمسلمون لما فرطوا في تلك التربية وتلك الاخلاق العالية وتمسكوا بالاولهام والباطيل وتركوا الحقائق ونبذوا العلوم والعقل وغلب عليهم الخيال والامل بدون عمل وآخذوا للراحة اضاعوا كل شيء واصبحت الهوة عميقة سحيقة بينهم وبين الحقائق وكل معقول فهم تائهون عن الطريق ويزعمون أنهم متمسكون بالدين وان الدين يمنهم من غير ما هم عليه وهم مقفرون على الدين بل الدين والحقائق في واد وهم مع خيالهم في واد « ولو ان اهل الدين صانوه صانهم » وكل من اخذ بالحقائق وصل للعبادة وكان أهلا للنجاح ربنا ءاتنا من لدنك رحمة وهي لنا من امرنا رشدا

التاريخ

صفحة من تاريخ تونس

كيف انتشر الشرف بافريقية

ومتى ظهرت خطة نقيب الاشراف بتونس

بقلم العلامة المورخ سيدي محمد بن
الحوجة مستشار الحكومة التونسية

اعلم ان الكلام على انتشار الشرف بافريقية وهي البلاد التونسية يدعو باديء بدء للتعريف كيف ظهر الشرف بين الناس من ذرية الحسن والحسين ابني علي وفاطمة بنت رسول الله صلى عليه وسلم . ذلك ان الخليفة الرابع عليا ابن ابي طالب كرم الله وجهه خرج بعد ان بوع له بالمدينة المنورة الى الكوفة واتخذها دار خلافته وبها استشهد في سنة ٤٠ للهجرة ثم كان ما كان من تنازل ابنه سيدنا الحسن عن الخلافة ورجوعه لسكنى المدينة وظهور نسله هنالك بالحجاز وكان تنازله مثيرا لسخط شيعة لانه قطع به امهم وسود وجوهم على ما حكاه اهل التاريخ واما اخوة سيدنا الحسين فقد خرج ايضا بعد بيعة يزيد الى العراق واستشهد هناك بكر بلا وبمشهدة عظم الخلاف واشتدت الاحن والبغضاء بين العلويين او الامويين فكان عمال الامويين ينقضون ائثار العلويين ويكيدون لهم خدرا من ثائرتهم وكان العلويون لا يجد احد عقله الا اقلب ملتحقا بالبلاد التي بها اشباع ابويهم وكانت حيثما يلي العراق بل بلاد العجم فجمع شيعة العلويين لاسباب محملها غير هذا الموضع واهمها اسباب سياسية تنوسي الغرض منها باقراض الاجيال وابهام المصطلحات والاقوال فهناك تكاثر ظهور العلويين ونموهم في اوائل القرن الثاني ومن الجهات التي تكاثروا بها سجستان وطبرستان وجرجان والبلخ والري والديلم كما كان بعضهم ياي الى مصر اذ لا يعدم هنالك طائفة من شيعتهم وفي خلال ذلك كثر ما ظهرت منه دعاة للمطالبة بحق الخلافة مطالبة عقيمة الى ان قامت الدولة العباسية فبعثت روحا جديدة في نفوس العلويين لان الدولة العباسية بنيت على الامامة للرضا من آل البيت والعلويين اعرق في النسب فاطلع بعضهم قرنه وكثر عن نابه وشق عصا الطاعة في وجه الدولة العباسية وكانت في بداية امرها مضطرة لمقاومة المنازعين فحدث من سفك دماء العلويين في صدر الدولة العباسية ما حفظه

التاريخ وتلقاه اضطهادهم اخذوا ينزحون للبلاد البعيدة فاما بنو سيدنا الحسين فانكمشوا ببلاد المعجم حول شيعة ابيهم وكان العباسيون يعضون عنهم بعض ذلك ويصانعونهم تقربا لشيعتهم واما بنو سيدنا الحسن فلم تكن شيعتهم قوية بين الاعاجم لغضبهم على جدهم سيدنا الحسن من اجل تنازله عن الخلافة فكانوا ينزحون الى المغرب وبذلك تكاثروا به كتكاثر ابناء سيدنا الحسين بالمشرق وكان مقصدهم للمغرب الاقصى اذ كان سكانه من محض البربر غالبة عليهم السذاجة وليس فيهم متعصب لدولة فكان من رأي ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط اختيار الاستيطان بينهم في حدود سنة ١٧٢ كما تكاثر فريق منهم بالاندلس شيئا فشيئا مظهرين العداوة لبني العباس فكانت سياسة الامويين اعدائهم الاقدمين قاضية بالتساهل معهم لاساءة سمعة العباسيين كأن لسان حالهم يقول وكل غريب للغرب نسيب - واما البلاد المعبر عنها يومئذ بافريقية فلم يعرف نزول العلويين بها قبل ظهور الدولة العبيدية والسبب واضح وهو ان قاعدتها ومم بلدانها لم تكن تخلو من امراء تابعين لبلاد الخلافة الاموية فالعباسية فلم يكن هنالك مطعم للعلويين في ذينك العصرين بالظهور بافريقية الى قيام دولة العبيديين وكانوا ينتسبون للعلويين فنزل يحيى بن ادريس من ملوك المغرب بعد ان زال ملكه ببلد المهديّة محتفيا في سنة ٣١٠ الى ان توفي سنة ٣٣٢ وقدم للقيروان الفاسم بن محمد بن الحسن الحجام الفقيه المشهور في سنة ٣٥٠ ولم يعرف غيرهما من العلويين بافريقيا وهل تركا عقبا ام لا ويلوح ان انتشارهم بها كان في خلال الدولة الصنهاجية وما بعدهم واكثرهم ممن يفد اليها من المغرب الاقصى والاندلس وليس في تاريخ القيروان وتونس ما يدل على وجود عائلات معروفة بالشرف فيما قبل اوائل القرن السابع ومما يذكر على اللسان ولم تقف عليه بالتواريخ مع توفر الدواعي على نقله وجود بيوت تونسية قديمة منتسبة للشرف منها بيت العواني اشراف القيروان سمعت من بعض من اتق بهم ان ابائهم يدعونهم وسماعتيقا في ثبوت شرفهم ممن شهد فيه من علماء القيروان الشيخ ابو محمد عبد الله بن ابي زيد رحمه الله في اواسط القرن الرابع فلعل جدهم وفد لافريقية في زمن العبيديين لانهم من الاشراف الحسينيين والناس مصدقون في انسابهم فحسبنا الاكتفاء بذلك - هذا حديث انتشار الشرف النبوي بطريق البضعة المطهرة في الشرق والغرب باختصار ولو تكلفنا الاطالة باكثر من ذلك لضاق عنه مجال هذه النبذة فلنكتف بما قدمنا. ولنتقل منه للكلام عن نقابة الاشراف وهي من الخطط الاسلامية ذات الشأن وصاحبها هو النقيب اي العريف تسند اليه امورهم ويدير مصالحهم وقد يوب لها الامام الماوردي في كتاب الاحكام السلطانية ونقول لك ان هذا الكتاب الجليل المحتوى على جميع الانظمة الاسلامية التي كانت موجودة في القرن الاول ترجموه لاغلب اللغات الاروباوية وعلى اعتمادهم في مراجعة احوال الاسلام فقد قال حاصله في الموضوع الذي نحن بصدده وهذه النقابة موضوعة على صيانة ذوي الانساب الشريفة عن ولاية من لا يكافهم في النسب حتى يكون الوالي عليهم احق وامرأ بينهم امضى وولاية

هذه النقابة تكون اما من جهة الخليفة او ممن فوض اليه الخليفة كالامير واما من تقيب عام الولاية يستخلف تقيبا خاصا وقسمها باعتبار متعلقها الى قسمين معممة ومخصصة فالمعممة وهي القليلة الوقوع في تاريخ الاسلام يسند الى صاحبها النظر في جميع شؤون اهل النسب حتى الخصومات واقامة الحدود وولاية امور الايتام فيكون لهم كالقاضي لبقية الناس (١) واما المخصصة وهي الاكثر استعمالا فهي ان لا يجعل له من النظر اكثر من سبعة امور : اولا - حفظ انسابهم من دخول من ليس منهم او خروج من هو منهم - ثانيا - ضبط مواليدهم ووفائتهم - ثالثا - تاديبهم بما يحلهم على الاستقامة المناسبة لشرف انسابهم لئلا يستخف الناس بهم - رابعا - نهيمهم عن خبيث المكاسب - خامسا - منعهم من التسلط على العامة لان ذلك يدعو الى نزع محبتهم من قلوب الناس - سادسا - اعانتهم على استيفاء حقوقهم - سابعا - حفظ اعراضهم والنظر في كفاءة ازواج نسائهم اه قلت ان هذه الامور كلها او جلها طوى الزمان حديثها بالدول الاسلامية لهدنا الحاضر اللهم الا الفقرة السابعة منها فانها مازالت ملحوظة نوعا ما لدى بعض بيوت الاشراف لاسيما بالمغرب الاقصى واقل منه بالقاهرة وتونس ففي اوائل هذا القرن قامت ضجة صحافية مصرية ملأت الفضاء بلغ صداها اهذه الديار التونسية اثر بناء احد رجال السياسة وهو المرحوم الشيخ علي يوسف باشا صاحب جريدة المؤيد على احدى كرائم لبيت السادات المشهورين بصحة النسب الشريف واما بتونس فقد اتفق لنحو مائة سنة فارطة زواج احد الوزراء من الموالي بسيدة من آل البيت الاطهار وانكرت الناس ذلك وربما كان وقوعه على كره من ولها والله متولي السرائر - هذا ويشترط في صاحب النقابة العامة ما يشترط في القاضي ويشترط في صاحب النقابة المخصصة ان يكون من اهل ذلك النسب وان يكون اكثرهم فضلا واجزلهم رايحاويا لجميع المائر والفضائل جامعا لاسباب الشرف سليما من النقائص نجيبا يقظا عالما نبيلافهيما تقي العرض حافظا للهروعة عارفا بالانساب معيزا لاخلاطها وبما يجب لاهل البيت وهذه الشروط تتضمنها غالبا تقاليد ولايتهم ومن اراد الوقوف على ذلك فعليه بمراجعة كتاب روض البلاغة وكتاب صبح الاعشى ومما لا خلاف فيه ان خطة النقابة لم تكن موجودة في القرون الثلاثة الاولى وانما كان حدودها واسط المائة الرابعة في الدولة العباسية للمحافظة على شعائر اهل النسب الزكي كما اشار له في كتاب الاحكام السلطانية ولكن المقصد الخفي الذي دعا لوضع هاته الخطة هو ارضاء العلويين الذين كانوا يجدون في انفسهم هزازة من استيثار العباسيين بامر الخلافة فلما ضعفت الدولة العباسية وتظاهر الامراء المتوثبون على الخلافة في الجهات مثل بني بويه وبني سامان بالتشيع للعلويين ارضاء لهم وتسكين لثائر خواطرمهم اذ قد تكاثر الخارجون منهم عن الخلافة في حدود سنة ٣٥٠ ليكون هذا التقيب يدا للدولة وعونا

(١) ان هذه النقابة المعممة اقتبسوا منها نظام آل البيت الحسيني يجعلهم جميعا لنظر اكبرهم سنا وهو متولي كرسي الملك وهذه القاعدة هي التي انبنى عليها الفصل الثاني وما بعده من قانون عهد الامان

لها (١) على اضدادها السياسيين كما وقع فعلا في أيام المطيع العباسي المؤيد من الشريف ابي احمد الموسوي تقيب العلويين في سنة ٣٥٩ و تعاظم امر القباة وتناولت نحوها الاعناق بدخول السياسة فيها فكثر خطاها من بني هاشم وهو الحمد الثالث للنبي صلى الله عليه وسلم ومن عقبه بنو العباس فراوا من المصلحة تجزئة خطة القباة الى خطتين خطة تقيب النقباء ولنظرة احوال بني هاشم المعبر عنهم حينئذك بالاسرة الشريفة والاشراف اذ كان الاصطلاح في القديم شمول لفظ الشرف لكل بني هاشم وهو مسمى الآل عند جمهور الفقهاء ثم وقع الاصطلاح في مصر على تخصيص الشرف بثال سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنه من سيدتنا فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه استمر اصطلاح المتأخرين وكانت نقابة النقباء في بيت الشريف الزيني والحطة الثانية خطة تقيب العلويين ويسمى تقيب الطالبين وجعلوا لتقيب النقباء النظر العام في تولية قباة البلدان مثل تقيب البصرة وتقيب الكوفة ومقر تقيب النقباء ببغداد ويختص بالخلافة السلطانية من لدن الخليفة العباسي مع اعطائه لقباً تشريفياً ولتقيب العلويين ببغداد ما لتقيب النقباء لانه يأخذ التقليد من يد السلطان ايضا هذا تاريخ نشأة نقابة الاشراف في الدولة العباسية ومنها انتشرت في الآفاق حتى دخلت الهند والبلاد القصية - واما ظهور هذه الحطة بافريقية يعني تونس فلم نتوصل مع تشديد البحث عنها بمطائنه للوقوف على اخبار كثيرة في شأنها وغاية ما وقفت عليه من امر الاشراف في الدولة الحفصية انهم كانوا يكرمونهم ويفدقون عليهم بالاحسان ولا سيما في عهد السلطان ابي عمرو عثمان في المائة التاسعة قال في المونس انه كان يكرم اهل البيت النبوي ويحسن اليهم وقال في الفصل الثالث فيما تميزت به الديار التونسية عند كلامه على الاحتفال بالمولد الشريف ان لتقيب الاشراف عادة ياخذها من السلطنة من زيت وشمع وما يحتاج اليه وهذه العادة جارية من زمن بني ابي حفص ودامت هذه الدولة (المرادية) عليها اھ يستفاد من هذه العبارة ان خطة تقيب الاشراف كانت موجودة في الدولة الحفصية ولكن سمعتها وروحها انما كان في عصر الدولة العثمانية بتونس ابتداء من اواخر المائة العاشرة ناهيك انهم جعلوا لتقيب الاشراف مزبة الجلوس مع شيوخ المجلس الشرعي بمجلس الباشا عند حضورهم لفصل النوازل بدار الباشا تبركا بالنسب الشريف هكذا ذكر في المونس قلت وربما كان حضور تقيب الاشراف في زمرة الفقهاء لمقصد آخر ايضا وهو الاحتياط لما عسى ان تتعلق باحدهم نازلة يصدر فيها الحكم عليه لما تقدم من المعنى الذي لاحظته

(١) كان اهم المقاصد من تقديم الشريف الزواوي الشيخ العربي البشير لنقابة الاشراف بتونس في سنة ١٢٨٤ هو الاستعانة بجاهه وبنفوده في قومه الذين منهم فريق عساكر زواوة للانتفاع بهم في تمهيد السبل وتوطيد الراحة واستخلاص المجاني وكانت خزينة الدولة يومئذ افرغ من فؤاد ام موسى فكان زعيمهم وسيدهم التقيب المشار اليه يرغمهم على الرضا بالاجر القليل في مقابل العمل الحزيل قالوا ان الحزن نادر كان يعطيهم في تلك الاثناء مرتب نصف شهر بعد مضي خمسة اشهر في الجهود الشاقة ومنه تفهم صحة قولهم ان التاريخ يعيد نفسه الى ما شاء الله

العباسيون في جملة وظائف النقابة العامة وأول من عثر على اسمه المذكوراً من تقياء الاشراف في بعض الرسوم هو الشريف الشيخ حسن الهندي في سنة ١٠٢٣ وهو الجدا الجامع لآل بيتي الشريف ومحسن الموجودين لهذا الزمان بتونس بارك الله فيهم وفي عقبهم الى قيام الساعة. وممن وقع الوقوف على ذكره ممن تولى النقابة في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الشريف الشيخ الحاج ابو القاسم بن محمد القرشي كان تقياً للاشراف في سنة ١٠٢٧ ثم الشريف الشيخ محمد بن المختار في سنة ١١٠٠ ثم الشريف الشيخ ابو الفضل قاسم في سنة ١١٣٦ واما في القرن الثالث عشر فقد سهل الله جمع اسمائهم بطريقة مطردة من سنة ١٢٠٦ الى هذا اليوم كما تراه من حلقات هذه السلسلة الذهبية

الشيخ عبد الكبير الشريف	توفي سنة ١٢٠٦
الشيخ محمد يرم الثاني	توفي سنة ١٢٤٧
الشيخ محمد يرم الثالث	توفي سنة ١٢٥٩
الشيخ محمد يرم الرابع	توفي سنة ١٢٧٨
الشيخ الطاهر بن عاشور الاول	توفي سنة ١٢٨٤
الشيخ العربي البشيري	توفي سنة ١٣٠٤
الشيخ محمد الشريف	توفي سنة ١٣٠٧
الشيخ احمد الشريف	توفي سنة ١٣٣٧
الشيخ محمد حمدة الشريف	بارك الله في انفاسه

وكان لسادتهم في تلك السلسلة حظوة بين اهل الدولة مع عزة وسطوة في قومه اذ كان هو المهيمن على جميع من ضمه التراب التونسي من ابناء بلاد القبائل الكثيرين الوافدين من جبال الاوراس للانخراط في صفوف عسكر زواوة المشهورين بالشجاعة والبأس مع القناعة والاكتفاء بشطف العيش سمعت ممن اتق بنقله من شيوخ الحيل الماضي ان هذا النقيب الجليل يعني الشيخ العربي البشيري كان عند خروج دركابه للتقل من جبل المنار لتونس يخفّره طائفة من زواوة ركبانا شاهري السلاح يسرون مع عربته ذات اليمين وذات الشمال وكان اهل الدولة يغضون الطرف عنه مراعاة لحظا طره لان عساكر زواوة الضاريين باطراف العمالة كانوا كلهم يقومون لقيامه ويقعدون لعوده فكانت الدولة ممنونة له من أجل حمل اولئك العساكر على طاعتها والالتقياد لما تامرهم به من الاعمال بجهات المملكة مع الرضى بالنزول السير من الارزاق التي تكاد ان لاتكون كافية للقوت كما يشهد بذلك المثل الدارج بين اهل تونس من قولهم «كمثل عساكر زواوة مقدمين في الشقاء موخرين في الراتب» وهذا النقيب هو أول من أجرت له الدولة جراية سنوية زيادة على مخصصات نقابة الاشراف المستمدة من جهات البر ومما خولهم الشرع أخذه من أهل الذمة مما لم تزل منه بقية جارية لهذا الزمان وقد وقع

تقدير تلك الحرية عند تأسيسها بثمانية آلاف ريال قياسا على الحرية الممنوحة لشيخ الاسلام بصفتها ناظرين للعلوم بجامع الزيتونة ولما جلب ماء زغوان لتونس في اوائل دولة المشير محمد الصادق باي وقع تزويد دار النقيب المشار اليه مجانا بينبوع من ذلك الماء الزلال وفي عهد وزارة خير الدين خصصت الدولة جناية قدرها ١٢٠٠ ريال في العام لكل واحد من فيه الاربعة قياسا على ما جرى به العمل نحو غيرهم من ابناء الاشراف ولما التحق بالدار الآخرة في سنة ١٣٠٤ وقع التردد عند اسناد خطة النقابة بين تقديم الشيخ الشاذلي بن صالح كبير اهل الشورى المالكية كان وبين تقديم المفتي الشيخ محمد الشريف واختير تسليم ازمتهما بيد ثانيهما لما كان له من الخطوة والاعتبار بالبلاط الصادقي ثم البلاط العلوي وبقي بمحفوظي ان الشيخ الوالد رحمه الله اخذني معه لزيارة هذا الشيخ بداره بجبل المنار ولتنتهته بالنقابة المباركة ولما جلسنا حذوة ففتح فنينا (١) كان بين يديه وأخرج منه حكمة من الذهب المرصع ثم اخرى ثم اخرى الى نحو عشرة مطرز بعضها بصورة المشير محمد الصادق باي وبعضها مكتوب عليه بالحجارة الكريمة اسم المولى علي باي كانت كلها مملوءة بدخان الشوق ليتناول منها الشيخ السوالد وفيما بين ذلك دخل عليه المرحوم السيد الصادق غلب مبعوثا من طرف أمير العصر يحمل هدية سنية على وجه الملاطمة والمكارمة فقال له الشيخ « يا صادق قل لسيدنا ان العشرة آلاف التي اعطانيها لبناء دار الشط قد نفدت فليزني عشرة أخرى » فقال له يا سيدي ان العطية الاولى ما زالت قريبة عهد فكيف نجسر على طلب عطية ثانية بمقدارها فراجعه الشيخ قائلا انا لم اطلب رأيك وانما طلبت منك تبليغ رسالة فلتقم باتمامها والمعطي هو الله » وكان ذلك اخر العهد به غير اني سمعت بعد ذلك ممن اثق بروايته ان سمو الباي بعث للشيخ بالمال المطلوب ثم زاده ما يلزمه لتأثيث الدار المتحدث عنها مما يدل على ما لآل البيت من الود الراسخ في قلوب الملوك الحسينيين أيد الله دولتهم - وهذا السيد الشريف تقدم للخطة الشرعية قبل ولايته خطة النقابة وكتب على ختمه بيتين من نظمهما قولها :

ادعوك ربي باسمك اللطيف ومن اتى بالشرع والتكليف

امن برشد عبدك الضعيف محمد بن احمد الشريف

ولما تقدم للنقابة (٢) اصدر له سمو الباي ظهيرا كريما هذه عبارته « الى من يقف على امرنا هذا

(١) شبهه في القاموس بالقرارة وهذه هي الجولق المعروف

(٢) المدن التونسية التي بها نقابات للأشراف في هذا الزمان هي : تونس والقيروان وسوسة وصفاقس ونابل وتوزر وهذه النقابة الأخيرة في الذكر احدثت في سنة ١٣٤٨ مراعاة لأشراف الشاذلية واما نقابة نابل فهم اشراف دخلت المعالوين يقال ان جدهم الشريف الشيخ ابو محمد حسن العسكري قدم من مكة المشرفة في حدود سنة ٤٣٠ و نزلوا بالدخلة فنسبت بالتالي لاحد اسلافهم الاولين وهو الشيخ معاوية الشارف رضي الله عنه .

تونس في القرن السابع

كما يصفها أبو عبد الله محمد بن أحمد العبدري في رحلته

بقلم العالم المدرس الشيخ علي النيفر

- ٣ -

(بيوتات العلم بتونس)

ذكر منها بيت التجاني وناهيك به حيث يقول في ترجمة أحد نجومه ما نصه ولقيت بها الشيخ
الاديب الحبيب الكاتب البليغ ذا الفضائل المذكورة والمآثر الماثورة شيخ الادباء ووحيد البلغاء وزين
الناظمين والشعراء ابا الحسن علي بن ابراهيم التجاني التونسي له بيت عريق في العلم والادب قال لي
بمسجد اقرائه انا الثاني عشر مدرسا من آباءي على نسق كلهم قد قعدوا هنا للاقراء ويتمم بالعلم
شريف شهير وقل منهم ومن نسائهم من لا يقول الشعر واما ابو الحسن فهو فيه آية
الزمان اعادة معنى وتنقيح لفظ وسرعة بديهة وكثيرا ما يميله ارتجالا فيجود ويتقن وله مشاركة
حسنة في العلم ورواية عن الشيوخ ورحلة الى المشرق وحج فيها وهو بالجملة من خواص اهل العلم
واحادهم جالسته كثيرا وسمعت كلامه في الادب وغيره . . . (قلت) اتماما للفائدة اقل ما ذكره
العلامة الوالد تغمده الله برحمته في شان بيت التجاني الرفيع العماد في المجد والسؤدد من كتابه عنوان
الاربيب ونصه وكان يتهم (اي التجانيين) بحاضرة تونس مطالعا لبدور العلماء والكتاب والشعراء تناوبوا

من اهل مجلسنا العلي بالشريعة المحمدية ونوابنا في القضايا الدينية وابنائنا امراء الامراء اعيان الوزراء
وامراء الاولويه وامراء الاليات وقائمي المقامات وامناء الاليات والبنباشية وكافة الجنود العسكرية
وسائر اولي الولايات فيما لنا من الجهات سدد الله تعالى اعمالهم وأصلح بمنه احوالهم . اما بعد فان الهمام
التحرير صفوة الخيرة محبا للشيخ سي محمد الشريف المفتي المالكي والامام الاكبر بالجامع الاعظم عمرة
الله تعالى جعلناه نقيب السادة الاشراف بحاضرتنا المحروسة فليقم بخطته عالما بمقدارها متصفا بما
يحمد من اثارها وأوصينا له بمزيد المبرة والاحلال والامر لله الكبير المتعال والسلام من الفقير الى
ربه تعالى عبده علي باشا باي صاحب المملكة التونسية وفقه الله وكتب في ٢٥ ربيع الثاني سنة ١٣٠٤

هذا وقد رأيت من تمام الفائدة ان نختم هذه النبذة المباركة بسلسلة نسبة الشريف تيمنا بذكر
جده صلى الله عليه وسلم : هو الشيخ ابو عبد الله محمد بن احمد بن عبد الكبير بن احمد بن محمد بن
احمد الشريف المشهور بامام مسجد دار الباشا ابن حسن بن علي بن حسن بن احمد بن القاسم بن
محمد بن قریش بن عيسى بن عبد الرحمن بن خلف بن علي بن فرج بن علي بن محمد المكنوم
ابن اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حبذا عقد سؤدد وفخار انت فيه اليتيمة العصماء

محمد بن الخوجه

خطط الدولة الحفصية وتقدموا في كتابتها ودسوت رئاستها باستحقاق واضطلاع في العلم والادب وكان الادب والشعر مستقيضا في كبيرهم وصغيرهم وذكورهم واناثهم . فلقد نقل التاريخ ان صبيين من بيتهم خرجا يتفصحان فجلسا يستريحان عند حنايا ماء زغوان فقال احدهما وقد رأى انهضام بعض الحنايا لكرور الايام وتعاقب الاعوام وقيام بعضها على أصوله : .

— تمتع من بقايا الحنايا — فقال الآخر — بابدع منظر تصبو اليه —

فقال الاول — تأمل صنع ارسهما البواقي — فقال الآخر — وقد مد الفناء لها يديه —

فقال الاول — كسطر بعض احرفه تمحى — فقال الآخر — وبعض لاح مضروبا عليه —

(حرص شيوخ علماء تونس على بث العلم)

حكى صاحب الرحلة عن علماء تونس في ذلك التاريخ من الحرص على بث العلم حتى من بلغ من الكبر عتيا ما يقضى منه العجب . فمن ذلك ما حكاه عن قاضي الجماعة ابن الغماز ونصه . فممن واطنه مدة الإقامة ولزمته لزوم الطوق للحمامة الشيخ الفقيه الفاضل والخبر النزيه الكامل قاضي القضاة وزين الحملة والرواة ذو التواضع والانصاف والمعروف بوطأة الاكناف مسند عصره والمرجوع اليه في مصره ابو العباس احمد بن محمد بن حسن بن محمد بن الغماز الحزرجي وصل الله صيائه وأدام على الخيرات اعانته فلقبت منه علما يأخذ بالاسماع والابصار وفاضلا خلت عن مثله القرى والامصار . . . الى ان يقول يدأب على الاسماع دؤوب من عد العلم أرفع صناعة ورأى الاشتغال به انفع بضاعة لا يشغله عنه الابقاء على اعضائه الواهية ولا يصدده عنه ما تتحمله من المشقة السامية ولم يؤثر في قوة اجتهاده ضعف قواه ولا هوى به الى استيطاء الراحة هوالة بل يستعذب في خدمة العلم ما يلاقي ويعدة عدة ليوم التلاقي . . . وشبه بذلك ما حكاه عن الشيخ الليدي ونصه : ولقيت بها (اي بتونس) الشيخ الجليل الفاضل العالم العامل المسن المسند بقية السلف وقودة الخلف ذا الدين المتين والمنهج الواضح المستبين صالح العلماء وعالم الصلحاء ابا القاسم بن احمد بن ابي بكر الليدي نفع الله به وهو أوجد وقته علما ودينا واجتهادا ومواظبة وحسن ظن وغزارة دموع معدوم النظير في عصره لا يفتر عن العبادة ولا يتوانى عن شهود الصلاة في الجماعة وحضور مجلس لاسماع العلم مع فادح ضعفه وقرط شاخته وضراعة بصرة لا يتخلف عن المسجد ليلا ولا نهارا ولا يقطع اسماع العلم وتعليمه وقراءة القرآن وقد ابلت التسعون بدنه ونهكت قواه وحفظ عليه ذهنه حفظا تاما واما أخلاقه وتواضعه وقوة رجائه فبغاية في بابه . . .

شبان علماء تونس وحرصهم على الاستكمال :

لا ريب ان تسنم أعلى ذروة في العلم يتوقف على ما يئذله المرء في ريعان شبابه من الجهود المتوالية في سبيل ذلك مع فرط الاعتناء وشدة المثابرة وهي الحالة التي كان عليها شبان العلماء بتونس في عصر

صاحب الرحلة واليك نموذجاً من ذلك : حكى العبدري عن بعض من لقيهم من العلماء بتونس ما نصه :
 ومن لقيت بها فسرني لقائوه ، وواليته في ذات الله فنفعني ولاؤه ، وحاضرني فاعجبني ذهنه وذكاؤه ،
 وصحبته فبهمني حياؤه وفضله وكرمه وسخاؤه وتواضعه ورجاؤه صاحبنا في الله ووليننا وصديقنا في
 طاعته وصفينا ابو العباس احمد بن عمر بن ميمون الاشعري المانعي يعرف بابن السكان رأيتُه محباً
 الى غاية من كمال ، ومبرزاً في حلبة العلم والعمل، عذبت اخلاقه وفاقت زلالا، واستقامت احواله كالبيان
 اعتدالا، وفاضت انامله كالمرن انهماكلا، ادرك مزاي الشيوخ على فتاء سنه، فما تكلم في علم الا قلت هذا
 معظم فنه ، قد الف الانتباه فما يسقط الا يده ، وسحب قصر الامل فما يؤمل غده ،
 فقل من الآمال اذ لا يضمها ولكنه من كل مأثرة مثري
 سري غني النفس ما تستغزه زخاريف دنياه بقل ولا كثر

وله اعتناء بتصحيح الرواية، واعباء في تنقيح الدراية، سماع من الشيوخ واستجازهم واستجيزوا
 له فاستعت لذلك روايته وله مجموعات تشوق، ومؤلفات تعجب وتروق، منها كتاب في اكمال التذليل
 لابي بكر بن قنوح على كتاب الاستيعاب للحافظ ابي عمرو بن عبد البر قد اعتنى به اعتناء تاما وهو
 الى الان لم يكمل

عدول تونس

لا ريب ان منصب العدالة من المناصب الرفيعة التي كان لها شأن عظيم بتونس حتى أنه في القديم
 كان القضاة ينتخبون من العدول . ولهذا يروى ان الامير الخطير حمودة باشا الحسيني تفعمده الله
 برحمته كان يقول ما معناه ان موت القاضي لا يهتم له كثيرا اذ انه يعمد لاي عدل من العدول فيؤليه
 منصب القضاء ويكون كفؤا له انما الذي يهجه كثيرا هو موت عدل من العدول اذ يستدعي تعويضه
 بعدل آخر غاية التحري في اختيار الكفوء الذي يخلفه في منصب العدالة الجليل وهكذا كان من
 القديم عدول تونس من أهل الفضل والكفاءة العلمية وهذا العبدري يذكر ان ممن لقيهم من علماء تونس
 الفقيه الافضل أبا عبد الله محمد بن ابي القاسم الازدي ويعرف بالقسي - بضم القاف - قال وهو رجل
 فاضل وقور ذو سمت ومن عدول البلد رحل الى المشرق فلقى الناس وأخذ عنهم قرات عليه جزءا
 في فضيلة من اسمه محمد واحمد تخريج الشيخ الحافظ ابي عبد الله الحسين احمد بن عبد الله بن بكير
 البخاري اي وبهذا يعلم منزلة عدول ذلك العصر بتونس في العلم والفضل .

(مؤدبو تونس)

المؤدب كما يؤذن به اسمه يقوم بوظيفة جلييلة وهي تأديب الصبيان وتهذيب اخلاقهم وطبعمهم
 بطابع الخير ان كان من اهله مع تعليمهم كتاب الله العزيز ومبادئ العلوم الشرعية من توحيد وفقه

وذلك يستدعي الاتسام بميسم العام والفضل وهو ما كان عليه مؤدبو السلف رضوان الله عليهم وقد كانوا يقومون بذلك احتساباً لله تعالى ولهذا نجد لمن خلفه في مقدمة تاريخه زعم من يقول ان الحاج بن يوسف كان ابوه مؤدب صبيان بالمعنى المتعارف وهو الذي يتقاضى جعلاً على تعليمه القرآن بان السلف لم يكونوا يتخذون تعليم القرآن حرفة يتكسبون بها بل كانوا يفعلون ذلك احتساباً . والظاهر ان عرف تونس في القديم جرى على ما كان عليه السلف في ذلك فهذا سيدي محرز بن خلف كان يؤدب الصبيان احتساباً لله تعالى ويعلمهم القرآن ومبادئ الفقه والنحو وقد سأل ابن خاتمه سيدي عبد الله بن ابي زيد القيرواني ان يؤلف له كتاباً يشتمل على العقائد والفقه لتعليمه للصبيان الذين كان يعلمهم فألف له الرسالة وفي خطبتها اشارة الى ذلك وهذا العبدري يحدثنا ان ممن اجتمع بهم في تونس الشيخ الفقيه الصالح الفاضل ابا العباس احمد ابن موسى بن عيسى بن ابي الفتح البطرني (نسبة الى بطرنة بفتح الطاء واسكان الراء) وهو مؤدب في بعض ارباض تونس ضرير البصر دين صالح معتن بالعلم وروايته مواظب على افعال الخير لقي جماعة من العلماء وسمع من ابي عمر ابن الشقر وقرأ عليه كثير وروى عنه وأجازة قال وقد قرأت عليه الاربعين المسلسلات لابي الحسن بن ابي الفضل المقدسي . . . ثم يقول وكانت له مسموعات ومرويات لم يتسع الوقت لاخذها عنه والحمد لله على كل حال اه فلله مؤدبو تونس بذلك العصر الزاهر

(تجار تونس)

لا ريب ان انتشار انوار العرفان في الامة حتى ينال حظها منها التاجر والصانع وغيرهما من اللقيف فهو عنوان تقدم الامة وريقها وتجار تونس في عصر صاحب الرحلة قد اخذوا حظاً من العلم غير منزور فقد روي أن ممن لقيهم بتونس الشيخ الفقيه الحاج المبارك الافضل معين الدين ابا محمد جابر بن محمد بن القاسم بن حسان قال وكان من التجار رحل الى المشرق قديماً فلقني به الامام علم الدين السخاوي وسمع منه وأجازة وقرأ عليه قصيدي الشيخ الامام ابي القاسم الشاطبي في القراآت وفي المرسوم وحديثه بهما عنه قال وقد قرأت عليه بعض الاولى وجميع الثانية وحديثي بهما معا عن السخاوي عن ناظمهما المذكور وأجازني أجازة عامة وكتب لي بذلك خط يده وقرأت عليه ارجوزة السخاوي في المتشابه من الفاظ القرآن وحديثي بها عنه قراءة ثم ساق بعضها ثم قال وقرأت على الشيخ ابي محمد احاديث من احاديث المعمرين . . .

فلله در اهل ذلك العصر ما أفضلهم وأجلهم هؤلاء تجارهم فكيف بغيرهم من خاصة اهل العلم المتصدرين للتدريس والفتوى والقضاء . رحم الله ذلك السلف ووفق لاقتفاء خطاهم والنسج على منوالهم اعقابهم حتى يكونوا لهم نعم الخلف

علي النيفر

باب البحر

بقلم العلامة المؤرخ سيدي محمد بن
الخوجة مستشار الحكومة التونسية

بمناسبة شروع المجلس البلدي بتونس في هدم الابنية الملاصقة لهيكل باب البحر بقصد توفير
الاسباب العائدة بتسهيل مرور المجتازين طردا وكما بهذا الباب من ثلاثة مسالك عوض مسلك
واحد رأيت الناس يبين متحدث ومتخرب بماضي هذا المعلم الباقي من عهد السلف لذلك اثيرت في
هذه الآونة ان يكون بحثي التاريخي هذا الشهر في موضوع باب البحر والحارة الافرنجية الواقعة
حوله وما كانا عليه في العصور المتقدمة على الازمان الحالية لاسيما وانه مبحث لم يطرقه كتاب التاريخ
الحاضر فيما نعلم ولذلك نقول

يستفاد من بعض الكتب المخطوطة المحفوظة بخزائن جامع الزيتونة منها كتاب في مناقب بعض
الاولياء والصالحين المشهورين بتونس ان باب البحر كان معروفا بهذا الاسم في المائة السادسة نقل
الشيخ أبو الحسن علي الهواري مؤلف الكتاب المذكور في جملة ما ذكره من المناقب لمعاصرة الشيخ
سيدي ابي سعيد الباجي كرامة للشيخ رضي الله عنه تضمنت حديث طائفة من النساء اجلهن العدو
من جزيرة مبورقة فهاجرن لتونس في زمن سيدي ابي سعيد وكان عددهن يربو عن المائتين « فنزلن
بعض فنادق الروم باب البحر » ونستخلص من هذه العبارة ان باب البحر في المائة السادسة وما قبلها
كان به مساكن النصارى نزلاء تونس كما هو حاله في هذا الزمان وبلوح ان وجود باب البحر كان
متقدما على ذلك الزمان لان الولي سيدي ابي سعيد الباجي من رجال المائة السادسة ولد في سنة ٥٥١
وتوفي اوائل المائة السابعة في سنة ٦٢٨ ودفن فيما ذكر صاحب المناقب بمنارة قرطجنة (كذا)
وعبارة المؤرخ الزركشي في التعريف بموضع قبره اوضح من عبارة صاحب المناقب فقد قال انه دفن
« بجبل المرسى بمقربة من المنار » والمنار هو الناظور المعروف المقام بقمة الجبل لهداية السفن

وفي الناظور اشعار بحدود لاف به مقام ابي سعيد

ويستفاد مما تقدم ان ناظور (١) سيدي ابي سعيد ليس في اصله من المستجدات الحادثة بل هو

(١) الناظور الموجود لهذا الزمان وقع بناءه في حدود سنة ١٢٥٥ على عهد المشير احمد باي
بمطلب من قناصل الدول بتونس وجعلت له مشكاة تين بالتالي ضعف نور زجاجها فعوضوها بزجاجة
اقوى من السالفة اشتروها من باريس بخمس عشرة الف فرنكا في سنة ١٢٨٩ على عهد المشير محمد
الصادق باي وكان مدير الناظور هو المرحوم البناشي الخطاب الزلفاني من ضباط الجيش بالمحمدية

كان موجودا في اوائل الدولة الحفصية ولا نشك في كونه كان معروفا في العصور المتقدمة على المائة السادسة للهجرة يعني في زمن امراء صنهاجة ومن تقدمهم من بني الاغلب امراء القيروان لان تونس كان لها يومئذ اسطول يمحز خضم البحر فيما بينها وبين جزيرة صقلية التي افتتحتها الاغالبة في اوائل المائة الثالثة على يد قاضي القيروان وامير جيوشها اسد بن الفرات ومات اسد اثناء حصار سرقوسة سنة ٢١٣ ودفن هنالك فمن الضروري انه كان لديهم بجبل المنار وهو الاسم التاريخي لهذا الجبل قبل نسبه لسيدي ابي سعيد منارة اهداية سفنهم ومتاجرهم عند غدوها ورواحها في ظلام الليل الحالك ومن المحتمل القريب ان العرب انتفعوا بالمنارة المتحدث عنها اقتداء بمن سبقهم من الامم التي حكمت تونس قبلهم لان جبل المنار كان قبل الفتح الاسلامي موقعا لمقابر اهل قرطجنة في سطوتها وغفوان شباهها وقرطجنة كانت يومئذ ذات قوة بحرية مزاحمة لاسطول الرومان فلا بد وانه كان لهم ناظور بقرن الجبل يهتدون به في الظلمات

ولنرجع بك لحديث باب البحر بالذات فنقول ان هذا الباب كان معروفا بهذا الاسم في زمن الدولة الحفصية لان كتب التاريخ تعرضت لذلك الجامع الذي بناه الدعي احمد بن مرزوق المسيبي في سنة ٦٨١ وانه بناه خارج باب البحر ونجده ايضا باسمه هذا في المائة العاشرة عند كلام المؤرخين على حوادث احتلال الاسبانول لتونس قال في المونس عند ذكر انتصار عساكر الوزير سنان باشا « ولما اخذ البستيون وجدوا الجامع الذي خارج باب البحر ملآنا بالسلاسل والاغلال » التي جلبها الاسبانول في جملة ذخائرهم الحربية لجعلها قيودا في اعناق اهل تونس ولكنها باتت حول رقابهم كما قصه علينا التاريخ وسمعت من بعض من اتق بروايتهم ان باب البحر من اثار بني خرسان بناه احمد بن عبد العزيز بن عبد الحق عند استبداده بالحكم في تونس حيث جدد اسوارها لاول المائة السادسة وكان في جملة ذلك البناء الحادث باب البحر واحد هذا هو الذي بنى ايضا قصور بني خراسان ومنها القصر الاعلى المنسوب له جامع القصر الموجود لهذا الزمان وذكر بعض المؤرخين ان الواقف بصحن الجنائز بجامع الزيتونة كان في المائة العاشرة يرى مياه البحيرة بعينه الباصرة من موقفه مما يدل على فقدان العمارة حول باب البحر في ذلك العهد ولم يزل باب البحر معروفا باسمه هذا بين التونسيين الى هذا الزمان اما هيكله في القديم فقد كان ضئيلا على قياس بعض ابواب مدينة تونس كباب سيدي عبد السلام وباب سيدي قاسم وباب القرطاني لعهد قريب وكان موقعه لنحو عشرين او ثلاثين خطوة ليسار الباب

دامت ادارة الناظور بيده سنين طويلة لحد اشتهاه باسم الخطاط الناظورحي عوض لقبه الاصلي وكان المكلف بأسراج المنارة في ذلك الزمن رجل من قدماء العساكر اسمه زربوط يتقاضى من اجل ذلك عشرة ريال في الشهر وكانت خدمة هذا الناظور من متعلقات وزارة البحر بحلق الوادي ولا يوجد غيره في القرن الماضي سوى ناظور جزيرة الكلاب وناظور رأس ادار

الحالي بالنسبة للخارج قد سمعت ذلك من بعض مشيخة الحيل الفاتت ورايت ما يؤيده فيما بعد بخريطة هندسية تقريبية لما كانت عليه الحارة الافرنجية بتونس في اواسط القرن الماضي ولما رجع المشير احمد باي من رحلته بفرنسا حيث شاهد معالم العظمة والثروة الواسعة كقوس النصر بباريس وغيرها من الآثار التاريخية الخالدة كما شاهد نظم الدولة الفرنسية في عزتها وفخامتها تعلقت همته بمجاراة فرنسا في بعض مظاهر عظمتها - ولكن مع وجود الفارق - فزاد توسعة في قصور المحمدية ورتب الخطط الوزيرية وأحدث خطة أمير الامراء بالعسكرية كما أحدث الصنف الأكبر في سلسلة نياشين الاختيار قياسا على نظام (البحيون دونور) ورتب ترسخانه بغار الملح وبنى مدرعة حربية من طراز قرقاطة وأبطل الرقيق بممالكه الى غير ذلك من المستجدات التي سهل عليه انجازها حب التهادي والتعظيم المحمدي عليه بطبعه الذي وصفه لنا التاريخ وكان في جملة مبتكراته ايضا بعد اياه من فرنسا انشاء باب البحر بعنوان معلم تونسي فخم يحاكي بعض ما شاهده في رحلته من اقواس النصر الكثيرة بفرنسا فامر بتشيد الباب المذكور عوض الباب القديم الضئيل الذي هو من بقايا العصر الحفصي فيما اظن وكان ذلك في سنة ١٢٦٤ (١٨٤٨ الميلاد) فجاء كما تراه اليوم وكان القائم بنائه المعلم محمد تيوة ومعن شاركه في ذلك تلميذه المرحوم سليمان النقر ومهندس البناء وقد كتبوا بالقلم الغليظ على واجهتي الباب داخلا وخارجا ابياتا من الشعر تذكارا لبنائه قيل من نظم المدرس الشيخ احمد بيرم المتوفى سنة ١٢٨٠ ورايت من نسبها لابن عمه الشيخ محمد بيرم الرابع فهي على كل حال جواهر بيرمية وعبارة الايات المكتوبة على الواجهة الداخلية

بسم الله الرحمن الرحيم - ما شاء الله - وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
 بابداع هذا الباب قد صدر الامر من الملك السامي الذرا من له الفخر
 فجاء عديم انثل ابرز شكله على صورة غرا يناسبها القدر
 ولا بدع في ابداعه بمشيده تائق في احكام اثاره الدهر
 وما هي اولى ما افاد فكلم له بتونس من صنع يشاد به الذكر
 ولما اكتسى ثوب التعمام واشرقت محاسنه اللاتي يباهي بها العصر
 غدا الدهر يشدو اذ يقول مؤرخا بنا احمد ذا الباب دام له النصر
 ١٢٦٤

واما الايات المنقوشة على واجهة الباب الخارجية فهذه عبارتها

بسم الله الرحمن الرحيم - ما شاء الله - وصلى الله على سيدنا محمد وسلم
 بانشاء هذا الباب قد كمل الفخر وسار مسير الشمس في الفلك الذكر
 به امر المولى المؤيد من له مراقبي علا ينحط عن نيلها البدر

فجاء كما ترضى النفوس مؤسسا
 اذا كان ما تبدي الملوك ازاهر
 على صفة ما حام من عدها فكر
 فان الذي يبدي المشير هو العطر
 فشكرا لما اولى وحق لمن غدا
 جميل المساعي مثله الحمد والشكر
 ودونك من ذا الباب عنوان فضله
 ولج لتري الفضل الذي ما له حصر
 ودامت له الدنيا وطال له العمر
 اديمت له النعمة وعوجل بالمنى
 محاسنه اللاتي بها افتخر العصر
 ولما انتهى تأسيسه وتكاملت
 تسنى لمن قد قال فيه مؤرخا
 بنى احمد ذا الباب دام له النصر

١ ٢ ٦ ٣

ومصرع التاريخ في الواجة الداخلية يوافق العام ١٢٦٤ المرسوم بها وهو بنصه لا يوافق العام ١٢٦٣ المرسوم بالواجة الخارجية وكان في الامكان الجمع بين الاثنين لو قال « بنى احمد ذا الباب مدله النصر » عوض قوله « دام له النصر » اذ بسقوط الف دام ينقص عام من حساب المصرع والقلب والابدال من خصائص لغة العرب ومقتضاها يكون تأسيس واجهة الباب الخارجية مقدمة بعام على بناء واجهته الداخلية وهو الشيء الذي يقبله العقل لان بناء معلم كباب البحر يستدعي لا محالة زمنا يستغرق اكثر من عام واحد ومهما كان الحال فاني اهدي في هذه الاونة عبارات الشكر الجزيل للفرنساوي الصميم مسيو ادمون مدير مغازة الميثران جنرال لانه هو الذي سهل علي نقل الايات المرقومة على باب البحر بواجهته الخارجية من احدى نوافذ مغازته القرية من الباب ومدني بنظارة بدعا في التجسيم والتفخيم لحل اشكالها الغامضة وتراكيبها المتداخلة ولولا هذه المساعدة لما تسر لي نقلها لاستحالة اخذها بطريقة اخرى واما الايات المرسومة على الواجة الداخلية فقد كنت نقلتها لنحو ثلاثين سنة ماضية من مطعم (اوتيل) ايمون الواقع بطحاء البياصة (١) المعروفة في هذا الزمان بطحاء لافيغري صاحب التمثال الذي اقيم بها في سنة ١٣٤٤

وقد رايت فيما تقدم ان باب البحر ليس له من الاسماء غير ما عرف به منذ القرون الاولى وهو اسمه المعروف به لهذا الزمان بين عامة التونسيين غير انه اشتهرت تسميته بين الاروباويين في بحر هذه الخمسين سنة باسم « باب فرانسا » كما اطلقوا اسم « شارع فرانسا » على النهج الفسيح الواقع خارجه فيما بين الباب ويطحاء السفارة الفرنسية وما زاد على ذلك هو شارع جول فيري صاحب التمثال الذي سياتي الكلام عليه وكان هذا الشارع لا اسم له في الازمان الغابرة وانما سمي شارع البحيرة في اواخر القرن الماضي بعد تخطيطه وتمهيد بهناية المجلس البلدي بعد انتصابه

(١) لفظ يابصة معرب من piazza في الطليانية ومعناه بطاح وساحة وشبه ذلك

فلما اقيم للوزير جول فيري تمثاله (١) المعروف في سنة ١٣١٦ على عهد الوزير المقيم مسيوريني ميلي بعد فتح مرسى تونس لسير السفن على عهد سلفه الوزير مسيو روفي (١٣١٠) ابدل المجلس البلدي اسم ذلك الشارع الذي هو اوسع شوارع تونس في ذلك الزمان فجعله شارع جول فيري تخليداً لذكر صاحبه حيث كان هو المبتكر لمشروع الحماية الفرنسية بتونس ولم يكن لشارع البحيرة وجود قبل بناء قصبات فرانس خارج باب البحر بل كانت تلك الجهة وما حوالها كاهل اراض موات لا تصلح للزراع ولا للضرع لانها كانت مغمورة بالاعشاب والادغال والحماض وما تلفظه امواج البحيرة بالساحل ولم يكن بشاطئها سوى بناء ضئيل يعبر اليه من سرب على القدم او على البغال خلال تلك الادغال والوحل في الشتاء والغبار في الصيف للوصول لذلك البناء المنتصب به ماءور القمعق المكلف باستخلاص المعاليم الموظفة على البضائع الصادرة والواردة على طريق البحيرة ودام هذا النظام القمعقي بتونس الى احداث الرقابة الاروباوية على مالية الدولة التونسية المعروفة بالكمسيون الذي وقع انتصابه في سنة ١٢٨٦ وضبط المال المتحصل من القمعق كان في عهدة شاهد البحيرة واماخر من تولى الاشهاد على ذلك المرحوم الشيخ علي المحرزي - وفيما بين باب البحر والبحيرة كان بالجهة التي بها اليوم مقهى الكازينو معامل صنع القطران يسميها العامة مخازن القطران كانت منتزه الاحداث في وقت الربيع يذهبون للجلوس فوق سطوحها جموعاً ووحداً لا تستنشق ... الهواء العليل ولاكل بعض المقائي والبقول الطرية كقصوص الفول الاخضر والفجل والبساسة والحص مما كان ينتجه بعض البستانيين من فقراء النصارى حول بر تأوي اليها مياه الخنادق عند جريانها للبحيرة وهذه الخنادق كانت في الجملة سبعة اعظمها خندق ضبان الوارد من رضى باب السوق وكانت مكشوفة على طول الخط الى ان تصل لمصبها بالبحيرة وقد وقفت لبعضهم على ابيات لطيفة في وصف محال نزهتهم بباب البحر مما يدل على ارتياح القلوب والرضا بالنزر اليسير في ذلك الزمان الذي ليس بهيد

سقى الله باب البحر وطفاء ديمة تروي ثراه العاطر النفحات .

(١) صخرة التمثال المتحدث عنه اشتملت على ذوات اخرى حول قاعدة التمثال فالراس الذي بالقرص المستدير يمثل وجه مسيو برتليي سانتيلار وزير خارجية فرنسا الذي امضي في مدته صك الحماية والذوات الاخرى هي رسم معمر فرنساوي يمثل الكد والجد في احياء الارض لاستخراج خيراتها وبركاتاتها ثم رسم امرأة عربية بدوية تقدم سنبلة لجول فيري تحدثنا بالنعمة والصيان الجالسان يمثل احدهما صورة نجل الوزير المقيم مسيو ريني ميلي حالة كونه يعلم التهجئة والقراءة لصبي اهلي من اللقيف كناية على ان مساعي فرنسا ترمي لنشر آلاء التعليم بين كافة الطبقات

ومنزّل لهو آهل العرصات	محل التصافي لاحيا المحل رسمه
عشيات انس فيه او غدوات	لعمرك ما الدنيا ولا عيشها سوى
حبانا سرورا والزمان مواتي	قلله يوم لم تر العين مثله
حشاشة نفس روعت بشتات	لدى حانة حنت اليها صباية
رهيف التثني فأتان الحركات	يسدير علينا الراح ضي مرند
تمازج محياي بها ومحاقي	سقاني بعينه كؤوسا من الهوى
ورحت صريع الراح والالحظات	غدوت اليها تختشي الاسد صولتي

واول بناء عصري اقيم براس شارع البحيرة قبل تخطيطه وتمييده هو قنصلات فرنسا
 وكان ذلك بمساعي القنصل المستعرب ليون روش في عهد المشير محمد باي الذي كان تجتمعه
 بالقنصل المذكور صلة مودة ومخالطة شخصية زيادة على ما كان بينهما من العلاقات الرسمية الحنة
 فقد كانا يخرجان معا للصيد والقنص بجهة وادي الرمل فيما بين خفخة الحجاج وزغوان
 ويصيان الشيء الكثير قالوا ان المشير محمد باي كان لذارمي طائرا او حيوانا لم يخطه قط وبلغ من
 امتزاج مسيو ليون روش بسخو الباي محاراته في بعض اخلاقه وعوائده حتى انه كان يستعمل نفقة
 النشوق في مجلس الباي لان سموه كان يستعمل ذلك وكان الباي يهديه بملابسه العربية الفاخرة فيتزي
 بها من ذلك برنس من الوبر اهداه القنصل بدوره فيما حكاه عن نفسه لصاحبه الامير عبد القادر
 الجزائري فارس العلم والجهاد رأت ذلك في كتاب له عنوانه « اثنان وثلاثون عاما حول الاسلام » وبديهي
 ان مصاريف بناء القنصلات المشار اليها كانت على نفقة الخزينة التونسية بناء على ان ملوك تونس متكفلون
 من عهد قديم باسكان قناصل الدول بمحلات مناسبة من املاك الدولة وكان التجار الاروباويون
 يسكنون من اواسط القرن الحادي عشر بالمحل المعروف بفندق النصارى الموجود لهذا الزمان بنهج
 القمعق القديم داخل باب البحر وبقرىهم قناصلهم بالمكان وكان لهم بالفندق مصلى لاقامة شعائر دينهم
 وكانت مقابرهم بالبقعة التي بها اليوم الكنيسة المواجهة لدار السفارة العامة وهذه الكنيسة ام الكنائس بتونس
 تم بناءها في سنة ١٣١٥ هـ وفي عيد الفصح من مواسم النصارى يوجه الباي على وجه المكارمة للقناصل
 طبل باشا مع مهارة للعزف بالفندق وتكون البداية حتما بقنصل فرنسا بناء على ان ملوك فرنسا كانوا
 هم حماة النصرانية بالبلاد الشرقية والفناء الذي كان موجودا بين باب البحر وموقع القنصلات كان
 ترسم به سوق الخضراوات والبقول والفحوم وما اشبه وبالمكان نفسه بقايا حصن الباسطيون ولعل من
 بقيته محلات قمعق الدخان القديم الذي مسح من لوحة الوجود في مبادي هذا القرن وما وراء ذلك
 كان مصبا للازبال المنجتمعة بدور المدينة ومساكنها وشوارعها ولقد بلغ من امر هذه المزابل انها اعتلت
 حتى كادت ان تكون جبلا في عهد الباي حمودة باشا قال المؤرخ الشيخ احمد بن ابي الضياف ما معناه

ان تلك المزايل اورثت خوفا في نفس الباي لانها صارت جبلا يمكن ان يتترس به العدو ولاجل ازالة ذلك الخطر حمل الباي اهل المدينة على نقل تلك المزايل للبحيرة فاستغرقوا في ذلك عدة شهور ويلوح انهم كانوا في تلك الازمان ينتفعون في مثل تلك الاعمال الشاقة بمشاركة الاسارى والاسارى كانوا يقدون انفسهم بالمال الناض اما من عطايا المحسنين من بني جنسهم واما بما يتوفر لديهم من الاجور التي يكتسبونها مدة خدمتهم بالمصانع والمعامل الدولية او من خدمتهم بديار الاعيان وكانت فدية الاسير ثلاثمائة محبوب في زمن الباي حمودة باشا وبالجملة فان الحاضرة التونسية كانت لنحو مائة سنة ماضية وسخة فذرة فوق ما يتصوره العقل لذلك كانت الاوبئة تتعاهدها على دور العصور وبذلك وصفها كل من زارها من الاروباويين في ذلك العهد والشواهد على ذلك كثيرة ويكفي الاشارة لما هاجها به لنحو جيلين فارطين المعلم احمد فارس الشدياق في قصيدته التي يقول فيها

يا عيشة مستكرة	في بلدة مستقرة
ما ان ترى من روضة	فيها ولا من شجرة
الا غبارا ثائرا	في الصيف بس الغبرة
وفي الشتاء وحل	تغوص فيه البقرة
وفي الطريق جث	مبثوثة منتشرة
من حيوان ميت	وبشر للعدرة

وهي طويلة احتوت على ما هو أشنع وأقبح من ذلك وباليته عاش لهذا الزمان ليكتب لنا من نظمه كفارة سياّته اوليردد معي هذه الايات التي نظمها على روي قصيدته :

يا عيشة مستبشرة	في بلدة مستحضرة
ما ان ترى الا الريا	ض الباسقات النضرة
وطرقا معدودة	ممشاتها مشجرة
ذات ظلال بالثنا	في الصيف يا ما اجدره
وفي الشتا منتزه	للوافدين البررة
وكل بيت حوله	مذباة كالمخبرة
بما يهزه الفضا	من موج صوت البشرة
تضيئه اشعة	من كهربا منتشرة
مع تلفون ناطق	يشبه بعسل السحرة
وبالطريق عجلة	اسرع من برق ترة
وفي السما طيارة	لقمع شر الفجرة

والقوم بين ضاحك ومعجب مما يره
صدي لسان حالهم عن السنين الغابرة
يقول بش ما مضى ونعم حال حاضرة

ويأبى القلم ان يتعرض بسوء لشيوخ احد فارس لان له جسنات كثيرة في مقام الادب والتحرير
والجسنات يذهب السيات ولانه من جهة اخرى حكى ما شاهدت عيناه تحت تاثيرات الحية
والاخفاق لانه جاء تونس مؤملا اكتساب حيية له بالدولة فلم يحظ منها بسوى خطة ضئيلة بحلق
الوادي لذلك ترى ل حاله بقصيدته التي مطلعها

مساذا جنيت وما جنت اجدادي حتى غدا حبسي بحلق الوادي

على ان قصيدته في هجو تونس اجابه عنها الشيخ محمد يرم الرابع بقصيدة تعرف منها بيتا

واحدا وهو قوله

المسلمون صدقوا بجنة منتظرة

وهذا البيت يكفينا لفهم ما غاب عنا من باقيا رحم الله قائلها واثابه

وفي النصف الثاني من القرن الماضي اخذ الافرنج نزلاء تونس يتوسعون بالسكنى وبالتجارة
داخل باب البحر فكانت ابنتهم متعالية ومتاجرهم نافقة بحومة سيدي المرجاني وما اليها ووافق ذلك
الاعلان بقانون عهد الامان ومن شروطه امان حربة البيع والشراء لسائر الاجناس الامر الذي
سوغ للاروباوين تملك الربع والعقار مع التمتع بجميع الحقوق الممنوحة لابناء البلاد، وحومة سيدي
المرجاني كانت يومئذ خاصة بالافرنج واهم انهاجها الزقاق المعروف بنهج الكنيسة في هذا الزمان
سموه كذلك في مبادي هذا القرن نسبة لكنيسة سانت كروا (الصليب المقدس) وهذه الكنيسة كانت
في القديم مارستانا للنصارى اسمه عندهم « مستشفى اهل الثالوث » كان تاسيسه في اوائل القرن
الحادي عشر، وفي عهد المرحوم المولى حسين باي بن محمود باي رخص لهم بجعله كنيسة في سنة ١٢٤٩
وزيد لهم في مساحتها نحو عشرين ذراعا على عهد المشير احمد باي في سنة ١٢٦١ ثم ان المشير محمد
الصادق باي تفضل في سنة ١٢٩١ بدار بسوق البراملية قرب تلك الكنيسة على جماعة الرهبان
من فرقة (اخوة المكناب النصرانية) للسكنى بها ولتعليم ابناء النصارى بتونس بحيث ان حومة
الافرنج داخل باب البحر كانت في اواخر القرن الماضي تامة النصاب متوفرة المرافق ناهيك انه كان بها
تجار لبيع الكتب العربية كالاسرائيلي لياه المليح المتمتع بالحماية الطليانية فقد انتصب في سنة ١٢٩١ لبيع
مصاحف القرءان الكريم وموطا امام دار الهجرة مالك بن انس مع رسالة في جواز لبس البرطلة (١)

(١) البرطلة شيء كالمظلة ليست من كلام العرب عند الاصمعي بل هي معربة من النبطية اهـ.

اسمها « اجوبسة الحيارى عن قانسوة النصارى » للشيخ سليمان الجرايري وفتوى له في اباحة زكاة اهل الكتاب مما يدلك على الحرية الكاملة التي كان يتمتع بها الاروباويون ومن استظل بحمايتهم المنفعة في ذلك الزمان وما لبثت محاسن التمدن العصري ومظاهرة الخلابة غير قليل حتى استهوت ابناء تونس وامتلكتهم فكانوا بين سابق ولاحق للكرع من مناهله وحياضه والتمدن حلو حامض ولك ان تقول من طعمه وكنهه كالرمان اذا لم تحسن علاج هضمه احدث بجوفك امساكا خطيرا ومن أراد ان ياكل من ثمار التمدن بدون خطر فعليه اكل اللب وطرح اللباب ويلوح ان الكثير من اخواننا التونسيين عكسوا القضية لانهم ملأوا جراهم بقشور التمدن وتركوا له لغيرهم

وفي سنة ١٢٨٨ تم نصب السكة الحديدية بين تونس وحلق الوادي واختير ان تكون محطة الركوب بالفناء الواقع على مقربة من الدباغين لكون تلك البقعة كانت يومئذ مركزا وسطا بين الاحياء العربية والحارة الافرنجية ونشأت بحكم الضرورة ابنية جديدة حوالي موقف الارتال لم تكن موجودة من قبل ، وفي عهد وزارة خير الدين صرف هذا الوزير المصالح عنايته نحو تهذيب الشارع الواقع خارج باب البحر قياسا على ما انجزه من التنسيق والتهذيب بحديقة القصبه وبطاحها فانشأ حديقة خارج باب البحر بالمكان المجهول . وقفا للعربات في هذا العهد حيث بالاص البكوش (١) الذي هو من اول الابنية المجددة خارج باب البحر على النمط الاروباوي (٢) في اواخر القرن الماضي ورتب الوزير المذكور عشرين فنانا سلبديا منها ثمانية لاسراج بطحاء القصبه وباب البحر والبقية وزعها باطراف الحاضرة واول حومة عربية استتارت بضوء الغاز هي سوق البلاط وكان ذلك في سنة ١٢٩١ ولما وقع تنوير واجهة سراية المملكة ليلة المولد الشريف من ذلك العام كتبوا باحرف النور فوق بابها عبارة « محمد الصادق باشا باي دام عزة وعلاء » فاعجب الناس بذلك واستغربوه ايما استغراب حتى ان من لم يره منهم لم يصدق به عند سماعه من غيره . وكان بالجهة المجاورة لبلاص البكوش محلات خدمة دار الجلد وهو نظام دولي قديم عفت رسومه بشكله المذكور عند ابطال الكمسيون وانتصاب ادارة المال بتونس وكان ذلك النظام يسمى « دار الجلد والسكين » تتقاضى الدولة منه معاليم معتبرة على ما يذبح ويبيع من الانعام وجلودها وءاخر من تولاهها المرحوم امير اللواء العربي زروق وكان

(١) لفظ بالاص معرب من Palazzo في اللغة الطليانية ومعناه قصر وصرح وسراية وشبه ذلك والاسم المضاف اليه هو لقب امير الامراء ابي عبد الله محمد البكوش مستشار الوزارة الخارجية على عهد المشير محمد الصادق باي تولى عدة اعمال معتبرة وقام بماموريات هامة على عهد الدور القديم توفي رحمه الله سنة ١٣١٢

(٢) اول دار بنيت على النمط الاروباوي بالاسلوب الطلياني هي دار الوزير مصطفى صاحب الطابع الواقعة على مقربة من جبل المنار وهي نفسها في هذا الزمان كنيسة سانت مونيك باضافة ما زيد بواجهتها عند صيرورتها معبدا نصرانيا في اوائل هذا القرن

مع ذلك رئيسا للمجلس البلدي ومديرا للمدرسة الصادقية هاجر المدينة المنورة في منسلخ القرن الماضي وتوفي بها سنة ١٣٢٠ رحمه الله

وهذه المنشآت والتحسينات التي تناولت الحارة الافرنجية وغيرها في عهد الدولة الصادقية حدثت كلها بعد هدم السور الداخلي الذي كان فاصلا بين قسم المدينة وبين قسمي الرضين وكان موقع هذا السور هو خط الترامواي المار بباب البحر وباب الجزيرة وباب الجديد وباب مزارة والقصة وباب البنات وباب السوق وباب قرطجة الى باب البحر حيث البداية وجميع تلك الابواب كانت تغلق مع غيرها من الابواب الصغيرة التي كانت بملقها تقطع المواصلات بين الحارة واخترها داخل المدينة نفسها وهي عادة قديمة كانت موجودة في الدولة المرادية بزيادة غلق ابواب البلاد (باب الخضراء وباب سيدي عبدالسلام وباب سعدون وباب العلوج وباب سيدي عبدالله وباب سيدي قاسم وباب القرجاني وباب القلة وباب علاوة) في الليل وعند صلاة الجمعة في النهار (١) فلما هلكت الدولة للمشير احمد باي ابطل غلق ابواب البلاد في وقت صلاة الجمعة ولما اعلن المشير محمد الصادق باي بقوانين عهد الامان ابطل غلق جميع الابواب الداخلية بالحاضرة في الليل ولم يستثن منها الا ابواب الاسواق وما زالت كذلك الى هذا الزمان وكانت حاضرة تونس تحيط بها اسوار رابطة لابوابها التسعة المتقدم ذكرها وقد اضيف لها باب عاشر فتحه المجلس البلدي في اوائل هذا القرن واسماه باب العسل اقتباسا من درب العسل الواقع به الباب المذكور . والاسوار المذكورة اول ما بنيت في المائة الثالثة على عهد بني الاغلب امرأه القبروان ثم زيد فيها اثناء المائة الرابعة باشارة من اؤدب عالم الظاهر والباطن سيدي محرز بن خلف رضي الله عنه وتناولها التجديد مرارا في عهد الدولة الحفصية وءاخر من جدد عمارتها الملك الصالح الباي حمودة باشا الحسيني شرع في بنائها سنة ١٢١٧ وكللها بالابراج لسكنى عساكره وكتب على ابوابها تاريخها باللغة التركية سياحة منه مع الجند وحصل الكتابة ان الامر بالبناء هو السلطان سليم خان الثاني في مدة الباي حمودة باشا « اول كريم اول همام نصره الله الى يوم القيام » وقد رايت في بعض التواريخ ان الذي باشر هندسة تلك الاسوار عن اذن الباي رجل من بلاد إلفلنك اسمه هنيبر ولا غرابة في ذلك فان الباي محمد الرشيد بن المولى حسين بن علي كان طلب من الدولة الفرنسية ان تمدد بمهندس يستعين به على تجديد عمارة اسوار القبروان وحصونها بعد ان دمرها ابن عمه الباشا علي باي الاول فوجهت له المهندس ترينكاكو في سنة ١١٧١ قال الراوي « لما انتهت مامورية هذا المهندس احسن له الباي بتسعمائة محبوب مع حصانين وما يحتاجه من لوازم السفر للرجوع الى بلاده واسوار تونس حكم اهل النظر بهدمها في هذه الايام (١٣٥٧)

(١) كانوا يغلقون ابواب البلاد عند الاذان لصلاة الجمعة خوفا من هجوم الاعراب على الحاضرة بنية النهب والفساد عند اقامة الصلاة

السلام

مولد الرسول عليه السلام

قد لاح بدر السعد من حجب	فاهتف له يا دهر واسعد به
وناد في الاكوان ان قد اتى	محمد المحمود من ربه
طه يحير الناكبين اذا	ما اشتد روع المرء من ذنبه
طه الذي قد جاء للناس بال	فرقان هديا عز عن مشبه
فاضحت اللسن خرساء وار	تاعت كرامة القول من عضبه
وبات الاوثان مثلولة	وامست الاحلام من حزبه

بداعي التوسعة وتوفير الهواء والضوء الكافي للرباعات والدور المسكونة خلفها وقرروا فيما سمعنا ابقاء جزء منها بمنوان بناء تاريخي لافادة اهل الاجيال القابلة بما كانت عليه مدينة تونس في عهد الاجيال الماضية والتاريخ كاشفت بحجارة الجدار ثبت أيضا بما تخطه الاقلام والاقلام هي محارث العقول لذلك تناولنا هنا حديث ما كانت عليه تونسنا المحبوبة وتربتنا المرغوبة ليكون صلة وصل بين زمن الاجداد وبين زمن الاحفاد - ونختتم هذه النبة بالاشارة لعدد ما كان بتونس من السكان في اواسط القرن الماضي فقد قدر المؤرخ بيليسي عددهم بسبعين الفا على وجه التقريب وقدر المؤرخ كيران عددهم في صدر دولة المشير محمد الصادق باي بتسعين الفا منهم ستون الفا من المسلمين وعشرون الفا من اليهود وعشرة الاف من مختلف اجناس الاروباويين ونستعد صحة تقديره الخاص باليهود وعندي ان عددهم كان دون ذلك بكثير لان ابناء الطائفة الاسرائيلية كبقية التونسيين تكاثرت اعدادهم في بحر هذه الحنين سنة بفضل الاسعافات الصحية المتنوعة التي انجزتها الدولة بتونس فاذا اعتبرنا ان عدد اليهود سكان الحاضرة بلغ حسب احصائية عام ١٩٣٦ الى ٢٧٣٤٥ نفس نجزم بانهم لم يكونوا قبل هذا الزمان بمائة عام اكثر من نصف العدد المذكور على اوسع تقدير واما عدد سكان الحاضرة من المسلمين فقد بلغ في احصائية العام المذكور الى ٩٣٣٥٦ نسمة وقد رأيت في تاريخ المشرع الملكي ان سكان تونس في مدة المولى حسين بن علي كانوا نحو مائة وخمسين الفا وهو محل نظر اللهم الا اذا اعتبرنا ما حدث بتونس من الاوية الكثيرة والحروب الداخلية الحاصدة للارواح في بحر القرنين الثاني عشر والثالث عشر اما مجموع سكان الحاضرة التونسية في هذا الزمان حسب احصائية عام ١٩٣٦ التي هي اخر احصائية رسمية لعموم السكان فعددهم بالحساب المدقق ٢١٩٥٧٨ نسمة منهم المسلمون واليهود المتقدم بيان عددهم ومنهم ٩٨٨٧٧ اروباويون يوجد ضمنهم من الفرنسيين ٤٢٦٧٨ والبقية من عموم الاجناس الاروباوية واما ما اقول هو قول زهير واعلم ما في اليوم والامس قبله ولكنني عن علم ما في غد عم

لا السلات تشبههم ولا هبل
 وهل يسود الغي او يعتلي
 وحجة الاسلام وضاعة
 قبل اللسان القلب يذكرها
 لا شك لا طغيان لا ظلم في ال
 لا خلف لا اشراك لا بغي لا اله
 للنفس فيه منهل ترع
 اءادابه للروح منتزه
 يا فخر عام القيل من ليلة
 لاحت بها للمصطفى غرة
 عراس بيت الله حيث المنى
 يا ليلة حف الجلال بها
 لانت عيد الدهر ياليلة
 فيها اتى الشفاء موقضها
 لبث ففاض النور من حجرها
 وام ذاك البدر محتاطة
 يسقي رذاذ الطلق وجنتها
 تكلفت بالشر غرتها
 راته والاملاك تكنفه
 ران الى العليا بمقلته
 يا بهجة الاكوان ياتاجها
 يا خير خلق الله يا مجتبي
 يا خاتم الرسل ابا القاسم ال
 يا ناصر الاخلاق يا من به
 كن حامي الاسلام من نكبة
 واقذه من اشرار امته
 فمالنا في الامر من كف
 واغفر قصور القول من شاعر
 وكن له يوم الالتقا شافعا
 صلى عليك الله ما سطعت

عن الهدى والكرع من صوبه
 والحق شاكى السمر من قضبه
 يبصرها الانسان من لبه
 وهل يشك القلب في كسبه
 يا سلام لا تبديل في كتبه
 يتداد لا عدوان في صحبه
 تستمرىء الاخلاق من شربه
 اريج هذا الكون من ترابه
 قمره لم تبقي على سحبه
 من كنف الغفران من شعبه
 تحرزها القصاد في رجه
 فاشرقت تختال في ثوبه
 اعز عند الله ممابه
 لتقبل المولود من ربه
 فامتاز شرق الكون من غربه
 بالهالة الزهراء من شبهه
 مكفيه الآلام من كربه
 فامطرت بالعطر من قربه
 عظيمة الاخلاص في حبه
 ونورها الوضاح في جنبه
 يا نصرة الانسان في حربه
 يا ناشر الاسلام في حزبه
 مرموق بالاجلال من ربه
 يستشفع الخائف من ذنبه
 مطمئنا المقصود في لبه
 ودد شرور الخلف عن صحبه
 الاك يا فردا بلا مشبه
 زف اليك الشعر من قلبه
 يشدك خير الشعر في قربه
 لاء بدر الافئق او شبهه

الطاهر اقمصار

سعادة الامة بتعاون افرادها

« وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم اجرا »

ان اعظم ما تسعى اليه الامم التي عرفت كيف يكون احتلال المقام الاسمي تحت قرص الشمس هو العلم ونشره بين سائر طبقات الامة لا فرق بين ابن الشريف والصلوك او المالك والمماوك في مقدار اتشال الامة لابنائها من هوة الجباله السحيقة يزداد اسماها وتعم رفاهيتها وعظم صيتها وتحفظ ببيتها وتمنع حوزتها ويعظم شانها بين الامم وليس هناك معول هدم وتخريب ياتي على سعادة الامم فتصبح اثرا بعد عين كداه الجهل المميت فهو الداء العضال الذي ما تمكن من جسد امة الا خارت معه قواها وتهدمت اركان سعادتها وطعمت معالم مجدها وايبحت ديارها ومكنت امصارها وتلاعبت بها اهواء الامم واغراضها وفي ذلك استعباد افرادها ونزع ثروتها وهتك ستورها ومحو ميزاتها والابتعاد بها عن تعاليم دينها والقضاء المبرم على لغتها التي لا بقاء للامة مع زوالها

اذاً فالمعارف تحيا الامم ويحسن مثالها وبفقدها يمحى اسمها من صحيفة الكون .

وتونس الفخورة بمجدها وتراث اسلافها في ميداني العلم والمدنية قد ادركت هاته الحقائق التي لا مر به فيها بعد ان تصاممت عن سماعها والتفكير فيها ردحا من الزمن كانت تتخطب اثناءه في ديجور الجباله القاتم فاصبحت بحمد الله تعالى عاملة جهد المستطاع لاحياء ما اندثر من ربوع معارفها الزاهرة وابتاؤها البررة يتزاحون بمدارسها التي ضاقت عن ايواء جريحهم وكليتها الزيتونية تحتفظ من ابنائها ما يناهز الثلاثة الاف واهل العزائم يتجشمون مشاق السفر والتغرب ويهجرون الاهل والحلان تطلبا للاستكمال بمختلف العلوم المفقودة ربوعنا كل ذلك لتخليص الامة من شقوتها والنهوض بها من كبوتها وسنصل بحول الله تعالى الى الغاية التي نسعى اليها بفضل تعاون ابنائها في كل ما يعود على المجموع بالسعادة والرفي .

فاذ كان شانك ابنا الامة التونسية المجدة هاته غايتهم وتلك امنيتهم التي عقدوا الحناصر عليها وعاهدوا الله على تحقيقها فلا اخالك تبخلي عنهم بما يخفف شيئا من عبء ما تحملوا به من اجل اسعادك ان بعض ابنا كليتك الزيتونية قد عضهم الدهر بنابه وعظم عليهم المصايب بسبب هاته السنين المجدة التي افقدتنا الزرع والضرع فاصبحوا يبيتون على الطوى اللبالي ذوات العدد ويكتفي الكثير منهم باكلة واحدة الله اعلم كيف يتوصلون اليها ولربما كان ثمنها اراقه ماء وجوهم الثمين ولا تسأل عن هاتيك الاطمار الباليات التي لا تقيمهم البرد القارس ولا تكفيهم شر ما ينجم عنه من امراض خطيرة كثيرا ما قضت على شبابهم الغض وافقدتكم رجالا ما اشد حاجتك اليهم في هذا الطور من حياتك طور نهوضك وتشديد ما انهار من معالم مجده

(البقية على صفحة ٤٠٧)

تَصَدَّقُوا بِمَا فِي بُحْرَانِي جَنَّةٍ مَعَ الْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ

الجزء العاشر

— ۲ —

واما ما لابسها في العصور الاسلامية الاولى مما بدل شكلها وما احس به من الفوارق اهلها
فذلك يرجع الى ما داخل الامة من تعاليم غيرها من ناحية وما بيته لها اولئك الذين غلبوا عن امرهم
وتسليم المسلمين من ايديهم راية ملكهم ونفذوا فيهم احكام الشريعة السمحة كما امرهم به ربهم وما
زال هؤلاء من الروم والفرس ممن لانت قناتهم بحكم القراءان وظهور المسلمين على بلادهم يعملون
جهدهم المستطاع في تقسيم وحددة المسلمين وتفريق كلتهم وتشيت آرائهم فتكونت بذلك الخلافات
السياسية . ونشا عنها اقسام الخلافة الاسلامية الى دولتين دولة بالشرق وعلى راسها امراء بني العباس
ودولة بالمغرب وعلى راسها امراء بني امية النازح أصلهم من الشرق بعد سقوط الخلافة في يد العباسيين
وخروجها من يد آل امية

ويحق لنا ان نعد هذا الحادث التاريخي العظيم اول نفرة من نوعها وقعت تسبب عنها تعدد دول الاسلام . وانفصال كل دولة عن الاخرى بصفة رسمية نظامية تنظر كل واحدة الى شؤونها الخاصة غير ملتفتة الى اختها ولا تشتكي بشكواها ولا يهمها من امرها شيء اذا مس الضر بعض اعضائها .

تم اخذ هذا الانقسام يتكرر وبعقبه انفصال قسم بعد قسم من المسلمين عن جامعتهم العظمى الى ان صار المسلمون دويلات صغيرة بعد ان كانوا تحت راية واحدة ويأتمرون بأمر واحد .

ويعملون لغاية واحدة . وتسود في نفوس الجميع قوة واحدة الا وهي الاخوة الاسلامية
واما ما طرأ عليها في العصور الحديثة مما مزق شمل هاته الامة مع وفرة عددها وانتشار افرادها في غالب جهات المعمورة . ولا عبرة بكثرة العدد . مادام الجميع ليسوا على قلب رجل واحد فذلك يرجع الى امور متعددة لا نتمكن في هذا المقام ان ناتي على جميعها . وانما تقتصر على شيء من المهم منها . فمن ذلك عدم احساس المسلمين بمعنى هاته الاخوة في نفوسهم وذلك منشئة البعد الشاسع بين تعاليم الملة المحمدية والتربية التي يتكون عليها بنو الاسلام منذ احقاب فينشا المسلم بين اهل الاسلام وهو لا يعلم من هذا الدين الا النزر القليل جاهلا لما اختاره الله له من كمالات اسلام غير عالم بما شرع له من النظم الاجتماعية العالية . لا يبحث عن مميزات دينه وبماذا امتاز عن سائر الاديان . لا يهجه ان يعلم كيف نشأ هذا الدين والى اي حد بلغ المسلمون في سالف الازمان . لا يتطلب معرفة ما فرضه عليه نحو نفسه . وعشيرته . واهل بلاده . وسائر المسلمين في اي مكان . ومن كان هذا حال نشاته وبجيا بقية عمره في هذه الحالة ظلمات بعضها فوق بعض كيف يتوصل الى ادراك معنى الاخوة الاسلامية التي تأسس عليها ركن هذا الدين . ومن اين لنا ان نلتصمها في افراد الامة بالمعنى الصحيح

فان من مظاهر حياة الامة ما يكون عليه افرادها من الصفات المتأصلة في نفوسهم الشاعر اهلها انها الدعامة التي قام عليها مجدهم وعزهم يحافظون عليها ويلقنها الشيوخ للشباب ويدرسها المعلم للتلاميذ وتعتمد عليها الام في تهذيب اخلاق ابنائها حتى تجري منهم مجرى السدم وترسخ في عقول الناشئة كما ارتكزت في نفوس من قبلهم . وبما ان التعاليم الاسلامية اهمل امرها . ولم تراعى في تكوين الناشئة من ابناء المسلمين منذ امد بعيد في سائر بلدان المسلمين لا بدع اذا اصبح المسلمون لا على نحو ما كان عليه اسلافهم ولم يجدوا في نفوسهم معنى تلك الاخوة التي وصف الله بها المؤمنين حيث يقول انما المؤمنون اخوة . وهلم يجتمع الشمل والمسلمون لم يعتمدوا في تكوين نفوسهم واهتمهم على الطريقة التي جمع بها الرسول الاعظم امته والف بين قلوبهم فاصبحوا على قلب رجل واحد . وما داموا لم ياتمروا بقوله تعالى : واعصموا بجهل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة

الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها . كذلك بين الله لكم آياته لعلكم تهتدون

فجري بمن في قلبه حبة خردل من ايمان ان يضع هاته الحقيقة نصب عينه ويطهر نفسه من داء التخاذل وينمي فيها الاخوة الاسلامية باوسع معانيها ويربي عليها ابناء وعشيرته . ويذكر بها خلائه ويتحدث بها في مجالسه . حتى يتبأ للعمل الجميع بمقتضى ما توجه . وهنالك الفلاح المنشود من الجميع ومما طرأ على هاته الاخوة فخلخل بنيانها وزعزع دعائمها النزعة الطائفية التي تغني بها ابناء هاته العصور وتعوضوا عن الاخوة الاسلامية بالفوارق الجنسية فاصبحت الامة التي كانت تفتخر بنسبتها الى الاسلام ولا ترضى عنه بديلا تنتسب اليوم الى جنسيات مختلفة . هاته تركية طورانية وتلك عربية واخرى فارسية اعجمية وهاتيك مصرية فرعونية وهاته تونسية وهلم جر . وتأصل هذا الداء في النفوس . فصار المسلم القادم من بلاد الهند الى ارض الاسلام ومدينة الرسول يعد اجنيا عن البلاد واهلها لا يهتم احد منهم بامره ولا يهمل امرهم مثاله في بلاد الحجاز كمثله في بلاد اروبا يلتجى في شؤون ومصالحه الى قصل دولته فارا من احكام المسلمين ويخاطب في شانه قصل دولته ان صدرت منه مخالفة ليجري عليه ما يقتضيه قانون بلاده بحكم مقررات هاته الدول التي اعتبرت الفوارق الجنسية وهذا اعداء اكبر الاخطار والمعول الصلب الذي اتخذ لتهديم الجامعة الاسلامية لا قدر الله . وبقينا نرى ان دعاة الاحلام واصحاب النهضة الحديثة اذا صح لنا ان نسميها نهضة يدعوا كل واحد منهم ابنا وطنه كما يعبرون الى التمسك بحبل الوحدة الوطنية . ويتغنى شباهم باناشيد السوطنية . ويتحمس زعماءهم في سبيل قوميتهم ووطنهم يجري ذلك في سائر بلاد المسلمين ويؤلفون احزابهم باسم الوطنية الجنسية . ويكونون جمعياتهم بهاته العقلية . وهنا اقف مستنثيا جمعيات الشبان المسلمين . التي اعتبرت هاته الفوارق حجير عثرة في سبيل النهضة الاسلامية المباركة . وتنبهت الى ان صلاح هاته الامة لن يكون الا بما صلح به اولها . فانتسبت الى الاسلام الذي هو الاخوة الجامعة . واخذت تنشر فضائل هذا الدين لاحياء ذلك المعنى في النفوس واعطت عضوتها لكل من ابلى في سبيل هذا الغرض الاسمى بلاء حسنا . ونتج عن سعيه مظهر من مظاهر الاخوة الاسلامية

فمن ذلك ما تكاثفت عليه جامعة الشبان المسلمين في هاته الديار وفي غيرها من بلاد المسلمين بالشرق من السعي لفائدة اخواننا المسلمين منكوبي فلسطين وقام جميعا بدعاية طيبة لتحقيقا للاخوة الاسلامية ونتج عنها اثر جميل من آثار الاخوة الاسلامية . وبذل المسلمون ما جادت به نفوسهم لخواصهم في الاسلام ولو ما الاخوة الاسلامية ما جاد واحد منهم بماله الحريص عليه

وبمثل ذلك عملوا في الضائقة العظيمة التي لحقت اهل يثرب سكان مدينة الرسول عام ١٣٥٣ هـ يوم كانت المدينة المنورة في مسغبة تشابهها من بعض الوجوه مسغبة بلادنا في هذا العام العاصيب

فمثل هذا العمل لم يكن موجودا منذ زمن طرء فكرة الفوارق الجنسية ونؤمل من انتشار سبادي جمعية الشبان المسلمين بين كافة افراد الامة الاسلامية في سائر الاقطار والدعوة الواسعة النطاق الى نبذ تلك الفوارق وعدم الاعتداد بها واقامة هيكل الامة الاسلامية من جديد على التآخي الاسلامي الذي لا تمايله قوة . ولسنا نقول هذا على معنى هدم القواعد التي اتخذتها الحكومات في حكم رعاياها بل لكل قطر عاداته واوضاعه . وانما نقسم على ما كان منها غير مراعى فيه الاصول الاسلامية فان امام اصول الدين تضعف كل الاوضاع والعادات .

زد على ذلك ما يستنه المسلمون فيما بينهم افرادا وجمعيات واحزابا مما تتصادمه قاعدة من قواعد الاسلام فهو ادعى للرفض واقرب الزوال واحسب ان الذي تركهم يسلكون تلك المسالك الوعرة هو عدم تحريرهم ولو احتاطوا وطد المسلم نفسه على ان لا يقدم على امر حتى يعلم حكم الله فيه ما وقع في محذور لجهالته ولادعى اخوانه المسلمين لما لا يلائم تعاليم دينهم الحنيف وليس هذا هو خاص بما نحن بصدد من شأن الاخوة الاسلامية . بل نقوله في اغلب الامور الاخلاقية والاجتماعية التي تبدل شكلها واصبح المسلمون يتواعدون عن طريقته المثلث التي جاءهم بها الاسلام رويدا رويدا وسرت فيهم امراض فتاكة لاكل الحضر على هيكل الامة بأسرها . فانك اذا تصفحت المجلات الاسلامية على اختلاف اغراضها واوطانها تجد المصلحين يتذمرون مما حل بالمسلمين ويشتكون الى الله مما صار اليه المسلمون كل ذلك من مفعول هذه العدوى الفتاكة . ويخيل اليك ان الكاتب يصف اليك ما هو جار في بلادك ويشاهده في قومك . فالالم واحد والمرض واحد والامة واحدة . ولا مفعول ولا تأثير لدعوى اختلاف الاجناس .

على ان الامم التي رضخت الى اعتبار الجنسية في نظم حكوماتها وكونت لنفسها وللمن يتجنس بجنسيتها وحدة خاصة بسببها وتتبع بنو الاسلام خطاها ما لبثت حتى تبصرت وان هاته القيود لما احاطت بها من كل نواحيها وتركتها في معزل عن اشد الناس قرابة بها اخذت تحطم تلك القيود مرة تلو اخرى فمرة نسمعها تنادي ان لا جنسية في الاقتصاد لتفتح لابنائها المجال في تجاراتهم وعمالاتهم مع سائر الاقطار واخرى نسمعها تقول ان لا جنسية في السياسة وعلى الامم التي تريد ان تحيا حياة ملؤها الاطمئنان على مستقبلها ان تزيل تلك الفوارق القديمة . وتكون جهة واحدة متماسكة الاطراف ونحن اليوم ايجدر بنا ان نهمل مزايا الاخوة الاسلامية ايليق بنا ان نطلب الاتحاد ولا نقيم على اساس الملة المحمدية

ابن النجدة الهاشمية ابن الغيرة الدينية ابن الايمان الصادق . ابن الشهامة والمنعة . ابن الارواح الطاهرة . ابن العزة . والله يقول . والله العزة ولسوله والمؤمنين . تيقظوا انتبهوا فان الله يقول ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . فالى متى ونحن عالة على من سوانا لا نمد يد الاخوة الى بعضنا ونسج على منوال اشلائنا ونحكم كتاب الله بيننا وتمسك بما ارتضاه الله لنا والله قد ارتضى لنا الاسلام ديننا فبذلك تتم لنا السعادة ونفوز برضى الرحمن .

محمد تولى بن الفتحي

تفشي استعمال المخدرات

بين شباب الامة

ان امر اخنا الاجتماعية كادت تضرب الرقم القياسي العالمي بين امراض غيرنا من الامم فلنا في كل حلبة وميدان من ميادين السقوط الاخلاقي والاحلال الاجتماعي والامراض النفسية والعلل الروحية السبق والقدم المعلى فما جارتنا امة من امم الارض في هذا الميدان الا كنا المجلين عليها والرافعين لراية الاسبقية باليمين،

وان من افضع ما انتشر بين شببتنا المسلية في العصر الحاضر وزاد في الطين بلة وعلى المريض علة داء للمخدرات الروحية التي فتكت بالامة فتكا ذريعا حتى قطعت منا الوتين ورمثنا باخر سهم قضى على البقية الباقية من هيكلنا البالي ولا بلاء العظم الدفين فما اكتفينا بما كان منتشرا بين امتنا في القديم من انواع المخدرات المهلكات حتى اضفنا اليها انواعا جديدة من انواع النشوق الذي اخترع اخيرا مجازاة لبعض الامم الحية التي اتخذت هذه الانواع الجديدة و اضافتها لقائمة الكحول تفننا في ابتزاز عقول الناس واموالهم بدعوى التسلية وترويح النفس من عناء الاعمال ودفع الهوم ما يمكن عن نفس الحزين والمهموم فقمنا نحن بقسطنا من الانتفاع بهذا المسلي المروح لنفوسنا حيث لا اعمال ولا اشغال وانما الراحة الدائمة والتسلية الدائمة والموت الزوام

بل بززنا غيرنا من الامم جريا على عادتنا في ذلك فعكفنا عليه ووجهنا جميع قوانا الفكرية والجسمية للتحويل على اقتناصه ولو بتعريض انفسنا الى اشد الاخطار الحكومية من سجن واذلال وغيرهما من البلايا الجسام

وهكذا اخذنا في التقدم في هذا المضمار وعم استعمال هذه السموم البيضاء السهل والجبل واهل المدن والقرى فبتنا معرضين لادواء فتاكة اخرى تنخر عظم هذه الامة المسكينة التي لم يبق لها الا الانين

الا تعلمون يا قوم ان هذه البلايا التي اجتمعت علينا شأنها ان تؤدي بنا الى الفناء والانقراض فكأنتا نريد ان نعين على نحو هيكلنا من الوجود امتخلو الدار لمن يريد بها بدون مزاحم ولا مشارك وهو العالم بطرق استثمارها والانتفاع بخيراتها. الا تعلمون ان هذه السموم زيادة على تأثيرها على قوى متناولها الجسمية والفكرية فهي تسلبه صحته الجيدة وعقله الناضج الذي فضله الله به على سائر انواع الحيوان وتعوضه عنهما جسما عليلا شاحبا منجل الاعصاب لا يقدر على شيء وعقلا واهيا وفكرا

جامدا ليس له من العمل الجدي الثمر قليل ولا كثير
فيصبح صاحبه هيكلًا فارغًا وشبحًا واقفا لا يرجي منه نفع ولا اي عمل يفيد به نفسه او اهله
او قومه فهي الاتجار القريب الذي لا ينجو منه صاحبه ولو وضع نفسه في جوف الحوت او كبد
السماء

وان من اشد ما يستوقف فكر المؤمل في مثل قضية الحال اننا امة ندعي الاسلام والغيرة
عليه والدفاع عنه في وجه كل من يريد استنقاصه او تعييبه
مع ان ديننا من اعظم الاديان حرصا على حفظ بناء الامة من التلاشي والسقوط فقد احاطها
بسور منيع بما سطره من القواعد والاصول التي تحفظ عليها هيكلها الاجتماعي وقوتها الجسمية
والفكرية . فقد بنى الاساس على قاعدة وجوب حفظ الكليات الخمس وهي - العقل - المال -
العرض - النفس - الدين -

ومعنى حفظها وجوب رعايتها وحراستها فرعايتها بالتربية والتنمية والسهر على مصالحها وامدادها
بكل ما يقوي ظهورها في الامة وبروز خصائصها والارتفاع بمواهبها فاذا تهذبت ونمت وعرفنا كيف
نقدر على استثمار خصائصها . كانت الامة الاسلامية امة علم وعقل غنية بما لديها من اسباب توسعة
الثروة شريفة محترمة الجانب وبعبارة شاملة مستجمعة لاسباب الرفاهية والحياة الناعمة القوية النافعة
على الحقيقة ومعنى حراستها وضع الحواجز المنيعه في سبيل انتهاك حرمانها والتعدي عليها مباشرة او
من وراء ستار فكل ما في الشريعة من الزواجر وقوانين العقوبات والكفارات هو صد لكل معتد يريد
انتهاك حرمة كلية من تلك الكليات الخمسة في حفظها حفظ الامة وضمان سلامتها وفي انتهاكها فناء
الامة وانحلال اسباب رفاهيتها وسعادتها

وهكذا تجد مجموع الاوامر والنواهي خادمة ايضا لهذه الكليات فالوامر تدخل في باب رعاية
هاته الكليات بالتربية والتقوية والتنمية . والنواهي تدخل في باب صيانتها ومنع اليد الانيمة التي تريد
الاعتداء عليها او انتهاكها عن النيل منها

فمما استسه من الشرائع لحفظ العقل الذي هو دعامة الامة وللب قواها الرئيسية السارية في
شرايين افرادها تحريم المسكرات والمخدرات وكل ما يمس جوهرة العقل بالتضعيف فضلا عن
الازالة فعدت سائر انواع المسكرات والمحدثات في الفكر حالة غير اعتيادية تجعل العقل غير قادر على
القيام بعمله العادي بحيث يميل الى التخدر والسكون ويعوقه عن العمل الجدي الثمر عدته محضورا
يجب تجنبه والتباعد عنه وبالفيت في التحذير منه حتى عدت القليل منه الذي لا يحدث هذا التأثير
السيء في العقل مثل الكثير احتياطا لحفظ العقل ومبالغة في حراسته وتنبيهها على ماله من المنزلة والمكانة
عند الشارع فان القليل قد يجر الى الكثير فيخشى من استعمال القليل ان يكون مدعاة الى الاستزادة

منه حتى نصل الى المقدار المضر فنقع في انتهاك ما يحرص الشارع غاية الحرص على انماؤه وحفظه من كل ما من شأنه اضعافه فضلا عن الاضرار به

ولقد عد الشارع الخمر مفتاح الشرور (١) وام المملكات ونبوع الفجور فبالغ في التحذير منها والاغراء بالتباعد عنها صونا للعقل وحفظا له من سُمومها فقد حرمت الخمر في القرآن ثلاث مرات كما جاء في مسند احمد واعلم الشارع بتحريمها جملة بعد الاستيناس لذلك بتحريمها في حالات خاصة فامر صلى الله عليه وسلم بالخمر فاهريقته بعد تحريمها في اسواق المدينة

وفرض اقامة الحد على شاربها (٢) هذا زيادة عما توعد به من الطرد عن رحمة الله (٣) وحرمانه من شربها في الآخرة (٤) كما توعد العذاب الاكبر (٥) كل ذلك تقييرا منها وايداءا بعظيم خطرها. وليدعي بها كل ما كان من نوعها في الاسكار والتخدير من سائر انواع الكحول والنشوق اذا كان مفعوله كمفعولها في غير الحد لانه لا يثبت بالقياس كما قرر في الاصول فليعتبر انؤمن بهذا وليتق الله ربه . وما الله بغافل عما يعملون محمد الهادي ابن القاضي

سعادة الامة بتعاون افرادها

بقية المنشور بصفحة ٤٠٠

ومع كل هاته الشدائد التي يقاسونها وهاته النكبات التي يلاقونها فهم ما زالوا دائبين على مواصلة الجهود لحفظ دينك القويم ولغة كتابك الميسر ليقوموا بتبليغها لابنائك احيال العصور الاتية فلا اخال واحدا من ابناء الامة التونسية يبخل بفرنكين في الشهر يقدمها لجمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وفروعه تخفيفا لبلواء من انقطع من ابناءهم لحفظ علوم دينهم القويم وقانون حياتهم الحكيم والذود عن حياض

ايها التونسي النبيل بتقديمك هذا المقدار الزهيد تكون معينا على بث المعارف في قومك تكون عاملا على حفظ دينك ولغتك تكون مخففا لبعض من بلواء المصابين والخروج بهم من هاتيك التماسه التي خيمت بكلكلها الثقيل عليهم

بتقديمك فرنكين فقط لهاته الجمعية تكون منقذا لبعض افراد امتك من داء الجهالة العياء منقذا لهم من ظلمات مستقبلها الوخيم محققا لهم السعادة ولا تمتك الهناء ورغد العيش

بتقديمك فرنكين تكون دارئا عن امتك عارا يلحقها ممن لم يتنوقوا طعم العلم وتهذيب الاخلاق الذين يصحون قذى في اعينها مجلبة الحزى والعار لها فحققوا الامال فيكم وقوموا بواجبكم

(١) في سنن ابن ماجة ومسند احمد الخمر مفتاح الشرور

(٢) في سنن ابي داود والترمذي وابن ماجة ومسند احمد من شرب الخمر فاحلوه

(٣) في سنن ابي داود وابن ماجة ومسند احمد لعن الله الخمر وشاربها وساتبها وبائعها

(٤) جاء فيما رواه الستة من شرب الخمر في الدنيا فمات وهو يدمنها لم يشر بها في الآخرة

(٥) في مسند احمد مدمن الخمر كعابد وثن وزاد الطيالسي في مسنده وحزاة جهنم

الوعظ والله شاهد

خطبة منبرية

الحمد لله الذي امرنا بالاستقامة . وحذرننا من الوقوع في هاوية الفساد ونصب عليها علامة . فشرع لنا الاسلام وارضاة لنا دينا . وخصنا برسوله الاعظم من بين سائر الامم الغابرة . فقام باعباء الرسالة فكان رسولا امينا . احمده سبحانه وتعالى على نعمائه . واشكره جل جلاله وأستمحه ان يهدينا طريق اصفائه . واشهد ان لا اله الا هو الكبير المتعال . واشهد ان سيدنا ومولانا محمدا عبده ورسوله نور الجلال . وروح الجلال وبهاء الكمال . وسر الفضيلة والافضل . صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الدين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . وفي سبيل الله جاهدوا وقاوموا . وباعباء هذا الدين قاموا . فما ضعفوا ولا استكانوا . ولا ذلوا ولا استلنوا . رضي الله عنهم رضوا عنه واعد لهم اجرا عظيما .

اما بعد فيا معشر الموحدين . ما لي اراكم عن تعاليم الاسلام معرضين . وبفساف الامور مشغولين . خيم عليكم الجهل فظننتم الرذيلة فضيلة . وانعكست الحقائق ولم تنتج في الاصلاح أي حياة . استحسنتم تقليد الافرنج فضاعت خطاكم . واهملتم شؤونكم العامة والخاصة حتى تحكم فيها سواكم . اضعتم تراث الاجداد ثم رفتم اصواتكم هل من محير . وهتكت الاعراض على مرامى ومسمع من العظيم والحقير واذا خاطبت احدا احبك ان الاقلاع عن ذلك امر عسير . وان هذا لعمرى جواب من لا يحسن التدبير .

يا قوم ان الخطب قد اشتد . وبلغنا في الاستهتار بالمحارم الى ابعد حد . فما هذه الموبقات وتلك المنكرات التي تقع في كل وقت وحين . ممن ينتمون الى الدين ويدعون انهم من المسلمين . والدين من اعمالهم يفتجع . والاسلام من شناعة ما ارتكبوه يتوجع . نساء كاسيات عاريات . مائلات . ميلات . مازورات غير . اجورات . ورجال . اوضون في ارتكاب السيئات . راضون باتيان المنكرات . وشبان مرقوا من الدين . وتركوا طريق المسلمين . وها قد حل موسم الصيف بفجائه . وجاء زمن الحر بفضائه . فترى الفضيلة يجهز عليها في الطرقات . وسوق الرذيلة تروج على شواطئ البحار وفي المنزهات . وفي المصائف يعتدى على الاسلام امام الآباء والاخوة والاعمام

ولا تقولوا ايها الاخوان هم المذنبون . ونحن العابدون . ولا تقولوا هم المارقون . ونحن المسلمون المخلصون . فان العذاب اذا نزل يعم الفاسق والصالح . ويشمل العابد والطارح (واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظهروا منكم خاصة)

فاجتنبوا معي ايها الاخوان عن الاسباب .

ما السبب في هذه الاباحة التي غمرت عقول المسلمين . ما السبب في هذه الشناعة التي اصبح خطرهما يشمل غير المستهترين . ما السبب في هذه الرزايا التي عمت الشبان والشابات . ما السبب في هذه الفوضى التي تركتنا لا نتحاشى عن السيئات . يا قوم ان سببها ترك التواصي بالخيرات . والتناهي عن الشرور والآفات . واهمال الامر بالمعروف والنهي عن المنكرات . سببها التهاون بالتعليم الديني والتربية الاسلامية . حتى صار الولد ينشأ ولا يعرف من الدين شيئا فتلك هي البلية . الله الله عباد الله راقبوا خالفكم فيما وهب لكم من البنين والبنات . واحسنوا تربيتهم على القواعد الاسلامية ولا تزجوا بهم في مواطن المهلكات .

لقنوهم القرآن وادبوهم بآدابه . واقتدوا به صلى الله عليه وسلم فيما كان يؤدب به اصحابه وذكرهم في الله وما يقرب لديه . وانشروا بينكم سيرة رسوله (صلى الله عليه وسلم) كي يتخلقوا بها فان المرء يشيب على ما شب عليه .

ولا تاخذكم فيهم رافة وانصحوا المسلمين كافة . وقاوموا اهل الدعارة ولو كانوا من الخاصة واخرج الشيخان عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : خالفوا المشركين : وفروا للحي واحفوا الشوارب .

وروى البخاري من طريق ابني هريرة رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم انه قال : سبعة يظلمهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله الامام العادل . وشاب نشأ في عبادة ربه . ورجل قلبه معلق في المساجد . ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه . ورجل طلبته ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله . ورجل تصدق اخفى حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه . ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه

وقفني الله واياكم لصراطه المستقيم . واجارني واياكم من عذابه الاليم ، وحشرنا جميعا تحت لواء رسوله الكريم . الا ان احسن در تشنفت به الاسماع . وابلغ وعظ تميل اليه الطباع . كلام مولانا العزيز المطاع . اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . يا ايها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . صدق الله العظيم .

احتفال جمعية اعانة الضعفاء

من تلامذة الجامع الاعظم بفتح (مدرسة الهداية)

اقامت (جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم) مهرجانا كبيرا بمناسبة فتح (مدرسة الهداية) التي حبسها الفاضل الخير التقي السيد الحاج احمد بن الامين لسكنى التلامذة الذين تعولهم الجمعية المذكورة . وها نحن نقدم لقراءنا الافاضل وصف المدرسة المحتفل بافتتاحها ووصف الاحتفال بهيج الذي اقيم بها .

وصف المدرسة

تقع المدرسة بهيج الرابطه عدد ٨٩ قرب الجبامين ، وهي فسيحة الارحاء ، جميلة البناء ، نقيه الهواء ، موضوعه وضعا محكما من حيث الهندسة والتقسيم وكثرة المرافق ، وبها طابق سفلي ، اخر علوي ، تحتوي على ستة وعشرين بيتا معدة لسكنى التلامذة ، اصغرها يكفي لسكنى ثلاثة تلامذة بغاية الراحة ، واكبرها يسع ستة ، فهي في مجموعها صالحة لسكنى مائة وعشرين تلميذا وتحتوي على مطبخة كبيرة ، ومحل لصنع الخبز ، ومحل لاكل التلامذة ، وقسم كبير ليكون مقرا لادارة جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم

وهذا زيادة على بيوت الوضوء ومحلات الاستحمام ، وبوسطها بئر معينة .

اقيمت هاته المدرسة في موضع دارين كانتا معدتين للسكنى ، فاشترهما السيد الحاج احمد بن الامين من ماله الخاص وهدمهما واعاد بناهما بشكل المدرسة المذكورة ، وحسبها على خصوص الفقراء من تلامذة الجامع الاعظم ادام الله عمرانه الذين تعولهم الجمعية . وجعل نظر المدرسة من حيث الادارة ومراقبة التلامذة وتوزيع البيوت راجعا للجمعية ، فقبلت الجمعية منه هذا التحسيس وقدرت عمله حق قدره ، واقامت احتفالا بهيجا بمناسبة فتح المدرسة وتسليمها من يد مؤسسها الفاضل

وصف الاحتفال

على الساعة الخامسة من مساء يوم الخميس في ٢٣ جمادى الثانية وفي ٢١ جويلية الجارين كان موعد الاحتفال المذكور .

وقد زين صحن المدرسة بالزرابي المشبونة والمقاعد الوثيرة ، ووضعت في صدره منصة عالية لجلوس الشخصيات البارزة التي ستحضر بهاته الحفلة واستبعد رئيس الجمعية حضرة العالم الفاضل الشيخ محمد العزيز النيفر النائب الاول لشيخ الجامع الاعظم وبقية اعضائها لقبول الزائرين ، فكانوا يقبلون الزائرين بانفسهم كل واحد بما يليق به من الاكرام والمجاملة .

وقد اراد جلالة ملكنا المعظم سيدنا احمد باشا باي ابقاء الله ان يظهر عنايته بالجمعية وبهذا المشروع فارسل نيابة عنه نجله الاكبر سمو الامير سيدي الطيب باي . وبصحبه صاحب الطابع ورئيس الدائرة السنية سيدي الحبيب العلام . كما حضر صدر الدولة المولى الوزير الاكبر سيدي الهادي الاخوة وبصحبه رئيس ديوانه نجله السيد العزيز الاخوة . وحضر فضيلة شيخ الجامع الاعظم الشيخ سيدي صالح المالقي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب يرم المفتي الحنفي . وفضيلة الشيخ سيدي الطيب سياله القاضي المالكي . والشيخ سيدي محمد حمدة الشريف الامام الاول بالجامع الاعظم وتقيب الاشراف . والشيخ سيدي محمود محسن الامام الثاني بالجامع الاعظم وبعض اساتذة الجامع الاعظم ومدرسه من الطبقات الثلاث . والشيخ الحبيب بن المختار القاضي قاضي مدينة القيروان . وكثير من الاعيان والفضلاء في مقدمتهم السيد عبد الكبير درغوث الكاهية الملحق بادارة شيخ المدينة نيابة عن الهمام الفضال سيدي مصطفى صفر شيخ المدينة ومتعذرا عن تخلفه كما اعتذر بمكتوب لطيف الهمام السيد محمد سعد الله مدير الاوقاف

وعلى الساعة الخامسة والنصف وقع افتتاح الاحتفال بتلاوة آيات من القراءات العظيمة . وبعد ذلك طلع حضرة رئيس الجمعية الى المنصة واعطى الكلمة لفضيلة شيخ الجامع الاعظم وقال : ان فضيلته يعتبر الرئيس الاعلى لجميع المشاريع والاعمال العلمية

فوقف فضيلة شيخ الجامع والتي خطابا بليغا اثنى فيه على مؤسس المدرسة ودعاه به بخير . وحرص الناس على الاقتداء به . وشكر جلالة الملك المعظم على اعتنائه بشان الجمعية وجميع المؤسسات العلمية حيث ارسل نجله الاكبر نائبا عنه . كما شكر دولة المولى الوزير الاكبر على اعتنائه المتواصل بشان جامع الزيتونة وما يرتبط به حيث حضر بنفسه في هذا الاحتفال . ثم شكر مشائخ المجلس الشرعي وجميع الهيئات العلمية . واثنى بالخصوص على جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم وعلى الاخص رئيسها الهمام .

وبعد ما انتهى وقف حضرة رئيس الجمعية الشيخ محمد العزيز النيفر والتي خطابا نفيسا كرر فيه الثناء على مؤسس المدرسة وشكر جميع الهيئات التي شاركت في هذا الاحتفال . وخص منها بالذكر من يلزم تخصيصه . وتعرض لاعمال الجمعية باختصار وشكر سائر الناس الذين مدوا لها يد المساعدة وتعرض للاعانة الدولية فذكر ان المجلس الكبير قرر اعانة رسمية للجمعية من عام ١٩٣٧ ولكن وقع سوء تفاهم بين اعمال المجلس الكبير والحكومة نشأ عنه ان تمطلت الاعانة حتى ان الجمعية لم تصل بها الى الآن . ورغب من الحكومة ان تلتفت للجمعية وتمد لها يد المساعدة نظرا للاعمال الجليلة التي تقوم بها .

وبعد ما انتهى اعطى الكلمة لحضرة الشيخ محمد المختار بن محمود المدرس من الطبقة الاولى

بالجامع الاعظم و كاتب الجمعية . فارتقى الى المنصة والى خطبا استهله ببيان حاجة الامم الى العالم وانه السبب الوحيد في رقيها . ولا سيما الامم الضعيفة التي تفشى فيها الجهل مثل الامة التونسية فانه يجب عليها ان تبذل غاية جهدها وجميع قواها في سبيل نشر العلم . لا فرق بين العلوم النظرية والعلوم العملية التي بها ترفت الحضارة في هذا العصر وبلغت الى غاية الكمال . ثم تعرض لتاريخ الجمعية وما مر من الادوار على تأسيسها واتي في ذلك ببسطة تاريخية وافية . ثم بين اعمال الجمعية بغاية التفصيل والتدقيق من يوم شروعها في العمل الى شهر جويلية الجاري . ثم تعرض لما بذلته الجمعية من الجهود في جمع المال وما لاقتة من المساعدات من عموم التونسيين . وبين ان مالية الجمعية قد ضاقت عن القيام باكثر من الاطعام . وتخلص من ذلك الى الشناء على مؤسس هاته المدرسة الذي سد حاجة الجمعية من هاته الناحية . ثم وجه نداء عاما لعموم الناس ليمدوا للجمعية يد المساعدة . وختم خطابه بتقديم اقتراح لجلالة ملكنا المعظم ابقاء الله بان باني مدرسة لسكنى تلامذة الجامع اقتداء بعمل اسلافه الملوك العظام .

وبعد ما انتهى وقع الشروع في قراءة قصة المولد للبرزنجي فقرأ القسم الاول منها الشيخ حودة ابن يحيى . وقرأ باقيها الشيخ محمد غليونجي . وكان ذلك بمشاركة الشيخ حودة بن المهدي وجماعته الاخيار . وكانت حصة جملة تعالت فيها الاصوات الحسنة بالاذكار والاناشيد النبوية . وسقى الحاضرون اثناء ذلك انواع المشروبات المذيذة . واخذت عدة صور للحفلة من المصور القلعي . وبالانتهاء من ذلك انتهى الاحتفال فودع اعضاء الجمعية ضيوفهم بمثل ما اقبلوهم به من الاكرام والاحترام . وتبرع بعض الحاضرين على الجمعية اثر الاحتفال بما جادت به همهم جزاهم الله خيرا .

ونحن نشكر مؤسس المدرسة الفاضل السيد الحاج احمد بن الامين على هذا العمل الجليل الذي قام به . والذي سيخلد له في صفحات التاريخ . ندعو اصحاب الهمم العالية من ابناء بلادنا الكرام الى الاقتداء بهذا المحسن الفاضل . فان افضل عمل يقدمه الانسان بين يديه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا هو فعل البر والعمل الصالح . لا سيما ما كان في سبيل نشر العلم وتسهيل سبل تحصيله .

كما نشكر المشايخ الاجلاء اعضاء مجلس جمعية اعانة الضعفاء من تلامذة الجامع الاعظم سيما رئيسهم الهمام على ما لهم من الاخلاص نحو هذا المشروع الجليل . وعلى المجهودات القيمة التي يبذلونها دائما في سبيل نجاحه . والله الموفق لما يحبه ويرضاه .

شذرات نقدية

على هامش المقال المدرج بصحيفة ٧٣٢ من العدد ٢٥٢ من مجلة الرسالة المصرية الفيحاء تحت عنوان آراء حرية بين العقاد والرافعي للاستاذ سيد قطب فعن لي ان علقت عليه ما ياتي .

لا يخفى ان ناقد الادب كناقد المذهب القائم بجبهته على معرفة ذوقه وعياره فكما ان لنقد النصارى في النظم العمرانية اثره وجدواه كذلك لنقد الشعر في تقويم العالم الادبي تحريره ومزاياه اذ به احقاق الحق وابطال الباطل وانضاج الادب واذكاء جذوته والهز من عطف ذويه حتى تشط مواهبهم للابداع وتدب فيهم الحياة ومن احيائها فكانما احيى الناس جميعا
بيد ان هذا النقد لا يفعل مفعوله الا اذا سوته الامانة والنزاهة ونفخ فيه الاخلاص من روحه
فاذا ذاك تتلقاه العقول بالقبول وتضل له الاعناق خاضعة
والا فما هو من عمل المصلح لما ينجم عنه من تكدير موارد الفطرة ووأد المواهب واداء المودة سئلت باي ذنب قتلت ...؟

ما كان هذا ليذهب او ليتوارى بالحجاب عن بصارة الماسوف عليه المغفور له الاستاذ الرافعي وهو من هو علما وحكما حتى يقول في نقده لقول العقاد
الى لهن بقوسه « قرح وادبر وانصرف فلبسن من اسلايه » شتى المطارف والطرف
فقرح لا يلقي قوسه ابدا اذ لا يفصل منه قال في اللسان « لا يفصل قرح من قوس » فاذا امتنع فكيف ادبر وانصرف الخ

اني لاعود للاستاذ الرافعي بالله ان يكون هذا النقد هو ما استيقنته نفسه الكبيرة المحلقة بالحد الاعلى في البلاغة حتى يسجله في سجل النقد وهو ائمد البصائر ويتركه آية في العالمين ولكنها العاطفة الغالبة جرف سيلها فما استطاع التخلص من غمراته

ثم من انباك ايها الاستاذ بان المقام مقام تحقيق وحس حتى تتحرى وتهب لجلب النصوص في رد تلك الدعوى اذهب عنك ان المقام خطابي وان الشعراء يقولون ما لا يفعلون ولا يعتقدون ما كان العقاد وهو من هو ايضا ادبا ونبوغا ليتغلغل في البله والفهامة لهاته الغاية

وانما هو شاعر تأدى به خياله على ضوء قولي الاسم والمسمى ^{قوس} فرأى الوصلة مستحكمة بين قوسي السحاب والشباب فشبه ورشح وتظرف ما شاء وتماح فجعل بين قوس قرح وبين الحسان بشاطيء استنالي منافسة في الحسن والجمال افضت بهما الى المقاتلة والحراب فصال هذا بقوسه ونشابه

وصال الفريق الآخر برماح القدود (وتفتح) النهود وسيوف الاعين النجل التي هي امضى موقعا من كل هندي وكل يماي فهت الصبا لمناصرة من باريتها رقة ولطافة فاصبحن المؤيدات الظاهرات والقي لهن القرن بسلبه ونكص على عقبه

على ان العقاد في ذلك لم يجيء ببدع من القول فلقد سبقه اليه من يقول
يطرزا قوس السحاب باحمر * على اصفر في اخضر تحت مبيض * كاثواب خلود اقبلت في
غلائل * مصبغة والبعض اقصر من البعض *

فهذا هو سلفه الذي استحدث هذا التشبيه والعقاد انما هو مطبورة والمتصرف فيه التصرف
المالوف امثاله في الصناعة

ولعمري انه لقد نظرف ما شاء في تصرفه حتى لا يكاد يشعر بالماخذ وهذا نمط من اتقان
الصنعة ومهارة الصانع يخرج به التشبيه والاستعارة من حد الابتذال الى العزة والندرة ولهم فيه مئارب
اخرى يتبين ذلك لمن خالط دواوين الادب وبصر بوجوه النقد
اذن فلسان حال العقاد يقول

اذا محاسني السلاقي اصول بها كانت ذنوبا فقل لي كيف اعتذر
ثم اني لا ارى تسمية العقاد عقادا الا ظاهرة من ادراك حرفة الادب التي تقعد لكل اديب
بالسوي من صراطه

والافو حلال لاعقاده وتسميته بذلك انما هي من اسماء الاضداد
فلقد فتح لي الوقوف على بيته الظريفتين الباب فتطرقت الى تشبيه ذلك القوس من ناحيتين
لم اعلم لي من قبل فيهما سميا اذ قلت

كان الغواني وقوس السحا	ب لدى لهو هن بشاطيء البحر
عقال حريير تخطينه	بقفز فما نالهن ضرر
وتحبه السمط احكم فتلا	تدلى لينظم تلك السدر
فما نالهن اعتقالا ونظما	وفي حبلهن قلوب البشر

هذه حسنة العقاد اعترف له بها حتى اكون ممن اسكن الدار بانها واعطى (القوس) باريا
وختاما امت الى كل اديب بالصلة الادبية واستشفع اليه بذمة الادب وحرماته وبما لديه من حرص على
نموه وحياته ان يربأ به عن الغايات ابقاء عليه واكبارا لجانبه وان في عموم النواحي لمدوحة عن ناحية
الادب المقدس والحق لا يخفى على ذي بصيرة

الناصر الصدام
(المدرس بجامع الزيتونة)

الادب

لقى الشاعر المجيد الشيخ محمد المقداد الورتثاني قصيدة غراء على مسامع المولى الوزير الأكبر
يوم سفره لفرنسا الاستشفاء بمياه بلد موندور المعدنية واليك هي

سفر الوزير موفق مامون ورجوعه عقب الشقا ميمون
الف الترحل مغنما وتبصرا والسير مضمون المنى مسنون
تسعى اربة ان يزور ربوعها ولها بذلك مغنم وشئون
وتود طول حياته وهباته ومياها لشفائه عربون
واروبة دار العلاج لبرئنا لكن لها في الطائرات منون
مثل السحاب به الندى وصواعق والحيد فيها بالغ ومجون
لحقت وفاقت من مضى بعارف ولها باعمال الرقي قرون
فالاتحاد والاتحاد شعارها لما النجاح عليهما مرهون



تغر التجارة في اربة باسم وافى به للقا الوزير الرون
وليون تقبله بقباب فرنسة يجري الى الترحاب فيها الصون
شحت به مندور عن فيشي واف يان ونعم الجوهر المكنون
واذا تموز اصهرتنا ناره فهواء مندور به كانون
ضنت بهاد وهو عنوان الهدى ان الشريف بفضله مضمون
شمخت انوف جبالها تيهابن شهدت اليه الغرب والجاون
واذا اميركة سألت سفيرها عن صدر تونس قال واشنطون
فاذا تكلم فهو سحبان وان خاض السياسة فهو افلاطون
واذا يشبه بالكواكب رفعة فمقامه الاعلا بها نبتون
اخلاص الاخوة للامير وقطره تبقى الاله كلاهما مقرون



متأزر بعزيمة ونزاهة فكانه لاميعة هارون

ومناه ان حظوظنا موفورة
حسنت احمد حجة واهمها
فالقطر من اعماله وخلاله
لوزير تونس خلة معروفة
حصن الشريعة والامير حفيظها
ورجا العلوم واهلها فهم كمن
من الوزير كثيرة واقلمها
فاعتاض من تلك الثنا ثمتاها
وامتاز شاعر تونس بمديحه
ومدى الحيا تاج الامير مصون
هذا الوزير به تقر عيون
ويراعه ودفاعه ممنون
الصدق والاخلاق والقانون
فريئسا النعمان او سحنون
انساهم زيدون او خلدون
من دونه الالاف والمليون
يا حبذا المنقود والمثمون
وانهل منه النثر والموزون



يارا كبا جفن البحار بذاته
يا ليتنا كنا بشيكاغو التي
فالصدر يرحل والصدر مقره
ولكائد ومضادد ولحاسد
هذا القريض مخلد ذكراكم
لا يزدري بلسان صدق بعده
فالشعر لا تبلى سبائك تسبره
وتزيد في تعليقه وعلوقه
والذ مرغوب به تنويحه
وخياله ما قد حوته جفون
فيها البعيد يريه تليفون
وله صدور الساكنين حصون
فرط الاهانة والثلثيم يهون
ورواته احفادنا وبنون
الا الذي بغروره مقتون
ونعيه من بعد السنين سنون
حكم حوى اعلاقها وفنون
ان الحديث كما علمت شجون



سر في حى شرف الرسول وءاله
في منعة ووديعة اللطف الحني
يحميه ما يتلوه قرية عابد
لاقت من الاسفار حفظا بداءها
ويهم لديكم ما تريد يكون
ذات الوزير وفلكه المشجون
قاف وصاد في الكتاب ونون
ومعاده حركاتكم وسكون



اعمال مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم

اخبرنا في عدد صفر المنصرم بانعقاد مجلس اصلاح التعليم بالجامع الاعظم بعد انضمام عدة افراد لاعضائه الاصليين من بين رجال العلم والادارة . للنظر في المطالب الزيتونية . ولخصنا ما وقع في الجلسة الاولى من الاعمال . واشرنا الى ان جلسته الثانية تعين انعقادها ليوم السبت ١٥ صفر ١٦٠٦ افريل المنصرمين . ولكن طرأت موانع افضت الى تاخير الاجتماع عن الموعد المذكور .

ثم بعد تهيء الاسباب انعقدت الجلسة الثانية في يوم السبت ٢١ ربيع الاول ١٦٠٦ ماي المنصرمين على الساعة الرابعة مساء بدار الباي (في بيت الفطور) (١) تحت رئاسة وزير القلم والاستشارة الشيخ باش كاتب سيدي احمد بن الرئيس . وحضرها من الاعضاء الشيخ سيدي صالح المالقي والشيخ سيدي محمد العزيز جعيط والشيخ سيدي بلحسن النجار والشيخ سيدي الطيب سيالة والمشايخ السادة : الصادق المحرزي ومحمد الصالح بن مراد ومحمد الزغواني ومحمد المختار بن محمود ومحمد الفاضل بن عاشور والشاذلي بن القاضي واحمد شلبي والتهامي الزهار والصادق ابو السرور وعلي التريكي والسادة محمد بن الحوجة ومحمد قاسم ومصطفى صفر ومحمد سعد الله والبشير البكري والصادق التلاتي ومصطفى الكعكاك وحضر الشيخ عبد العزيز بن شعبان والسيد محمود بن عثمان كاتباً الجلسة وتخلف الشيخ سيدي احمد بن مراد والشيخ السيد معاوية التميمي لعذر

وقد ذكر جناب الرئيس في افتتاح الجلسة ان الغرض اليوم هو تقسيم اعمال المجلس وتكوين لجان فرعية لتنظر في المطالب المعروضة

وبعد محاورة تقديم اللجان استقر الرأي على تكوين لجتين فرعيتين تسمى احدهما (اللجنة العلمية) وتسمى الاخرى (اللجنة المالية) وتختص الاولى بالنظر في المطالب المتعلقة بالاصلاح العلمي وما يرتبط به . وتختص الثانية بالنظر في المطالب المتعلقة بالناحية المالية وما يتعلق بها .

وكان من المتعين ان تسند رئاسة اللجنة المالية لفضيلة الشيخ سيدي محمد العزيز جعيط ورئاسة اللجنة العلمية للشيخ سيدي بلحسن النجار ولكن لما عرض ذلك على فضيلة الشيخين امتنعا من القبول مقتضين عدم الاشتراك في اللجان الفرعية بالمرّة والاقتصار على المناقشة في اللجنة العامة . وقد الح الحاضرون على فضيلتهما بالقبول لان ادارة مثل هاته اللجان التي لها صبغة فنية علمية انما يصلح لها امثالها ولكنهما اصرا على الامتناع . وعند ذلك اقترح جناب الرئيس اسناد رئاسة اللجنة العلمية للسيد محمد ابن الحوجة واسناد رئاسة اللجنة المالية للسيد محمد سعد الله فوافق الحاضرون على ذلك .

(١) هذه البيت في سراية المملكة معدة للطعام عند ما تقع احتفالات رسمية يحضرها مولانا الباي المعظم وفيما سوى ذلك فهي معدة للجلسات العامة التي تعقدتها الحكومة لمهمة من مهمات الدولة

ثم انتخب بعد ذلك أعضاء ككل من اللجنتين . فانتخب للجنة العلمية المشايخ السادة الصادق المحرزي ومحمد الزغواني ومحمد الفاضل بن عاشور ومعاوية التميمي والصادق التلاتي والتهامي الزهار علي التريكي

وانتخب للجنة المالية المشايخ السادة محمد الصالح بن مراد ومحمد المختار بن محمود والشاذلي بن القاضي والبشير البكري ومصطفى الكعك واحد شلي والصادق بو السرون

ثم وقع النظر في جملة المطالب المعروضة على اللجنة من طرف الدولة بصفة مجملة ليرجع كل مطلب الى اللجنة المختصة به . وقد تلى كاتب الجلسة جملة المطالب التي كانت قد طبعت من قبل ووزعتها الادارة على اعضاء المجلس . وقسمت الى مطالب عليه ومطالب مآليه . وعلمت كل لجنة المطالب الراجعة اليها وانتهت الجلسة اثر ذلك

وبعد انتهاء الجلسة اجتمعت اللجنتان الفرعيتان . واتفقتا على برنامج العمل ومواعيده . وانتخبت اللجنة العلمية الشيخ الصادق المحرزي نائبا للرئيس والشيخ محمد الفاضل بن عاشور مقررًا عاما وانتخبت اللجنة المالية الشيخ محمد الصالح بن مراد نائبا للرئيس والشيخ المختار بن محمود مقررًا عاما

ثم توالى اجتماع اللجنتين بعد ذلك في دار الباي . ورغما عن اشتداد الحر فقد كانت الجلسات تقع باستمرار وتستغرق ساعات طويلة حرصا من اللجنتين على انجاز اعمالهما في اقرب وقت

وبعد ما انتهت كل لجنة من عملها عقدتا جلسة مشتركة على الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ٢٩ ربيع الثاني و٢٧ جوان المنصرمين للمفاوضة في بعض المطالب التي لها شائبة تتعلق بكل لجنة

ثم سلّمت كل من اللجنتين تقريرها للدولة في اوسط شهر جمادى الاولى وجوبلية المنصرمين . ولم يبق الآن الا عقد الجلسة العامة لنظر في تلك المقرارات حتى يقع عرضها على الدولة بصفة رسمية ليقع انجازها بحول الله

والى ساعة كتابة هذا لم تاذن الدولة بعقد الجلسة العامة . ونحن نرجو من الدولة ان تاذن بعقدتها في اقرب وقت قبل انتهاء الراحة الصيفية حتى لا يجيء العام الدراسي الجديد الا بعد تهينة الاسباب للعمل بمقررات المجلس . وحتى يضرب بهم في ميزانية السنة المقبلة للمقررات التي تتوقف على تقرير اعتمادات مالية . اذ بعد امد قريب تشرع الحكومة في تقرير الميزانية الجديدة . وتقرير الاعتمادات المالية المطلوبة في صلب الميزان احسن من إلحاقها من بعد في اثناء جلسات المجلس الكبير

(ملاحظة) نشرنا في العدد السابق خطبة فضيلة شيخ الجامع الأعظم التي القاها في افتتاح مجلس اصلاح التعليم . ولم ننشر الخطبة التي القاها جناب المقيم العام م . ارمان قيون في افتتاح الجلسة المذكورة ولم يكن ذلك عن اهمال منا بل كنا نود نشرها تسجيلا لجميع ما وقع في تلك الجلسة . لا سيما وخطة جناب المقيم العام لم تكن من الخطب الادارية الخافة بل هي خطبة ذات صبغة علمية ونظرة فلسفية وفيها اعتراف بما لجامع الزيتونة من الايادي البيضاء على الثقافة العامة بهذه البلاد . ولكن الجرائد اليومية لم تنشرها فلم تتمكن من نقلها عنها . ثم طلبناها من القسم الاول فاجابنا رئيس القسم الاول بعد تكرير الطلب بأنه غير ماذون بتسليمها لنا

وقد تعجبنا من ذلك كثيرا . لاننا لم نعهد ان خطابا رسميا يلقيه ممثل الحكومة الفرنسية في مجلس رسمي يقع اغفاله وعدم نشره في الصحف اليومية ثم تطلبه مجلة تريد نشره فلا يجاب طلبها .

وغالب الظن ان جناب المقيم العام عندما يطالع على هذه الملاحظة سياذن بان يسلم لنا خطابا حتى ننشره في العدد المقبل بحول الله

تقريظ

وافانا هذا التقريظ من الاديب السيد الطاهر بن محمد
وارده مذيل بقصيدة في نفس الغرض للعالم الشيخ
حسن بن جمعة مقديش يطالب نشرهما ونحن نزول
عند ارادته ننشرهما شاكرين للشيخ مقديش والسيد
وارده عاطفتها النبيلة

اليكم ايها السادة الفضلاء والاباء النبلاء هذه يدي ايها الاخوان امدها الى مجلتكم الفحاء وقلبي
ملؤه الايمان بهذا العمل الذي ما اسس الا للدعوة الى الله . ومن احسن قولاً معن دعى الى الله ، لقد
بذلتم الجهد في عمل كم صبت اليه النفس وهام به القلب بل وتعلقت باسبابه الروح فما نحن اولاء على
ثمرة عملكم وعلى نور جهادكم الصادق تبصر اعيننا ما كنا نتمنى ونرجو وتلهس ايدينا ما كانت منه هواء
كلقي اذيعها من أعماق قلبي وان يتلقاها الا قلب ملؤه التيار الذي به اتصلت . ومنه استمدت
وفيه اندمجت ، ذلكم التيار القوي الذي يهز النفوس ، ويحرك الشعور ويملك الحواس ويفيض على
النفس غيطة وطمأنينة . ذلكم التيار الذي لا يعرف الحياة من لا يعرف تيسار الحب في الله ، والايمان
بالله والاستعانة بالله .

من ذا الذي يتماهى في نور يربط القلوب شعاعه اللين الهادي وقد ارسله بدر الدهر في تمامه
الى ساحة الاخوة البريئة فيفيض عليها ويغمرها من بحر الرحمان الذي بعث رسوله صلى الله عليه وسلم
بحير الاديان

ومن ذا الذي يتماهى في نور مشرقه عامر للصدور ، ذلكم النور القوي الذي اطلقه منار راسخ
وقف في خضم الحياة على صخرة عاتية هي صخرة النجاة التي اسسها اخوان من المؤمنين ونخبة من
العلماء العاملين . اسسوها على تقوى من الله وحب رسوله صلى الله عليه وسلم

ذلكم النور مبعثه هذه « المجلة الزيتونية » تشرق به في غرة كل شهر عربي على العقائد فتتهز
وتربو وعلى النفوس فتجيا وتنشع فمرحبا بها ما غدقا بين قوم عطاش ، مرحبا بها نورا مبينا في هذه
الدباحي المظلمة ، مرحبا بها يدا عاملة قوية ترفع المشمل فوق الرؤوس ليدخل الناس افواجا في دين
الله الحكيم وشعورا سنة سيد المرسلين الكريم ،

اني ارى لزاما علي وعلى كل مسلم ان اثني على هذا المجهود المبارك وهذه المصلحة الجليلة المفيدة
فجميعنا يعلم ما لهذه المجلة من خدمة الدين وبث تعاليمه كما نعلم ايضا ان هذه الصحيفة لمراعاة من
خيرة جامع الزيتونة المعمور ، فها هي قد بسطت اجنحتها الكريمة على كثير من بلدان القطر وقرائه

فانشأت فيها فروعا واكبر الامل معقود على همتهم في بسطها على سائر المدن والقرى اعانهم الله ووفقهم الى ان يسيروا بها الى اعلى درجات الرقي « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين » وقبل الختام ارى لزاما علي ان ادلي بهذه القصيدة في تقریظ مجلنتنا الغراء وقد صاغتها قريبة وشاعرية العالم الفاضل والاديب الكامل شيخنا ومدرسنا ابقاه الله الا وهو الشيخ حسن بن جمعة مقدیش حفظه الله، وها هي القصيدة المذكورة لتنشر مع هذه الكلمة على صفحات مجلنتنا الغراء

يا طالب العلم الصحيح واهله
زيتونة الاسلام تأتي بالذي
قد خصها المولى الكريم بقيادة
اني رأيت ورب زمزم والصفاء
فأعلم علوم الحق يا سامي النهى
يا حبذا العلم الصحيح واهله
يكفيك ان رمت المكارم منهل
فقه الجريفة مع فنون علومها
لعمري ايك ما تجاهل فضلها
قامت تروم البدر في نيل العلا
خاضت بحورا قد تلاطم موجها
شادت حصونا يا لها من حكمة
ترى سلسيل القول من نقاشها
جاءت بتبر الذهب في ورقاتها
ورق صقيل وخطوط قد بدت
فلا بن مقلة والمليك يسم على
صرخت بمجد صرخة قد ازعجت
جمعت جموعا لن ترى لصفوقها
تاهت على العشاق بفرط جمالها
مجنون ليلى ان يدم لزمانها
وكثير عزة لو راءها ساعة
خليل عذبة لو سعى لركابها
فلست اعنى الغانيات من النساء
فهن الفانيات بلا خلاف
ولكنها شمس المعارف والعلا
فها اقبلوا ثم اجتسوا ثمارها
فقصارى القول فيها انها
اقول صدقا انها في سيرها
كفى بسطتها للهيمن طالبا
ثم سلام الله يتلى دائما

فاسمع هديت لبقية الانسان
يشفي الغليل وسائر الاحزان
فكر الصقيل ومنبع العرفان
قد ساد اهلوها على الاقران
واشكر لفضل اولئك الاخوان
أهل التقى والدين والاحسان
يمسح الشكوك وسائر الادران
فن الحديث ومعرض القراءان
الا صريع الحسد والعدوان
قامت تحاكي الشمس في التبيان
جئت جذور الزبغ والهبثان
قد دوت في عالم الانسان
ترى عظيم الدر في الميزان
جاءت بروح الدين في العنوان
في رونق حي عظيم الشان
مطبعة لاولئك الاخوان
كل العدا في حومة الميدان
الا بنود النصر والسلطان
وبراعها السحار للاذهان
ازرى بلبلى ربة الغزلان
نسي الجمال وبهجة النسوان
صاغ القریظ وجد في الاوزان
ولا من يضيع العمر في الحيران
وهن اللحقات بلا توان
تسطو على شمس الجمال الثاني
عظيما تروا في ازهد الانمان
قوت القلوب وبغية الانسان
نسيج هذا العصر والديوان
نشر يدوم لها مدى الأزمان
لن يلد الشوق للظمئان

(تم المجلد الثاني للمجلة الزيتونية)

اصلاح اخطاء مطبعية في المجلد السابع من المجلة

صفحة	سطر	خطا	صواب
٢٩٦	١٣	المتدي (مرتين)	المتدي
»	١٦ - ١٧	لا يتووم معناه الا بتصور	يتقوم معناه بمجرد تصور
»	١٨	وهو المتدي	فهو للمتدي
»	٢٢	بالفعل	بالحدث
»	٢٧	لتصحيل	لتحصيل
٢٩٧	٢٣	احيب عنه	جوابي عنه
٢٩٨	١	في الدين حرج	في الدين من حرج
»	٢١	سوا	سوأى
»	٢٣	لانا الهداية	لان الهداية
»	٢٤	الاخري	الاخروي
»	٢٥	تلن	تطلق
٢٩٩	٣	فالوصول	فالأتان بالوصول
»	٩	والقول في المطلوب (الى نهاية سطر ١٠) (يحذف)	
»	١٩	فطلب	وطلب
٢٩٩	٢٢	فترتب	فترتب
٣٠٠	٧	العصية	الفضية
»	١٦	فيجوز السماح بثبوت احدهما ولما	فيجوز ثبوت احدهما آه ولما
»	١٩	المتقي	التقي

المقال

صاحبة

- ٣٣٧ المولد النبوي
- ٣٣٨ الربا رئيس التحرير
- ٣٤٥ من تفسير سورة البقرة صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد الطاهر بن
عاشور شيخ الاسلام المالكي
- ٣٥٢ ما أنزل الله داء الا انزل له شفاء (٢) .. بقلم المنعم الشيخ محمد ابن القاضي
- ٣٥٨ دفع اشكال في حديث نبوي بقلم صاحب الفضيلة شيخ الاسلام المالكي
- ٣٦٢ حكم وضع الانسان المصنوعة في الفم ... بقلم صاحب الفضيلة الشيخ سيدي محمد بن يوسف
شيخ الاسلام الحنفي
- ٣٦٨ - ٤٠١ الاخوة في الاسلام صاحب المجلة
- ٣٧٦ التعاضد المتين بين العقل والعلم والدين .. صاحب الفصيلة الشيخ سيدي محمد الحجوي وزير
المعارف بالحكومة المغربية الشريفة
- ٣٧٨ كيف انتشر الشرف بافريقية ومق ظهرت
خطة نقيب الاشراف بتونس العالم المؤرخ السيد محمد بن الحوجة مستشار
الحكومة التونسية
- ٣٨٤ تونس في القرن السابع (٣) العالم الشيخ علي النيفر المدرس من الطبقة الاولى
بجامع الزيتونة
- ٣٨٨ باب البحر العالم للمؤرخ السيد محمد بن الحوجة
- ٣٩٨ مولد الرسول عليه الصلاة والسلام (قصيدة) الاديب الشيخ الطاهر القصار المدرس بجامع الزيتونة
- ٤٠٠ سعادة الامة بتعاون افرادها العالم الشيخ الطاهر النيفر للمدرس بجامع الزيتونة
- ٤٠٥ تفشي استعمال المخدرات بين شباب الامة العالم الشيخ محمد الهادي ابن القاضي المدرس من
الطبقة الاولى بجامع الزيتونة
- ٤٠٨ خطبة منبرية صاحب المجلة
- ٤١٠ احتفال جمعية الضعفاء من تلامذة جامع
الزيتونة بفتح مدرسة الهداية شذرات نقدية
- ٤١٣ شذرات نقدية العالم الشيخ محمد الناصر الصدام المدرس من الطبقة
الاولى بجامع الزيتونة
- ٤١٥ (قصيدة) توديع الوزير الاكبر الشيخ محمد القداد الورتاني
- ٤١٧ حركة الاصلاح
- ٤١٩ تقرض